الدُّرَّة في تفسير

سُورَةِ البَقَرَة

تقديم

أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي

تأليف

ميّادة بنت كامل الماضي

مؤسسة الرسالة

الدُّرَّةُ في تفسير

سورة البقرة

ⓒ ميادة الماضي، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الماضي، ميادة
الدرة في تفسير وتقسيم سورة البقرة/ ميادة الماضي.- الرياض، ١٤٢٦هـ
٥٦٧ ص، ١٧×٢٥سم
ردمك: ٢-٧٠٠-٤٧-٩٩٦٠

١-القرآن-سورة البقرة-تفسير أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٦/١٩٢٦

رقم الإيداع: ١٩٢٥/ ١٤٢٦
ردمك: ٢-٧٠٠-٤٧-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

مؤسسة الرسالة العالمية وطى المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا- بناية المسكن، بيروت-لبنان
تلفاكس: ٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢ فاكس: ٨١٨٦١٥ص.ب: ١١٧٤٦٠

Al-Resalah International EST
BEIRUT/LEBANON-Telefax 815112-319039 Fax 818615-P O Box 117460
Email Resalah@Cyberia net lb

الدُّرَّة في تفسير
سورة البقرة

تقديم

أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي

تأليف

أم معن ميادة بنت كامل الماضي

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية - كلية المعلمين بالرياض

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب، الصمد، الواحد، الأحد، الحي، القيوم، ذو الجلال والإكرام، المتكلم بالقرآن، والخالق للإنسان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحب الحجة والبرهان، وسيد البيان، الذي أرسله ربه بالقرآن، فأعجز أهل الفصاحة والبلاغة، وأعيا أهل المعاني والبيان، فجعله ربيعاً للقلوب، وهدىً للعقول، وراحة للنفوس، وجعل أمثاله عبراً، وقصصه هدىً، وبين فيه الحلال والحرام، وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

منذ نزل هذا القرآن والمسلمون يقبلون على تلاوته، وتدبره، وتفسيره، وبيانه، وحفظه، وإتقانه، ولم يكن أولئك القوم سلفنا الصالح رضي الله عنهم يقبلون أن يحفظوا شيئاً منه قبل أن يستفسروه، ويسألوا عن معانيه، ولم يكن أحدهم ليقرأ القرآن لتذوق أساليب اللغة العربية فحسب؛ أو لمجرد الثقافة البحتة، أو يحفظ آياته ليستشهد بها في المناسبات واللقاءات، أو ليتلوه في الاحتفالات والمناسبات، أو ليكسب في حفظه أو تلاوته، بل كانوا يتلقونه ليترجموه من فورهم بعد فهمه وتفسيره إلى عمل جاد، وتطبيق كامل، ولذلك كان الصحابي يحس وهو يقرأ أنه إنما يتحمل واجبات وتكاليف فيقرأ من الآيات ما يستطيع حمله من تكاليفها، وبهذا مازج القرآن أرواحهم، وخالط ذواتهم، فتحول هذا الجيل إلى جيل قرآني، فصار خير أمة أخرجت للناس، وغفل كثير منا عن

مدارسة تفسير القرآن، وبيانه، واكتفى كثير من خيارنا بتلاوته وحفظه، وما درى بعضنا أن كمال تلاوة القرآن وحفظه لا يكون إلا بمعرفة تفسيره، وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (كان الرجل إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) وقد أدركت الأخت الفاضلة ميادة بنت كامل الماضي هذا المعنى، وفهمت هذا المرمى؛ أن فهم النص معينٌ على حفظه، وأن حفظة القرآن، أو من يقصد ذلك بحاجة إلى من ييسر لهم تفسيره، ويقرب إليهم معانيه، ويدني إليهم مراميه، ويراعي في ذلك الوحدة الموضوعية للنص التي تربط بين آياته، وتجعله قطعة واحدة، تترابط أطرافها وأجزاؤها فيسهل فهمها، ويتيسر حفظها، لا تنخرم منه كلمة، ولا يند منه حركة، فكم أبدل قارئ من فاصلة بفاصلة، كما يبدل بعضهم (غفور رحيم) بـ(عزيز حكيم) ونحو ذلك، وما ذلك إلا لعدم استحضار المعنى، والانفصال بين الحفظ والتفسير، وما أقوى الحفظ وأتقنه حين يتم الربط بين صور الكلمات وصور المعاني، فينتقل القارئ بين كلماته وهو يستحضر صور معانيه لو أخل بكلمة لاختلت الصورة في ذهنه، فيعود يطلب تصحيح صورة المعنى فيصحح الكلمة.

وقد بينت المؤلفة وفقها الله هدفها ذلك بقولها: (وقد سلكت في هذا الكتاب مسلكاً يتناسب مع الهدف الذي قصدته من جمعه ألا وهو أن يكون دليلاً لكل من أراد أن يحفظ كتاب الله بأن يكون حفظه معتمداً على تقسيم الآيات حسب المعاني التي اشتملت عليها، ومما حثني على كتابته ما لمسته من ضعف الحفظ، وسرعة تفلته عند كثير من الحفظة، وذلك من خلال عملي بالتدريس في دور القرآن لعدة سنوات وقد اتبعت هذه الطريقة في تدريسي ولقيت نجاحاً كبيراً بفضل الله وتوفيقه).

إذاً هي تتحدث عن فكرة وتجربة ناجحة ثم لا تقف عند مجرد توثيق الحفظ فتقول: (وكان هدفي الأصيل عند القيام بهذا العمل الجليل، ربط القارئ بكتاب الله عز وجل ربطاً علمياً، ووجدانياً، وتدبر آياته؛ حتى ليشعر القارئ لآيات القرآن أنه المُخاطب بها، وتلامس شغاف قلبه، ويقشعر جلده لذكر آيات الوعيد، ثم تلين لذكر آيات الوعد الجميل...)، ويذكرنا حديثها هذا بمنهج السلف المشار إليه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه السالف: (لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن). وبعد أن بينت الهدف رسمت المنهج بقولها: (تقسيم السورة إلى معانٍ رئيسة يشتمل كل منها على معانٍ داخلية مع الإشارة إلى الآيات الدالة على المعنى) ومع أنها نهجت اشتمال الموضوع الواحد على مقدار ربع الحزب إلا أنها لم تلتزم بذلك إذا حدث انقطاع في المعنى أو عدم اكتمال فقد أدخلت بعض الآيات من ربع في الربع الذي يليه أو يسبقه مراعاة للمعنى لأن التقسيم اللفظي ليس بلازمٍ، ولا حرج في مخالفته بل ينبغي للقارئ أن يختم قراءته عند تمام المعنى.

واستندت في منهجها هذا إلى كلام أئمة العلم ومن ذلك قول ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (بلاغة القرآن بل فصاحة القرآن في التقسيم لأن الله تعالى ابتدأ سورة البقرة بالمؤمنين الخُلَّص ثم الكُفَّار الخُلَّص ثم المنافقين وذلك لأن التقسيم مما يزيد الإنسان معرفة وفهماً).

ثم بينت أنها وضعت في بداية كل ربعٍ (وتعني بالربع ثمن الجزء) هيكلة شاملة لمعاني هذا الربع مع شعار يبين موقع الربع ضمن أجزاء السورة ووضعت في نهاية السورة هيكلة كاملة لأجزائها ليسهل على الحافظ مراجعتها.

وفي خطوات التفسير كانت خطوتها الأولى (شرح المفردات) شرحاً لغوياً

ثم (الشرح الإجمالي) بعبارات ميسرة يسهل على الدارس فهمها تيسيراً لحفظ القرآن وحرصت على ذكر (المناسبة بين خاتمة الآية ومضمونها أو سياقها) وأكدت على ذلك لما لمسته من خطأ بعض الحفظة في خواتيم الآيات واستبدال خاتمة بخاتمة أخرى غير مناسبة ثم عرضت لذكر (الأحكام الفقهية) مكتفية بذكر القول الراجح عند أهل العلم في الغالب، ووضحت (المسائل العقدية) المهمة وخاصة عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وغير ذلك من مسائل العقيدة المهمة، وذكرت بعض (المسائل الأصولية) في التفسير والفقه لفائدة من لم يتم دراسته الأكاديمية، وختمت ذلك بذكر بعض (اللطائف والنكات اللغوية) التي تشير إلى إعجاز القرآن، وسلكت في المراجع مسلكاً خاصاً فاكتفت في المقدمة بذكر اعتمادها على أئمة التفسير كالقرطبي، وابن كثير، وابن سعدي، والشنقيطي، والتفسير المطبوع والمسموع لابن عثيمين رحم الله الجميع، فكانت تنقل أقوالهم وتنسبها إليهم من غير ذكر موضع النص، وأحسبها فعلت ذلك لعدم إشغال الذهن بالحواشي والتهميشات وتفريغه لفهم المعنى وحفظ النص، وأحسبها بهذا الهدف وهذا المنهج والأسلوب مبتكرة لم تُسبق إلى هذا، وهي حين تقدمه لا تقدمه للتجربة بل تقدمه بعد أن جربته مراراً ورأت آثاره وفائدته فأرادت أن يعم أثره ونفعه، ومن سنَّ سنةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عَمِلَ بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

أسأل الله تعالى أن ينفع بالباحثة وجهدها، وأن يثيبها على عملها، وغيرتها على كتاب الله، وفقها الله وسدد في سبيل الخير خطاها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ. د. فهد بن عبدالرحمن الرومي

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيرا. . . . أمَّا بعد:

فإن القرآن الكريم مصدر الهدى والشفاء للناس عامة، وللمؤمنين خاصة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [يونس:٥٧] وهو الكتاب الجامع لأصول الدين وفروعه، نصّاً أو استنباطاً عقيدة وشريعة ونظام حياة... أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ لحكمة عظيمة وغاية جليلة؛ إنها التدبر المفضي بصاحبه للعمل. الذي تكون ثمرته الجنّة، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.[ص:٢٩]

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

"إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإنَّ فيه علم الأولين والآخرين"

قال ابن عمر رضي الله عنهما:

" لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺفيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين الفاتحة إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه. ينثره نثر الدّقل"

وورد عن الإمام عليّ رضي الله عنه أنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:" **ستكون فتن كقطع الليل المظلم** "، قلت يا رسول الله ما المخرج؟ قال: "**كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم.** "

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين تحت عنوان: **تدبر القرآن يولد الأفكار.**

قال رحمه الله وأجزل مثوبته: "فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتها، وأسبابها، وغاياتها، وثمراتها، ومآل أهلها. وتُثبِّت قواعد الإيمان في قلبه، وتُشيِّد بنيانه، وتوطِّد أركانه. وتُريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه. وتُحضره بين الأمم، وُتريه أيام الله فيهم. وتبصِّره مواقع العبر. وتُشهده عدل الله ﷻ وفضله، وتُعرِّفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبُّه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه. وتعرفه النفس وصفاتها. ومفسدات الأعمال ومصححاتها. وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم. ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة... إلى أن قال: فلا تزال معانيه تُنْهِض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمّر والتخفّف للقاء اليوم الثقيل. وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل. وتصدّه عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل. وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه

عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل. وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته، ونَى في سيره: تَقدَّمَ الركبُ وفاتكَ الدليل، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل، وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر! فاعتصم بالله، واستعن، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل" ا. هـ

ولقد اهتم علماء المسلمين منذ فجر الإسلام بالقرآن الكريم تلاوة، وفهماً، وتفسيراً، وانصبت اهتماماتهم عبر العصور المتعاقبة بالعناية والاستفادة من كتاب الله ﷻ درساً وتحليلاً.

ولّما كان العمل في خدمة كتاب الله ﷻ الجامع لمصالح الدنيا والدين، والعناية به عبادة يؤجر عليها فاعلها إن حَسُنت وصدقت نيته، فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب العظيم، حسب موضوعات السورة، وجمع الآيات القرآنية في السورة الواحدة التي تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة في الهدف، وإدراجها تحت عنوان واحد يشملها جميعاً، ثم شرحها وبيان ما فيها من الحكم الجليلة والفوائد الجمّة.

لذا حرصت على جمع هذا الكتاب وتنسيقه طمعاً في الفوز بأجر وثواب خدمة كتاب الله ﷻ، فإن كنت قد وُفقت فذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء، وإلا فحسبي أنَّ المجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد.

وقد سلكت في هذا الكتاب مسلكاً يتناسب مع الهدف الذي قصدته من جمعه ألا وهو أن يكون دليلاً لكل من أراد أن يحفظ كتاب الله، بأن يكون حفظه

معتمداً على تقسيم الآيات حسب المعاني التي اشتملت عليها، ومِمَّا حثَّني على كتابته ما لمسته من ضعف الحفظ وسرعة تفلته عند كثير من الحفظة، وذلك من خلال عملي بالتدريس في دور القرآن لعدة سنوات، وقد اتبعت هذه الطريقة في تدريسي ولقيت نجاحاً كبيراً بفضل الله وتوفيقه.

وكان هدفي الأصيل عند القيام بهذا العمل الجليل ربط القارئ بكتاب الله عز وجل ربطاً علمياً، ووجدانياً، وتدبر آياته حتى ليشعر القارئ لآيات القرآن أنه المخاطب بها، وتلامس شغاف قلبه، ويقشعر جلده لذكر آيات الوعيد، ثم تلين لذكر آيات الوعد الجميل، ويقرأ آيات الصفات مستحضراً كمال مَن له الجلال والكبرياء، فإذا مرَّ بآيات القصص، مرَّ معتبراً، لا مرور الغافلين، وإذا تلا آيات الأحكام استشعر عظمة التشريع الإلهي وحكمته الجليلة، وامتثل أمر الله، ونهيه، حتى يصير القرآن له منهج حياة - لا مجرد حروف تتلى - فتفضي به إلى العمل الموصل إلى مرضاة ربه الجليل عزَّ في علاه، متأسياً بمن كان قرآناً يمشي على الأرض عليه صلوات ربي وسلامه ما تعاقب الليل والنهار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية عبارة من أحسن العبارات؛ قال: **"من تدبَّر القرآن طالباً الهدى تبيّن له طريق الحق"**؛ وهذه كلمة مأخوذة من القرآن منطوقاً، ومفهوماً.

وقال ابن القيم رحمه الله: ولا ريب أن مجرد القيام بأعمال الجوارح، من غير حضور ولا مراقبة، ولا إقبال على الله: قليل المنفعة، دنيا وأخرى، كثير المؤُنة.

ورغبة مني في نشر هذا العلم وهذه الطريقة الميسرة في الحفظ أقدِّم هذا الكتاب مع إعطاء تفسير واضح ميسَّر للآيات للذين يرغبون في الحصول على

مادة علمية قد لا يستطيعون الوصول إليها من أمهات كتب التفسير؛ لصعوبة الأخذ منها.

فكان منهجي كالآتي:

١ – اعتمدت في تفسيري هذا على طريقة تقسيم السورة إلى معانٍ رئيسة يشتمل كل منها على معانٍ داخلية، مع الإشارة إلى الآيات الدالة على المعنى.

* فمن المعلوم أن القرآن الكريم مقسَّم إلى ثلاثين جزءاً، وكل جزء ينقسم إلى حزبين، والحزب الواحد ينقسم إلى أربعة أرباع كل منها يسمّى ربع حزب؛ وبالتالي فالجزء مكون من ثمانية أثمان على النحو التالي:

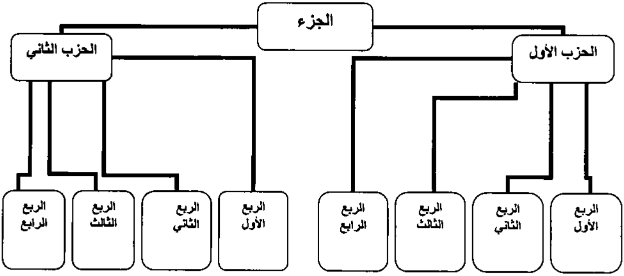

وعند بداية كل جزء توجد علامة تدل عليه، وكذلك عند بداية كل ربع... وهكذا في كل المصحف الشريف.

٢- قمت بالتقسيم السابق ولكن لم ألتزم في التفسير إذا حدث انقطاع في المعنى أو عدم اكتمال، فقد أدخلت بعض الآيات من ربع في الربع الذي يليه، أو يسبقه، مراعاة للمعنى، وذلك اعتماداً على أن تجزئة القرآن السابق ذكرها والموجودة في المصاحف الآن إنما هي من عمل المتأخرين واجتهادهم، وكان الهدف منها كما يبدو تسهيل الحفظ على قارئ القرآن خاصة السور الطوال. ذكر **ذلك الشيخ عبد اللطيف فايز دريان في كتابه التبيين في أحكام الكتاب المبين والذي قال فيه**: [من عمل المتأخرين وضع أسماء السور في المصاحف وتقسيمها إلى أعشار وأرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب، وقيل: أول من أمر به المأمون العباسي، وقيل: إن الذي فعله الحجاج بن يوسف الثقفي أخذاً من عمل الصحابة في وضع أسماء السور، وباجتهاد منه في هذا التقسيم، إذ نجد ابتداء الربع في وسط قصة مثلاً.

واتباع مثل هذا التقسيم ليس بلازم ولا حرج في مخالفته، بل ينبغي للقارىء أن يختم قراءته عند تمام الكلام، سواء كان في آخر قصة أو آخر سورة، ولا يلزم بنهاية الربع وبدايته، فكثيراً ما يكون في بعض الجمل تعلّقٌ بآخر الربع السابق كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ...﴾.[**آية:٢٤/ سورة النساء**] هي بداية الجزء الخامس؛ لكنها متعلقة تعلقاً وثيقاً بآية المحرّمات من النساء، في الربع الأخير من الجزء الرابع. ومثل هذا كثير]. ا.هـ (التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين: للشيخ عبد اللطيف فايز دريان) .

لذا كان اعتمادي لطريقة التقسيم هذه بحسب المعاني استئناساً بأنها طريقة القرآن كما أسلفت، وبقول لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته، حيث قال رحمه الله: "بلاغة القرآن بل فصاحة القرآن في التقسيم؛ لأنَّ الله تعالى ابتدأ سورة البقرة بالمؤمنين الخُلَّص، ثم الكفار الخُلّص، ثم المنافقين؛ وذلك؛ لأن التقسيم ممّا يزيد الإنسان معرفة، وفهماً". ا.هـ

وقد جاء التقسيم في كثير من الأحاديث النبوية كما في قوله ﷺ **"مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها النّاس، شربوا منها، وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنّما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ممّا بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به". (متفق عليه).**

٣- وضعت في بداية كل ربع شعاراً يوضح الأجزاء التي استغرقتها السورة، وقمت بتظليل الأرباع بوضع خطوط مائلة هكذا: ▨، وميزت الربع المطلوب بتظليله بمعينات هكذا: ▩.

وفيما يلي مثالاً يوضح شعار السورة وموضع الربع المطلوب:

الربع الأول / الحزب الأول/ الجزء الأول

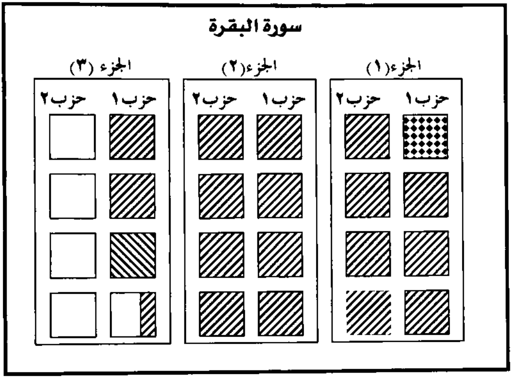

وضعت في نهاية السورة هيكلة كاملة لأجزائها ليسهل على الحافظ مراجعتها.

٤- اعتمدت في تفسيري على أمهات كتب التفسير: كتفسير القرآن العظيم "لابن كثير"، رحمه الله تعالى. وتفسير أضواء البيان "للأمين الشنقيطي" رحمه الله تعالى. وتفسير تيسير الكريم الرحمن "لابن سعدي"، رحمه الله تعالى. "للقرطبي"، رحمه الله تعالى. كذلك التفسير المسموع، والمطبوع للشيخ "ابن عثيمين"، رحمه الله تعالى، وخاصة فقرة هداية الآيات، حيث نقلت الكثير منها لما فيها من فوائد جليلة. إضافة إلى بعض التفاسير اللغوية، والفقهية.

٥- حرصت على ذكر بداية ربع الحزب ونهايته حسب تحزيب القرآن المعتمد في المصاحف العثمانية، ثم ذكرت بداية الربع ونهايته حسب المعنى بما فتح الله عليّ معتمدة على ما سطَّره علماء التفسير الموضوعي في هذا الجانب، ثم شرعت في تقسيم الربع حسب المعنى إلى معانٍ رئيسة كل منها يشتمل على معانٍ داخلية.

٦- بدأت التفسير بذكر الآيات المراد تفسيرها، وأرقامها، ثم حرصت على كتابة "المناسبة ووجه الربط" بين الآيات، مستنيرة بما استنبطه العلماء الذين فتح الله عليهم كلما أمكن ذلك، مبتعدة عن التعسف أو التكلف أو القول على الله بغير علم.

٧- بدأت بعد ذلك بشرح المفردات شرحاً لغوياً محاولة اختيار أرجح الأقوال في معنى المفردة، أو ذكرها جميعاً إذا لم يكن هناك راجحاً.. ثم شرحت الآيات شرحاً إجمالياً، وتجنبت الإطالة ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وحرصت على التعبير عن المعنى بعبارات بسيطة، حتى يسهل على الدارس حفظها والرجوع إليها؛ لأنَّ الهدف كما سبق تيسير الحفظ على حفظة كتاب الله. ومن ثم أتبعت الشرح الإجمالي هداية الآيات والفوائد المستنبطة منها.

٨- حرصت على التنبيه إلى التناسب بين خاتمة الآية ومضمونها أو سياقها، عملاً بالقاعدة التي ذكرها الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في قواعد تفسير القرآن: **أنَّ سياق الآية يتناسب مع خاتمتها**، وذلك لما لمسته من خطأ حفظة كتاب الله في خواتيم الآيات واستبدال خاتمة بأخرى غير مناسبة، ويظهر هذا الجانب واضحاً بإذن الله خلال الكتاب.

٩- عرضت لذكر الأحكام الفقهية وخاصة في آيات الأحكام، وتجنَّبت ذكر الأقوال المتعدِّدة في المسائل، مكتفية بذكر القول الراجح عند أهل العلم في الغالب.

١٠- عرضت لذكر بعض المسائل العقدية المهمة وخاصَّة عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وغير ذلك من المسائل العقدية المهمة، كما ذكرت بعض المسائل الأصولية في التفسير، والفقه؛ لتتمّ الفائدة لمن لم يتيسَّر له أخذ مثل هذه المسائل بالدراسة الأكاديمية.

١١- ذكرت بعض اللطائف والنكات اللغوية التي تشير إلى إعجاز القرآن.

وأخيراً: فما كان في هذا الكتاب من صواب فهو من الله، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي ومن الشيطان. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. والحمد لله ربّ العالمين.

بين يدي السورة

سورة البقرة سورة مدنية إلا آية منها وهي آية رقم (٢٨١) قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ نزلت في منى في حجة الوداع.. وإن كانت من المدني باعتبار نزولها بعد الهجرة.

عدد آياتها: (٢٨٦) آية .

منــزلتها: سورة البقرة أطول سورة في القرآن وهي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة بعد سورة المطففين التي كانت آخر سور مكة المكرمة قبل الهجرة.

سبب تسميتها: سميت سورة البقرة بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة التي أمر الله ﷻ بني إسرائيل بذبحها.

فضلها: فضل هذه السورة عظيم وثوابها جسيم، قيل أنها "فسطاط القرآن" لعظمتها وبهائها وكثرة أحكامها ومواعظها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

{لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان} . رواه مسلم

وقال ﷺ: {اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة}؛ أي السحرة.

قال بعض أهل العلم فيها: اشتملت سورة البقرة على ألف خبر وألف أمر وألف نهي.

الجزء الأول من سورة البقرة

من الآية (١) إلى الآية (١٤١)

من قوله تعالى:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

إلى قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤١ ﴾ .

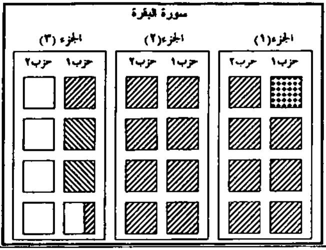

الجزء الأول /الحزب الأول/ الربع الأول / الآيات: ١ – ٢٥

المعنى الأول: ١–٢٠

أولاً: هداية الكتاب وصفات المؤمنين: الآيات:١– ٥

من قوله تعالى:﴿ الم ذَلِكَ ذلك الْكِتَابُ لا رَيبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ.. ﴾.

ثانياً: صفات الكافرين: الآيات: ٦– ٧

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ .

إلى قوله تعالى:﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ...﴾.

ثالثاً: صفات المنافقين وضرب أمثلة لهم

الآيات: ٨ – ٢٠

من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ...﴾.

المعنى الثاني: ٢١ – ٢٥

وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، والأدلة على وحدانيته، وتحدى العرب بالقرآن وتهديد المعرضين ووعيدهم، وبشارة المؤمنين العاملين بالجنة وما فيها من النعيم المقيم. الآيات:٢١– ٢٥

من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ...﴾.

الجزء الأول – الحزب الأول – الربع الأول

الآيات: ١– ٢٥

من قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ... ﴾.

المعاني الرئيسة

وقد تضمّن هذا الربع المعاني التالية:

المعنى الأول: الآيات: ١–٢٠

أولاً: هداية الكتاب، وبيان صفات المؤمنين: الآيات: ١– ٥

من قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾.

المفردات اللغوية:

الم: حروف هجائية: ثلاثة أحرف: أَلِف، ولام، وميم؛ ليس لها معنى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وجمع من أهل العلم _ هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر؛ وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلّم به البشر؛ ومع ذلك فقد أعجزهم. **الكتاب**: القرآن العظيم. **ذلك الكتاب**: قال عامة المفسرين: تأويل قول الله تعالى: {ذلك الكتاب} : أي: هذا الكتاب. **لا ريب فيه**: لا شك في أنه من عند الله. **هدى**: هداية ورشاد. **للمتقين**: الذين وقوا أنفسهم مما

يضرها، فالتزموا الأوامر الإلهية، وتجنبوا النواهي والمحظورات. **يؤمنون**: الإيمان: هو الإقرار المستلزم لإذعان النفس وقبولها، ويدل عليه العمل. **الغيب**: ما غاب عن الإنسان من حساب، وجزاء، وجنة، ونار وغيرها. **يوقنون**: اليقين: هو الاعتقاد الذي لا يقبل الشك، وهو حقيقة العلم. **على هدىً**: أي على علم وتوفيق. **المفلحون**: "**الفلاح**" هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب فهي كلمة جامعة لانتفاء جميع الشرور، وحصول جميع الخير.

وقد تضمنت هذه الآيات المعاني التالية:

١- كتاب الله لا شكَّ فيه بوجه من الوجوه، وهو يقين، ونور، وهدى؛ لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝... ﴾ الآيتان ١، ٢.

٢- صفات المؤمنين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للمؤمنين صفات خمس: الآيتان ٣، ٤.

- الإيمان بالغيب؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾.
- إقام الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.
- إيتاء الزكاة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾.
- الإيمان بالقرآن، بالكتب السماوية؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾.
- الإيقان بالآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾.

٣- جزاء المؤمنين المتقين؛ في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الآية ٥.

المعنى الإجمالي:

استهلَّ الشارع الحكيم هذه السورة بهذه الحروف التي افتتح بمثلها تسعاً وعشرين سورة من كتابه، وقد اختلف العلماء في هذه الأحرف وفي الحكمة منها على أقوال كثيرة أصحّها أنها حروف لا معنى لها حيث نزل القرآن بلغة العرب وهذه الحروف لا معنى لها في العربية.. غير أنَّ فيها بياناً واضحاً لإعجاز القرآن، وتحدِّياً دائماً على الإتيان بأقصر سورة من مثله، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ولو اجتمعوا مع أنَّه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، (وإليه ذهب ابن تيمية، وابن القيم وجمع كثير من أهل العلم).

وقد لوحظ أن أغلب السور المبدوءة بحروف مقطَّعة جاء بعدها مباشرة ذكر الوحي والكتاب ممَّا يدل على أن هناك علاقة بين ذكر الحروف وإعجاز القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ... ﴾.. فكأنَّها تقول لهم أنَّه من مثل هذه الحروف تألَّف القرآن فألِّفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلِّموا أنَّه كلام الله ووحيه وآمنوا به تفلحوا.

ثمَّ وصف الله تعالى القرآن العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة بأوصاف ثلاثة: فهو الكتاب الكامل الحائز على كل كمال المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم والحق المبين، وأنه لا شك فيه بوجه من الوجوه فهو مشتمل على علم اليقين المزيل للشك. لذا: كانت فيه الدلالة على الطريق الموصل إلى السعادة والكمال في الدارين لكل أحد، وفيه التوفيق لكل من رام فيه الحق واسترشد بهداه ممن سكنت التقوى قلبه، فتقوى القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب، وتفتح له مغاليق قلبه، فيتلقى ويستجيب.

وبعد أن ذكر الله تعالى أنّ المتقين هم الذين ينتفعون بالقرآن، بيّن لنا صفات هؤلاء المتقين: **فهم يؤمنون بالغيب**، ويُقرُّون بما غاب عنهم مما أخبر الله تعالى به عن نفسه، - جلّ وعلا- وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، والجنّة، والنّار، وغير ذلك مما أخبر الله به من أمور الغيب.

وهم ينقادون بجوارحهم لأوامر الله ورسوله، **فيقيمون الصلاة** ظاهراً؛ بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها، والمحافظة على أوقاتها، وإسباغ الطهور لها، **ويقيمونها** باطناً؛ بإقامة روحها؛ وذلك بالإقبال على الله، وحضور القلب فيها، فتسجد لله قلوبهم، ويتصلون به على مدار الليل والنهار.

ومِمَّا أعطاهم الله من المال ينفقون؛ فيؤدّون زكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم؛ ثم ينفقون في وجوه البر والإحسان على قدر ميسرتهم وجهدهم على الفقراء والمساكين، كما يُنفقون على أنفسهم وأهليهم معترفين ابتداءً أن المال الذي بأيديهم هو من رزق الله لهم – فتطهر نفوسهم من الشح، وتزكو بالبر.

وهم الذين يؤمنون بما أنزل الله على النبي محمد ﷺ من القرآن، والحكمة، ويؤمنون بجميع الكتب السماوية المنزلة على سائر الأنبياء والمرسلين؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف موسى، وغيرها.

ثم إن أولئك المتقين هم الذين يوقنون بالآخرة، وخصَّ الله تعالى بالذكر بعد العموم إيمانهم باليوم الآخر مع دخوله في الإيمان بالغيب؛ لأنَّه أعظم باعث على العمل، فذكر أنّهم يؤمنون بالآخرة إيماناً جازماً ليس فيه أدنى شك.

هذه هي الصفات الأساسية الكبرى للمتقين، وهذه هي سمات عقيدتهم وشريعتهم؛ ولهذا التفتت الآيات بأسلوب التقرير إلى الثناء على المتصفين بما تقدم

من الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو مستلزم للاستعداد له بالأعمال الصالحة وترك المحرمات على نور وبيان وبصيرة، فقد أدركوا ما طلبوا، ونجو من شرِّ ما منه هربوا. فكذلك اهتدوا وكذلك أفلحوا، فالطريق إلى الهدى والفلاح: هو هذا الطريق المرسوم.

فوائد:

- ذمّ البخل؛ ووجهه أن الله تعالى مدح المنفقين؛ فإذا لم يكن إنفاق فلا مدح؛ والبخل خلق ذميم حذر الله سبحانه منه في عدة آيات.
- أن الفلاح مرتّب على الاتّصاف بما ذُكر؛ فإن اختلَّت صفة منها نقص من الفلاح بقدر ما اختلّ من تلك الصفات.

مسألة: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ؟

الجواب: أن الهدى نوعان: عام، وخاص؛ أما **العام**: فهو الشامل لجميع النّاس وهو هداية **العلم والإرشاد**؛ ومثاله قوله تعالى: عن القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

وأما **الخاص** فهو **هداية التوفيق**: أي: أن يُوفق الله المرء للعمل بما علم؛ مثاله قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

ثانياً: صفات الكافرين وجزاؤهم

الآيات: ٦ – ٧

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

المفردات اللغوية:

الكفر: ستر الشيء وتغطيته، ومن كفر فقد غطى الحقيقة وستر نعم الله عليه، وكل من لم يؤمن بالقرآن فهو كافر. أأنذرتهم: الإنذار: الإعلام المقرون بالتخويف. ختم الله: طبع الله عليها بالخاتم، والمراد: أغلقت قلوبهم، فلا يدخلها إيمان ونور. غشاوة: غطاء وستر، والمقصود: التعامي عن النظر إلى آيات الله.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا ذكر سبحانه أهل الإيمان والتقوى، والهداية والفلاح، ذكر بعدهم أهل الكفر والخسران، فأخبر سبحانه أنّ الذين انصبغوا بالكفر وصار وصفاً ملازماً لهم مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم إنذارك وعدمه؛ فلا تتأثّر قلوبهم به؛ لأنّها مغلقة لا يصل إليها النور الإلهي؛ ولا يشرق فيها إيمان؛ بسبب تعاميهم عن الحق وآيات الله؛ ولأنهم عطّلوا وسائل المعرفة والنظر والتفكير وإعمال السمع والبصر، فأصبحوا يرون الحق فلا يتّبعونه، ويسمعونه فلا ينتفعون به، فكان جزاؤهم عذاباً عظيماً، وهو عذاب النار.

وهنا نجد التقابل تاماً بين صورة المتقين وصورة الكافرين، فإن كان الكتاب بذاته هدى للمتقين، فإن الإنذار وعدم الإنذار سواء بالقياس إلى الكافرين.

من هداية الآيات:

١- تسلية الرسول ﷺ لَّما ردَّه الكفَّار، ولم يقبلوا دعوته.

٢- أن مَن حقَّت عليه كلمة العذاب فإنّه لا يؤمن مهما كان المنذِر والداعي؛ لأنه لا يستفيد – قد ختم الله على قلبه –، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾. (يونس).

٣- أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعظة، ولا بالإقبال على الله تعالى، فإنَّ فيه شبهاً من الكفَّار الذين لا يتّعظون بالمواعظ، ولا يؤمنون عند الدعوة إلى الله.

ثالثاً: الآيات: ٨ – ٢٠

صفات المنافقين ﴿٨ ـ ١٦﴾، وضرب أمثلة لهم ﴿١٧ ـ ٢٠﴾

من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

وجه الربط

لّما ذكر الله تعالى المؤمنين الخلّص؛ ثم الكافرين الخلّص؛ ذكر هنا قِسماً آخر ـ وهم المؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم؛ فبدأ بالطيِّب، ثمَّ الخبيث، ثمَّ الأخبث؛ وهم المنافقون، ووقفت الآيات عندهم تفصِّل أحوالهم وتبيِّن بعض صفاتهم ومواقفهم، وتضرب لهم بعض الأمثال الكاشفة لحقائقهم.

أ) الآيات: ٨ – ١٦

صفات المنافقين

المفردات اللغوية:

النفاق: اسم شرعي؛ جُعل سمة لمن يُظهر الإيمان ويستر الكفر. **يخادعون**: يعملون عمل المخادع، والخداع: صرف الغير عما يقصده بحيلة، والمراد هنا، إظهار الإسلام وإضمار الكفر. **مرض**: المرض: العلة، المراد هنا شك ونفاق وتكذيب وجحود. **فزادهم الله مرضاً**: شكّاً. **لا تفسدوا في الأرض**: الفساد: ضد الصلاح، وهو أن يسعى الإنسان فيها بالمعاصي. والمراد النهي عن الأسباب المؤدية إلى الفساد، بإثارة الفتن، وإفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار، وإغرائهم بالمؤمنين، وتنفيرهم من اتباع محمد ﷺ والكفر، والصد عن سبيل الله. **إنما نحن مصلحون**: الصلاح ضد الفساد، أي ليس شأننا الإفساد أبداً، ولا شأن لنا إلَّا الإصلاح، وإنما نحن أناس مصلحون بعيدون عن شوائب الإفساد، نسعى للخير والصلاح، باتباعنا رؤساءنا، وهكذا شأن المفسدين في كل زمان، يدّعون في إفسادهم أنه هو الإصلاح بعينه. **السفهاء**: ضعفاء العقول، والمراد هنا الجهلاء وضعفاء الناس. وأصل السَّفه: الخفة. **خلوا إلى شياطينهم**: انصرفوا إليهم أو انفردوا معهم، وشياطينهم: إخوانهم في الكفر ورؤساؤهم وكبراؤهم. **مستهزؤون**: الاستهزاء: الاستخفاف والسخرية. **الله يستهزئ بهم**: أي يسخر تبارك وتعالى بهم بما أملى لهم. **يمدهم**: يزيدهم أو يمهلهم. **طغيانهم**: تجاوزهم الحد وغلوهم في الكفر. **يعمهون**: أي يتحيرون أو يعمون عن الرشد، من العمه: وهو ضلال البصيرة.

المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى أن هناك صنفاً من الناس يدَّعون الإيمان بالله واليوم الآخر ولم يدخل قلوبهم، لذا نفى سبحانه عنهم الإيمان وكذَّب ادِّعاءهم، فلا يصحّ الإيمان إلَّا إذا وافق القلب اللسان، وكان انقياد الإنسان قلباً وقالباً، علماً وإذعاناً وسلوكاً.

ونظراً لقصور عقول المنافقين تصوَّروا أنّهم بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر يخدعون الله ويخدعون المؤمنين، ليعصموا دماءهم، وأموالهم، ولكن هم على الحقيقة لا يخدعون إلَّا أنفسهم؛ لأنّ ضرر المخادعة يعود عليهم، فمن خدع مَن لا يُخدَع فإنّما يخدع نفسه، فلا يَغُرّونُ بصنيعهم هذا إلّا أنفسهم لأنّهم يُظهرون لها أنّهم يُعطونها أمنيتها ويسقونها كأس سرورها، وهم موردُوها حِياض هلاكها، ومُجرِّعوها كأس عذابها، ولكنّهم لا يشعرون بهذا لتمادي غفلتهم كالذي لا حِسَّ له.

ثمَّ أخبر الله تعالى أنّ قلوب المنافقين قد تمكَّن منها مرض الشكِّ والنفاق والحقد والحسد، فزادهم الله شكّاً وكفراً حتى بلغوا إلى موت القلوب، وعدم إحساسها، جزاءً وِفاقاً لكذبهم وخداعهم، ويوم القيامة هم أشدّ أهل النار عذاباً؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (النساء).

وبعد أن بيَّن سبحانه خداعهم ومكرهم، بيَّن أنَّ من هذا الخداع أنّهم إذا نُهوا عن الإفساد في الأرض بموالاة اليهود والكافرين، وإفشاء أسرار المؤمنين لهم، ادَّعوا أنّهم إنما يريدون الإصلاح، فقَلَب الله عليهم دعواهم بأنَّ ما يفعلوه هو

عين الفساد لكنّهم لفرط جهلهم وحماقتهم لا يعلمون أنّه شرٌّ و فساد، وهكذا المنافقون في كل زمان يلبسون الحق بالباطل ويدَّعون الإصلاح وهم سبب كل فساد.

ثمَّ إنّهم إذا دُعوا للإيمان إيماناً صادقاً خالصاً لا شكَّ فيه ولا نفاق كإيمان مَن آمن مِن أصحاب النبي ﷺ استنكروا زاعمين أنّ سَفَه الصحابة – رضوان الله عليهم – هو الذي أوجب لهم الإيمان وترْك الأوطان، فردّ الله تعالى عليهم ذلك بأنّهم هم السفهاء، الجُهَّال حقيقة؛ لجهلهم بما ينفعهم، وسعيهم فيما يضرهم.

ولّما ذكر الله تعالى عنهم في البداية أنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ذكر أنّ من ذلك أنّهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم معهم فإذا انفردوا برؤسائهم قالوا إنّا على دينكم إنما أظهرنا الإيمان استهزاءً بمحمد ﷺ ومن معه، فالله تعالى يسخر بهم بما أملى لهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة، وكفَّ أيدي الرسول ﷺ وأصحابه عن قتلهم، وتركهم في ضلالهم يتردَّدون كي يزدادوا ضلالاً واضطراباً، وفي الآخرة يستهزئ بهم بإعطائهم مع المؤمنين نوراً، فإذا مشى المؤمنون بنورهم طُفئ نور المنافقين وبقوا في الظلمة متحيّرين.

وبعد أن ذكر الله تعالى صفات المنافقين، بيَّن حكمه عليهم بأنهم خاسرون ضالّون، حرصوا على الضلالة حرص المشتري، وباعوا الهدى، فرغبوا في مسافل الأمور عن أعاليها.

وعلى هذا يمكن إجمال صفات المنافقين على الوجه الآتي:

١ – المنافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر؛ لقوله تعالى: **﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾**. **الآية/ ٨**

٢- مكر المنافقين؛ لقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾. الآية/ ٩

٣- قلوب المنافقين مريضة؛ والمرض هنا ليس مرضاً عضوياً يكون به الألم الجسدي، ولكنه مرض معنوي يرفض به القلب الحق، ويقبل الباطل، وهذا المرض على نوعين: شبهات، وشهوات؛ لقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾. الآية / ١٠

٤- المنافقون مفسدون في الأرض؛ والنفاق من أعظم الفساد؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. الآيتان/ ١١- ١٢

٥- سفاهة المنافقين وشدة طغيانهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ...﴾. الآية / ١٣

٦- خيانة المنافقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾. الآية / ١٤

٧- ضلال المنافقين؛ لقوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ...﴾. الآية / ١٦

فائدة مهمة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

بلاغة القرآن؛ بل فصاحة القرآن في التقسيم؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى ابتدأ هذه السورة بالمؤمنين الخلَّص، ثم الكفار الخلَّص، ثمَّ بالمنافقين؛ وذلك؛ لأن التقسيم مما يزيد الإنسان معرفة، وفهماً.

ب) الآيات: ١٧ . ٢٠

ضرب الأمثلة لصنفين من المنافقين

المفردات اللغوية:

استوقد: أوقد ناراً للاستدفاء والإضاءة، أو طلب إيقاد النار. **أضاءت**: أظهرت ما حولها. **الصَّمَم**: آفة تمنع السماع. **البكم**: الخرس. **العمى**: عدم البصر عما من شأنه أن يبصر. **كصيب**: الصيب: المطر الكثير. **رعد**: الرعد: صوت احتكاك الهواء الذي يسمع في السحاب عند تجمعه. **البرق**: هو الضوء الذي يلمع في السحاب غالباً بسبب احتكاك الهواء واتحاد كهربية السحاب الموجبة والسالبة. **الصاعقة**: نار عظيمة تنزل أحياناً أثناء المطر والبرق بسبب تفريغ كهربية السحاب بجاذب يجذبها إلى الأرض. **الخطف**: الأخذ بسرعة. **قاموا**: وقفوا وثبتوا في أماكنهم متحيرين منتظرين تغير الحال، للوصول إلى النجاة. **الظلمات**: هو ظلمة الليل، وظلمة الصيِّب نفسه.

المعنى الإجمالي:

المثل الأول: (المثل الناري): الآيات: /١٧ – ١٨/

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ... ﴾ .

بعد أن بيّن الله تعالى صفات المنافقين، ضرب في هذه الآيات مَثَلين لصنفين منهم؛ لتوضيح حال المنافقين وبيان شناعة أعمالهم وسوء أفعالهم، تنكيلاً بهم، وفضحاً لأمورهم، إذ كانوا فتنة للبشر، ومرضاً في الأمة، وهذان المثلان يصوران حالة القلق والحيرة والاضطراب عند المنافقين وسرعة انكشاف أمرهم:

وهذا المثل يبيِّن سرعة انكشاف أمرهم، **قيل: ضُرب لرؤساء المنافقين** مع أتباعهم؛ لأن رأس المنافقين استوقد ناراً أراد أن ينفع بها أقرانه، ثمّ ذهبت الإضاءة، وبقيت الحرارة، والظلمة.

وقيل: ضُرب لفئة آمنوا ثم كفروا؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (المنافقون) وهو أن مَثَل المنافقين وحالهم كحال من كان في ظلمة وحاجة شديدة إلى النار فاستوقد ناراً من غيره فلمّا أضاءت ما حوله وبدَّدت ظلمته ومخاوفه، وأبصر زمناً يسيراً، فبينما هو كذلك، أطفأها الله بنحو مطر شديد أو ريح عاصف، فصيَّره لا يبصر شيئاً؛ وبقي في ظلمة الليل، وظلمة السحب المتراكمة؛ وظلمة النار التي أوقدها وحرارتها؛ لأن النور قد زال. فكذلك المنافقون استوقدوا نور الإيمان من المؤمنين فحقنوا دماءهم وأمنوا على أنفسهم في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وتركهم في ظلمات الكفر، والنفاق، وبعد ذلك ظلمة القبر، وظلمة النار، وبئس القرار.

ولذا وصفهم الله تعالى بالصُّمِّ، حيث عطَّلوا منفعة السمع، فلم يسمعوا الحقَّ سمع إدراك واستجابة، وبالبكم حيث لم ينطقوا بالحق وإنما نطقوا بالباطل. وبالعمى، حيث لم ينتفعوا بما يشاهدونه من الآيات التي تظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام، فبهذا سُدَّت طرق الحق أمامهم، فلا يعودون إلى الهدى، ولا يرجعون عن غِيِّهم.

المثل الثاني: (المثل المائي): الآيات: /١٩ـ ٢٠/

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...﴾.

وهذا المثل يبيِّن حيرتهم وقلقهم وانتهازيتهم، وهو ينطبق على منافقين لم يؤمنوا أصلاً؛ بل كانوا كافرين من قبل لكن أظهروا الإسلام خوفاً من النبي ﷺ بعد أن أعزّه الله في بدر؛ (كاليهود، ومنافقي الخزرج، والأوس).

فمثل المنافقين مع القرآن الذي أنزله الله لا ريب فيه كحال أناس أصابهم المطر الغزير، المصحوب بالمخاوف من ظلمات المطر، والليل، والسحاب، والرعد القاصف، والبرق الخاطف، وفي هذا الجوّ القاتم تلمَّسوا سبيل النجاة، وعقدوا الأمل على ما لاح في الأفق من نور، ثمَّ ما لبثوا أن وقعوا في الظلام.

فهذه حال المنافقين إذا سمعوا القرآن وأوامره، ونواهيه، ووعيده، ووعده، روّعهم وعيده؛ لأنّهم قوم يفرقون، وأزعجهم وعده، فهم بهذا لا يؤمنون، وجعلوا أصابعهم في آذانهم إعراضاً وخوفاً أن ينزل القرآن فيفضحهم ويكشف خبث سريرتهم.

ولمَّا عطَّل هؤلاء آذانهم عن السمع النافع، وأبصارهم عن الاعتبار بها يبصرون، وألسنتهم عن النطق بالحق، فقد هدَّدهم الله تعالى بالذهاب بهذه الأسماع والأبصار فإنّ الله تعالى لا يُعجزه شيء.

لطيفة:

بلاغة القرآن، حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوسات؛ لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول، ولذلك ضرب الله هذه الأمثال حتى يُدركها الإنسان جيداً.

المعنى الثاني: الآيات:٢١ . ٢٥

وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، والأدلة على وحدانيته﴿٢١ـ٢٢﴾، وتحدي العرب بالقرآن، وتهديد المعرضين ووعيدهم﴿٢٣ـ ٢٤﴾، وبَشارة المؤمنين العاملين بالجنّة وما فيها من النعيم المقيم﴿٢١ـ٢٥﴾

من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ..﴾.

وجه الربط:

بعد أن عدَّد تعالى في مقدِّمة السورة فرق المكلَّفين من المؤمنين والكفَّار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصَّت به كلّ فرقة، أقبل عليهم بالخطاب داعياً إيَّاهم إلى عبادته وتوحيده، مقيماً عليهم الحجَّة بالآيات الكونيَّة والشرعيَّة.

المفردات اللغوية:

يا: لنداء البعيد أو الساهي أو الغافل، فإن نودي به القريب فهو بقصد تعظيم المنادى به، وإيقاظ النفوس، واجتذاب الأنظار، واستمالة القلوب الغافلة، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ. وأما نداء القريب فيكون بكلمة "أي" **اعبدوا ربكم: العبادة**: الخضوع والتذلّل، ويُراد بها هنا توحيد الله والتزام شرائع دينه، ونبذ عبادة الأصنام. **خلقكم: الخلق**: الإيجاد والاختراع بلا مثال سابق. **فراشاً: الفراش**: البساط للاستقرار، والمراد أنه مهد الأرض للإقامة فيها والاستقرار عليها. **السماء**: المراد بها هنا العلوّ؛ لأنَّ الماء _ الذي هو المطر _ ينزل من السحاب، والسحاب بين السماء والأرض. والسماء يطلق على معنيين؛ **الأول:**

البناء الذي فوقنا. **والثاني**: العلو. **بناء**: سقفاً مرفوعاً مبنياً محكماً. **أنداداً**: جمع ند وهو النظير؛ أي أمثالاً من الآلهة تعبدونها من دون الله. **عبدنا**: الرسول محمد ﷺ. **من مثله**: أي مثل القرآن المنزل، يشهد لكم في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. **وادعوا شهداءكم**: أحضروا أعوانكم، ورؤساءكم، أو من يوم القيامة. **من دون الله**: مِمَّا سوى الله. **سورة**: السورة: قطعة أو طائفة من القرآن، لها أول وآخر. **إن كنتم صادقين**: في أن محمداً قاله من عند نفسه، فإنكم عرب فصحاء مثله. **بشر**: أخبر؛ والبَشَارة هي الإخبار بما يسُرُّ؛ وسميت بذلك لتغيّر بَشَرة المخاطب بالسرور، وقد تستعمل في الإخبار بما يسوء، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (**آل عمران**): إما تهكماً بهم؛ وإما لأنهم يحصل لهم من الإخبار بهذا ما تتغير به بشرتهم، وتسوَّدَّ به وجوههم. **الذين آمنوا**: بما يجب الإيمان به مما أخبر الله به، ورسوله من أصول الإيمان، مع الإذعان، والقبول. **وعملوا الصالحات**: من المفروض والنوافل ـ وهي الصادرة عن محبة، وتعظيم لله جلّ في علاه، المتضمنة للإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله. **جنات**: حدائق ذات شجر ومساكن، وهي دار الخلود للمؤمنين، وسميت جنّة؛ لأنها تُجن من فيها أي تستره بشجرها. **تجري من تحتها**: أي تسيح من تحت أشجارها وقصورها. **الأنهار**: المياه فيها. **كلما رزقوا منها من ثمرة**: أُطعموا من تلك الجنات. **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**: أي رزقنا مثله من قبل في الدنيا. **وأتوا بها متشابهاً**: يشبه بعضه بعضاً لوناً، ويختلف طعماً. **ولهم فيها أزواج**: من الحور، ومن نساء الدنيا. **مطهرة**: يشمل طهارة الظاهر والباطن؛ فالظاهر: من الحيض والبصاق وسائر الأقذار؛ والباطن:

كالغل، والحقد، والكراهية، وغير ذلك. **وهم فيها خالدون**: ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون، والخلود: البقاء، ومنه جنة الخلد.

المعنى الإجمالي:

نداء عام من خالق الناس جميعاً يأمر فيه سبحانه بعبادته، والتذلُّل له بالطاعة؛ ذلّاً تامّاً ناشئاً عن المحبة، والتعظيم؛ وذلك بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، وبهذا يتقون عذاب الله وسخطه، وكونوا مِمَّن اتَّصف بصفات المتقين.

ثم بيَّنت الآيات بعض الأدلَّة الدَّالة على ربوبيته سبحانه وعلى فضله وإحسانه، وكيف أنّه أمدَّ الإنسان بكل الأسباب التي يحتاج إليها في حياته ومعيشته، بسط الأرض تستقرُّون عليها، وتنتفعون بالأبنية والزراعة وغير ذلك، وجعل السماء سقفاً، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس والقمر والنجوم، وأنزل من السحاب المطر الذي منه شرابكم وغذاؤكم، فكيف جعلتم له شريكاً، وأنتم تعلمون أنّه لا نظير له في الخلق، والرزق، والتدبير، ومَن هذا فعله فلا عجب أن يُفرد بالعبادة، وأن يكون له الكمال المطلق بالألوهية والربوبية.

ولمَّا قرَّر الله تعالى الأصل الأول من أصول الدِّين؛ وهو توحيد القصد؛ الذي هو عبادة الله وحده، قرَّر الأصل الثاني من أصول الدِّين؛ وهو نبوَّة الرسول محمد ﷺ ووجوب اتِّباع ما جاء به، ـ وفي هذا إشارة إلى كلمتي التوحيد؛ وهما شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله ـ، فخاطب تعالى الذين جعلوا له أنداداً أن إذا جعلكم العناد والجحود في شكّ واشتباه من القرآن الكريم الذي نزَّلناه على عبدنا محمد ﷺ فهاتوا مما يماثله مقدار سورة من سوره، واستعينوا بمن

تشهدون لهم بالألوهية ليساعدوكم، وهذا غاية ما يكون من التحدّي والتعجيز، لذا عقَّب ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ أي: وحيث عجزتم ولم تقدروا على الإتيان بسورة تماثل القرآن في البيان والبلاغة، وروعة التشريع والأحكام الصالحة لكل زمان ومكان، ويظل العجز دائماً في المستقبل، فلن تقدروا أبداً على الإتيان بمثله مع شدَّة حرصكم على معارضته، فارجعوا إلى الحق، وآمنوا بالقرآن، وصدِّقوا برسالة النبي محمد ﷺ، ففي ذلك وحده النجاة من عذاب الله في النار التي حطبها المكذبون من الناس برسالة القرآن، والحجارة التي خلقها الله تعالى لتوقد بها النار. وقال بعض العلماء: إن المراد بها الحجارة المعبودة _ يعني الأصنام التي عبدوها من دون الله؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الأنبياء) وقيل: هذا، وهذا _ الحجارة المعبودة، والحجارة الموقودة.

هذه النار قد هيَّأها الله سبحانه وتعالى وأعدَّها للكافرين الجاحدين المنكرين رسالة الإسلام، جزاءً وفاقاً لكفرهم وجحودهم.

ولمّا ذكر الله تعالى ما أعدَّه لأعدائه الكافرين من العذاب والنكال، عطف بذكر حال أوليائه المؤمنين الذين آمنوا بما يجب الإيمان به ممّا أخبر الله به، ورسوله، وصدَّقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحات فهؤلاء لهم البَشَارة التي تسرُّهم بأنّ لهم عند الله داراً أعدَّها لهم، فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، تجري من تحت غرفها وأشجارها الأنهار من غير أخاديد، يتنعَّمون فيها بالثمار التي وإن كانت في شكلها تشبه ثمار الدنيا ولكنّها تختلف عنها اختلافاً عظيماً في الطعم والمذاق،

وما أجمل وألذّ للإنسان إذا رأى هذه الفاكهة يراها وكأنها شيء واحد؛ فإذا ذاقها وإذا الطعم يختلف اختلافاً عظيماً!

ثم لمَّا ذكر سبحانه وتعالى مسكنهم، وأقواتهم من الطعام والشراب والفواكه، ذكر أزواجهم فوصفهنَّ بأكمل وصف وأوجزه؛ فهنَّ مُطهَّراتٌ من أيِّ عيب ونقص في خَلْقهنَّ وخُلُقهنَّ، وهم في هذا النعيم لا يزول ولا ينقطع عنهم أبدا.

تنويه:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ فأمَّا المؤمنون فالمراد بعبادتهم: ازديادهم منها وإقبالهم عليها وثباتهم فيها، وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه، وهو الإقرار بالشهادتين، وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به، وإن لم يذكر، كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرها.

من هداية الآيات:

١- أن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ والعبادة لا تتحقق إلا بسلوك الطريق الذي شرعه الله لعباده.

٢- الحث على طلب العلم؛ إذ لا تمكن العبادة إلا بالعلم؛ ولهذا ترجم البخاري رحمه الله على هذه المسألة بقوله "باب: العلم قبل القول، والعمل"

٣- أن القرآن معجز حتى بسورة ـ ولو كانت قصيرة؛ لقوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾.

٤- أنَّ مَن عارض القرآن فإنّ مأواه النار؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾.

٥- أنَّ النار موجودة الآن؛ لقوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾. قال القرطبي: فيه دليل على ما يقوله أهل الحق من أنَّ النار موجودة مخلوقة، خلافاً للمبتدعة في قولهم: إنها لم تخلق حتى الآن.

٦- أن البشرى بالجنّة لا تكون إلا لمن آمن وعمل، فمجرد العقيدة لا تكفي للبَشارة بالجنّة بل لا بد من إيمان وعمل، ولهذا يربط الله تعالى - دائماً - الإيمان بالعمل الصالح.

٧- أنَّ أهل الجنة خالدون فيها أبد الآباد؛ لا يمكن أن تفنى، ولا يمكن أن يفنى مَن فيها؛ وقد أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة.

٨- إثبات القياس؛ وكل مثل في القرآن دليل على إثبات القياس.

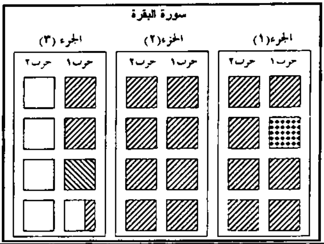

الجزء/الأول/الحزب/الأول/ الربع الثاني: ٢٦ – ٣٩

المعنى الأول: الآيات ٢٦–٢٩

أ– ضرب الأمثال للناس في القرآن:

الآيات: ٢٦ – ٢٧

من قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾.

إلى قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾

ب– إفراد الله تعالى بالخلق والبعث،

وتوطئة لإعمار الأرض: الآيات: ٢٨ – ٢٩

قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ..﴾

وقوله تعالى.﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً..﴾

المعنى الثاني: الآيات ٣٠–٣٩

أ– خلق آدم واستخلافه في الأرض:

الآيات: ٣٠ – ٣٤

من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

إلى قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

ب– سُكنى الجنة المعصية، والهبوط إلى الأرض.

التوبة. التكليف والمسؤولية:

الآيات: ٣٥ – ٣٩

من قوله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾.

إلى قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الجزء الأول – الحزب الأول – الربع الثاني

حسب القرآن: الآيات: ٢٦ – ٤٣

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ .

حسب المعنى: الآيات:٢٦ – ٣٩

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ... ﴾.

وجه الربط:

اختلف أهل العلم في سبب نزول هذه الآية فقيل أن الله سبحانه لمّا ضرب هذين المثلين للمنافقين: يعني قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال.. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾. قاله ابن كثير.

وقيل: لمّا ذكر سبحانه وتعالى آلهة المشركين فقال: ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، قالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمدﷺ ، أي شيء يصنع؟ فأنزل الله الآية. قاله القرطبي في تفسيره.

وقيل: لَمّا ذكر الله سبحانه الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المَثل، ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله؛ فأنزل الله الآية.[تفسير القرطبي] .

قال ابن كثير: وقد اختار ابن جرير رحمه الله: القول الأول لأنه أمسُّ بالسورة وهو مناسب.

المعاني الرئيسة

وقد تضمَّن هذا الربع المعاني التالية:

المعنى الأول: الآيات: ٢٦ – ٢٩

أ) الآيات: ٢٦– ٢٧

ضرب الأمثال للنّاس في القرآن

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً... ﴾.
إلى قوله تعالى: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾.

المفردات اللغوية:

لا يستحي: لا يمنعه الحياء من أن يضرب مثلاً ولو كان حقيراً ما دام يثبت به الحق؛ فالعبرة بالغاية. **مثلاً**: **المثل في اللغة**: الشبيه والنظير، وضرب المثل في الكلام: أن يذكر الحال ما يناسبها، فيُظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً. **بعوضة**: الناموسة المعروفة. **فما فوقها**: ما زاد عليها أو كان أكبر منها، أو فما دونها؛ لأن الفوقية تكون للأدنى، وللأعلى. **الحق**: هو الشيء الذي يحق ويجب ثبوته، ولا يجد العقل سبيلا لإنكاره. **الفاسقين**: **الفسق لغة**: الخروج، يقال: فسقت الرطبة عن قشرها: إذا خرجت. **وينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**: **"النقض"** حلَّ الشيء بعد إبرامه، والفسخ، وفك التركيب لحبل وغزل ونحوهما. و**"الميثاق"** ما يوثق به الشيء، ويكون محكماً يعسر نقضه؛ وميثاق العهد: توكيده، والمراد: العهد

المؤكد باليمين؛ وعهد الله: ما أخذه على عباده من الإيمان به، وبرسله. **من بعد ميثاقه**: من بعد توكيده عليهم. **ويفسدون في الأرض**: الإفساد في الأرض يكون فساداً معنوياً: بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وفساداً حسيّاً: كتخريب الديار، وقتل الأنفس.

وقد بيَّنت الآيات الكريمات ما يلي:

أولاً: حال المؤمنين الذين لم يعارضوا ما أنزل الله ﷻ؛ لأنهم يؤمنون بأن لله عز وجل الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما قدر.

ثانياً: حال الفاسقين وبيان شيء من صفاتهم:

أ) نقض عهد الله بعد توكيده.

ب) قطع ما أمر الله به أن يوصل، ويدخل فيه:

- قطع الصلة فيما بينهم وبين الله.
- قطع ما بينهم وما بين رسول الله.
- قطع ما بينهم وما بين الوالدين والأقارب والأصحاب وسائر الخلق.

ثالثاً: الإفساد في الأرض.

المعنى الإجمالي:

يذكر الله تعالى أنَّه لا يمنعه الحياء من أن يضرب مثلاً ولو كان حقيراً كالبعوضة ونحوها بما هو دونها أو أكبر منها ما دام يُثبت الحقّ، ثمَّ بيَّن تعالى ما يترتَّب على ضرب الأمثلة من الحِكَم والمواعظ؛ فإنَّ المؤمنين يعلمون أنَّ المَثَل حقَّ فيفهمونه ويتفكَّرون فيه ويؤمنون به.

وأمّا الذين كفروا فيعترضون ويتحيّرون ولا يتبيّن لهم ما اشتملت عليه هذه الأمثال من الحكمة البالغة؛ لإغلاق عقولهم عن إدراك الحقائق، ولعنادهم ومكابرتهم؛ ولهذا عدَلَ تعالى في الردِّ عليهم عن قسيم قوله الأول: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ ولم يقل: وأما الذين كفروا فلا يعلمون، بل بيَّن جهلهم الناشئ عن عنادهم ومكابرتهم.

وهكذا يضلُّ الله تعالى بضرب مثل هذه الأمثال الخارجين عن طاعته، المعاندين لرسله، الذين صار الفسق وصفاً ملازماً لهم فينقضون عهد الله الذي أكَّده عليهم؛ وهو الإيمان به وبرسله، ويقطعون كل ما أمر الله به يوصل، كالأرحام، ونصرة الرسل، ونصرة الحق، ويسعون في الأرض فساداً بالمعاصي، وتخريب الديار، وقتل الأنفس، ومَن هذه صفاتهم فلا جرم أن يكونوا هم الخاسرون لا غيرهم في الدنيا والآخرة.

من هداية الآيات:

١- إثبات الحياء لله ﷻ ؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا ﴾ ووجه الدلالة: أنّ نفي الاستحياء عن الله في هذه الحالة دليل على ثبوته فيما يقابلها؛ وقد جاء ذلك صريحاً في السنة، كما في قول النبي ﷺ: **"إنّ ربكم حييّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفراً"**

٢- إثبات القياس؛ وأنَّ القياس حُجَّة؛ لأنّ كل مثل في القرآن دليل على ثبوت القياس.

٣- أنَّ إضلال مَن ضلّ ليس لمجرّد المشيئة؛ بل لوجود العلّة التي كانت سبباً في إضلال الله العبد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ .

٤- أنَّ نقض عهد الله من الفسق؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ فكلّما فرّط العبد في واجب، أو فعل محرّماً فإن هذا نقض للعهد من بعد الميثاق.

٥- التحذير من قطع الأرحام، وغيرهم ممّن أمر الله به أن يوصل؛ لأنّ الله ذكر ذلك في مقام الذّم.

ب) الآيات: ٢٨ – ٢٩

إفراد الله ﷻ بالخلق والبعث، وتوطئة لإعمار الأرض

من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

المفردات اللغوية:

كيف تكفرون: أي: يا أهل مكة، مثله في قولك: "أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر، ويدعوا إلى الإيمان؟" والاستفهام للإنكار والتعجب من كفرهم مع قيام البرهان، أو للتوبيخ. **كنتم أمواتاً**: نطفاً في الأصلاب. **فأحياكم**: في الأرحام، بنفخ الروح فيكم. **ثم يميتكم**: عند انتهاء آجالكم. **ثم يحييكم**: بالبعث فيجازيكم بأعمالكم، ودخلت الواو على جملة {كنتم أمواتاً} إلى آخر الآية، كأنه قيل: كيف تكفرون بالله، وحالكم أنكم كنتم أمواتاً، نطفاً في أصلاب آبائكم، فجعلكم أحياء، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد الموت، ثم يحاسبكم. **ثم استوى إلى السماء**: أي بعد خلق الأرض، قصد وعمد إليها بإرادته تعالى. **وإذ**: مفعول لفعل محذوف؛ والتقدير: اذكر إذ قال. **للملائكة**.

"الملائكة"جمع "مَلْأَك"، وأصله "مألك"؛ لأنه مشتق من الأَلُوكة ـ وهي الرسالة؛ لكن صار فيها إعلال بالنقل ـ أي نقل حرف مكان حرف آخر؛ و"الملائكة" عالَم غيبي خلقهم الله تعالى من نور، وجعل لهم وظائف، وأعمالاً مختلفة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُأمرون. **خليفة**: يخلف الله؛ أو يخلف من سبقه؛ أو يخلف بعضهم بعضاً؛ أي يتناسلون، وكل هذا محتمل.

المعنى الإجمالي:

استفهام بمعنى التعجب، والتوبيخ، والإنكار على الكافرين لتكذيبهم وكفرهم مع إقامة البراهين الدالة على الإيمان؛ وهي النعم الدالة على قدرته تعالى من إحياءِ النطف بنفخ الروح فيها، ثمَّ إماتتها، ثم إحيائها للبعث والرجوع إليه سبحانه، وهو الذي خلق جميع الخيرات المكنونة في الأرض، ثمَّ قصد إلى خلق السماوات فسواهنّ سبع سماوات وأحكمها، وهو سبحانه عليم بكلِّ ما خلق في الأرض وفي السماء.

أفبعد هذا كله يكفرون بمحمد ورسالته ؟!

فائدة:

إثبات صفة الاستواء لله تعالى على الوجه المعلوم لأهل السنة. وكلمة **"استوى"** ترد في القرآن الكريم على ثلاث صور:

١- إمَّا مجرَّدة فتكون بمعنى الكمال والتمام؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾.

٢- أو معدَّاة بعلى؛ فتكون بمعنى علا واستقرَّ؛ كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾.

٣- أو معدَّاة بإلى كما في هذه الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

وللعلماء فيها قولان:

فمنهم مَن نظر إلى أن الاستواء لا يكون إلّا في علُو فجعل "استوى" هنا بمعنى: علا. وهذا ما فسَّرها به ابن جرير رحمه الله.

ومنهم مَن نظر إلى أنّ "استوى" هنا معدَّاة بإلى؛ ففسَّر "استوى إلى السماء" بمعنى: قصد إليها؛ فيكون الاستواء هنا بمعنى القصد التامّ، والإرادة الجازمة، وهو اختيار ابن كثير. وهو الصواب. والله أعلم.

المعنى الثاني: الآيات:٣٠ – ٣٩

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ... ﴾

أ) خلق آدم واستخلافه في الأرض: الآيات: ٣٠ – ٣٤

وجه الربط:

لَمَّا بيَّن الله ﷻ في الآيات السابقة عموم رسالته الإسلاميَّة، رسالة الكتاب الذي لا ريب فيه، والتي عرض فيها بعض أدلة وجوده ووحدانيته، وتمام مشيئته، وكمال علمه، مهَّد سبحانه للقضية الثانية، وهي وحدة الأصل الإنساني لعامّة البشر، وكرامة الإنسان ومكانته في الشريعة الإسلاميَّة، وحكمة خلقه ووجوده على الأرض، وهو **الاختبار والابتلاء**، فشرَّفه بالتكليف، وابتلاه بعداوة الشيطان، وجعل له حرية الاختيار في الطريق الذي يسلكه.

المفردات اللغوية:

يفسد فيها: بالشرك، والمعاصي، والخروج على طاعة الله وأحكام شريعته. **ويسفك الدماء**: **السفك**: الصب والإراقة؛ يريقها بالقتل عدواناً. **نسبح بحمدك**: ننزهك عن كل نقص. **أعلم ما لا تعلمون**: **أي**: أعلم من أمر هذه الخليقة التي منها النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون. **وعلم آدم الأسماء**: واحدها اسم، وهو في اللغة: ما به يعلم الشيء والمراد به: أسماء المسميات. **ثم عرضهم**: أي عرض المسميات. **أنبئوني**: أخبروني، وقد يستعمل الإنباء في الإخبار بما فيه فائدة عظيمة، وهو المراد هنا. وقيل: يراد به هنا التحدي. **سبحانك**: تقديساً وتنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك؛ فأنت يا ربنا لم تفعل هذا إلّا لحكمة بالغة. **العليم**: ذو العلم الواسع الشامل المحيط بالماضي، والحاضر، والمستقبل. **الحكيم**: ذو الحكمة، والحُكم. **اسجدوا**: السجود في اللغة: الخضوع والانحناء لمن يُسجد له، وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض خضوعاً، وخشوعاً. **إبليس**: هو الشيطان؛ وسمي إبليساً لأنه أبلَسَ من رحمة الله _ أي أيس منها يأساً لا رجاء بعده. وهو من الجن، كان بين الملائكة، وأُهبط إلى الأرض بعد إبائه عن أمر الله له بالسجود لآدم، واستكباره عليه. **أبى**: امتنع من السجود. **واستكبر**: تكبر عليه. **وكان من الكافرين**: صار من الكافرين؛ لأنه رفض الإذعان لأمر الله.

المعنى الإجمالي:

تخبر الآيات عن الشروع في ابتداء خلق آدم عليه السلام أبي البشر وإخبار الملائكة بذلك، ثم ذكر فضل آدم وشرفه عليه السلام.. ومنه:

- اختياره خليفة في الأرض. آية/ ٣٠

- فضله ﷺ بما علَّمه سبحانه وتعالى من هذه الأسماء ومُسمَّياتها. آية/ ٣١ - ٣٣
- تشريفه بسجود الملائكة له وإعراض إبليس حسداً وكبْراً ممّا أدى إلى الكفر. آية/ ٣٤

من هداية الآيات:

١- أشارت الآيات إلى أنَّ للأرض عُمّاراً قبل آدم وذرِّيته، وأنَّ الأمم السابقة على آدم وذريته كان فيهم من الشَّر والفساد وسفك الدماء ما اقتضى أن تسأل الملائكة ربها؛ هل يجعل في هذه الخليفة من يكون كمن سبقهم؛ لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ...﴾ .

٢- إثبات الكلام لله عزَّ وجلَّ، وأنَّه بصوت مسموع؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ .

٣- إثبات عموم علم الله سبحانه وتعالى؛ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ .

٤- أنَّ جميع العلوم التي عند المخلوقات من عند الله عزَّ وجلَّ؛ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ..﴾.

٥- وجوب الحذر من الرِّجس والَّسريرة الخبيثة، لأن إبليس غلبه ما في قلبه من الرِّجس والسريرة الخبيثة حتى استكبر وأبى الانصياع لأمر الله عزَّ وجلَّ.

ب) الآيات: ٣٥ – ٣٩

سكنى الجنة، المعصية، والهبوط إلى الأرض: ﴿٣٥-٣٦﴾ التوبة: ﴿٣٧﴾

التكليف والمسؤولية: ﴿٣٨-٣٩﴾

من قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ... ﴾.

المفردات اللغوية:

رغداً: أكلاً واسعاً هنيئاً لا عناء فيه ولا حجر عليه. **هذه الشجرة**: أي أشار الله تعالى إلى شجرة بعينها، و"أل" هنا للعهد الحضوري؛ لأن كل ما جاء بـ"أل" بعد اسم الإشارة فهو للعهد الحضوري؛ إذ إنَّ اسم الإشارة يعني الإشارة إلى شيء قريب؛ وهذه الشجرة غير معلومة النوع، فتبقى على إبهامها. **فتكونا**: فتصيرا. **من الظالمين**: أي من المعتدين لمخالفة الأمر. **فأزلهما الشيطان**: أوقعهما في المخالفة من الزلة وهي السقوط. **اهبطوا**: انزلوا؛ والمراد آدم، وحواء، وإبليس. **مستقر**: موضع قرار يلائمكم ويناسبكم. **ومتاع**: ما يتمتع به من أنواع الطعام والشراب واللباس ونحوها من أرزاق. **فتلقى**: أخذ، وقَبِلَ، ورضي من الله كلمات حينما ألقاها إليه سبحانه. **فتاب**: التوبة: الرجوع؛ فإذا عُدّيت بعن كان معناها الرجوع عن المعصية، وإذا عديت بعلى؛ كان معناها قبول التوبة؛ و"التوبة" هي رفع المؤاخذة، والعفو عن المذنب إذا رجع إلى ربه. **التواب**: صيغة مبالغة من: تاب"؛ وذلك لكثرة التائبين، وكثرة توبة الله؛ ولذلك سمى الله نفسه **"التواب"** **الرحيم**: ذو الرحمة الواسعة الواصلة إلى من شاء من عباده. **فمن تبع هداي**: أخذ

به تصديقاً بأخباره، وامتثالاً لأحكامه؛ وأضافه الله لنفسه لأنه الذي شرعه لعباده، ولأنه موصل إليه. **فلا خوف**: أي فيما يستقبل؛ لأنهم آمنون. **ولا هم يحزنون**: على ما مضى؛ لأنهم قد اغتنموه، وقاموا فيه بالعمل الصالح؛ بل هم مطمئنون غاية الطمأنينة.

وقد تضمّنت الآيات الكريمات المعاني الرئيسة الآتية:

١ – تكريم آدم وزوجه حواء بسكنى الجنّة وإباحتها له؛ يأكل منها ما شاء رغداً هنيئاً إلا نوعاً واحداً من أنواع شجر الجنّة امتحاناً وابتلاء له لحكمة أرادها الله. آية/ ٣٥.

٢ – إغراء الشيطان لآدم وزوجه بتزيين الأكل من الشجرة، واغترارهما به وطاعتهما إيّاه، فكان سبباً في إخراجهما ممّا كانا فيه من النعيم والرغد، وإهباطهما إلى الأرض مسكناً وقراراً، هم أعداء له وهو عدوٌّ له إلى انقضاء آجالهم. آية/ ٣٦

٣ – منّة الله سبحانه وتعالى على آدم بما ألهمه من هذه الكلمات التي كانت بها توبة الله عليه. آية/ ٣٧

٤ – توطئة وتمهيد لما سيكون بعد الإهباط من تكليف ومسؤولية، ومن ثَمَّ فاتّباع للهدى، أو كفر وتكذيب. آية ٣٨–٣٩

من هداية الآيات:

١ – امتنان الله على آدم حيث أسكنه وزوجه الجنة؛ ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

٢ – بيان قدرة الله جلّ وعلا حيث خلق حوّاء من ضلع آدم من أب بلا أم.

٣- بيان عداوة الشيطان للإنسان.

٤- أن من حسن التعليم والتوجيه والإرشاد التوطئة للكلام والتمهيد له حتى وإن حصل في ذلك تكرار؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ مع قوله تعالى فيما سبق: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾.

٥- أن الهدى من الله، فلا تطلب الهداية إلاَّ منه سبحانه، وأنَّ من اتبع هدى الله فقد نجا وسلِم من الخوف في المستقبل، ومن الحزن على ما مضى.

٦- كمال هذا القرآن؛ فإن الله سبحانه إذا ذكر فيه أهل الجنة وثوابهم؛ ذكر بعد ذلك أهل النار وعقابهم في الغالب، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ أي تثنى فيه الأحكام والمعاني، ولا ريب أن هذا من كمال البلاغة.

٧- أنَّ التكذيب بآيات الله كفر موجب للخلود في النار.

لطيفة:

كرر الإهباط إلى الأرض ليرتِّب عليه ما ذكر وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ ثم رتَّب على اتِّباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف، والحزن؛ والفرق بينهما أن المكروه إن كان مضى أحدَثَ الحزن، وإن كان منتظراً أحدَثَ الخوف.. فمن أطاع: فله الهدى والسعادة، ومن أعرض فله: الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء.

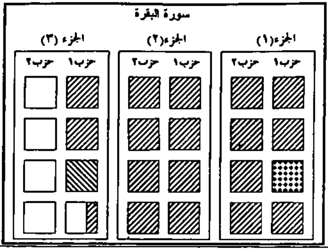

الجزء/الأول/الحزب/الأول/ الربع الثالث/الآيات:٤٠ – ٦٠

المعنى الأول: الآيات: ٤٠– ٤٨

جملة من الأوامر إلى بني إسرائيل:

الآيات:٤٠– ٤٨

من قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي...﴾.

إلى قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً...﴾.

المعنى الثاني: الآيات: ٤٩–٦٠

النعم العشر التي أنعم الله بها على بني إسرائيل:

الآيات:٤٩ – ٦٠

من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ...﴾.

إلى قوله تعالى:﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ....﴾.

الجزء الأول – الحزب الأول – الربع الثالث

حسب القرآن: الآيات: ٤٤ – ٥٩

من قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ...﴾ .

حسب المعنى: الآيات: ٤٠ – ٦٠

من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾.

ملاحظة: اختصت هذه الآيات من آية (٤٠–١٤٢) بالكلام عن بني إسرائيل فيما يقارب جزءاً كاملاً لكشف حقائقهم وبيان سوء أخلاقهم.

وجه الربط بين بداية السورة وبين هذا المقطع من الآيات:

كانت الآيات من أول السورة إلى الآية / ٣٩ تتحدث حول إثبات وجود الله، ووحدانيته، والأمر بعبادته، وأن القرآن كلام الله المعجز، وبيان مظاهر قدرة الله بخلق الإنسان وتكريمه، وخلق السماوات والأرض، وموقف النّاس من كل ذلك، وانقسامهم إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين.

ثم بدأ سبحانه بمخاطبة الشعوب التي ظهرت فيها النبوة، **فبدأ باليهود؛** لأنهم آخر الأمم قبل الإسلام؛ ولأنهم كانوا أشدَّ النّاس عداوة للمؤمنين، وأشدَّهم معارضة لدعوة النبي ﷺ مع أنهم أولى النّاس بالإيمان بخاتم المرسلين.. لذا ذكَّرهم الله تعالى بالعهد المؤكد معهم، على التصديق بنبوة محمد ﷺ.

وَتَنَوَّعَ أسلوب القرآن في خطابهم، تارة بالملاينة والملاطفة، وتارة بالتخويف والشدة.. وأحياناً بالتذكير بالنِّعم، وطوراً بتعداد جرائمهم، وقبائحهم، وتوبيخهم على أعمالهم وإقامة الحجة عليهم.

المعاني الرئيسة

وقد تضمَّن هذا الربع المعاني التالية:

المعنى الأول: الآيات: ٤٠- ٤٨

جملة من الأوامر لبني إسرائيل

من قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ...﴾.

المفردات اللغوية:

إسرائيل: هو لقب ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وبنوه: أولاده، وهم اليهود، والنصارى، ورسلهم. **عهدي**: عهد الله: ما عاهدهم عليه في التوراة من الإيمان بالله، وطاعته، وامتثال أمره. **أوف بعهدكم**: أعطكم ما عاهدتكم عليه من التوفيق والنصر في الدنيا، والثواب على الأعمال في العقبى. **ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً**: قد يطلق كل من البيع والشراء على الآخر، والمعنى: لا تبيعوا آياتي بثمن قليل وعوض يسير من الدنيا، أو لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من الناس. **فارهبون**: فخافون، واحذروا غضبي وعذابي. **وآمنوا بما أنزلت**: من القرآن الكريم. **مصدِّقاً لما معكم**: لِما ذكر في التوراة، والإنجيل من

أوصاف محمد ﷺ، ومن أوصاف القرآن الذي يأتي ﷺ به، وكذلك هو شاهد للتوراة، والإنجيل بالصدق. **ولا تلبسوا**: لا تخلطوا الحق المنزل من الله بالباطل الذي تخترعونه، ولا تحرِّفوا ما في التوراة بالبهتان الذي تفترونه. **بالبر**: الطاعة، والخير، والعمل الصالح. **وتنسون أنفسكم**: تتركونها فلا تأمرونها به. **الكتاب**: التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل. **بالصبر**: حبس النفس على ما تكره. **وإنها لكبيرة**: أي وإن الصلاة لشاقّة ثقيلة. **الخاشعين**: الذليلين لأمر الله. والخشوع من أعمال القلب، يظهر أثره في سكون الجوارح والتواضع. **يظنون**: يوقنون. **ملاقو ربهم**: بالبعث. **على العالمين**: عالمي زمانهم. **يوماً**: يوم القيامة. **لا تجزي**: لا تغني. **ولا يقبل منها شفاعة**: أي لا يقبل من نفس عن نفس شفاعة؛ و"الشفاعة" هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرَّة. **عدل**: فداء، أو بديل يعدل به عن الجزاء. **ولا هم ينصرون**: يمنعون من عذاب الله.

المعنى الإجمالي:

أرشدت الآيات إلى أحكام كثيرة في العقيدة والأخلاق والعبادة والحياة الخاصة والعامة، فأوجبت على اليهود ألّا يغفلوا عن نعم الله التي أنعم بها عليهم، وحثّاً لهم على الامتثال ناداهم الحق تبارك وتعالى بعنوان بنوّتهم لإسرائيل _ وهو نبيّ الله يعقوب عليه السلام، ووجهت لهم عدة أوامر ونواهي:

وهذه الأوامر والنواهي هي:

١. **الوفاء بالعهد**؛ وهذا العهد بُيِّن في سورة المائدة آية (١٢) من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى

مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾، (المائدة: من الآية١٢) – هذا عهد الله - **الآية/ ٤٠**

٢. **تقوى الله وحده، والإيمان بالقرآن إيماناً صادقاً**، وأنه نزل من عند الله مؤيِّداً ومصدِّقاً وموافقاً للتوراة وكتب الأنبياء الصادقة في الدعوة إلى توحيد الله، ونهاهم عن أن يكونوا أوَّل من كفر به، وألّاَ يبيعوا آيات الله الدالة على صدق محمد ﷺ في نبوته ودعوته بثمن دنيوي حقير، من رياسة أو زعامة أو مال، فإنه ثمن قليل بخس، وتجارة خاسرة غير رابحة. **الآية/ ٤١**

٣. **النهي** عن خلط الحق بالباطل وكتمان الحق. **الآية/ ٤٢**

٤. **إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. الآية/ ٤٣**

٥. **ذمَّهم لقبح** وشناعة ما يفعلون؛ وهو مخالفة أقوالهم أفعالهم. **وأمرهم بالانتفاع** بالعقل. **الآية/ ٤٤**

٦. **الاستعانة في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وبالصلاة**؛ لأنهما من أكبر العون على الثبات في الأمر؛ فيستعان بهما على كل أمر من الأمور..ثم خصَّ الصلاة ويسَّرها على الخاشعين الذين من صفاتهم خوف الله والخشوع بين يديه في الصلاة، واليقين بلقائه ورجاء ثوابه يوم القيامة.**الآيات:٤٥– ٤٦**

٧. **كرَّر النداء لهم بإعادة التذكير بالنعم**؛ وعظاً، وتحذيراً، وحثاً، وخوّفهم بيوم القيامة حيث لا يؤخذ من الكافر شفاعة، ولا عدل، وينقطع فيه قلب العبد من التعلّق بالمخلوقين؛ لأنَّ المسؤولية في ذلك اليوم مسؤولية شخصية.. **الآيات ٤٧ – ٤٨**

قال القرطبي رحمه الله معلِّقاً على هذه الآية الكريمة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ : "أعلم وفقك الله أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البرّ، لا بسبب الأمر به"

من هداية الآيات:

١ – أنَّ تذكير العبد بنعمة الله عليه أدعى لقبوله الحقّ، وأقوم للحجة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ .

٢ – أنَّ من وفَّى لله عهده وفَّى الله تعالى له؛ ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ . وأنَّ من نكث بعهد الله فإنَّه يعاقب بحرمانه؛ لأنَّ المنطوق في الآية أنَّ مَن وفَّى لله وفَّى الله له؛ فيكون المفهوم أنَّ من لم يفِ فإنَّه يعاقب، ولا يُعطى ما وُعِد به؛ وهذا مقتضى عدل الله ﷻ.

٣– وجوب إخلاص الرهبة لله ﷻ وأنّها عبادة؛ لأنَّ الله أمر بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

٤ – وجوب تقوى الله عز وجل وإفراده بالتقوى؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ..﴾.

٥ – وجوب بيان الحق، وتمييزه عن الباطل؛ وتحريم كتمان الحق؛ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ...﴾.

٦ – إرشاد الله ﷻ عباده إلى الاستعانة بهذين الأمرين: الصبر، والصلاة؛ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾. التحذير من يوم القيامة حيث لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، وأنَّ الشفاعة في ذلك اليوم لا تنفع من لا يستحق أن يُشفع له، وأنّه ليس فيه فداء؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ .

المعنى الثاني: الآيات: ٤٩ – ٦٠

النعم العشر التي أنعم الله بها على بني إسرائيل

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ... ﴾.

المفردات اللغوية:

وإذ نجيناكم: أي واذكروا إذ أنقذنا آباءكم من آل فرعون، وفرعون: لقب لمن مَلَك مصر قبل البطالسة. **يسومونكم**: "السوم" في الأصل: الرعي؛ ومنه السائمة _ أي الراعية _ والمعنى لا يرعونكم إلَّا بهذا البلاء العظيم، أو: يذيقونكم. **سوء العذاب**: سيِّئه وقبيحه؛ أي العذاب الشديد. **يستحيون**: يبقون نساءكم أحياء، ويقتلون الرجال. **وفي ذلكم**: أي وفي إنجائكم من آل فرعون اختبار من الله ﷻ عظيم؛ ليعلم من يشكر منكم، ومن يكفر. **بلاء**: ابتلاء واختبار. **فرقنا**: فلقناه لكم، وفصلنا بعضه عن بعض حتى عبرتم عليه إلى الشاطئ. **اتخذتم العجل**: صيرتم العجل إلهاً؛ و"العجل" تمثال من ذهب صنعه السامري، وقال لبني إسرائيل: هذا إلهكم، وإله موسى فنسي. **الكتاب والفرقان**: أي التوراة؛ و"الفرقان" الفارق؛ والمراد به هنا الفارق بين الحق والباطل؛ وعطفه هنا من باب عطف الصفة على الموصوف؛ والعطف يقتضي المغايرة؛ وقد تكون المغايرة بين ذاتين؛ وقد تكون بين صفتين؛ وقد تكون بين ذات وصفة؛ والمغايرة هنا بين ذات وصفة؛ فـ ﴿الكتاب﴾ نفس التوراة؛ و﴿الفرقان﴾ صفته. **فاقتلوا أنفسكم**: ليقتل بعضكم بعضاً. **ذلكم**: أي قتلكم أنفسكم. **بارئكم**: خالقكم الذي أحدثكم وأبدعكم وأخرجكم من العدم. **فتاب**:

قبل توبتكم. جهرة: عياناً واضحاً بالبصر. **الصاعقة**: قيل هي الصيحة، أو الزلزلة الشديدة صعقوا بها وماتوا. **وأنتم تنظرون**: ينظر بعضكم إلى بعض حين تتساقطون. **ثم بعثناكم**: أحييناكم. **تشكرون**: أي تشكرون الله على نعمه عليكم بعد كفرانها وجحودها. **وظللنا عليكم الغمام**: سترناكم بالسحاب الرقيق الأبيض من حر الشمس في التيه. **المنّ**: شيء حلو لزج كالعسل. **السلوى**: الطائر المعروف بالسُّماني ويسمى في بلاد الشام بالفرِّي، وكل من السّماني والسلوى جمع لا واحد له من لفظه. **هذه القرية**: اختلف المفسرون في تعيينها؛ والصواب أنها بيت المقدس. **سجّداً**: منحنين متواضعين متذللين لله. **حِطّة**: أي سؤالنا أن تحط عنا ذنوبنا أو خطايانا، والمراد: اسألوا الله المغفرة. **فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم**: اختاروا قولاً آخر على وجه التبديل والمخالفة؛ وذلك أنهم قالوا: "حنطة في شعيرة" بدلاً من قولهم: "حطة". رجزاً: عذاباً من السماء، ومن المعلوم أن العذاب نوعان: نوع يمكن دفعه: وهو عذاب المخلوقات كالهدم والغرق، ونوع لا يمكن دفعه: كالطاعون والصاعقة والموت، والمراد به هذا النوع الثاني. **الحجر**: أي حجر، كان إذا ضربه تفجر منه الماء بقدرة الله. **فانفجرت**: انشقت وسالت منه العيون. **أناس**: جماعة منهم، وكانوا اثني عشر سبطاً. **مشربهم**: موضع شربهم، فلا يشاركهم فيه غيرهم. **ولا تعثوا**: من عثى: أي: أفسد.

ملاحظة: سنلاحظ أن الآيات كلما ذكَّرتهم ببعض نعم الله عليهم ذكَّرتهم بعدها بمواقف عنادهم. والخطاب في هذه الآيات موجَّه ليهود المدينة الذين عاصروا تنزيل القرآن ونبوة محمد ﷺ يذكرهم بنعم الله التي أنعم الله بها على آبائهم وهي نعم عليهم بالتَّبع، كانت سبباً لبقائهم.

المعنى الإجمالي:

شرعت **الآيات** في تعداد النعم على بني إسرائيل على وجه التفصيل وبيان موقف بني إسرائيل منها، ومن هذه النعم:

النعمة الأولى: النجاة من عذاب فرعون وآله؛ بذبح أبنائهم وترك نسائهم أحياء للخدمة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . **الآية/ ٤٩**

النعمة الثانية: عبور بني إسرائيل البحر سالمين، وإغراق فرعون وجنوده؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾. **الآية/ ٥٠**

ثم وقفة مع جحودهم وعنادهم وكفرهم وذلك عندما عبدوا العجل أثناء ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾. **الآية/ ٥١**

النعمة الثالثة: امتنان الله عليهم بقبول توبتهم وعفوه عنهم بعد عبادة العجل؛ لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. **الآية / ٥٢**

النعمة الرابعة: إنزال التوراة الفارقة بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . **الآية / ٥٣**

النعمة الخامسة: التَّخلُّص الجماعي بأمرِ الله على لسان نبيه موسى عليه السلام بأن يقتل بعضهم بعضا بعد أن ظلموا أنفسهم بعبادة العجل من دون الله، فلما قتل بعضهم بعضا توبة إلى الله عفا عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ

إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. الآية/ ٥٤

لطيفة:

قال بعض أهل العلم: ربما كانت هذه النِّعمة أجلّ النعم..فمعنى قوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ في عفوي عنكم لَمَّا عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وهكذا تاب الله على من قتل ومن لم يُقتل؛ فأما المقتول فهو حي يرزق عند الله.. وأما من بقي حيّاً فقد قُبلت توبته.

النعمة السادسة: إحياء الله تعالى للسبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام للذهاب معه إلى الطور للاعتذار عن عبادة العجل فاستنكفوا عن التصديق حتى يروا الله تعالى جهرة فأخذهم الله بصاعقة أحرقتهم فماتوا، ثم امتنَّ الله تعالى عليهم فبعثهم ليستوفوا آجالهم المقدَّرة لهم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾. الآيات: ٥٥–٥٦

النعمة السابعة والثامنة: سترهم بالسحاب الأبيض الرقيق، من حرِّ الشمس أثناء وجودهم في وادي التيه بين الشام ومصر، **وإنعامه** عليهم بأنواع من الطعام والشراب كالمن والسلوى وهذا من الرزق الطيب الذي يوجب شكر الله عز وجل فلم يفعلوا وكفروا تلك النعم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. الآية/ ٥٧

النعمة التاسعة: عودتهم من التيه ودخولهم القرية "بيت المقدس" آكلين هنيئاً، شاربين مريئاً، ساجدين، خاضعين، مبتهلين إلى الله وحده شكراً لله على خلاصهم من التيه. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. **الآية/ ٥٨**

ثم توقّفت الآيات مرّة أخرى مع عنادهم وجحودهم وذلك بمخالفة الظالمين منهم لأوامر الله بتبديلها من الخضوع بالقول والفعل إلى الاستهزاء والمعاندة.. وهذا في غاية المخالفة ولهذا أنزل بأسه وعذابه عليهم بفسقهم وخروجهم عن طاعته؛ لقوله تعالى: **الآيات:** ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾. **الآية/ ٥٩**

النعمة العاشرة: ويدخل هنا الربع الربع ـ حسب القرآن ـ

نعمة سقياهم حين عطشوا من شدة الحر في التيه فطلبوا من موسى عليه السلام السقيا فكانت آية لموسى أن ينفجر الماء بقوة من حجر ضربه بعصاه فخرجت منه اثنتا عشرة عيناً لكل جماعة منهم عين يشربون منها حتى لا تقع بينهم الشحناء وكانوا اثني عشر سبطاً وهم ذرية أبناء يعقوب الاثني عشر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.
الآية/ ٦٠

من هداية الآيات:

١- أنَّ الإنجاء من العدو نعمة كبيرة ينعم الله بها على العبد؛ ولهذا ذكَّرهم الله بها في قوله: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾.

٢- أنَّ العفو موجب للشكر؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وإذا كان العفو ـ وهو زوال النقم ـ موجباً للشكر فحدوث النعم موجب للشكر من باب أولى.

٣- أنَّ الله تعالى يُنزِّل الكتب، ويجعلها فرقاناً لغاية حميدة حقاً ـ وهي الهداية، فمن أراد الهداية فليطلبها من الكتب المنزَّلة من السماء ـ لا يطلبها من الأساطير، وقصص الزهاد، والعُبَّاد وجعجعة المتكلمين، وما أشبه ذلك؛ بل من الكتب المنزَّلة من السماء؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٤- إثبات اسمين من أسماء الله ـ التواب، والرحيم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وإثبات ما تضمَّناه من صفة ـ وهي التوبة، والرحمة، وإثبات ما تضمَّناه من صفة باقترانهما ـ لا تكون عند انفراد أحدهما؛ لأنَّه لَمَّا اقترنا حصل من اجتماعهما صفة ثالثة ـ وهي: الجمع بين التوبة التي زال بها المكروه والرحمة التي بها حصول المطلوب.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يتعرض لما يقتضيه هذان الاسمان من أسماء الله؛ فيتعرض لتوبة الله، ورحمته؛ فيتوب إلى ربه ﷻ، ويرجو الرحمة؛ وهذا هو أحد المعاني التي قال عنها رسول الله ﷺ: "**من أحصاها**" ـ أي أسماء الله التسعة والتسعين ـ "**دخل الجنَّة**" فإنَّ من إحصائها العلم بها، والتعبد بمقتضاها.

٥- إثبات القول لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ ﴾ وهو قولٌ حقيقي بصوت، وبحرف؛ لكن صوته لا يشبهه صوت من أصوات المخلوقين؛ ولا يُمكن للإنسان أن يُدرك هذا الصوت؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ (طه: الآية/ ١١٠) ، وهكذا جميع صفات الله لا يُمكن إدراك حقائقها.

لطيفة:

قال بعض أهل العلم: عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم قليلون.. فالله ذكرهم بالمنعم؛ فقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ فدلَّ على فضل أمَّة محمد ﷺ.

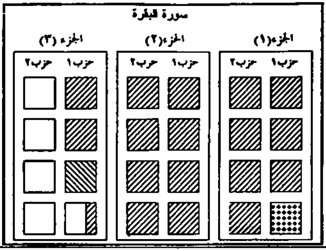

الجزء/الأول/الحزب/الأول/ الربع الرابع/ الآيات: ٦١-٧٤

المعنى الأول: الآيات:٦١-٦٦

أ) دناءة همة بني إسرائيل، واستبدالهم الأدنى بالأعلى، وأسباب استحقاقهم الذلة والغضب:
الآية:/٦١
قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ..﴾.

ب) كمال عدل الله تعالى في إثابة المؤمنين من جميع الأمم: الآية: /٦٢
قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾.

ج) ميثاق بني إسرائيل وتوليهم عن القيام به، وجزاء الله لهم: الآيات: ٦٣-٦٦
من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ..﴾.
إلى قوله تعالى:﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى الثاني: الآيات: ٦٧-٧٤

قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمرهم الله بذبحها:
الآيات: ٦٧-٧٤
من قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾.
إلى قوله تعالى:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ...﴾.

الجزء الأول – الحزب الأول – الربع الرابع

حسب القرآن: الآيات:٦٠ – ٧٤

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ .. ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٦١ – ٧٤

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ .. ﴾.

المعاني الرئيسة

وقد تضمَّن هذا الربع المعاني التالية:

المعنى الأول: الآيات: ٦١ – ٦٦

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ . ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

١) الآية: /٦١/

دناءة همَّة بني إسرائيل، واستبدالهم الأدنى بالأعلى، وأسباب استحقاقهم الذلة والغضب

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ . ﴾.

المفردات اللغوية:

بقلها: البقل: هو النبات الذي ليس له ساق، مثل الكراث والنعناع والبقدونس. **القثّاء**: صغار البطيخ. **الفوم**: الثوم. **أدنى**: أقل مرتبة، إما من الدُّنو: وهو القرب،

أو من الدُّون، كما تقول: هذا دون ذاك، أي أقل مقداراً، والدنوّ والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار. **مصراً**: أيَّ بلدٍ من البلدان. **ضربت عليهم**: جعلت ووضعت عليهم. **الذّلة**: الذل والهوان. **المسكنة**: الفقر والحاجة. **وباؤوا بغضب**: رجعوا متلبسين به. **بأنهم**: الباء للسببية. **بغير الحق**: أي بالباطل المحض؛ وهذا القيد لبيان الواقع، وللتشنيع عليهم بفعلهم؛ لأنه لا يمكن قتل نبيٍّ بحق أبداً. **عصوا**: خرجوا عن طاعة الله. **يعتدون**: يتجاوزون الحدّ في المعاصي.

المعنى الإجمالي:

يذكِّر الله تعالى يهود المدينة ببعض جنايات أسلافهم، ومنها قلَّة صبرهم، وسوء أدبهم مع نبيِّهم موسى عليه السلام حيث أرادوا بَطَراً وأشَراً استبدال ما أنعم الله عز وجل به عليهم من أطايب الطعام والشراب، كالمنِّ والسلوى، بما هو أدنى، كالكراث، والثوم، والعدس، فطلبوا منه أن يدعو الله لهم بذلك، فأنكر موسى عليه السلام عليهم طلبهم هذا، وأنّه ليس بصعب ولا يحتاج إلى دعاء الله؛ لأنّه تعالى أوجده في كل مصر

ولمَّا كان الذي جرى منهم دليل على احتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم الله من جنس عملهم بأن جعل الهوان والمذلَّة والفاقة محيطة بهم، فهم أذلَّة لا يقابلون عدوّاً إلَّا في قرىً محصَّنة أو من وراء جدر كما أخبر تعالى عنهم، وليس عندهم شجاعة ولا غنىً؛ لا كرم بالمال، ولا كرم بالنفس؛ فلا توجد أمّة أفقر قلوباً، ولا أبخل من اليهود، فالأموال كثيرة، لكن قلوبهم فقيرة، وأيديهم مغلولة، لذا صاروا مستحقين لغضب الله تعالى؛ لأنهم إلى جانب عتوِّهم واحتقار نعم الله تعالى عليهم، واستبدالهم الذي هو أدنى بالخير، كانوا يكذِّبون بآيات الله الكونية

والشرعية، ويعتدون على الأنبياء بالقتل، ويخرجون عن طاعة الله، ويتجاوزون الحدَّ بالاعتداء على عباد الله.

قال ابن سعدي رحمه الله: واعلم أنَّ الخطاب في هذه الآيات لأمَّة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونُسبت لهم لفوائد عديدة:

منها: أنهم كانوا يمتدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمَّد ومَن آمن به، فبيَّن الله من أحوال سلفهم التي تقرَّرت عندهم ما يَبين به لكلِّ واحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر، ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه أحوال سلفهم ـ مع أن المظنَّة أنَّهم أولى وأرفع حالة مِمَّن بعدهم ـ فكيف الظنّ بالمخاطبين؟!!.

ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم نعمة واصلة إلى المتأخِّرين، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها؛ لأنها تشملهم وتعمَّهم.

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مِمَّا يدلّ على أن الأمّة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها، حتى كان متقدّمهم ومتأخّرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثاً من الجميع.

ومنها: أن أكثرهم لم ينكر أفعالهم، والراضي بالمعصية شريك للعاصي. إلى غير ذلك.. ا.هـ.

من هداية الآية:

١- غطرسة بني إسرائيل، وجفاؤهم؛ لقولهم: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ولم يقولوا: "ادع لنا ربنا" أو: "ادع لنا الله". والعجب من حالهم هذا حيث أنَّهم كانوا مؤمنين بموسى عليه السلام.

٢- من اختار الأدنى على الأعلى ففيه شبه من اليهود؛ ومن ذلك هؤلاء الذين يختارون المحرَّم على الحلال.

٣- أنَّ من علوِّ همَّة المرء أن ينظر للأكمل، والأفضل في كلِّ الأمور.

٤- إثبات صفة الغضب لله تعالى من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. ردّاً على مَن فسّر "غضب الله" بانتقامه، أو إرادة انتقامه.

ب) الآية: / ٦٢/

كمال عدل الله تعالى في إثابة المؤمنين من جميع الأمم

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ...﴾.

وجه الربط:

لمّا ذكر الباري ﷻ بني إسرائيل وذمَّهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلّهم يشملهم الذم، فأراد تعالى أن يبيِّن مَن لا يلحقه الذّم منهم، ومن غيرهم من المؤمنين عامَّة.

المفردات اللغوية:

هادوا: تهودوا، والذين هادوا: هم اليهود. **والنصارى:** أتباع عيسى عليه السلام.

والصابئين: اختلف فيهم على عدَّة أقوال؛ فمن العلماء من يقول: إن الصابئين طائفة من اليهود أو النصارى؛ ومنهم من يقول: إنهم فرقة من المجوس؛ ومنهم من يقول: إنهم أمة مستقلة تدين بدين خاص بها؛ ومنهم من يقول: إنهم مَن كانوا على الفطرة؛ ولا يتديَّنون بدين – وهذا هو الأقرب. **فلهم أجرهم**: ثواب أعمالهم.

المعنى الإجمالي:

يبيِّن تعالى أنَّ الذين آمنوا مِن هذه الأمّة، والذين آمنوا من الأمم السابقة، من اليهود، والنصارى، والصابئين الذين هم على الفطرة، كلّ هؤلاء إن هم وحَّدوا الله تعالى وآمنوا بما يجب الإيمان به، وصدَّقوا بيوم الرجوع إلى الله للمحاسبة والجزاء، فلهم ثوابهم عند ربهم، لا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوا من الدنيا وزينتها إذا عاينوا النعيم الدائم في الجنة.

من هداية الآية:

١- أن الله سبحانه لا يظلم أحداً، فكل مَن آمن بالله واليوم الآخر فإن له أجره من أي صنف كان.

٢- ثمرة الإيمان بالله تبارك وتعالى، واليوم الآخر، هو حصول الأجر، وانتفاء الخوف مِمَّا يستقبل، والحزن على ما مضى.

فائدة:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ...﴾ فتح باب الأمل بدفع اليأس والقنوط أثناء توضيح الأسباب الموجبة للعقاب للفت النظر وجذب الانتباه. فبعد أن ذكَّر الله اليهود بأفعال أسلافهم قديماً وأوضح مصيرهم وجزائهم أورد

مبدأً عامّاً: [هو أنَّ كل مؤمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فهو من الفائزين سواء أكان من المسلمين أم من اليهود أم من النصارى أم من الذين أشركوا أو تركوا دينهم مطلقاً وأسلموا]. وهذا الحكم من حيث هم لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأنَّ هذا إخبار عنهم قبل بعثة النبي ﷺ وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

ج) الآيات: ٦٣ – ٦٦

ميثاق بني إسرائيل وتوليهم عن القيام به، وجزاء الله لهم

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

المفردات اللغوية:

ميثاقكم: الميثاق: العهد الثقيل المؤكد؛ وسمي بذلك من الوَثاق _ وهو الحبل الذي يُشدُّ به المأسور؛ ويراد به هنا: العهد بالعمل بما في التوراة. **الطور**: الجبل المعروف. **بقوة**: بالحزم، والتنفيذ، والتطبيق. **واذكروا ما فيه**: بالعمل به. **توليتم**: أعرضتم. **اعتدوا**: تجاوزوا الحدود وطغوا. **السبت**: اليوم المعروف، وقد نهاهم الله عن صيد السمك فيه، وهم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر. **خاسئين**: ذليلين. **فجعلناها نكالاً**: أي صيَّرنا تلك العقوبة عبرة؛ والنكال، والتنكيل: أن يعاقب الإنسان بعقوبة تمنعه من الرجوع إلى ما عوقب عليه. **لما بين يديها وما**

خلفها: أي الأمم التي في زمانها أو بعدها. وموعظة للمتقين: أي موضع اتعاظٍ للذين يجعلون بينهم وبين عذاب الله وسخطه وقاية؛ وخص المتقين بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم، والمتقون: الذين اتقوا عذاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

المعنى الإجمالي:

عاد الحق تبارك وتعالى يوبِّخ بني إسرائيل فذكَّرهم سبحانه بأمرٍ أخذه عليهم، وهو العهد والميثاق بالعمل بما في التوراة، والإسلام لله تعالى، والانقياد لدينه وشرعه، ولكنّهم لعنادهم لم يذعنوا لأوامر الله، فرفع سبحانه جبل الطور بقدرته ومشيئته فوق رؤوسهم حتى صار بمثابة المظلة فوقهم، تهديداً وتخويفاً لهم، ثمَّ أمرهم أن يتمسَّكوا بالشريعة التي كلَّفهم بها بجِدٍّ وعزيمة، لا بكسلٍ واسترخاء، فالتَّكليف يحتاج إلى عزم واجتهاد، وهذا التَّمسُّك يوجب تقوى الله وطاعته، ومخافة عذابه.

ثمَّ بعد هذا الإنذار، وكون الجبل فوق رؤوسهم في ذلك الوقت خضعوا، وهرعوا إلى السجود؛ وسجدوا؛ ولكنَّهم مالوا في سجودهم ينظرون إلى الجبل خائفين منه؛ ولهذا يُقال: إن سجود اليهود مائل ينظرون إلى شيء فوقهم. ثم بعد هذه الإنابة رجعوا إلى سابق عهدهم من الجحود والعناد، وأعرضوا ونَسَوا تهديد الله لهم، ولولا تفضُّل الله عليهم ورحمته بهم بإمهالهم وتأخير العذاب لكانوا من الهالكين.

ثمّ ذكَّرهم الحق تبارك وتعالى بما حلَّ بأسلافهم من العذاب الذي أنزله بهم، إذ حرَّم تعالى عليهم العمل والصيد يوم السبت ليتفرَّغوا للعبادة، فخالف بعضهم

أمره، وضعفوا أمام الكسب المادي، وأصرّوا على معصية الله، ولم يتّعظوا بمواعظ الصالحين فيهم؛ كما قال تعالى حكاية عنهم في سورة الأعراف: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الأعراف) فأوجب لهم هذا الذنب العظيم أن غضب الله عليهم وجعلهم قردة ذليلين حقيرين، وصارت تلك العقوبة وذلك النكال الذي حلَّ بهم موعظة يتّعظ بها مَن حضرها من الأمم، ومَن بلغه خبرها من أهل القرى، ولتقوم الحجة على العباد.

من هداية الآيات:

١ – بيان عتوّ بني إسرائيل، حيث لم يؤمنوا إلّا حين رفع فوقهم الطور.

٢ – أنَّ الواجب على أهل المِلَّة أن يأخذوا كتابهم بقوَّة لا بضعف، ولين ومداهنة؛ بل لا بدَّ من قوَّة في التطبيق، والدَّعوة؛ التطبيق على أنفسهم؛ ودعوة غيرهم إلى ذلك بدون فتور، ولا تراخٍ عن حدّ.

٣ – أنَّ الأخذ بالكتاب المنزَّل يوجب التقوى؛ لقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ؛ أي: لأجل أن تكونوا من المتقين.

٤ – أنَّ الإنسان لا يستقلُّ بنفسه في التوفيق؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾.

٥- إثبات الأسباب، وربطها بمسبباتها؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ فهذا صريح في إثبات الأسباب، وربطها بأسبابها، وتأثيرها في مسبَّباتها.

٦- تحريم الحيل، وأنَّ المتحيِّل على المحارم لا يخرج عن العدوان؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾؛ بل الحيل على فعل محرَّم أعظم إثماً من إتيان المحرَّم على وجه صريح؛ لأنه جمع بين المعصية والخداع، ولهذا كان المنافقون أشدّ جرماً وعداوة للمؤمنين من الكفَّار الصرحاء.

٧- بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ لأن عقوبة هؤلاء المتحيِّلين أنهم مسخوا قردة خاسئين؛ والذنب الذي فعلوه صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح؛ فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي؛ وهذا؛ لأنّ الجزاء من جنس العمل.

مقدمة بين يدي القصص والأحاديث الإسرائيلية:

قال ابن تيمية رحمه الله في كتابه " مقدمة التفسير":

الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، وهي على ثلاثة أقسام:

١- ما علمنا صحته ممّا بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

٢- ما علمنا كذبه بما عندنا ممّا يخالفه.

٣- ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه وتجوز

حكايته؛ لما تقدَّم. وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

وقد علَّق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه للكتاب فقال:

نقل الخلاف عن بني إسرائيل جائز لا على الاعتبار به ولكنّ لبيان اختلافهم وفي هذا فائدة عظيمة لنا:

- أنَّنا إذا وجدنا اختلافهم قلَّل ذلك الثقة ممّا في أيديهم.
- يُعلم أنَّ عندهم تصرُّفاً وكذباً فيما ينقلونه.

ونعود إلى نص كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى:

أن أحسن ما يكون في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنبَّه على الصحيح منها، ويُبطل الباطل، وتُذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيُشتغل به عن الأهم. وأمّا من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال النّاس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه،أو يحكي الخلاف ويُطلقه،ولا يُنبَّه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً. فإن صحَّح غير الصحيح عامداً فقد تعمَّد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ.

شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

من **الأمانة** أن ينقل الناقل جميع الأقوال، لأنه لو حذف أحدها قد يكون الصحيح، أما إذا كان لدى الناقل حجة ترجح أحد الأقوال وجب عليه أن يُبيِّن الراجح حتى لا يدع السامع في حيرة. أمّا إذا كان لا يعلم فلا بأس عليه في ألّا يذكر الراجح، لكن لا بد وأن يذكر الأقوال والخلاف؛ لقوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾؛ أي: في حالة عدم بيان الراجح. ولا يلزمه أن يُبيِّن الراجح إن كان لا يعلمه.

المعنى الثاني: الآيات: ٦٧ — ٧٤

قصة بني إسرائيل مع البقرة التي امرهم الله بذبحها

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... ﴾.

وجه الربط:

ساقت **الآيات الكريمات** قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أُمروا بذبحها، لتبيِّن مدى تعنُّتهم وتقاعسهم في تنفيذ أوامر الله تعالى، الذي قال لهم عندما أخذ عليهم الميثاق: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾. وكشفت القصة سبب التشديد في شريعة التوراة، فالله عليم حكيم في كل ما يشرع، وما شدَّد تعالى عليهم إلا بسببٍ نابعٍ من نفوسهم، فالقوم لم يبادروا إلى تنفيذ أمر الله، وشدَّدوا على أنفسهم بكثرة الأسئلة، فشدَّد الله عليهم، بينما كان أصحاب النبي ﷺ على العكس من ذلك،

كانوا يبادرون إلى تنفيذ أمر الله، قائلين: سمعنا وأطعنا، فأكرمهم الله تعالى بالشريعة الإسلامية السَّمحَة الميسّرة، كما سيأتي في آخر السورة.

المفردات اللغوية:

هزُواً: مهزوءاً بنا أو سخرية، حيث تطلب منا ذبح بقرة. **أعوذ**: أعتصم بالله. **الجاهلين**: المراد بـ"الجهل" هنا السفه. **لا فارض**: المُسِنَّة الكبيرة. **ولا بكر**: "البكر" التي لم تلد، ولا قرعها الفحل؛ أي الفتية الصغيرة. **عوان**: وسط بين الصغيرة والكبيرة. **ما تؤمرون**: هذا من كلام موسى عليه السلام ؛ أي افعلوا ما تؤمرون به من ذبح البقرة. **فاقع لونها**: الصافي، شديدة الصفرة. **تسر الناظرين**: تجلب السرور لمن نظر إليها لحسنها؛ أي تعجبهم. **ما هي**: أي من حيث العمل؛ أسائمة، أم عاملة. **تشابه علينا**: لكثرته، فلم نهتد إلى المقصود. **إن شاء الله لمهتدون**: إليها، قال بعض السلف: "لو لم يستثنوا؛ أي يقولوا: إن شاء الله،لم يهتدوا إليها أبداً"

لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث: ليست مذللة ومدربة على العمل، فهي لا تفلح الأرض، ولا تسقي الزرع. **مسلَّمة**: سليمة من العيوب وآثار العمل. **لا شية**: لا يخالط لونها لون آخر، فهي صفراء كلها، وهي في الأصل مصدر: وشى وشياً: إذا خلط بلونه لوناً آخر. **قالوا الآن جئت بالحق**: نطقت بالبيان التام. **فادَّارأتم**: تدارأتم؛ بمعنى تخاصمتم وتدافعتم. **والله مخرج**: مظهر. **اضربوه**: أي اضربوا جسد القتيل. **ببعضها**: بجزء من البقرة المذبوحة. **قست**: صلبت عن قبول الحق، وتحجَّرت. **كالحجارة**: أي مثلها في القسوة. **يتفجر**: ينبع بكثرة. **يشقق**: أصله: يتشقق، أي يتفتح شقوقاً. **يهبط**: ينزل من علو إلى أسفل.

المعنى الإجمالي:

واذكروا يا بني إسرائيل ما جرى لنبيِّكم موسى مع قومه، حين قُتل منهم نفس فتخاصموا، وتدافعوا: كلّ يدّعي أنّ هؤلاء قتلوه؛ حتى كادت تثور الفتنة بينهم، فقالوا لا حاجة إلى أن نتقاتل ويُذهب بعضنا بعضاً، نذهب إلى نبيِّ الله موسى. ويخبرنا مَن الذي قتله، فأوحى إليه الله تعالى أن مُرهم فليذبحوا بقرة، ولم يعيِّن الله وصفها؛ فلو ذبحوا أيّ بقرة كانت لكانوا ممتثلين؛ ولكنَّهم تشدَّدوا فشدَّد الله عليهم.

ولَمَّا استبعدوا أن يكون ذبح البقرة سبباً لزوال ما بينهم قالوا: أتهزأ بنا يا موسى. قال عليه السلام: أعتصم بالله أن أكون من أولي السَّفه فأتَّخذ عباد الله هزواً، فلَمَّا قال لهم موسى ذلك، وكان عليهم أن يدركوا سوء أدبهم، ويبادروا إلى تنفيذ أمر الله تعالى، ولكنَّهم بدلاً من ذلك طلبوا من موسى عليه السلام أن يبيِّن لهم صفتها: فقال عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾؛ أي: هي بقرة لا صغيرة لم تلد، ولا كبيرة مُسنَّة، بل وسط بين الأمرين، ثمَّ نبّههم عليه السلام أن يمتثلوا أمر الله بذبح البقرة، ويتركوا التشديد والتعنّت، ولكنَّهم عادوا مرة ثانية إلى السؤال عن لونها؟ وجاءهم الجواب يشدِّد عليهم، ويفرض قيوداً ما كانوا مكلفين بها: إنَّها صفراءُ، شديدة الصُّفرة، يعجب الناظر إليها صفاء لونها وحسنه.

ولم يفطنوا إلى أنَّ هذه التشديدات في غير مصلحتهم، وعادوا إلى السؤال معتذرين أن البقر التبس عليهم، وأنّهم هذه المرَّة سيهتدون إلى البقرة المطلوبة؟ وأتاهم الجواب بشروط وقيود لا تجتمع إلّا في بقرة واحدة: إنّها بقرة لم تُذلَّل بالعمل في الحراثة والسقي، وهي سالمة من العيوب، ولا يخالط لونها لون آخر.

وأخيراً عرفوا البقرة المطلوبة، وقالو لموسى: الآن عرفنا أنّك لست تستهزئ بنا؛ وإنّما أنت صادق.

وبعد العثور عليها بأوصافها السابقة ذبحوها، ولكن بعد جهد وتباطؤ وتعنُّت.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: وقال بعض المفسرين إن المراد بقولهم: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ ؛ أي: بالبيان التام؛ ولكن الصواب أنَّ "الحَقَّ"؛ هنا ضد الهزء، والباطل؛ يدلُّ على ذلك أنّهم صدَّروا هذه القصة بقول الحق حكاية عنهم: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾؛ فبعد هذه المناقشات مع موسى، والسؤالات، وطلب الله ﷻ قالوا: الآن جئت بالحق، وعرفنا أنَّك لست مستهزئاً بنا؛ بل إنَّك جادٌّ فيما تقول. ا.هـ

وعادت الآيات الكريمات تخاطب يهود المدينة الذين كانوا في عهد النبي ﷺ تذكرهم بفعل أسلافهم من قتل نفس معصومة، ووجَّه الحقّ سبحانه الخطاب لهم مع أنّ الفعل كان مِمّن سبقهم؛ لأنّ الأمّة الواحدة بمنزلة الجسد الواحد؛ وفعل أوّلها كفعل آخرها فيما يلحقهم من ذمٍّ؛ والتقدير:

واذكروا يا بني إسرائيل عندما حدثت جريمة قتل في مجتمعكم، فاختلفتم وتدافعتم، فكلٌّ يدفع التهمة عن نفسه، والله تعالى مُظهرُ ما كنتم تُخفونه من تعيين القاتل؛ وذلك بالآية العظيمة التي بيَّنها في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ أي: اضربوا جسد القتيل بعُضْوٍ من البقرة المذبوحة، ففعلوا، فأحيا الله القتيل. وأخبر بنفسه عن قاتله، فكانت تلك آية باهرة مُعجزة دلَّت على كمال قدرته سبحانه، ومثل إحياء هذا القتيل يحيي الله الموتى بكلمة واحدة، ويُظهر لكم آياته الكونيَّة، والشرعيَّة؛ لأجل أن تفهموا ما في هذه الواقعة من دروس وعِبَر؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

تُرى هل عقلوا الدرس، وفهموا عظاته وعِبَره؟ الجواب ظاهر في قوله تعالى عنهم: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي ازدادت قلوبهم غلظة وتصلَّبت

وتحجَّرت من بعد أن منَّ الله عليهم بما أراهم من آياته، فكانت قلوبهم بقسوة الحجارة لا تقِلُّ عنها قسوة؛ لأنّ الحجارة فيها خير بخلاف قلوب هؤلاء فإنّه لا خير فيها؛ فبعض الحجارة تتفجَّر منها الأنهار، وبعضها يتشقَّق فيخرج منه الماء، وبعضها يهوي ويخرُّ من الأعلى إلى الأسفل، من عظمة الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾، أمَّا قلوب بني إسرائيل فلا تلين ولا تخشع، ولا تنقاد لأمر الله وشرعه، لذا استحقّوا الوعيد الشديد، فالله لا يغفل عمّا يعملون، فسيجازيهم على ذلك أتمَّ الجزاء، وفي هذا وعيد لهم.

من هداية الآيات:

١- أنَّ من شدَّد على نفسه شدَّد الله عليه _ كما حصل لبني إسرائيل؛ فإنّهم لو امتثلوا أوَّل ما أُمروا، فذبحوا أيَّ بقرة لكفاهم؛ ولكنَّهم شدَّدوا وتعنتوا فشدَّد الله عليهم.

٢- أنَّه ينبغي لطالب العلم أن يعتني بمعنى القصة، وغرضها دون من وقعت عليهم؛ لقوله تعالى: "ببعضها" ولم يعيِّن لهم ذلك توسعة عليهم، ليحصل المقصود بأيِّ جزء منها.

٣- التحذير من أن يكتم الإنسان شيئاً لا يرضاه الله عز وجل؛ فإنَّه مهما يكتم الإنسان شيئاً ممَّا لا يُرْضي الله عز وجل فإنَّه سوف يُطْلع خلقه عليه _ إلّا أن يعفو الله عنه _

٤- أنَّ هذه الآية _ وهي أن تكون البقرة سبباً لحياة القتيل _ من آيات الله ﷻ؛ إذ لا رابط في المعقول بين أن تُذبح البقرة، ويُضرب القتيل ببعضها، فيحيى.

٥- تشبيه المعقول بالمحسوس في قوله: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾؛ لأنَّ الحجارة أمر محسوس؛ والقلب قسوته أمر معقول؛ إذ أنّه

يقسو قسوة معنوية بإعراضه عن الحق واستكباره عليه.

٦- أنَّ الجمادات تعرف الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ .

٧- عظمة الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ؛ والخشية هي الخوف المقرون بالعلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾؛ [فاطر: الآية ٢٨] فمن علم عظمة الله فلا بدَّ أن يخشاه.

٨- سِعة علم الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ وهذه الصفة من صفات الله سبحانه وتعالى السلبيَّة؛ والصفات السلبيَّة هي التي ينفيها الله سبحانه وتعالى عن نفسه، وتتضمن أمرين هما: نفي هذه الصفة؛ وإثبات كمال ضدّها.

لطيفة:

خصَّ الله تعالى الحجارة من الجمادات لأنها أشد قسوة مع أنه سبحانه ذكر في سورة أخرى الحديد وقد يتبادر إلى الأذهان أن الحجارة تتكسر.. ولكن لَّما كان الحديد إذا وضع في النار ذاب بخلاف الأحجار، وصف الحق سبحانه قلوبهم بالحجارة، وأنَّ قلوبهم أشد قسوة منها.. وما كان ينبغي لهم أن تقسو قلوبهم؛ لأن ما شاهدوه يوجب رقة القلب وانقياده.

وأرشدت الآية إلى أن الله تعالى لم يخلق شيئاً في هذا الوجود عبثاً وإنما لفائدة؛ كدلالة الفوائد لبعض الأحجار التي يتشقق منها الماء، وأنها تتصدع لأمر الله. فإن تمرَّدت فئة من المخلوقات عن الصبغة الإلهية وأصبحت عديمة النفع فإنما ذلك لقسوة قلوبهم وعدم تأثرها بالعظات وعدم قبولها الحق، والله ممحصّ للأعمال يجازي جزاء وفاقاً في الدنيا والآخرة.

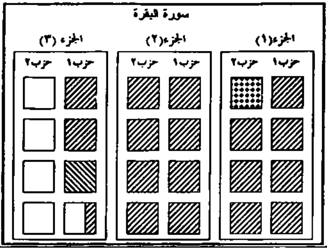

الجزء/الأول/الحزب/الثاني/ الربع الأول/الآيات: ٧٥– ٨٦

المعنى الأول:الآيات: ٧٥-٨٢

أ) استبعاد إيمان اليهود:

الآيات: ٧٥ – ٧٩

من قوله تعالى:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ..﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾.

ب) أماني اليهود الخادعة، والرد عليهم:

الآيات: ٨٠-٨٢

من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ...﴾.

إلى قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾.

المعنى الثاني: الآيات: ٨٣-٨٦

أ) الميثاق العام لجميع الناس:

الآية: /٨٣/

قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾.

ب) ميثاق بني إسرائيل الخاص:

الآيات: ٨٤ – ٨٦

من قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ....﴾.

إلى قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ....﴾.

الجزء الأول – الحزب الثاني– الربع الأول

حسب القرآن: الآيات: ٧٥ – ٩١

من قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ...﴾ .

وحسب المعنى: الآيات:٧٥ – ٨٦

إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ ...﴾ .

المعاني الرئيسة

وقد تضمَّن هذا الربع المعاني التالية:

المعنى الأول: الآيات: ٧٥ – ٨٢

أ) الآيات: ٧٥ – ٧٩

استبعاد إيمان اليهود

من قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾ .

المفردات اللغوية:

فريق: طائفة من أحبارهم. **كلام الله**: أي التوراة. **يحرفونه**: يغيرونه ويبدلونه، أو يؤولونه بالباطل. **عقلوه**: فهموه وعرفوه. **وهم يعلمون**: أنهم مفترون كاذبون؛

لأنهم حرَّفوا كلام الله وهم يعلمون أن التحريف محرَّم. **وإذا لقوا**: أي: منافقو اليهود إذا قابلوا أو اجتمعوا. **وإذا خلا**: إذا أوى بعضهم إلى بعض. **فتح الله عليكم**: أي من العلم بصحة رسالة النبي محمد ﷺ. **ليحاجوكم**: ليخاصموكم ويجادلوكم، واللام للعاقبة. **أولا يعلمون**: الاستفهام للتوبيخ، والإنكار عليهم لكونهم نزَّلوا أنفسهم منْزلة الجاهل. **أميون**: عوام جهلة بكتابهم. **أماني**: جمع أمنية، وهي التلاوة والقراءة بدون فهم للمعنى، وهي في الأصل ما يقدِّره الإنسان من منىً يتمنَّاها؛ ولذلك تطلق على الكذب، وعلى ما يُتمنَّى، وما يُقرأ. وعلى هذا يمكن أن يكون المعنى: ولكن يعتقدون أكاذيب تلقوها من رؤسائهم، فاعتمدوها، وهي لا تستند إلى دليل عقلي أو نقلي. **فويل**: كلمة وعيد؛ يتوعد الله تعالى مَن اتَّصفوا بهذه الصفة. والويل: كلمة تقولها العرب لكل مَن وقع في هلكة، وأصلها في اللغة العذاب والهلاك. **بأيديهم**: أي مختلقاً من عندهم. **ليشتروا به ثمنا قليلاً**: ليأخذوا به عوضاً قليلاً؛ وهذا العوض القليل هو الرئاسة، والجاه، والمال، وغير ذلك من أمور الدنيا.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا انتهت **الآيات الكريمات** من مواجهة بني إسرائيل، وتذكيرهم بمواقف أسلافهم، التفتت إلى المسلمين تخاطبهم وتبيِّن لهم مواقف اليهود المعاصرين لهم، من القرآن الكريم، ومن النبي ﷺ وأصحابه من الأنصار الذين كانوا حلفاء لليهود، وكانوا يَوَدُّون لو أسلموا، فجاءت الآيات تقطع رغبتهم هذه من إيمانهم؛ لأنَّهم وإن كانت سلوكيَّاتهم حسنة فلا يقتضي هذا الطمع فيهم لأنهم: كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله؛

ليوهموا النّاس أنها من عند الله وما هي من عند الله. واختلف المفسرون في مراد الله جلَّ وعلا بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ على قولين:

القول الأول: أن المراد بذلك التوراة – يسمعونها ثم يحرفونها – أي يغيّرونها؛ ومن ذلك تحريفهم إيَّاها في صفات نبيِّنا ﷺ، وتحريفهم آية الرجم، حيث أخفوها ووضعوا في مكانها التسخيم وتسويد الوجه.

القول الثاني: أن المراد بذلك السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام، ليذهبوا معه إلى لقاء الله تعالى فلما سمعوا كلام الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام حرَّفوا ما سمعوه. والله أعلم بمراده، فإذا كانت هذه حالهم مع كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدّون به الناس عن سبيل الله، فكيف يُرجى منهم إيمان لكم؟!.

ثمَّ ذكر تعالى صفة أخرى من صفاتهم القبيحة تدعوا إلى اليأس من إيمانهم، وهي أنَّ منهم منافقين أظهروا إسلامهم أمام المؤمنين، فإذا قابلوهم قالوا بألسنتهم: آمنّا بالله وبالنبي كإيمانكم، إذ هو النبي المبشَّر به عندنا في التوراة، وإذا انفردوا مع بعضهم وبَّخوهم على فعلهم هذا بقولهم: أين عقولكم؟! كيف تحدّثون أتباع محمد بما أنزل الله عليكم في التوراة من العلم بصحَّة رسالة النبي ﷺ، فيكون ذلك حجَّة لهم عليكم عند الله يوم القيامة، ولكنَّ اليهود لسفههم نَسَوا أو تناسَوا حين وبَّخ بعضهم بعضاً بهذا الأمر، أنَّ الله لا تخفى عليه خافية، فسواء أقرُّوا أولم يقرُّوا أنّ الرسول حق فإنّ الله تعالى عالم بهم.

ثمَّ بيَّن تعالى أنَّه مِمَّا سهَّل على أحبار ورهبان أهل الكتاب تحريفهم التوراة والإنجيل، أنَّ منهم عوامّ بمنزلة الأمِّيِّين لا يعرفون القراءة والكتابة، وإنَّما يكتفون بسماع تلاوتها من أحبارهم وعلمائهم، دون فهم لمعاني ما يسمعون،

وقُصارى أمرهم الحدس والتخمين، فهؤلاء مقلِّدون لأهل العلم منهم، وهذا ذمٌّ لهؤلاء؛ لأنَّه لا ينبغي بناء الإيمان على مجرَّد الظن.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: ذكر الله تعالى في هذه الآيات علماءهم، ومنافقيهم، ومَن لم ينافق منهم، وعوامَّهم؛ فالعلماء منهم متمسِّكون بما هم عليه من الضلال، والعوامّ مقلِّدون لهم لا بصيرة عندهم، فلا مطمع لكم في كلا الطائفتين.

ثمَّ اتجهت الآيات الكريمات تتوعَّد أولئك المحرِّفين لكتاب الله، من الأحبار والرهبان، الذين استغلُّوا مكانتهم الدينيّة، وجهل العامَّة بكتاب الله ﷻ، فكتبوا الآيات المحرَّفة بأيديهم ثم ارتكبوا ما هو أفظع وأشنع من التحريف، وهو نسبة المحرَّف إلى الله ﷻ فقالوا: هذا منزَّل من عند الله، ليأخذوا بهذا الكذب والافتراء عوضاً قليلاً وثمناً دنيويّاً حقيراً من رئاسةٍ، ومالٍ، وجاه، ومهما كان هذا العوض فهو قليل بالنسبة لما استوجبوه من العذاب الدائم، وحرموه من الثواب المقيم، فالهلاك والعذاب الشديد لهم على كسبهم هذا.

من هداية الآيات:

١- تسلية من الله لرسوله ﷺ بما يذهب عنه الأسى، والحزن؛ حيث يبين له حال هؤلاء، وأنهم قوم عتاة لا مطمع في إيمانهم؛ لقوله تعالى: ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ** ﴾.

٢- أن من كان لا يؤمن بما هو أظهر فإنه يبعد أن يؤمن بما هو أخفى؛ لأن من يسمع كلام الله، ثم يحرفه، أبعد قبولاً للحق ممن لم يسمعه؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ...﴾.

٣- إثبات صفة الكلام لله، وأن كلامه سبحانه بصوت مسموع؛ لقوله تعالى: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾؛ وكلامه سبحانه من صفاته الفعلية باعتبار آحاده؛ وأما باعتبار أصل الصفة فهو صفة ذاتية.

والفرق بين الصفات الذاتية، والفعلية: أن الصفات الذاتية لازمة لذات الله "أزلاً"، أي: فيما مضى؛ و"أبداً"، أي: فيما يستقبل - مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والسمع.

والصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، فَتَحْدُث إذا شاء: كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء يوم القيامة للفصل بين العباد، والرضا، والغضب، والفرح، عند وجود أسبابها. وهذا للردّ على الأشاعرة وغيرهم ممَّن يرون أنَّ كلام الله هو المعنى القائم بنفسه؛ وأنّ الحروف والأصوات عبارة عن كلام الله، وليست كلام الله؛ بل خلقها الله ليُعبِّر بها عما في نفسه.

٤- أنَّ في اليهود منافقين، وأنَّ من سجاياهم الغدر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾.

٥- أنَّ العلم من الفتح؛ لقوله تعالى على لسانهم: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾. ولا شكَّ أنَّ العلم فتح يفتح الله به على المرء من أنواع العلوم والمعارف ما ينير به قلبه.

٦- سفه اليهود الذين يتّخذون من صنيعهم سلاحاً عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

٧- توبيخ اليهود على تحريفهم التوراة، والإنكار عليهم لكونهم نزَّلوا أنفسهم منزلة الجاهل بأنَّ الله لا يعلم سرهم وعلنهم؛ لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

٨- ذم من لا يعتني بمعرفة معاني كتاب الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾. ويُؤخذ من مفهوم الآية الكريمة مدح الذين يعتنون بفهم كتاب الله تعالى وتدبُّر معانيه.

٩- بطلان التقليد في العقائد وأصول الأحكام، وعدم الاعتداد بإيمان صاحبه؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي: لا علم لهم بصحة ما يتلون، وإنما هم مقلدون لأحبارهم فيما يقرؤون.

١٠- ذمّ الحكم بالظنّ، وأنَّه من صفات اليهود؛ وهذا موجود كثيراً عند بعض المتعالمين.

١١- خص الله تعالى أحبار اليهود وعلماءهم بالذَّمِّ، وتوعَّدهم بالويل الشديد لتحريفهم كتاب الله وادّعائهم أنه من عنده، وتلبيسهم على العوام دينهم ليأخذوا أموالهم بغير حق، بل بأبطل الباطل.

١٢- أنَّ الجزاء من جنس العمل؛ لقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.

فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لمَّا ذكر هذه الآيات: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ...﴾:

- إنَّ الله ذمَّ الذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة.
- وذمَّ الذين لا يعلمون الكتاب إلَّا أمانيّ، وهو متناول لمن ترك تدبُّر القرآن، ولم يعلم إلَّا مجرَّد تلاوة حروفه.
- ومتناول لمن كتب كتاباً بيده، مخالفاً لكتاب الله، لينال به دنيا وقال: إنَّه من عند الله، مثل أن يقول: هذا الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمَّة.
- ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة، لئلا يحتج به مخالفه في الحقِّ الذي يقوله. وهذه الأمور كثيرة جداً في أهل الأهواء جملة، كالرافضة، وتفصيلاً مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء. ا.هـ

لطيفة:

في منافقي المسلمين قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ للدلالة على أن رؤوسهم كالشياطين والبقية أقل من ذلك. أما في منافقي اليهود فقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ للإشارة إلى أنهم كلهم شياطين.

ب) الآيات: ٨٠ -٨٢

أماني اليهود الخادعة، والردّ عليهم

من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ...﴾

المفردات اللغوية:

لن تمسنا النار: لن تصيبنا نار الآخرة. بلى: بمعنى "بل"؛ فهي للإضراب الانتقالي؛ ويحتمل أن تكون للإضراب الإبطالي _ أي لإبطال قولهم. **كسب سيئة**: من ساء يسوء؛ والمراد الأعمال السيئة. **وأحاطت به خطيئته**: أي صارت كالسور من حوله واكتنفته من كل جانب، واستولت عليه وأحدقت به. وقيل: المراد بالسيئة: الكفر؛ والخطيئة: ما دونه.

المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الله تعالى أفعالهم القبيحة، ذكر أنهم يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فذكر مزاعمهم وادِّعاءهم أن النّار لن تمسهم إلَّا أياماً معدودة.

ولمّا كان هذا مجرَّد دعوى ردَّ الله عليهم أن صدق دعواهم متوقف على أحد هذين الأمرين:

* إمَّا أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهداً، فتكون دعواهم صحيحة.

* وإمَّا أن يكونوا متقولين عليه، فتكون دعواهم كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم.

وقد عُلم من حالهم - من خلال الآيات- أنهم لم يتخذوا عند الله عهداً لتكذيبهم كثيراً من الأنبياء ونكوصهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق فتعيّن بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون على الله ما لا يعلمون. والقول عليه بغير علم من أعظم المحرمات.

ثم ذكر تعالى حكماً عاماً لكل أحد يدخل فيه بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم غيره، لا أمانيهم ولا دعاويهم، فهي أماني ودعاوي خادعة. وبيَّن مَن الذي تَمَسُّه النار، ومَن الذي لا تمسُّه؛ فقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ ؛ و ﴿ سَيِّئَةً ﴾ نكرة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه. وقيل المراد بها هنا: الشرك؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذاً، وهذا لا يكون إلَّا الشرك، فإنَّ مَن معه الإيمان لا تحيط به خطيئته، والمعنى:ليس الأمر كما زعمتم أو تمنَّيتم؛ بلى أو بل الأمر أنَّه مَن فعل أمراً محظوراً باختياره وإرادته، وعمل السيِّئات واستولت عليه وشملت جميع أحواله، حتى وافى الله تعالى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات، فهذا من أهل النار.

قال النسفي رحمه الله في تفسيره: بلى من كسب شركاً، وسُدَّت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه (أي فهذا الذي أحاطت به خطيئته)، فأما إذا مات مؤمناً فأعظم الطاعات معه – وهو الإيمان – ؛ فلا يكون الذنب محيطاً به؛ ولا يتناوله النص. وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج. ا. هـ.

قال ابن سعدي رحمه الله: وقد احتجَّ بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بُدَّ أن يكون فيما احتجَّ به حجة عليه. ا. هـ.

ولَمَّا ذكر تعالى مصير الكافرين ذكر بعده مصير المؤمنين ليكون العبد سائراً إلى الله سبحانه بين الخوف والرجاء، فالذين آمنوا بما يجب الإيمان به مع القبول، والإذعان، وعملوا الأعمال الصالحات، هم أهل النجاة والفوز.

من هداية الآيات:

١- أنَّ اليهود يقرّون بالآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ لكنّ هذا الإقرار لا ينفعهم؛ لأنّهم كذّبوا محمداً ﷺ؛ وعلى هذا فهم ليسوا بمؤمنين.

٢- بيان حُسن مجادلة القرآن؛ لأنّه حصر هذه الدعوى في واحد من أمرين، وكلاهما منتفٍ: ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾؛ وهذا على القول فإنَّ ﴿ أَمْ ﴾ هنا متصلة؛ أمّا على القول بأنّها منقطعة فإنه ليس فيها إلّا إلزام واحد.

٣- أنّ الله لن يُخلف وعده؛ وكونه لا يخلف الوعد يتضمَّن صفتين عظيمتين هما: الصدق، والقدرة.

٤- أنَّ مَن أحاطت به خطيئته فلم يكن له حسنة فإنّه من أصحاب النار الذين لا يخرجون منها، وأمَّا مَن كسب سيئة لكن لم تُحِط به الخطيئة فإنّه ليس من أصحاب النار؛ لكن إذا كان عليه سيئات فإنه يعذّب بقدرها _ ما لم يعفُ الله سبحانه وتعالى عنه.

٥- أنّ الإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة؛ بل لا بدّ من العمل الصالح. كما أنّ العمل الصالح وحده لا يكفي حتى يكون صادراً عن إيمان؛ لقوله تعالى: ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ .

تنبيه:

قال أهل العلم: الخطيئة وإن لم تكن كفراً، فإنّها بريد الكفر، فإذا سار الإنسان في طريق الخطايا، فإنه بذلك يجني على قلبه شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الكفر عندما تحيط به الخطايا. وقد ورد في الحديث الشريف عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [**"إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه" وضرب رسول الله ﷺ لهم مثلاً كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود؛ حتى جمعوا سواداً وأجّجوا ناراً؛ فأنضجوا ما قذفوا فيها"**].

المعنى الثاني:

الميثاق العام، الميثاق الخاص/ الآيات: ٨٣ – ٨٦

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِ ...﴾ .

توطئة:

أبرزت الآيات الكريمات المبادئ الأساسيّة الكبرى في شريعة التوراة التي كلّف الله تعالى بها بني إسرائيل، وأخذ عليهم الميثاق ليتمسّكوا بها، وتلتقي بهذه المبادئ

شريعة التوراة مع الشرائع السابقة، ومع الشريعة الإسلامية في القرآن الكريم، فهي أيضاً من مبادئها الأساسية الكبرى، لاشتمالها على المصالح العامة في كل زمان ومكان.

وبهذا أكَّد تعالى أنَّ مصدر الشريعتين واحد، وأنّه تعالى كما أنزل التوراة، وشرع ما فيها من أحكام، أنزل أيضاً القرآن الكريم، وشرع ما فيه من أحكام، وجعل شريعة القرآن الكريم ناسخة لكل الشرائع السابقة عليها، وكلَّف جميع الناس بالتزامها.

ولا تزال الآيات الكريمات تعدِّد قبائح أسلاف اليهود ممّا ينادي باستبعاد إيمان أخلافهم، فيذكِّر تعالى يهود المدينة إذ أخذ سبحانه على آبائهم العهد ليتمسكوا به، وأمرهم بأوامر وشرائع هي من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة.

أ) الميثاق العام: الآية/٨٣/

المفردات اللغوية:

لا تعبدون: خبر بمعنى النهي؛ و "العبادة" معناها: الذل، والخضوع؛ مأخوذة من قولهم طريق مُعبَّد _ أي مذلَّل. **إحساناً**: تحسنون إلى الوالدين إحساناً، أي براً. **وذي القربى**: صاحب القربى من جهة الرحم، أو العصب. **حسناً**: أي وقولوا للناس قولاً حسناً؛ والقول الحسن يشمل: الحسن في هيئته: أن يكون باللطف، واللين؛ وفي معناه: بأن يكون خيراً. **توليتم**: أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ وفائدته: إدخال الموجودين في عهد النبي في هذا الحُكم؛ أي التولّي. **وأنتم معرضون**: أي توليتم في إعراض.

المعنى الإجمالي:

واذكر يا رسول الله لهؤلاء اليهود إذ أخذ الله الميثاق على آبائهم، وأمرهم بأوامر كان عليهم القيام بها حق القيام ولكنهم أعرضوا وتولّوا. وقد قدمت الآيات الأوامر الإلهية مرتبة حسب الأهمية، فبدأت:

بالأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن الشرك وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها. فهذا حق الله تعالى على عباده.

ثمَّ ذكرت المبدأ الثاني، وهو تقوية الروابط الأسريَّة والاجتماعيَّة، وفي هذا تفصيل لِما مرَّ معنا في أول السورة على وجه الإجمال عند قوله تعالى في صفات المنافقين: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، وقد بدأت بأهمِّها:

- وهو الإحسان إلى الوالدين: وهذا يعمُّ كلَّ إحسان قولي أو فعلي. ويؤخذ من مفهوم الآية النهي عن الإساءة إليهما؛ لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده.
- ثم الإحسان إلى الأقرباء؛ ويشمل القرابة من قِبَل الأم؛ ومن قبل الأب؛ لأنَّ فيه صلة الأرحام.
- والإحسان إلى اليتامى لقصورهم.
- والإحسان إلى المساكين لضعفهم.
- والأمر بالإحسان لجميع الناس. ومن الإحسان لهم: الكلام الطيِّب، لين الجانب، إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله:" ولّما كان الإنسان لا يسع النّاس بماله، أمره بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق وهو الإحِسان بالقول". **وقد جمعت الآية بين طرفي الإحسان القولي، والفعلي.**

- ثم إقامة الصلاة التي هي عماد الدين وصلة الوصل بالله تعالى، وهي متضمنة للإخلاص للمعبود.
- وإيتاء الزكاة الواجبة، وهي متضمِّنة الإحسان إلى العبيد.

ثم بيَّن تعالى إعراضهم عن العمل بالميثاق وتوليهم عنه وتركهم اتباعه، إلَّا قليلاً من أسلاف اليهود الذين أقاموا التوراة على وجهها قبل النسخ، وكذلك من الأخلاف من أسلم منهم، كعبد الله بن سلام وغيره. **وهذا كله ليُبين الله تعالى** لرسوله ﷺ انقطاع الأمل في إيمان اليهود المعاصرين له؛ لأنهم يتوارثون عادة التطبع بقبائح أسلافهم، فهي تمنعهم من الهدى والرشاد.

قال ابن سعدي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

"كان توليهم على وجه الإعراض؛ لأنَّ المتولي قد يتولى وله نيّة رجوع إلى ما تولى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبة رجوع.. فنعوذ بالله من الخذلان. **وقوله تعالى:** ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾؛ استثناء لبعض المخلصين المحافظين على الحق، والحكمة من هذا الاستثناء عدم بخس المحسنين حقهم. **وفيها بيان** أنَّ وجود القلائل من الصالحين في الأمة لا يمنع عنها العقاب إذا فشا فيها الفساد وعمّ البلاء. **وافقهوا يا مسلمين**. ا. هـ.

من هداية الآيات:

١- بيان عظمة الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا ﴾؛ لأنّ الضمير هنا للتعظيم؛ وهو سبحانه وتعالى العظيم الذي لا أعظم منه.

٢- أنّ التوحيد جاءت به الرسل جميعاً؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾، وأنّ العبادة خاصّة بالله تبارك وتعالى؛ فلا يُعبد غيره؛ لأنّ هذا يُفيد الحصر.

٣- وجوب الإحسان إلى كلّ مَن ذكر الله تعالى في الآية الكريمة.

٤- أنَّ الصلاة، والزكاة مفروضة على مَن كان قبلنا.

٥- أنَّ التولِّي قد يكون بإعراض، وقد يكون بغير إعراض، ولكن المتولِّي المُعرض أشدّ من المتولّي غير المعرض.

٦- بيان كمال عدل الله سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾.

ب) الآيات: ٨٤- ٨٦

ميثاق الله ﷻ على بني إسرائيل:(الميثاق الخاص)

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ..﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

المفردات اللغوية:

تسفكون دماءكم: تريقونها بقتل بعضكم بعضاً. **ولا تخرجون أنفسكم من دياركم:** لا يخرج بعضكم بعضاً من داره. **ثم أقررتم وأنتم تشهدون:** قبلتم ذلك الميثاق، وشهدتم به. **تقتلون أنفسكم:** يقتل بعضكم بعضاً. **تظاهرون:** أي تعينون من يعتدي على بعضكم في عدوانه. **بالإثم:** بالمعصية أو الذنب: وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم أو اللوم. **والعدوان:** الظلم والاعتداء. **أسارى:** أسرى جمع أسير، أي مأسورين. **تفادوهم:** تنقذوهم من الأسر بالفداء من مال أو غيره، وهو مما عُهد إليهم. **خزي:** هوان وذل.

المعنى الإجمالي:

وكذلك من الميثاق المأخوذ على اليهود في الكتاب المقدس:

- أن لا يسفك بعضهم دماء بعض؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾؛ فالقتل وسفك الدماء بغير حق حرام في جميع الشرائع السماويّة.

- أن لا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم؛ ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾؛ لأنّ الإخراج من الوطن شاقّ على النفوس؛ وربَّما يكون أشقّ من القتل.
- إذا وجدوا أسيراً منهم وجب عليهم فداؤه.[وهذا في كتابهم وشريعتهم].

فأقرَّ **اليهود** بهذا الميثاق واعترفوا به، ثم هم بعد ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فيتقاتلون، ويشرِّد بعضهم بعضاً، ثم يفادون أسراهم بعد ذلك، ولمَّا كان الإخلال بالعهد من صفات الكافرين والمنافقين فقد استحقوا العقاب والتوبيخ فأخزاهم الله في الدنيا بتسليط رسوله عليهم فقتل من قتل، وسبى من سبى، وأجلى من أجلى، وفي الآخرة عذاب عظيم، وما الله بغافل عن عمل إنسان.

ثمّ أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب، والإيمان ببعضه؛ أنهم توهموا إن هم لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم العار، ولكنَّهم لعنادهم وسَفَههم اختاروا النار على العار، وآثروا الحياة الدنيا _ كالزعامة الفارغة وأخذ المال _ على الآخرة وما فيها من نعيم مقيم، فلا شافع يشفع لهم ولا ولي يدفع عنهم العقاب في جهنم، وهذه الآيات في يهود المدينة، حيث حالف بعض اليهود الأوس. وحالف بعضهم الخزرج؛ فقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾. فكانت خاتمتهم أن قال تعالى فيهم: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

من هداية الآيات:

١- مشروعيَّة تذكير الناس ووعظهم بما يكون سبباً لهدايتهم.

٢- بيان تمرّد بني إسرائيل؛ حيث إنَّهم نقضوا العهد الذي أخذه الله عليهم، فصار بعضهم يقتل بعضاً، ويخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، ويتعالى بعضهم على بعض بالإثم والعدوان.

٣- الأسلوب البليغ في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ وذلك أنّ مثل هذا التعبير فيه الحثّ على اجتناب ما نُهي عنه، وكأنَّ الذي اعتدى على غيره قد اعتدى على نفسه.

٤- أنَّ الكفر ببعض الشريعة كفر بجميعها؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

ويتفرَّع على هذه الفائدة:

- تحذير أمّة الإسلام أن تتعرَّض لخزي الدنيا، وعذاب الآخرة بتطبيقها بعض الشريعة، وإهمالها البعض الآخر.
- كفر مَن يتخيَّر أحكام الشرع، فيعمل ما يوافق مصالحه وهواه، ويُهمل ما لا يوافق.
- توبيخ من اختار الدنيا على الآخرة؛ وهو مع كونه ضلالاً في الدين، فهو سفه في العقل؛ إذ إنَّ الدنيا متاع قليل، ثمَّ يزول؛ والآخرة خير وأبقى.

مسألة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: هذا الذي قصَّه الله تعالى علينا من أخبار بني إسرائيل مضمونه التحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه، ولكن مع الأسف أنَّ بعض هذه الأمَّة وقعوا في جنس ما وقع فيه بنو إسرائيل؛ وهذا مصداق قول النبي ﷺ: "**لتركبنَّ سنن الذين من قبلكم حذو القذَّة بالقذَّة...**"

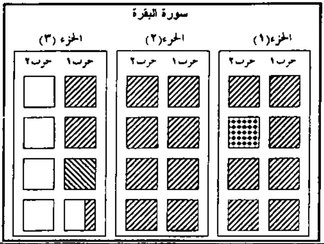

الجزء/الأول/الحزب/الثاني/ الربع الثاني: الآيات: ٨٧ – ١٠٥

أولاً: موقف اليهود من الرسل والكتب، وكفرهم بما أنزل الله على محمد ﷺ وقتلهم الأنبياء الآيات: ٨٧–٩٦

أ) تكذيب الرسل وقتلهم: الآيات. ٨٧–٨٨

من قوله تعالى.﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾. إلى قوله تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ...﴾.

ب) التعصب والحسد الآيات ٨٩–٩١

من قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾إلى قوله تعالى:﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾

ج) تكذيب ادعائهم الإيمان بالتوراة: الآيات: ٩٢–٩٣

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾وقوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾

د) حجة الله لنبيه بمباهلة اليهود لبيان كذبهم و فضح أحبارهم و علمائهم: الآيات:٩٤ –٩٦

من قوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾إلى قوله ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾

ثانياً: موقف اليهود من الملائكة. الآيات. ٩٧–٩٨

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾. وقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ﴾

ثالثاً. موقف اليهود من القرآن، ودأبهم على نقض العهود و إعراضهم عما جاء في التوراة من البشارة بالرسول ﷺ الآيات:٩٩ – ١٠١

من قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾إلى قوله تعالى.﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾

رابعاً: اشتغال اليهود بالسحر واتباعهم الشياطين الآيات ١٠٢– ١٠٣

قوله تعالى:﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ وقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ ﴾

خامساً: تأديب وتحذير: الآيات: ١٠٤ – ١٠٥

قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾

وقوله تعالى:﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

الجزء الأول – الحزب الثاني – الربع الثاني

حسب القرآن: الآيات: ٩٢ – ١٠٥

من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ... ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٨٧ – ١٠٥

من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ... ﴾ .

المعاني الرئيسة

اولا: الآيات: ٨٧ – ٩٦

موقف اليهود من الرسل والكتب، وكفرهم بما أنزل الله على محمد ﷺ، وقتلهم الأنبياء.

انتقلت الآيات من بيان مواقف اليهود بعضهم من بعض، إلى بيان مواقفهم من رسلهم وأنبيائهم.

وقد تضمَّن هذا الربع المعاني التالية:

١) الآيات: ٨٧– ٨٨

تكذيب الرسل وقتلهم

من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ... ﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.

المفردات اللغوية:

وقفينا: أتبعناهم رسولاً إثر رسول على منهاج واحد. **البينات**: الآيات الظاهرات في الدلالة على صدقه، وصحة رسالته؛ وهذا من باب إطلاق الصفة على الموصوف؛ وهذه الآيات البينات تشمل الآيات الشرعية، كالشريعة التي جاء بها؛ والآيات الكونية؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص. **وأيدناه**: قويناه. **بروح القدس**: جبريل عليه السلام. **لا تهوى**: لا تريد. **استكبرتم**: تكبرتم عن اتباعه. **غلف**: عليها أغشيه وأغطية، فلا تعي ما تقول. **بل لعنهم الله**:**"بل"** للإضراب الإبطالي _ أي أن الله تعالى أبطل حجتهم هذه، وبيَّن أنه تعالى طردهم، وأبعدهم عن رحمته. **بكفرهم**: أي بسبب كفرهم.

المعنى الإجمالي:

تذكِّر الآيات الكريمات اليهود بامتنان الله عليهم بأن أرسل لهم كليمه موسى ﷺ، ثم تابع بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ﷺ، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، وقوّاه وأعانه بجبريل ﷺ، ثم مع هذه النعم التي لا يُقَدَّر قَدْرها، كلما جاءهم رسول بما لا تميل إليه نفوسهم، كفروا به، واستكبروا عليه، وقدَّموا الهوى على الهدى. فمنهم من كذبوه، ومنهم من قتلوه، واعتذروا عن الإيمان بالرسول ودعوته؛ بأن قلوبهم مغلفة لا تصل إليها دعوة الرسل؛ وهذه حجة باطلة؛ فقلوبهم كسائر قلوب بني آدم تسمع وتفقه، ولهذا استحقوا الطرد والإبعاد عن رحمة الله بسبب قلة المؤمنين منهم وكثرة الكافرين.

من هداية الآيات:

١- أنَّ الملائكة من جملة تسخيرهم للخلق أنَّهم يؤيِّدون مَن أَمَرهم الله بتأييده؛ ولهذا دعا النبي ﷺ لحسان بن ثابت ﷺ: "**اللهم أيِّده بروح القدس**"

٢- بيان عتوّ بني إسرائيل، واستكبارهم، وأنَّهم لا يريدون الحقّ؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾.

٣- أنَّ من استكبر عن الحقِّ إذا كان لا يوافق هواه من هذه الأمة فهو شبيه ببني إسرائيل.

٤- أنَّ القلوب بفطرتها ليست غلفاء، وأنَّ الفطرة من حيث هي فطرة تقبل الحق، ولكن يوجد لها موانع تمنعها من الهدى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾.

٥- بيان أنّ الأسباب مهما قويت إذا غلب عليها المانع لم تؤثّر شيئاً؛ فالقلوب وإن كانت مفطورة على الدين القيم لكن إذا وجدت الموانع لم تتمكن من الهدى؛ وقد قيل: إنّ الأمور لا تتمّ إلا بوجود أسبابها، وانتفاء موانعها.

ب) الآيات: ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١

التعصب، والحسد

من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ...﴾.

المفردات اللغوية:

كتاب من عند الله مصدق لما معهم: الكتاب هو القرآن؛ ونكَّره هنا للتعظيم؛ مصدق لما معهم من التوراة، والإنجيل. **يستفتحون:** يستنصرون ببعثته ﷺ على الكفار، يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان. **ما عرفوا:** من الحق، وهو بعثة النبي. **كفروا به:** حسداً وخوفاً على الزعامة، أو الجاه. **بئسما اشتروا به أنفسهم:** "بئس" فعل ماض لإنشاء الذَّمِّ، " اشتروا" اختاروا لأنفسهم. **بما أنزل الله:** من القرآن. **بغياً:** مفعول لأجله، و "البغي" فسره كثير من العلماء بالحسد؛ وقد يكون أخص من الحسد؛ لأنه بمعنى العدوان. **فباءوا بغضب:** "باءوا" رجعوا؛ والغضب أشد من اللعن؛ والمعنى: فرجعوا وانقلبوا مصطحبين لغضب من الله سبحانه وتعالى، ونكرَّ "غضب" للتعظيم. **بما وراءه وهو الحق:** **"بما وراءه"** أي القرآن؛ **"وهو الحق"** حال كونه حقاً. **مصدقاً:** حال ثانية مؤكدة.

المعنى الإجمالي:

تعجب من حال هؤلاء اليهود الذين كانوا ينتظرون بعثة النبي ﷺ، وكانوا أيضاً يستنصرون به على أعدائهم؛ لكن لمّا جاءهم ما كانوا يعرفونه _ من صفاته المذكورة عندهم في التوراة _ كما يعرفون أبناءهم كفروا به؛ فاستحقوا بذلك لعنة الله وغضبه عليهم غضباً بعد غضب لكثرة كفرهم وتوالي شكهم وشركهم. وفي الآخرة عذاب أليم موجع؛ وهو صلْيُ الجحيم وفوات النعيم المقيم.

فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به وبكتبه وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم.

هؤلاء اليهود المكذبون بالرسل، الكافرون بالكتب، كلما دعاهم الرسول ﷺ للإيمان بالقرآن استكبروا وعتوا وادّعوا الإيمان بما سواه من الكتب مع أن الواجب أن يؤمنوا بما أنزل الله مطلقاً، سواء أنزل عليهم أو على غيرهم؛ لأنه كله من عند الله؛ ولأنه لا ينبغي التفريق بين الرسل والكتب، وهذا الذي فعلوه ليس بإيمان بل هو الكفر بعينه، ولكنه تعصب اليهود واتباع الهوى، فهم كاذبون في دعواهم بالإيمان بالتوراة؛ لأن فيها تحريم القتل، فلمَ قتلوا أنبياءهم إن كانوا بالتوراة مؤمنين؟!.

من هداية الآيات:

١- أنَّ القرآن من عند الله ﷻ. وأنَّه كلامه تكلَّم به حقيقة؛ لقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ .

٢- أنَّ اليهود كانوا يعرفون أنَّ النبي ﷺ سيُبعث وتكون له الغلبة؛ ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ولمَّا جاءهم الرسول الذي كانوا يستفتحون به كفروا به؛ فدلّ ذلك على عتوهم،وعنادهم.

٣- أنَّ الكافر مستحقّ للعنة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

٤- أنَّ كفر بني إسرائيل ما هو إلَّا بغيٌ، وحسد؛ ﴿ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ .

٥- أنّ بعض الناس اغترَّ بما آتاه الله من العلم، فيتعالى في نفسه، ويتعاظم حتى إنه ربما لا يقبل الحق؛ فحرم فضل العلم في الحقيقة؛ لقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ .

٦- إثبات المشيئة لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ وهي عامَّة فيما يحبّه الله، وما لا يحبّه؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ وكلّ شيء علّق بالمشيئة فهو مقرون بالعلم، والحكمة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾؛ فليست أفعال الله وأحكامه لمجرَّد المشيئة؛ بل هي لحكمة بالغة اقتضتها المشيئة.

٧- أنَّ العقوبات تتراكم بحسب الذنوب جزاءً وفاقاً، وأنَّ المستكبر يعاقب بنقيض حاله؛ لقوله تعالى: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

٨- إثبات الغضب لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴾ والغضب من صفات الله الفعلية المتعلِّقة بمشيئته ﷻ؛ وهكذا كل صفة من صفات الله ﷻ الفعلية تكون على سبب.

٩- جرأة اليهود على قتل الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

جـ) الآيات:٩٢-٩٣

تكذيب ادعائهم الإيمان بالتوراة

من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

بالبينات: الباء للمصاحبة، "البينات" الآيات والعلامات الدالة على رسالته؛ ومنها: العصا، والحجر، واليد، وفلق البحر. **ثم اتخذتم العجل:** جعلتموه إلها معبوداً. **من بعده:** من بعد ذهاب موسى إلى الميقات. **وأنتم ظالمون:** والحال أنكم ظالمون باتخاذه؛ و"ظالمون" معتدون؛ وأصل الظلم النقص؛ وسمي الظلم عُدواناً؛ لأنه نقص في حق المعتدى عليه. **بقوة:** بجد، ونشاط؛ فالجِدّ: العزيمة الثابتة؛ والنشاط: القُوَّة في التنفيذ. **وأشربوا في قلوبهم العجل:** أي جُعل هذا الحب كأنه ماء سقي به القلب؛ أي خالط حبّ العجل قلوبهم، كما يخالط الشراب الجسد. **بئسما يأمركم به إيمانكم:** أي بئس شيئاً يأمركم به إيمانكم عبادة العجل؛ يعني: إذا كان عبادة العجل هو مقتضى إيمانكم فإن إيمانكم قد أمركم بأمر قبيح؛ أو أين إيمانكم وأنتم قد أشرب في قلوبكم العجل؟! **إن كنتم مؤمنين:** بالتوراة، كما زعمتم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين حقيقة فكيف يأمركم إيمانكم بهذا العمل القبيح!!.

المعنى الإجمالي:

أقامت الآيات الحجة والبرهان على عناد اليهود؛ وذلك أنَّه قد جاءهم موسى بالعلامات الدالة على رسالته، والتي تبيِّن صدقه، وتوجب عليهم طاعته واتِّباعه، ومنها: اليد، والعصا، والحجر، وفلق البحر، والمنّ والسَّلوى، وتظليل الغمام، والجراد، والسنون، والقمّل، والضفادع، والدم، ولكنَّهم ما لبثوا حينما غاب عنهم لميقات ربه ﷻ أن اتخذوا العجل إلهاً عبدوه من دون الله، سفاهةً وظلماً، وجحوداً لنعم الله.

ثمَّ ذكَّرتهم الآيات الكريمات بأنَّ الله قد أخذ عليهم الميثاق بالسمع والطاعة، ورفع جبل الطور فوق رؤوسهم تحذيراً وتهديداً لهم ليأخذوا أوامر الله بحزم وجَدّ، ولكنهم قالوا: سمعنا بألسنتهم، وعصَوا بأفعالهم وسلوكهم، وكل ذلك بسبب امتزاج حبّ عبادة العجل بقلوبهم ونفوسهم. فأيَّ إيمان يدّعون؟!! وهم على ما هم عليه، وأنّى لهم الإيمان؟! فإن كان هذا إيماناً على زعمهم، فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان، والكفر برسل الله، وكثرة العصيان.

من هداية الآيات:

١- إقامة البرهان على عناد اليهود، وبيان سفههم، وغباوتهم، لاتّخاذهم العجل إلهاً مع أنّهم هم الذين صنعوه. وأنّهم عبدوه عن ظلم لا عن جهل؛ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾.

٢- وجوب تلقي شريعة الله بالقوّة دون الكسل والفتور؛ لقوله تعالى: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾.

٣- أنَّ السمع نوعان: سمع استجابة، وسمع إدراك؛ مثال الأول، قوله تعالى: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا ﴾. ومثال الثاني، قوله تعالى: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾.

٤- أنَّ المؤمن حقّاً لا يأمره إيمانه بالمعاصي؛ لقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

فائدة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: إنّ الشرّ لا يسنده الله تعالى إلى نفسه؛ بل يذكره بصيغة المبني لِما لم يُسَمَّ فاعله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾؛

ولهذا نظير من القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن:١٠)؛ والنبي ﷺ يقول: "**والشَّرُّ ليس إليك**"؛ فالشر في المفعول _ لا في الفعل؛ والخير والشر كل من خلق الله تعالى؛ لكن الشر بالنسبة لإيجاد الله له هو خير، وليس بشر؛ لأن الله سبحانه ما أوجده إلّا لحكمة بالغة، وغاية محمودة- وإن كان شراً - لكن الشر في المفعولات؛ أرأيت الرجل يكوي ابنه بالنار- والنار مؤلمة محرقة- لكنه يريد أن يُشفى- فهذا المفعول الواقع من الفاعل شر مؤلم لكن غايته محمودة - وهو شفاء الولد؛ فيكون خيراً باعتبار غايته.

د) الآيات:٩٤ – ٩٦

حجة الله لنبيه بمباهلة اليهود لبيان كذبهم، وفضح أحبارهم وعلماءهم

من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ .

ملاحظة: هذه الآيات امتحان لمعرفة صدق إيمان اليهود الذين كانوا بين ظهراني المؤمنين ودحض دعاويهم الباطلة.

المفردات اللغوية:

خالصة: خاصة بكم. **أحرص الناس**: "الحرص" الطمع في الشيء مع الإشفاق من فواته؛ أو: الطلب بشره. **على حياة**: على طول العمر، لما يعلمون من مآلهم السيّء، وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر؛ ونكَّر "حياة" ليفيد أنهم حريصون على أيِّ حياة كانت _ وإن قلَّت. **يودُّ**: "الودّ" خالص المحبة. **لو يعمر**: لو يطول عمره ويزداد. **مزحزحه**: مبعده؛ ومانعه.

المعنى الإجمالي:

تتوجه الآيات بالخطاب لرسول الله ﷺ أن يدعو اليهود الحاضرين - بعد أن علموا أحوال رؤسائهم السالفين - للمباهلة لإثبات صدق دعواهم؛ بأن الجنة لهم كما زعموا، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات، وأنهم شعب الله المختار. ولكنهم امتنعوا عن الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين، لمّا تيقنوا صدق الرسول فنكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم.

ولهذا بيّن الله سبحانه وتعالى حرصهم على الحياة وأنها عزيزة عظيمة عندهم لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، ومهما طال عمرهم فلا نجاة لهم من العذاب الأليم، والله عليم بخفيات أعمالهم وبما يصدر منهم، وهو مجازيهم بها ويعاقبهم عليها.

من هداية الآيات:

١- بيان صدق ما جاء به الرسول ﷺ، وبطلان ادِّعاءات اليهود ومزاعمهم، وذلك لنكوص اليهود عن المباهلة بتمني الموت؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾.

٢- أنَّ الكافر يكره الموت لِما يعلم من سوء العاقبة؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣- أنّ طول العمر لا يفيد المرء شيئا إذا كان في معصية الله؛ ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾.

ثانياً: الآيات: ٩٧– ٩٨

موقف اليهود من الملائكة

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

المفردات اللغوية:

من كان عدوّاً: العدو: ضد الصديق، يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والمثنى والجمع؛ والمعنى: من كان عدوّاً لجبريل عليه السلام فلا موجب لعداوته إلّا أنه نزَّل القرآن على قلبك _ أي النبي ﷺ؛ وهذا الوصف يقتضي ولايته – لا عداوته. **وهدى**: ودلالة. **وبشرى**: بَشَارة. **وجبريل وميكال**: عطف على الملائكة؛ من عطف الخاص على العام؛ وعطف الخاص على العام يدل على شرف الخاص. **فإن الله عدو للكافرين**: ولم يقل: لهم؛ من باب الإظهار في موضع الإضمار؛ لفوائد منها: الحكم على مَن كان عدوا لله ومَن ذُكر، بأنه يكون كافراً؛ ولبيان العلة: _ وهي هنا: الكفر.

المعنى الإجمالي:

تكلمت الآيات عن معاداة اليهود لبعض الملائكة _كجبريل عليه السلام_ لزعمهم أنه لو كان غيره من الملائكة هو الذي نزل بالقرآن لآمنوا بالرسول، ولكنه تناقض وتكبر على الله؛ لأنَّ جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على قلب النبي ﷺ بأمر الله وإذنه، وهو الذي نزل على الأنبياء من قبل، وهذا الوصف يقتضي ولايته لا عداوته، وأنّ

هذا القرآن موافق لِما تقدّمه من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل الداعية إلى توحيد الله والإيمان به وبرسله وملائكته، وهو هدايةٌ من الضلالة، وبَشارةٌ بالخير الدنيوي والأخروي لِمن آمن وقبِل حكم الله وشرعه، وأذعن له وخضع.

ثم أكّدت الآيات أنَّ من عادى الله بالاستكبار عن عبادته، وعادى ملائكته بكراهة العمل بما ينزلون به من وحي، وعادى أنبياءه بتكذيبهم في دعوى الرسالة، فقد عادى الله، وهذا كفر، فيستحقُّ بذلك عداوة الله تعالى.

من هداية الآيات:

١- أنَّ القرآن بشرى للمؤمنين؛ وعلامة ذلك أنَّ الإنسان ينتفع به؛ فإذا وجد العبد نفسه منتفعاً به حريصاً عليه، تالياً له حق تلاوته، فهذا دليل على الإيمان، فتناله البشرى، وكلّما رأى العبد من نفسه كراهة القرآن، أو كراهة العمل به، أو التثاقل في تطبيقه، فليعلم أنه إمَّا هو فاقد للإيمان، أو أنّ إيمانه ناقص.

٢- أنَّ من عادى الله فهو كافر. وكل كافر فإنَّ الله عدوٌّ له؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

٣- إثبات الإذن لله تعالى؛ لقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وهو على نوعين: كوني، وشرعي.

٤- إثبات صفة العداوة من الله _ أي أنَّ الله يعادي؛ وهي صفة فعليَّة كالرضا، والغضب، والسخط؛ و"المعاداة" ضدها الموالاة الثابتة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. (البقرة: الآية ٢٥٧).

ثالثاً: الآيات: ٩٩- ١٠١

موقف اليهود من القرآن﴿٩٩﴾ ودأبهم على نقض العهود﴿١٠٠﴾ وإعراضهم عمّا جاء في التوراة من البَشارة بالرسول محمد ﷺ ﴿١٠١﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ...﴾
إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾

المفردات اللغوية:

آيات بينات: علامات ودلائل واضحات. **الفاسقون:** الخارجون عن شريعة الله تعالى؛ والمراد به هنا الفسق الأكبر. **نبذه:** "النبذ" الطرح بشدة؛ والمراد نقضه، وهو جواب كلما، وهو محل الاستفهام الإنكاري. **بل:** للإضراب الانتقالي؛ للانتقال من وصف نقض العهد ونبذه، إلى وصف عدم الإيمان. **أوتوا الكتاب:** جماعة من الذين أُعطوا الكتاب؛ و"أل" في "الكتاب للعهد الذهني؛ وهو بالنسبة لليهود التوراة؛ وبالنسبة للنصارى الإنجيل. **كتاب الله:** أي القرآن. **وراء ظهورهم:** أي رموه بشدّة وراء الظهر؛ وهو عبارة عن الانصراف التام عنه؛ وعبَّر بالرمي وراء الظهر؛ لأنه أبلغ في التولي، والإعراض عنه، وعدم الرجوع إليه؛ ولأن الشيء إذا خُلِّف وراء الظهر فإنه لا يُرجع إليه. **كأنهم لا يعلمون:** ما في التوراة من أنه نبي حق، أو أنها كتاب الله.

المعنى الإجمالي:

يقسم الحق ﷻ أنَّه قد أنزل على رسوله محمد ﷺ دلائل وعلامات واضحات لا لبس فيها تدل على صدق رسالته، وبها تحصلُ الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند، وهي من الوضوح والدلالة على الحق قد بلغت مبلغا عظيما،

ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلَّا مَن خرج عن أمر الله وطاعته، وهؤلاء اليهود قد تمرَّدوا وخرجوا عن طاعة الله، حتى أنَّهم كلَّما أخذ الله تعالى عليهم الميثاق والعهد طرحه جماعة منهم، ونقضوه، ولم يَفوا به؛ وذلك لأنَّ أكثرهم لا يؤمنون، فنفى سبحانه الإيمان عن أكثرهم؛ لأنَّ المؤمن حقيقة لا بد أن يفي بالعهد.

ولهذا لَمَّا جاءهم خاتم الأنبياء محمد ﷺ ـ الذي أخبرت عنه التوراة ـ، برسالة القرآن الكريم، كان عليهم أن يفرحوا بهذا؛ لأنه مؤيِّد لما معهم؛ ولكنّ الأمر كان على العكس من ذلك!!! فقد طرح جماعة من أهل الكتاب هذا القرآن الكريم وراء ظهورهم رغبة عنه؛ و فعلهم هذا كان أبلغ في الإعراض والتولِّي؛ كأنَّهم من الجاهلين، وهم في الحقيقة يعلمون صدقه وحقيقة ما جاء به، وبهذا تبيَّن أنّ هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء، حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون.

من هداية الآيات:

١ - أنَّ اليهود لا يوثق منهم بعهد؛ لأنهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم. وأنَّ منهم من لم ينبذ كتاب الله وراء ظهره؛ بل آمن به كالنجاشي من النصارى، وعبد الله بن سلام من اليهود.

٢ - أنَّ من نبذ العهد من هذه الأمة فقد ارتكب محظورين: النفاق، ومشابهة اليهود.

٣ - شدة كراهية اليهود للقرآن، واستهانتهم به، حيث نبذوه وراء ظهورهم.

رابعاً: الآيات: ١٠٢– ١٠٣

اشتغال اليهود بالسحر واتباعهم الشياطين

من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾.

وجه الربط:

قال ابن سعدي رحمه الله: لمّا كان من الفوائد القدسية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع، ابتُلي بالانشغال بما يضره. فمن ترك عبادة الرحمن، ابتُلي بعبادة الأوثان. ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله، وخوفه ورجائه. ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد. ومن ترك الحق، ابتلي بالباطل.

وكذلك اليهود لمّا نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين. وكلٌّ يصبو إلى ما يناسبه.

المفردات اللغوية:

ما تتلوا: ما تَتْبَعه الشياطين، وتأخذ به. **على ملك سليمان:** أي في عهده. **وما كفر سليمان:** أي بتعلُّم السحر؛ أو تعليمه. و"السحر" لغة: كل شيء خَفِيَ سببه، ولَطُف؛ ومنه قول الرسول ﷺ: **"إن من البيان لسحراً"**؛ لأن البيان يجذب النفوس، والأسماع حتى إن الإنسان يجد من نفسه ما يشده إلى سماع هذا البيان، والتأثر به، فيسحر الناس؛ لكن ليس هو السحر الذي ورد ذمّه؛ وإنما المراد

بالسحر المذموم: عُقَد، ورُقى ينفث فيها الساحر، فيؤثر في بدن المسحور، وعقله؛ وهو أنواع: منه ما يقتل؛ ومنه ما يمرض؛ ومنه ما يزيل العقل، ويخدّر الإنسان؛ ومنه ما يغير حواس المرء، بحيث يسمع ما لم يكن، أو يشاهد الساكن متحركاً،؛ ومنه ما يجلب المودة؛ ومنه ما يوجب البغضاء. **فتنة**: اختبار وابتلاء. **خلاق**: نصيب وحظ. **شروا**: باعوا. **المثوبة**: و**"الثواب"** بمعنى الجزاء؛ وسمي بذلك؛ لأنه من ثاب يثوب: إذا رجع؛ لأن الجزاء كأنه عَمَلُ الإنسان رجع إليه، وعاد إليه منفعته، وثمرته.

المعنى الإجمالي:

توبيخ من الله تعالى لأحبار اليهود الذين نبذوا التوراة وأعرضوا عنها؛ لأنها تدل على نبوة محمد ﷺ، واشتغلوا بصناعات وأعمال صادَّة عن الأديان، من صنع شياطين الإنس والجن، وهي السحر والشعوذة التي نسبوها إلى سليمان عليه السلام، وزعموا أنَّ ملكه كان قائماً عليها، وهذه أباطيل، وعند اليهود _ قاتلهم الله _ أنَّ سليمان عليه السلام مِلك فقط. وهو ولا ريب ملِك عليه السلام، ونبيٌّ، ورسول، ومعصوم من السحر، لذا كذَّبهم الله تعالى، وبرَّأه بقوله: "وما كفر سليمان" أي: لم يتعلَّم السحر، ولا علَّمه، وأنَّ الذي كفر هُمُ الشياطين وذلك باستعمال السحر وتعليمه للناس.

فهؤلاء اليهود أخذوا السحر عن الشياطين، وعمَّا أنزله الله تعالى على المَلَكين هاروت وماروت؛ (وهما اسمان أعجميَّان لهذين المَلَكين الكريمين) اللذين أرسلهما الله بشيء من السحر يعلِّمانه للناس ابتلاءً واختباراً؛ ليتبيَّن من يريد

السحر ممن لا يريده؛ لأنّ تعلُّم السحر وتعليمه كفر بدليل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ؛ فهما ينصحاه ويبيِّنا له أن السحر كفر.

ثم ذكر تعالى أنَّ من مفاسد السحر وأضراره، ما يُفَرَّق به بين الزوج وزوجه؛ وهو ما يسمَّى بسحر "الصرف"، ولكنَّ الذين يتعلَّمون السحر لمضارّة الناس لا يضرَّون به من أحد إلَّا بإذن الله ومشيئته، وهم في الحقيقة يتعلَّمون ما فيه مضرَّة محضة لا نفع فيها، وهم بهذا لا يضرُّون إلّا أنفسهم؛ لأنّ العمل بالسحر كفر، والكافر لا نصيب له في الآخرة، وتالله لقد علم اليهود بأنّ مَن ترك كتاب الله، واستبدل به كتب السحر، ما له في الآخرة إلَّا العذاب الأليم، فلبئس ما باعوا به أنفسهم بما اختاروه لها، ولو كانوا ذوي علم نافع ما اشتروا هذا العلم الذي يضرهم ولا ينفعهم. وما أوسع حلم الله تعالى عليهم، حيث يعرض عليهم الإيمان بما أنزل، والاستسلام لأحكام دينه وشرعه، حتى ينالوا الثواب العظيم من عنده سبحانه، وما عنده تبارك وتعالى من المثوبة خير من الدنيا وما فيها، ولكنّ هؤلاء اليهود أنزلوا أنفسهم منزلة الجاهل لَّما اختاروا الكفر بتعلّم السحر على ما عند الله جلَّ في علاه من المثوبة العظيمة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

الملكان أحدهما هاروت، والثاني ماروت، أنزلها الله ﷻ إلى الأرض لاختبار النّاس، يعلمان النّاس السحر بأمر الله ﷻ، ولكنهما؛ ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ فيتعلم الناس منهما على بصيرة وعلى علم، يتعلمون

ما يفرقون به بين المرء وزوجه من السحر، وهو ما يسمَّى بالعطف والصَّرف، وهو نوع خبيث من أنواع السحر؛ ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾. مع أن هذين الملكين يعلمان الناس ويقولان: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾؛ وهذا من اختبار الله ﷻ لعباده فيتعلمون من السِّحر ما هو ضرر لهم في دينهم ودنياهم، ولا ينفعهم، ولو قُدِّر أنهم انتفعوا به في الدنيا فإن ضرره أكبر من نفعه، لقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ ؛ فمن أصَرَّ على تعلُّمه فليس له في الآخرة نصيب، ذلك لأنه أتى الكفر، فلبئس ما باع به نفسه، وهو هذا السحر الذي تعلمه.

من هداية الآيات:

١- أنّ اليهود **اخذوا** السحر عن الشياطين، وأنّ السحر من أعمال الشياطين؛ ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ .

٢- أنَّ الله سبحانه وتعالى سخَّر الشَّياطين لسليمان ﵇، وأنَّ الشياطين كانوا يأتون السحر على عهده مع قوة سلطانه عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ .

٣- أنَّ سليمان ﵇ لا يقرّ ذلك؛ لأن الأنبياء معصومون من الكفر والشِّرك؛ ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ .

٤- أنَّ تعلُّم السحر، وتعليمه، والعمل به كفر؛ ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ .

٥- أنَّ الله قد يسهِّل للناس أسباب المعصية، فتنة للناس _ أي ابتلاءً _، وامتحاناً.

٦- أنَّ من أعظم أنواع السِّحر التَّفريق بين المرء وزوجه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾، وأنَّ ما يقع من تأثير السِّحر إنَّما يقع بأمر الله عزَّ وجلَّ وإرادته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وأنَّه متى لجأ الإنسان لربِّه واستعاذ به فإنَّه يصرف عنه ما نزل به.

٧- أنَّ الأسباب - وإن عظمت - لا تأثير لها إلَّا بإذن الله؛ ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

٨- أنَّ السِّحر ضرر على السَّاحر كما هو ضرر على غيره، وإنْ ظنَّ السَّاحر أنه يكسب من ورائه، فإنَّ هذا الكسب الذي حصده خبيث لا يزيده من الله إلا بعداً ؛ ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ .

٩- أنَّ كفر الساحر كفر مخرج عن المِلَّة؛ لقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ .

١٠- أن اليهود تعلَّموا السحر عن علم بأضراره وتحريمه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ ﴾ .

١١- ذمّ الله تعالى لهؤلاء اليهود بما اختاروه لأنفسهم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

١٢- في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ أنموذج من نماذج سعة رحمة الله وفضله وإحسانه وكرمه؛ فلو تابوا واتقوا لأثابهم على ذلك، وكان ذلك خيراً لهم.

١٣- أنّ صاحب العلم الذي ينتفع بعلمه هو الذي يحذر مثل هذه الأمور؛ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

خامساً: تأديب وتحذير: الآيات: ١٠٤ – ١٠٥

من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ...﴾

المفردات اللغوية:

راعنا: أمر من المراعاة؛ وهي العناية بالشيء، والمحافظة عليه؛ وكان الصحابة إذا أرادوا أن يتكلموا مع الرسول ﷺ قالوا: **"يا رسول الله، راعنا"**؛ أي راعنا سمعك أي اسمع لنا ما نريد أن نسألك عنه أو انظر في مصالحنا وتدبير أمورنا، وكان اليهود يقولون:"يا محمد، راعنا"؛ وكانوا يريدون بها معنىً سيّئاً؛ من الرعونة؛ وهي الجهل والحمق، فنهي المؤمنون عنها. وأمروا أن يقولوا بدلها:﴿انظرنا﴾ أي انظر إلينا، أو انتظرنا وتأنَّ علينا وأمهلنا. **عذاب أليم**: عقوبة مؤلمة.

المعنى الإجمالي:

يخاطب الله تعالى المؤمنين بصفة الإيمان، حثّاً وترغيباً لهم لامتثال أمره، مبيِّناً لهم الأمثل في اختيار اللفظ عند مخاطبة الرسول ﷺ، فقد كان الصحابة إذا أرادوا أن يتكلَّموا مع الرسول قالوا:"يا رسول الله راعنا"؛ من المراعاة، وكان اليهود

يقولون: "يا محمد، راعنا"؛ يريدونها من الرعونة لا من الرعاية، ولمَّا كان اللفظ يحتمل المعنيين نهى الله ﷻ المؤمنين أن يقولوه تأدُّباً، وابتعاداً عن سوء الظنّ؛ ولأنّ من الناس مَن يتظاهر بالإيمان _ مثل المنافقين _ فربما يقول: "راعنا" وهو يريد ما أرادت اليهود، فأمرهم تعالى بكلمة تماثلها في المعنى، وتختلف عنها في اللفظ وهي "انظرنا" التي تفيد معنى الإمهال والإنظار، ثمّ أمرهم سبحانه بالسمع والاستجابة لأوامره ونواهيه، تحذيراً لهم من التشبه باليهود المعاندين الذين استحقوا من الله العذاب الأليم.

ثمَّ كشفت الآيات الكريمات عن شدَّة بغض الكافرين من أهل الكتاب ومن المشركين للمؤمنين، وما تحمله قلوبهم من ضغينة وحسد، حتى أنّهم لا يودّون نزول خير عليهم، لا قليل ولا كثير، من خير الدنيا، والآخرة. ثم بيّن سبحانه أن حسدهم هذا لا يمنع نعم الله، والله العليم الحكيم القدير يختص برحمته الدنيوية والأخروية من يشاء، والله ذو العطاء الواسع الكثير الكبير.

فائدة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هذه أول آية في كتاب الله الكريم موجهة بالنداء بصيغة الإيمان.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ حكم مصدّر بالنداء، ويترتب على تصدير الحكم بالنداء فوائد منها:

- أنّ تصدير الحكم بالنداء يدل على الاهتمام به والعناية به؛ وذلك لأن النداء يتضمن تنبيه المخاطب.

- التوجيه بالنداء بصفة الإيمان من باب الإغراء؛ لأن وصفهم بالإيمان يقتضي أن يقوموا بمقتضى هذا الخطاب الموجه لهم؛ فيكون المعنى: أنَّ من مقتضى إيمانكم أن تنتبهوا لما سيلقى عليكم.
- ثم إنَّ الخطاب بوصف الإيمان يقتضي أن امتثال ذلك من مقتضيات الإيمان، ويقتضي أيضاً أنَّ مخالفته نقص في الإيمان؛ لأن المؤمن يقتضي إيمانه أن يقوم بما أُمر به وأن يدع ما نُهي عنه.

إذاً: الخطاب بهذا الوصف إغراء لقبول ما يأتي بعده تصديقاً به إن كان خبراً، وامتثالاً له إن كان طلباً، أمراً أو نهياً. فعلى هذا يكون معنى النداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي إن كنتم مؤمنين حقا فالأمر كذا وكذا..

والخلاصة: يشتمل الخطاب المصدر بالنداء على أربعة أمور:

١. دليل على الاعتناء به لأنه يوجب الانتباه.
٢. اختيار النداء بوصف الإيمان للإغراء والحثّ على الاهتمام بالأمر.
٣. اختيار وصف الإيمان؛ لأن الامتثال إن كان أمراً، والاجتناب إن كان نهياً، والتصديق إن كان خبراً؛ من مقتضيات الإيمان.
٤. الإعراض عن الأمر أو تركه ورفضه، من منقصات الإيمان.

من هداية الآيات:

١- أنه ينبغي أن يُنادى الإنسان بأحب الأوصاف إليه، وتحريم الخطاب بالكلمات المُحتمِلة للحق والباطل بالنسبة للرسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾

٢- وجوب السمع والطاعة لأوامر الله عز وجل لقوله: ﴿ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ .

٣- أن من كره الخير للمؤمنين عموماً، أو لبعض منهم على سبيل الخصوص فإن فيه شبهاً من اليهود والنصارى والمشركين.

٤- تحريم كراهة نزول الخير للمؤمنين. وكراهة نزول الخير للغير هو الحسد.

٥- بيان ما منح الله تعالى هذه الأمة من الربوبية الخاصة، لقوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وربوبية الله لعباده المؤمنين ربوبية خاصة. **والربوبية نوعان**: عامة وخاصة. **فالعامة**: هي الشاملة لجميع الخلق، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. **والخاصة**: هي الربوبية المضافة للمؤمنين.

٦- أنَّ فضل الله ﷻ قد يُختص لأناس دون آخرين؛ ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

٧- إثبات المشيئة، والرحمة، لله ﷻ لقوله تعالى: ﴿بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

٨- أنه لا يليق بالإنسان أن يطلب الفضل من غير الله، بل يطلبه منه وحده؛ ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٩- في نهي المؤمنين عن هذه الكلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ جواز النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم. وفيها تعليم الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحمل إلا الحق، وعدم الفحش.

١٠-في قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ لم يذكر المسموع؛ ليعمَّ ما أمر باستماعه فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنّة التي هي: الحكمة لفظاً، ومعنىً، واستجابةً.

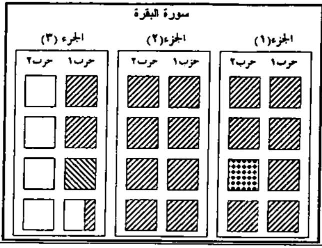

الجزء الأول/ الحزب الثاني/الربع الثالث/ الآيات: ١٠٦- ١٢٣

المعنى الأول: ١٠٦- ١١٣

أ) التدرج في التشريع وثبوت النسخ في آيات الله وأحكامه الشرعية: الآيات:١٠٦- ١٠٧ قوله تعالى:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ....﴾.

ب) إنكار، وتحذير. الآية: ١٠٨ قوله.﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ....﴾

ج) بيان ما عليه أهل الكتاب من الحسد العظيم لهذه الأمة، وكيفية الرد عليهم: الآيات:١٠٩- ١١٠ قوله تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾. وقوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ....﴾.

د) أماني أهل الكتاب الباطلة، وتناقضاتهم، وتعاديهم: الآيات: ١١١- ١١٣ من قوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ..﴾

المعنى الثاني: ١١٤- ١١٨

أ) ظلم منع الصلاة في المساجد أو السعي في خرابها، وعموم ملك الله تعالى خلقاً وتقديراً. الآيات:١١٤- ١١٥ قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ..﴾ وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾

ب) تنزيه الله ﷻ. الآيات:١١٦- ١١٧ قوله تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً ﴾

ج) عود على بدء. الآية: ١١٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾.

المعنى الثالث: ١١٩ -١٢٣

أ) تثبيت ومواساة وتحذير ونهي.الآيات:١١٩ -١٢٠ قوله تعالى:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً.. ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى .. ﴾.

ب) السعداء والأشقياء الآية:١٢١ قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾

ج) تذكير بالنعمة، وتخويف بالآخرة.الآيات:١٢٢- ١٢٣ من قوله تعالى. ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى. ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ﴾.

الجزء الأول – الحزب الثاني – الربع الثالث
الآيات: ١٠٦ – ١٢٣

من قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾.
إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾.

توطئة:

من فضله تعالى أنَّه جعل الشريعة الإسلامية شريعة سمحة لا حرج فيها، ومن رحمته تعالى بخلقه وحكمته أنَّه ما أنزل القرآن الكريم جملة واحدة، وما كلَّفهم بأحكامه دفعة واحدة، بل أنزله على نجوم فرَّقها على زمن التنزيل، فما تمّ الدين واكتمل البناء التشريعي لأحكامه إلَّا في آخر حياة النبي ﷺ.

وقد استدعى التدرج في الأحكام في أثناء فترة التنزيل هذه تشريع بعض الأحكام لفترة معينة ثم نسْخها، وهو مَظْهر يدل على سماحة الشريعة ويُسرها، وأنها شريعة الرحمة حقا.

ولقد حاول يهود المدينة أن يستغلوا ميزة الشريعة الإسلامية هذه، ووقوع النسخ في بعض أحكامها لكي يُشكِّكوا في صحة نبوته ﷺ، ويطعنوا في صدق رسالته، فكانوا ينكرون نسخ الآيات والأحكام الشرعية ويزعمون أنَّه لا يجوز، مع أنه مذكور عندهم في التوراة، وما أنكروه إلَّا لكفرٍ وهوىً محض، فمن قدَح في النسخ قدح في ملك الله وقدرته؛ لأنه سبحانه المتصرف في خلقه بما شاء، وهو يحكم لا معقب لحكمه فكذلك يختبر عباده وطاعتهم لرسلهم، فيأمر بالشيء لما

فيه من المصلحة التي يعلمها، ثم ينهى عنه لما فيه من مصلحة هو يعلمها، فهو وليُّهم في تحصيل منافعهم، وهو ينصرهم في دفع مضارِّهم.

فأنزل سبحانه ردّاً عليهم، وتحذيراً للمؤمنين من التأثر باعتراضاتهم ومطاعنهم، وتعزيزاً لثقتهم بكتابهم وشريعتهم، قوله الكريم: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ...﴾.

ومن هذا الموضع من السورة إلى ذكر تحويل القبلة في أول الجزء الثاني بمثابة التوطئة لنسخ استقبال القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ ولهذا نجد الآيات بعدها كلها في التحدُّث مع أهل الكتاب الذين أنكروا غاية الإنكار تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

والنسخ لغة: الإزالة؛ أو ما يشبه النقل؛ فالأول كقولهم: "نسخت الشمس الظلّ"، أي أزالته؛ والثاني كقولهم: "نسخت الكتاب"؛ إذ ناسخ الكتاب لم يزله، ولم ينقله؛ وإنما نقش حروفه، وكلماته.

وأمّا في الشرع: فإنّه رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه، بدليل شرعي.

والنسخ على أنواع: فقد يكون النسخ إلى بدل؛ وهو على أنواع:

- ❖ نسخ إلى مماثل: كما في هذه الآية الكريمة؛ بتحويل القبلة إلى الكعبة.
- ❖ أو إلى أخفّ: كنسخ عدّة المتوفّى عنها زوجها من الحول إلى أربعة أشهر وعشر؛ على مَن قال بالنسخ.
- ❖ أو إلى أشدّ: كنسخ حبس الزناة في البيوت إلى الجلد، أو الرجم.

❖ وقد يكون النسخ إلى غير بدل: كنسخ الصدقة بين يدي نجوى رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾. (المجادلة: من الآية١٢) نُسخت بقوله تعالى: ﴿ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾. (المجادلة: من الآية١٣) وكذلك نسخ ادِّخار لحوم الأضاحي، وغير ذلك.

المعنى الأول: الآيات: ١٠٦– ١١٣

من قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ...﴾.

تضمَّنت الآيات المعاني الرئيسة الآتية:

أ) الآيات: ١٠٦ – ١٠٧

التدرُّج في التشريع، وثبوت النسخ في آيات الله ﷻ وأحكامه الشرعيّة

المفردات اللغوية:

نُنسها"بدون همزة": من النسيان وهو ذهول القلب عن معلوم؛ بمعنى نجعل الرسول ﷺ ينساها؛ والمراد به هنا رفع الآية؛ وليس مجرد النسيان؛ لأن مجرد النسيان لا يقتضي النسخ؛ فالنبي ﷺ قد ينسى بعض الآيات؛ وهي باقية كما في الحديث الشريف: "أن النبي ﷺ قرأ في الصلاة فترك شيئاً لم يقرأه فقال له رجل:

تركت آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: هلّا أذكرتنيها". وفي قراءة "ننسأها" بالهمز؛ فهو من "النسأ"؛ وهو التأخير؛ ومعناه تأخير الحكم، أو تأخير الإنزال. **نأت بخير منها**: أنفع للعباد؛ لأن الخيرية هنا بالنسبة للمكلّف. **أو مثلها**: في التكليف، والثواب. **ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**: الاستفهام للتقرير؛ يعني قد علمت قدرة الله على كل شيء؛ ومنها النسخ، والتبديل. **ولي**: الولي: القريب والصديق؛ والمعنى ما من أحد ينولاكم فيجلب لكم الخير. **والنصير**: المعين؛ والمعنى: وما لكم من ناصر يدفع عنكم الشرّ.

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى رادّاً على اليهود الطاعنين في صحّة نبوة الرسول الكريم ﷺ، وصدق رسالته، فقالوا: إنَّ محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ وينهى عنه غداً، فبيَّن تعالى أنّه ما يغيِّر من حكم آية، أو يُنسها رسوله الكريم ﷺ؛ وذلك برفع الآية تلاوة وحكماً، أو يؤخِّر إنزالها، يأت بآية هي خير للعباد وأصلح لهم؛ ووجه الخيرية _ كما قال العلماء _ أنَّ النسخ إن كان إلى أشدّ فالخيرية بكثرة الثواب؛ وإن كان إلى أخف فالخيرية بالتسهيل على العباد مع تمام الأجر؛ وإن كان إلى مماثل فالخيرية باستسلام العبد لأحكام الله تعالى، وتمام انقياده لها.

ثم **اتّجهت الآيات** الكريمات بالخطاب إلى النبي ﷺ، أو لكلِّ مَن يتأتّى له الخطاب بأسلوب التقرير والتأكيد بأنّه قد عِلمتم أنَّ الله قادرٌ على كلِّ شيء؛ ومنها القدرة على النسخ، وهو تبارك وتعالى وحده الخالق والمالك والمدبِّر، فهو يملك ما في الكون أرضه وسمائه، ويتصرَّف بحسب إرادته ومشيئته، ويدبِّر الأمور حسبما يرى من المصلحة، والتشريع منوط بمحض مشيئته سبحانه وتعالى وحكمته؛ لا

يشركه فيه أحد، فله أن ينسخ ما يشاء، ويُثبت ما يشاء، وليس لكم وليٌّ سواه يتولّى أموركم، ولا ناصر ولا معين ينصركم ويعينكم غير الله وحده.

من هداية الآيات:

١- ثبوت النسخ، وأنَّه جائز عقلاً، وواقع شرعاً؛ وأنَّ الناسخ خير من المنسوخ؛ لأنَّ الشريعة تابعة للمصلحة؛ والنسخ لا يكون إلَّا لمصلحة؛ وأنَّ أحكام الله تعالى تختلف في الخيرية من زمان إلى زمان.

٢- أنّ الله تعالى وعد بأنه لا يمكن أن ينسخ شيئاً إلّا أبدله بخير منه، أو مثله؛ ووعده صدق.

٣- أنَّه لا أحد يدفع عن أحد أراد الله به سوءاً، وعلى المرء أن يلجأ إلى ربّه في طلب الولاية والنصر.

٤- إثبات تمام قدرة الله ﷻ، وأنَّ قدرته عامَّة شاملة؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٥- تقرير عموم مُلك الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ب) إنكار وتحذير: الآية:/ ١٠٨ /

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ...﴾.

المفردات اللغوية:

أم تريدون: "أم" هنا منقطعة بمعنى "بل" و"همزة الاستفهام" أي: بل أتريدون؛ والإضراب هنا إضراب انتقالي. **تسألوا**: السؤال: الاقتراح المقصود به التعنت.

يتبدل: بدل وتبدل واستبدل: جعل شيئاً موضع آخر. **ضلّ**: عدل وتاه وأخطأ الطريق الحق. **سواء السبيل**: وسط الطريق؛ و"السواء" من كل شيء في الأصل: الوسط.

المعنى الإجمالي:

ينكر تعالى على مَن يكثرون السؤال على رسول الله ﷺ، ويطلبون الآيات الدالة على صدقه، وينهاهم أن يكونوا كبني إسرائيل الذين كانوا يوردون الأسئلة على نبيِّهم موسى، ويطلبون الآيات تعنُّتاً وعناداً؛ كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وغير ذلك؛ فبنو إسرائيل هم المشهورون بالأسئلة، والتعنُّت؛ أمّا هذه الأمّة فإنّها قد أدَّبها الله ﷻ فأحسن تأديبها: لا يسألون إلَّا عن أمر لهم فيه حاجة. ولهذا حذَّر تعالى عباده؛ أنَّ مَن يُعرض عن طاعة نبيِّه، أو يُسيء الأدب معه، ويعترض على أمره؛ فقد استبدل الإيمان بالكفر، وأخطأ الطريق المستقيم، وابتعد عن الشرع القويم.

من هداية الآية:

١- أنّه لا ينبغي إلقاء الأسئلة إلَّا لمصلحة. أمَّا الأسئلة لمجرد استظهار ما عند الإنسان فقط، أو ليضرب آراء العلماء بعضها ببعض، وما أشبه ذلك، أو لأجل إعنات المسؤول، فكلّ هذا من الأشياء المذمومة.

٢- ذمُّ بني إسرائيل لسؤالهم نبيَّهم موسى عن أشياء كانت العاقبة فيها وخيمة.

٣- ذمُّ مَن اختار الكفر على الإيمان، وأنّه ضال. ويُؤخذ من المفهوم: أنَّ مَن اختار الإيمان على الكفر فقد هُدي إلى سواء السبيل.

٤- الردّ على الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس له إرادة في عمله، وأنه مجبر عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

ج) الآيات: ١٠٩-١١٠

بيان ما عليه أهل الكتاب من الحسد العظيم لهذه الأمّة، وكيفيّة الردّ عليهم

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

المفردات اللغوية:

ودَّ: أحبَّ؛ والود: خالص المحبة. **الحسد**: تمني زوال نعمة الله عن الغير سواء تمنّى أن تكون له، أو لغيره، أو لا لأحد؛ وقيل: كراهة نعمة الله على الغير. **فاعفوا**: اتركوهم، والعفو: ترك المؤاخذة على الذنب؛ كأنه من عفا الأثر: إذا زال لتقادمه. **واصفحوا**: أعرضوا فلا تجازوهم، والصفح: الإعراض عن الذنب بالكليّة وإزالة أثره من النفس، وهو يشمل ترك العقاب وترك اللوم والتثريب؛ مأخوذ من صفحة العنق؛ وهو أن الإنسان يلتفت، ولا كأن شيئاً حدث. **حتى يأتي الله بأمره**: بأمر سوى ذلك؛ وهو الأمر بالقتال.

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى عمَّا تكنُّه صدور كثير من أهل الكتاب من المحبة الخالصة لإرجاع المؤمنين كفَّاراً بعد أن ثبت الإيمان في قلوبهم، وودادتهم هذه لا لشيء سوى الحسد

العظيم لهم؛ لأنهم يعلمون ما هم عليه من النعمة الجليلة، والمنقبة العظيمة التي أنعمها الله عليهم؛ وهي هذا الدين العظيم، فهم يعلمون حقَّ العلم أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ حقّ، وأنَّ هذا الدين حقّ، لذا فهم يتمنون زوال هذه النعمة عنهم لخبث طويَّتهم وحسداً لهم. **ثمّ تدرجت الآيات في معاملة الكفَّار**، حيث أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالعفو والصفح حتى يأتي الله بأمره.

فأتى الله بعد ذلك بأمره إياهم بالجهاد، فشفى الله أنفس المؤمنين منهم فقتلوا مَن قتلوا، واسترقُّوا مَن استرقّوا، وأجلَوا من أجلَوا.

ثم نبَّه تعالى إلى بعض وسائل النصر الذي وعِدَ الله به المؤمنين: كأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، ففيهما تتوطد دعائم الإيمان، وتتقوى الصلة بالله، وتتوثق روابط الأخوة، وتتجلى وحدة الأمة بتكافل أبنائها وتعاضد فئاتها. وثواب كل ذلك مرصود في الآخرة. والله بصير بجميع الأعمال.

من هداية الآية:

١- بيان شدة عداوة أهل الكتاب للأمة الإسلامية، وعلمهم أنَّ الإسلام منقبة عظيمة لمتَّبعه؛ وجه ذلك أن كثيراً منهم يودون أن يردّوا المسلمين كفاراً حسداً من عند أنفسهم، ومن أجله يرسمون الخطط، ويعقدون المؤتمرات، ويرصدون له الأموال الكثيرة، وجهود التنصير هذه تستهدف تكفير المسلمين؛ قال تعالى عنهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ .

٢- تحريم الحسد وأنَّه من صفات اليهود، والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ .

٣- أنّ معرفة الحق لا تكفي للإيمان به، فلا بُدّ من الانقياد والرضا به؛ ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ .

٤- مراعاة الأحوال، وتطور الشريعة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ .

٥- الرَّد على منكري قيام الأفعال الاختيارية بالله عزَّ وجلَّ؛ والذي عليه أهل السنة والجماعة أنَّ الله فعَّال لِما يريد فِعْلاً يليق بجلاله وعظمته، وما تقتضيه حكمته؛ لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ .

٦- اتباع الحكمة في الدعوة إلى الله بالصبر والمصابرة حتى يتحقق النصر.

٧- أن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة من أسباب النصر؛ لأن الله تعالى ذكرها بعد قوله: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾.

٨- الترغيب في فعل الخير، وأنَّ كل خير يقدِّمه العبد فإنَّه سيجد ثوابه عند الله.

فائدة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن الأحكام التي يحكم الله بها تنقسم إلى قسمين:

أ) أحكام مُؤمَّدة: أي إلى أمد. ومنه هذه الآية: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾.

ب) أحكام مُؤبَّدة. أي إلى الأبد.

د) الآيات:١١١ـ ١١٣

اماني أهل الكتاب الباطلة، وتناقضاتهم، وتعاديهم

من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

المفردات اللغوية:

هوداً: جمع هائد، وهم اليهود. **تلك أمانيهم**: أي تلك المقالة. وأمانيهم: جمع أمنية؛ وهي ما يمناه الإنسان بدون سبب يصل به إليه؛ أوهي ما يتمناه المرء ولا يدركه. والعرب تسمى كل ما لا حجة عليه ولا برهان له تمنياً وغروراً، وضلالاً وأحلاماً. **هاتوا برهانكم**: دليلكم وحجتكم على ذلك. **بلى**: للإضراب الإبطالي؛ تفيد إبطال النفي بقولهم: "لن يدخل.."؛ قال تعالى: "بلى" أي يدخل الجنة من ليس هوداً، أو نصارى؛ وبيَّنه بقوله تعالى:"**من أسلم وجهه لله**" جعل اتجاهه، وقصده، وإرادته خالصاً لله ﷻ، وانقاد له؛ فإسلام الوجه لله: هو الانقياد له والإخلاص له في العمل، بحيث لا يتخذ وسيطاً بينه وبين ربه. وعبَّر بـ "الوجه" لأنه الذي يدلّ على قصد الإنسان؛ وخصَّه؛ لأنه أشرف الأعضاء، فغيره أولى. **وهو محسن**: متَّبع لشريعة الله ظاهراً، وباطناً. **فله أجره عند ربه**: أي ثواب عمله، وهو الجنة. **ولا خوف عليهم**: فيما يستقبل من أمرهم. **ولا هم يحزنون**: في ما مضى من أمرهم. **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء**: أي: شيء من الدين معتد به؛ لأن اليهود كفروا بعيسى ولم يروا شريعته ديناً، وكفرت النصارى بموسى؛

لأنهم يرون أن الدِّين الحق ما كانوا عليه. **يتلون الكتاب**: والحال أنَّ هؤلاء المدَّعين من الفريقين يقرؤون التوراة، والإنجيل، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى. **كذلك قال الذين لا يعلمون**: قال بعض المفسرين: المراد بهم كفار قريش؛ وقال بعض المفسرين: إنهم أمم سابقة؛ وقال بعضهم: إنهم طوائف من اليهود والنصارى؛ يعني أن الذين يتلون الكتاب من اليهود والنصارى قالوا مثل قول الذين لا يعلمون منهم؛ فاستوى قول عالمهم، وجاهلهم؛ **والأحسن أن يقال**: إن الآية عامة _ مثل ما اختاره ابن جرير، وغيره _ والقاعدة أن النص من الكتاب والسنة إذا كان يحتمل معنيين لا منافاة بينهما، ولا يترجح أحدهما على الآخر فإنه يحمل على المعنيين جميعاً؛ لأنه أعم في المعنى؛ وهذا من سعة كلام الله عزّ وجل، وكلام رسوله ﷺ، وشمول معناهما؛ وهذه قاعدة مهمة ينبغي أن يحتفظ بها الإنسان. **مثل قولهم**: بيان لمعنى ذلك؛ أي قالوا لكل ذي دين: ليسوا على شيء. **فالله يحكم بينهم**: فالله يقضي بين الناس في أمر الدين يوم القيامة، فيدخل المحق الجنة، والمبطل النار.

المعنى الإجمالي:

لا زالت الآيات الكريمات تكشف ضلالات أهل الكتاب ومزاعمهم الباطلة، وتفنِّد أقوالهم لتحذِّر المؤمنين منهم، ومن التشبه بهم، فبيَّنت ما يدَّعيه اليهود والنصارى، بأنهم وحدهم الفائزون الناجون يوم القيامة، وأنه لن يدخل الجنة أحد غيرهم، فأكذبهم الله تعالى وردَّ دعوى الفريقين، وبيَّن أنَّها مجرَّد أماني لا دليل عليها، ولهذا طالبهم الله بالدليل الذي يتبيَّن به حجتهم، فإذا كانوا صادقين في زعمهم فليأتوا به.

ثمَّ صرَّح الحق تبارك وتعالى بإبطال دعواهم أنه: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ...﴾؛ فالأمر ليس كما زعموا وتمنَّوا، ولكن مَن خضع واستسلم لله تعالى وحده، وجعل توجُّهه له خالصاً له سبحانه، وكان مُتَّبعاً شرع الله ظاهراً وباطناً، في قوله وعمله وسلوكه، فله الثواب العظيم من عند الله الذي لا يُضيع أجر مَن أحسن عملاً، فحصل لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب.

ثمَّ بيَّن الحق تعالى اختلاف اليهود والنصارى، وتضليل بعضهم بعضاً، وذلك بسبب التعصب الممقوت؛ فاليهود كفروا بعيسى عليه السلام ولم يروا شريعته ديناً؛ والنصارى يرون أن الدين الحق ما كانوا عليه، واليهود قد كفروا به، قالوا ذلك والحال أنهم أصحاب كتاب يدَّعون تلاوته ويؤمنون به، فاليهود يقرؤون التوراة، والنصارى يقرؤون الإنجيل، ولا خلاف بين الكتابين في أصول الاعتقاد، فالإنجيل يشهد بصدق التوراة، كما يشهد القرآن الكريم بصحة وصدق التوراة والإنجيل، وعيسى عليه السلام أُرسل إلى بني إسرائيل كما أُرسل إليهم موسى عليه السلام، وعلَّمه الله تعالى التوراة كما علَّمه الإنجيل، وأقرَّ عليه السلام برسالة موسى وصدق التوراة، بيَّن سبحانه ذلك كله في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ (آل عمران)، فلم هذا التناكر والتجاحد؟! فقولهم هذا كقول الجاهلين الذين لا علم عندهم، ولا كتاب نزل عليهم. والله يفصل بينهم بحكمه العدل يوم القيامة.

من هداية الآيات:

١- أنَّ من اغترَّ بالأماني، وطمع في المنازل العالية بدون عمل ففيه شبه من اليهود والنصارى.

٢- أهل الجنة هم الذين جمعوا بين الإخلاص والمتابعة، وانتفاء الخوف والحزن لمن تعبَّد الله بهذين الوصفين.

٣- أنَّ الأمم الكافرة يكفِّر بعضها بعضاً، فهم بالنسبة لِما بينهم بعضهم لبعض عدو، ولكنهم بالنسبة لنا هم بعضهم لبعض وليّ؛ فالإسلام عدو مشترك لليهودية، والنصرانية، وسائر الكفار.

٤- إثبات الحُكم لله عزَّ وجلَّ، وهو على ثلاثة أقسام:كوني، وشرعي، وجزائي.

المعنى الثاني: الآيات:١١٤– ١١٨

من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾.

تضمَّنت الآيات المعاني الرئيسة الآتية:

أ) الآية: ١١٤ – ١١٥

ظلم منع الصلاة في المساجد أو السعي في خرابها. وعموم ملك الله تعالى خلقاً وتقديراً

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

المفردات اللغوية:

ومن أظلم: استفهام إنكاري يفيد النفي. **والظلم**: لغة: النقص؛ وهو أن يفرط الإنسان فيما يجب؛ أو يعتدي فيما يحرَّم؛ وهو في الشرع بهذا المعنى؛ لأن الظلم عبارة عن تفريط في واجب، أو انتهاك لمحرّم. **مساجد الله**: أضيفت المساجد إلى الله؛ لأنها محل عبادته؛ فتكون الإضافة هنا من باب التشريف. **وسعى في خرابها**: تخريبها وهدمها وتعطيلها. **أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**: خبر بمعنى النهي؛ أي لا تدعوهم يدخلوها _ إذا ظهرتم عليهم _ إلا خائفين. ويحتمل أن يكون المعنى: ما كان لهؤلاء أن يدخلوها إلا خائفين فضلاً عن أن

يمنعوا عباد الله؛ لأنهم كافرون بالله؛ ويحتمل أن تكون بَشارة من الله أنَّ هؤلاء الذين منعوا المساجد ومنهم المشركون الذين منعوا النبي ﷺ المسجد الحرام ـ ستكون عليهم الدولة، ولا يدخلونها إلا وهم ترتجف قلوبهم. **خزي**: ذل، وهوان، وعار؛ بالقتل والسبي وفرض الجزية. **فثم**: اسم إشارة يشار فيه للبعيد. **واسع**: واسع الإحاطة، وواسع الصفات؛ فهو واسع في علمه، وفي قدرته، وسمعه، وبصره، وغير ذلك من صفاته؛ ويسع فضله كل شيء. **عليم**: ذو علم؛ وعلمه محيط بكل شيء.

المعنى الإجمالي:

ينفي سبحانه أن يكون هناك من هو أكثر ظلماً مِمَّن منع المؤمنين من عبادة الله تعالى، وذكره بالدعاء والاستغفار والتسبيح، في المساجد التي بنيت لهذا الأمر، أو هدَّمها وعطَّل وظائفها وشعائر الدين فيها سواءٌ كان هذا المنع والتعطيل عن المسجد الحرام، وهو أفضل المساجد وأعظمها حرمة، أو غيره من المساجد.

والسعي في خراب المساجد يكون حسيًّا، ويكون معنويا: فالخراب الحسي: هدمها، وتخريبها بالمعاول، والقنابل. والخراب المعنوي: نشر البدع والخرافات المنافية لوظيفة المساجد.

فهؤلاء المانعون والمعطلون المخربون لا ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد إلَّا بخشية ومهابة وخوف من عظمة الله تعالى، ومن سطوة الإسلام والمسلمين، ولهم في الدنيا الذل والعار، ويوم القيامة يعاقبون عقوبة عظيمة.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: وهذا عامّ لكلّ مَن اتّصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش حين صدّوا رسول الله ﷺ عنها عام الحديبية،

والنصارى حين خرَّبوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادَّة لله ومُشاقَّة، فجازاهم الله بأن منعهم دخولها شرعاً وقدراً، إلّا خائفين ذليلين، فلمَّا أخافوا عباد الله أخافهم الله، فالمشركون الذين صدّوا رسوله لم يلبث رسول الله ﷺ إلّا يسيراً حتى أذن الله له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، وأصحاب الفيل قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى قد سلط الله عليهم المؤمنين، فأجلوهم، وهكذا كل من اتصف بوصفهم فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر.

ولا يخفى ما في الآيات من البشارة للمؤمنين بالنصر على المشركين، فقد نزلت هذه الآيات في أوائل الهجرة إلى المدينة المنورة؛ ولهذا التفتت الآيات الكريمات إلى المؤمنين تواسيهم عن منع المشركين لهم عن المسجد الحرام وعبادة الله فيه، فإذا حيل بين المسلم وبين المساجد، فله أن يصلي في أيّ مكان؛ لأنّ لله جلَّ في علاه مُلك الأرض كلها، مشرقها ومغربها، وقد جعلها سبحانه كلها بفضله ورحمته مسجداً للمؤمنين، فحيثما اتّجهوا فإن الاتجاه الذي يجمعهم الكعبة، ومهما توجّهوا في صلاتهم فإنهم يتجهون إلى الله الواسع الإحاطة، والصفات، الذي أحاط علمه بكل شيء.

من هداية الآيات:

١- تحريم منع المساجد من أن يذكر فيها اسم الله سواء كان ذكر الله: صلاة، أو قراءة قرآن، أو تعليماً.

٢- تحريم تخريب المساجد، ويشمل الخراب الحسي، والمعنوي.

٣- بيان شرف المساجد لإضافتها إلى الله؛ لقوله تعالى: ﴿ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾.

٤- أن عقوبة من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، الخزي والعار في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة. وعلى هذا فإن الذنب إذا كان فيه تعدٍّ على العباد فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين: عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة.

٥- انفراد الله تعالى بالملك، وبيان عموم ملكه تعالى، وإحاطته، وسعة علمه.

٦- يؤخذ من مفهوم الآية، أنه لا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية برفعها وتعظيمها، وتكريمها، ونشر العلم وحلق تدريس كتاب الله فيها.

ب) الآيات: ١١٦- ١١٧

تنزيه الله سبحانه وتعالى

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

سبحانه: تنزيهاً لله أن يكون له ولد؛ لأنه هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته؛ وتعجباً مما يقول الجاهلون. **قانتون**: خاشعون، ذليلون، منقادون. **بديع**: مبدع، والإبداع: هو إيجاد الشيء بصورة مخترعة على غير مثال سبق. **قضى**: أراد. **أمراً**: واحد الأمور؛ يعني الشؤون؛ أي إذا قضى شأناً من شؤونه ﷻ فإن ذلك لا يصعب عليه.

المعنى الإجمالي:

ما زال السياق الكريم في ذكر أباطيل وضلالات أهل الكتاب والمشركين، والردّ عليها بما يظهر زيفها ويبطلها، فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون من العرب قالوا: الملائكة بنات الله. فنزّه الله ﷻ نفسه - تعالى سبحانه عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيرا - ؛ لأنه الغني بذاته عن جميع المخلوقات؛ لهذا أبطل الله تعالى هذه الدعوى بأنَّ مَن له مُلك السموات والأرض، لا يحتاج إلى ولد؛ ولأنه لو كان له ولد لكان الولد مماثلاً له؛ والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وكل من في السماوات والأرض مُلْكُه وعبيده، فسبحان من له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

ثم أقام الحق تبارك وتعالى دليلاً آخر على وحدانيته، وأنه منزّه عن اتّخاذ الولد، فهو سبحانه الذي أبدع وأنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق، ومحدثها من العدم، وكل الأشياء حادثة بقدرته ومشيئته، مسبوقة بالعدم، فهو وحده المتفرّد بِالقِدَم والبقاء جلّ وعلا، وإذا تعلَّقت إرادته بوجود شيء فإنّما يقول له: كن، فيحدث كما أراده الله ﷻ.

من هداية الآيات:

١- بيان عتو الإنسان وطغيانه، حيث نسب لله تعالى هذه الفرية العظيمة، فقال إن الله اتخذ ولدا!!!.

٢- امتناع أن يكون لله ولد. وأنَّ كلَّ من في السموات والأرض قانت لله؛ والمراد القنوت العام _ وهو الخضوع الكوني _؛ لقوله تعالى: ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾، حتى الكفّار بهذا المعنى قانتون لله سبحانه.

٣- عظم قدرة الله ببدع السموات والأرض؛ فإنها مخلوقات عظيمة.

٤- أن الله تعالى لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عن أمره شيء.

ج) الآية: / ١١٨/

عود على بدء:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

لولا: هلَّا يكلمنا الله بتصديق الرسل. والآية: العلامة على صدقهم؛ وهذا منهم على سبيل التعنت والعناد. **تشابهت قلوبهم**: أي الأوَّلون والآخرون قلوبهم متشابهة في ردِّ الحق، والعناد، والتعنت، والجحود؛ **والتشابه**: التماثل. **يوقنون**: "**اليقين**" هو العلم القاطع الذي لا يخالجه شكّ.

المعنى الإجمالي:

كما بيَّنت الآيات التشابه في الانحراف عن التوحيد، بين عقائد أهل الكتاب، وبين عقائد المشركين من العرب في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ...﴾ ، بيَّنت أيضا التشابه بينهم في مواقف الجحود والعناد؛ بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾؛ فهم يطلبون أن يكلمهم الله تعالى مباشرة ويخبرهم بصدق الرسول ﷺ، أو تأتيهم علامة تدل على صدق ما جاء به الرسول ﷺ، ومثل هذا القول قالت اليهود والنصارى لأنبيائهم من قبل.

وهذا دأب المكذّبين للرسل، ينكرون ويقترحون، وقد أُتوا من الآيات بأعظم مما اقترحوه، وما ذلك إلَّا لتشابه قلوبهم في ردّ الحق، والعناد، والتّعنت، والجحود، مع أنَّ الله سبحانه وتعالى قد وضَّح الآيات وبيَّنها، ولكنه لا ينتفع بها إلا الموقن، الذي عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب.

من هداية الآيات:

١ – أنَّ أهل الباطل يجادلون بالباطل، وأقوالهم تتشابه، والأقوال تابعة للقلوب؛ فلتشابه القلوب تشابهت الأقوال.

٢ – زيادة العلم باليقين، وأنه لا ينتفع بالآيات إلَّا الموقنون.

المعنى الثالث: الآيات: ١١٩ – ١٢٣

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ... ﴾.

المعاني الرئيسة

١) الآيات: ١١٩ – ١٢٠

تثبيت ومواساة، وتحذير ونهي

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

ملتهم: دينهم الذي كانوا عليه. **ولئن:** لام القسم؛ والتقدير: "والله لئن اتبعت" **من العلم:** يشير إلى الوحي الذي جاء إلى النبي ﷺ سواء كان في القرآن، أو السُّنَّة. **مالك من الله من ولي ولا نصير:** "الوليّ" الحفيظ، و"النصير" هو الذي يدفع الشرّ؛ والمعنى: لا أحد يتولّى حفظك سوى الله؛ ولا أحد يتولّى نصرك، فيدفع عنك الشرَّ سوى الله.

المعنى الإجمالي:

من هدي القرآن الكريم أنه كلما ذكِر موقفاً من مواقف جحود اليهود وعنادهم من دعوة الرسول ﷺ غالبا ما يوجّه إليه الخطاب مواسيا ومثبِّتا. وفي هذه الآية الكريمة يبيِّن الله صدق الرسول، وصدق دعوته، وأنّه أرسله بالحق الواضح المؤيَّد بالبراهين القاطعة ليبشِّر المؤمنين بفضل الله ﷻ ورحمته، وينذر المعرضين الجاحدين بعذابه وعقوبته، وحصر تعالى مسؤوليته بالبلاغ والإرشاد، وأنّه لا حرج عليه إن أصرّوا على الكفر والعناد.

ولَمَّا كان النبيّ ﷺ يحبّ أن يتألّف اليهود، والنصارى، ويرجو أن يؤمنوا برسالته، فبيَّن تعالى أنّ هؤلاء اليهود والنصارى قوم ذوو عناد؛ لا يمكن أن يرضوا عنك مهما تألّفتهم؛ حتى تتبع ملّتهم؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحبّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يُنْهَ عنه؛ ثم بعد ذلك كان يأمر بمخالفتهم؛ فاليهود لن يرضوا عنك حتى تكون يهوديّاً، والنصارى لن ترضى عنك حتى تكون نصرانيّاً؛ فقل لهم: ليس الهدى ما أنتم عليه؛ بل إنّ هدى الله ودينه الذي هو الإسلام والذي أنزله سبحانه على

الأنبياء وحده هو الهدى الواجب اتباعه؛ أمّا غيره فمبنيٌّ على الهوى والشهوة، وهو ما أضافوه إلى دينهم كذبا وافتراءً.

ثم حذَّر تعالى رسوله من اتِّباع دين اليهود أو النصارى فإن اتّبعت أهواءهم، وما أضافوه إلى دينهم، بعدما استقرَّ في قلبك من اليقين بالوحي الإلهي الذي نزل عليك، فالله لا ينصرك ولا يؤيدك ولا يتولَّى حفظك، وإذا لم ينصرك الله ويتولَّاك، فمن ذا الذي ينصرك من بعده؟. وهذا النهي الشديد عن اتِّباع أهوائهم أو التشبه بهم فيما يختص به دينهم.

والخطاب ـ وإن كان لرسول الله ﷺ ـ فإنّ أمته داخلة في ذلك لا ريب؛ لأنّ الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص الخطاب؛ كما أنّ العبرة بعموم اللفظ؛ لا بخصوص السبب؛ ولأنَّه الإمام والقدوة ﷺ .

من هداية الآيات:

١- أنَّ النبي ﷺ رسول صادق، وأنَّ رسالته متضمِّنة لأمر، ونهي، وتبشير، وإنذار؛ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾.

٢- أنَّ وظيفة الرسل الإبلاغ؛ وليسوا مكلَّفين بعمل الناس؛ ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

٣- الحذر من أهل الكتاب؛ إذ لا يرضون لأحد حتى يكون على ملتهم؛ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ ﴾.

٤- أنّ ما عدا هدى الله ضلال؛ وليس ثمّة واسطة بين هدى الله، والضلال؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾.

٥- تحريم اتِّباع أهواء اليهود، والنصارى، وأنَّ ما عليه هؤلاء ليس ديناً؛ بل هو هوى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

٦-أنَّ مَن يتَّبع غير شريعة الله فلا حافظ له من الله؛ ولا أحد ينصره من دونه؛ _ ولو اشتدَّت قوته _؛ لأنّ النصر والولاية تكون باتباع هدى الله ﷻ،كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام).

٧- أنّه يجب تعلّق القلب بالله خوفاً، ورجاءً؛ لأن العبد متى علم أنّه ليس له وليّ، ولا نصير من دون الله فلا ينبغي له أن يتعلّق إلّا به.

فائدة:

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، **وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:**

الأول في نفس إرساله: وقد عُلِم أنَّ الله لم يخلق خلقه سدى، فمن حكمته ورحمته أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه.

والثاني في سيرته وهديه:فمن عرف النبي ﷺ قبل البعثة ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأنَّ الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها، وصدقهم، أو كذبهم.

والثالث في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة: فهو معرفة ما جاء به ﷺ من الشرع العظيم.

فالأول والثاني قد دخلا في قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾. والثالث في قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

ب) الآية: /١٢١/ السعداء والأشقياء:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

المفردات اللغوية:

الكتاب: المراد به الجنس؛ فيشمل القرآن، والتوراة، والإنجيل، وغيرها من كتب الله. **يتلونه حق تلاوته**: "التلاوة" تطلق على تلاوة اللفظ _ وهي القراءة -؛ وعلى تلاوة المعنى _ وهي التفسير _؛ وعلى تلاوة الحكم _ وهي الاتِّباع _؛ وهذه المعاني الثلاثة للتلاوة داخلة في معنى الآية. **حقَّ تلاوته**: أي التلاوة الجدّ، والثبات، وعدم الانحراف يميناً، أو شمالاً. **ومن يكفر به**: أي بالكتاب المؤتى. **هم الخاسرون**: "هم" ضمير فصل لإفادة الحصر، والتوكيد؛ يعني فأولئك الذين كفروا به هم الخاسرون لا غيرهم؛ وأصل "الخسران" النقص؛ أي الهالكون.

المعنى الإجمالي:

وبعد أن حذّر تعالى من اتِّباع أهل الكتاب بيَّن سبحانه أنّ الذين أعطاهم الله الكتاب فاتبعوه حق إتباعه، فأحلّوا حلاله، وحرَّموا حرامه، وصدَّقوا أخباره، واستقاموا عليه، وعملوا بمقتضاه، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرِّقوا بين أحد منهم

أولئك هم المؤمنون حقا، وأولئك هم السعداء. وأمَّا من أعرض عنه وعن الإيمان به فأولئك هم لا غيرهم الأشقياء، وأولئك الذين توعَّدهم الله بالخسران المبين.

من هداية الآيات:

١- منَّة الله ﷻ على مَن آتاه الكتاب، ولكن ليس مجرَّد إتيان الكتاب فضيلة للإنسان؛ بل الفضيلة بتلاوته حق التلاوة؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾.

٢- أنّ للإيمان علامة؛ وعلامته العمل؛ لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ ﴾ بعد قوله: ﴿ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾.

ج) الآيات:١٢٢– ١٢٣

تذكير بالنعمة، وتخويف بالآخرة

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

لا تجزي: لا تغني **عدل**: فداء. **ولا هم ينصرون**: يمنعون من عذاب الله ﷻ.

المعنى الإجمالي:

تكرير النداء السابق لبني إسرائيل في سياق تحذير المؤمنين من التشبه بأهل الكتاب، وكأنها بهذا التكرير تخاطب الخَلَف منهم كما خاطبت السلف. فتذكِّرهم بالنعم التي أنعم الله بها عليهم، وتحذِّرهم أنَّ تفضيل آبائهم على العالمين ليس

بمغنٍ عنهم شيئاً، وتخوِّفهم يوماً لا يُقبل فيه فداءً، ولا تنفع فيه شفاعة شافع، ولا يجدون لهم نصيراً، وذلك كلّه لحثّ اليهود وغيرهم على اتباع الرسول النبي الأمي المبَشَّر به في التوراة، ولعلّهم يتركون ضلالهم، ويثوبون إلى رشدهم.

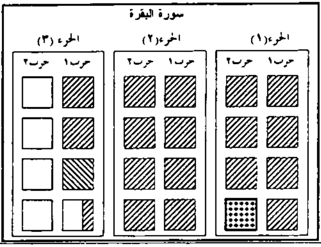

الجزء الأول/ الحزب الثاني/ الربع الرابع/الآيات:١٢٤-١٤١

المعنى الأول. ١٢٤- ١٢٩

أ) إبراهيم عليه السلام، والاختبار. ومقام الإمامة:

قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ...﴾ الآية ١٢٤

ب) البيت الحرام:

خصائصه وفضله، وبناؤه، ودعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

الآيات:١٢٥- ١٢٩

من قوله تعالى ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ..﴾

إلى قوله تعالى ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ﴾

المعنى الثاني. ١٣٠- ١٤١

أ) ملة التوحيد، ووصية الأنبياء بها:

الآيات:١٣٠- ١٣٤

من قوله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾إلى قوله تعالى ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ﴾

ب) وجوب اتباع ملة الإسلام لأنها ملة جميع الأنبياء وهي صبغة الله: الآيات:١٣٥- ١٣٨

من قوله تعالى ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾

إلى قوله تعالى ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾

ج) المحاجة، والبراءة من أعمال أهل الكتاب، وبيان ظلمهم الآيات: ١٣٩-١٤١

من قوله تعالى ﴿ قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ﴾

إلى قوله تعالى ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾

الجزء الأول – الحزب الثاني – الربع الرابع

الآيات: /١٢٤-١٤١ /

من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ...﴾.

وجه الربط:

بعد أن ذكَّر الله تعالى بني إسرائيل بنعمه، وبيَّن كيف كانوا يقابلون النعم بالكفر والعناد، وذكر ما فعله المشركون من صدٍّ عن المسجد الحرام، ومنع المسلمين الموحِّدين عن عبادة الله تعالى فيه، أعقب ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، الذي ينتسب كلٌّ من أهل الكتاب والمشركين إليه، ويدّعي كل فريق منهم أنّه على ملته، ولو صدقوا لاتَّبعوا النبي الكريم محمَّداً ﷺ ودخلوا في دينه القويم لأنّه أثر دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام حين دعا لأهل الحرم.

المعاني الرئيسة

وقد تضمَّن هذا الربع المعاني التالية:

المعنى الأول: الآية: ١٢٤ – ١٢٩

أ) إبراهيم عليه السلام، والاختبار ومقام الإمامة ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾.

المفردات اللغوية:

ابتلى إبراهيم: المبتلي هو الله جل جلاله؛ والمُبتلى هو إبراهيم عليه السلام؛ والابتلاء: الاختبار، والامتحان. بكلمات: كل ما أمَر به شرعاً، أو قضاه عليه قدَراً؛ ممَّا يحتاج إلى صبر،

ومصابرة؛ وقيل: الأوامر، والنواهي. **فأتمهن**: أداهنَّ أحسن أداء، من غير تفريط وتوان. **إماماً**: قدوة في الدين؛ و**"الإمام"** مَن يُقتدى به سواء في الخير، أو في الشرّ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾؛ (القصص) لكن لا ريب أن المراد هنا إمامة الخير. **عهدي**: أي تعهدي لك بالإمامة. **الظالمين**: الكافرين منهم.

المعنى العام للآية الكريمة:

واذكر يا محمد ـ ﷺ ـ لهؤلاء الجاحدين المعاندين وغيرهم، إسلام إبراهيم ﷺ لله تعالى، وانقياده لأمره، وخضوعه لحكمه، عندما اختبره وكلَّفه الله تعالى بتكاليف شاقَّة، فأتى بها على وجه الكمال، وأدَّاها خير أداء حتى شهد له الحق ﷻ بذلك في قوله هنا: **﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾**، وفي قوله أيضاً: **﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾**؛ فمن ذلك أنه ابتُلِيَ بالأمر بذبح ابنه، فامتثل؛ ومن ذلك أن الله كلَّفه بدعوة أبيه وقومه إلى عبادته ﷻ وحده، وترك عبادة الأصنام، فقام بذلك خير قيام، حتى إنه كسر أصنام قومه، وعرَّض نفسه لانتقامهم، بأن أوقدت له النار، وأُلقي فيها فصبر واحتسب؛ وغير ذلك من الابتلاءات والتكاليف التي كلَّفه الله تعالى إيَّاها، فبادر عليه السلام إلى القيام بها، بخضوع واستسلام كاملين لله جلَّ في علاه؛ ولهذا أكرمه الله تعالى بمقام الإمامة، فكان عليه الصلاة والسلام إماماً يدعو الناس إلى ملَّة التوحيد ونبذ الشرك، ويَقتدي به الصالحون. وكانت إمامته عليه السلام مؤبَّدةً؛ إذلم يُبعث بعده نبيٌ إلَّا كان من ذريَّته، مأموراً باتباع مِلَّته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (آل عمران).

ثم بيَّن تعالى شفقة إبراهيم على ذرِّيته، حيث طلب من ربِّه ﷻ أن يجعل من أولاده ونسله أئمَّة يُقتدى بهم فقال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾، ولا غرو فالإنسان يحبُّ أن تكون ذرِّيَّته صالحة، ولكنَّ إجابة الله لدعائه عليه السلام جاءت مُقَيَّدةً، حيث قال تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾؛ فالظالم لا يستحقُّ أن يكون إماماً.

فائدة:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ توجيه إلى أنَّه ينبغي للإنسان أن يدعو لذريَّته بالإمامة والصلاح.

ب) الآيات: ١٢٥ – ١٢٩

البيت الحرام: خصائصه وفضله، وبناؤه ﴿١٢٥-١٢٦- ١٢٧﴾

ودعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿١٢٨- ١٢٩﴾

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.

المفردات اللغوية:

البيت: الكعبة؛ لأنها بيت الله الحرام. مثابة: مرجعاً ومآباً يثوبون إليه من كل جانب. أمناً: مأمناً من الظلم والإغارة الواقعة في غيره، يأمن الناس فيه على دمائهم، وأموالهم، حتى كان الرجل يلقى قاتل أبيه، فلا يتعرض له. مقام إبراهيم: هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت. مصلى: مكان صلاة، بأن

تصلوا خلفه. **وعهدنا**: وصَّينا؛ و"**العهد**" الوصية بما هو هامّ. **طهرا بيتي**: "**طهرا**" من الأوثان؛ وقيل: من الأرجاس الحسية، والمعنوية؛ **بيتي**: المراد به الكعبة؛ وأضافها الله سبحانه إلى نفسه إضافة تشريف. **العاكفين**: المقيمين فيه للعبادة؛ الملازمين له. **الثمرات**: المأكولات التي تخرجها الأرض. **اضطرُّهُ**: ألجئه؛ و"**الاضطرار**" الإلجاء؛ أو الإكراه. **وإذ يرفع إبراهيم القواعد**: "**وإذ**" ظرف عاملها محذوف؛ والتقدير: واذكر إذ و"**يرفع**" فعل مضارع؛ والمضارع للحاضر، أو المستقبل؛ ورفع البيت ماض؛ لكنه تعالى يعبِّر بالمضارع عن الماضي على حكاية الحال كأن إبراهيم يرفع الآن، أي ذكّرهم بهذه الحال التي كأنها مشاهدة أمامهم. و"**قواعد**" جمع قاعدة؛ وهي ما يقوم عليه البناء من الأساس. **ربنَّا تقبَّل منَّا**: أي يا ربنا اقبل عملنا، وارضاه منَّا. **مناسكنا**: عباداتنا أو حجنا، واحدها منسَك- بفتح السين، من النسك: وهو غاية الخضوع والعبادة، وشاع استعماله في عبادة الحج خاصة، كما شاع استعمال المناسك في معالم الحج وأعماله لما فيها من الكلفة والبعد عن العادة. **وتب علينا**: "**التوبة**"؛ هي الرجوع من المعصية إلى الطاعة، وتاب العبد إلى ربه: إذا رجع إليه؛ لأن اقتراف الذنب إعراض عن الله وعن موجبات رضوانه، وتاب الله على العبد: وفّقه للتوبة، وقَبِلها منه. **رسولاً منهم**: من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ. **الكتاب**: القرآن. **والحكمة**: أسرار الأحكام الدينية ومعرفة مقاصد الشريعة؛ وقيل: السُّنَّة. **ويزكيهم**: ينمِّي أخلاقهم، ويطهر نفوسهم من دنس الشرك وأنواع المعاصي. **العزيز**: ذو العزَّة بمعنى القهر والغَلَبَة. **الحكيم**: أي ذو الحُكم، والحكمة؛ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه المصلحة.

تضمَّنت الآيات الكريمات المعاني الرئيسة الآتية:

١ – **فضيلة البيت الحرام**، وجعله مثابة للناس وأمناً، فكان كما دعا ﷺ مرجعاً يرجع الناس إليه، فكلَّما تفرَّقوا عنه اشتاقوا إليه، وهَوَت إليه قلوبهم، ببركة دعوته. وأَمْرُ الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل بتطهير بيته الحرام من الأذى والشرك والأصنام ليكون معقلاً للطائفين، والعاكفين، والركع السجود. آية/ ١٢٥

٢ – **دعاء إبراهيم** ﷺ لمكة المكرَّمة، أن يجعلها سبحانه وتعالى بلداً حراماً آمناً يُجبى إليها الرزق الطيب، ثم قيّد ﷺ هذا الدعاء للمؤمنين تأدُّباً مع الله. ولمّا كان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، بيّن سبحانه أنَّ المؤمن يستعين بالرزق على عبادة الله ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنّة. وأما الكافر فيتمتع قليلاً ثم يُخرَج مُكرهاً إلى النار، وبئس المصير. آية/ ١٢٦

٣ – **بناء إبراهيم وإسماعيل** عليهما السلام البيت الحرام، وبيان حالهما من الخوف والرجاء، حيث دَعَوَا الله أن يتقبل منهما عملهما؛ لأنَّه سبحانه سميع، عليم؛ فهو يسمع دعاء الداعي، ويعلم أحواله، وهذا يدلُّ على أنهما كانا يعملان وهما في حالة خشوع وخضوع لله ﷻ، ويستشعران أنهما يقومان بعبادة من أعظم العبادات، ويتقرَّبان إليه تعالى بقربة من أجلِّ القربات، ومع ذلك فخشية الله تعالى تملأ قلبيهما، حتى إنهما يسألانه أن يجعلهما مستسلمين لأوامره، خاضعين لطاعته، ولم ينسيا عليهما السلام ذريتهما، فالصالحون يرغبون أن يكون أولادهم وأحفادهم صالحين أيضاً، ولهذا ضمَّا في دعائهما بعض ذريتهما بأن يجعل منها أمة مستسلمة منقادة لشرعه وأوامره وأحكامه

ﷺ، ولعلَّهما اقتصرا على البعض ولم يُعمِّما أدباً مع الله تعالى، الذي سبق أن قال لإبراهيم: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، وهذه الأمَّة هي أمَّة محمد ﷺ؛ لأنها هي الأمَّة التي تفرَّعت عن إبراهيم من جهة ولده إسماعيل؛ ولهذا قالا بعده: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾. ثمَّ إنهما بيَّنا افتقارهما إلى توبة الله ﷻ، وسألاه التوبة مع عصمتهما تواضعاً وتعليماً لذريتهما. **الآية / ١٢٧**

٤- دعاء إبراهيم وإسماعيل ربَّهما أن يبعث من ذريتهما رسولاً منهما - وهو محمد ﷺ؛ لأن إبراهيم دعا لذريته وهو بمكة، ولم يُبعث من ذريته بمكة غير محمد ﷺ، يقرأ عليهم آيات دينهم المشتملة على وحدانية الله، ويطهِّرهم من دنس الشرك والوثنية وأنواع المعاصي، ويعلِّمهم صالح الأخلاق، وكان تَوسُّلهما أثناء دعائهما بأسماء الله ﷻ المناسبة لِما دعَوَا به. **الآيات:١٢٨-١٢٩**

لطيفة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾؛ بدأ تعالى بـ**"الطائفين"**؛ لأن عبادتهم خاصة بهذا المسجد؛ ثم بـ**"العاكفين"**؛ لأنَّ عبادتهم خاصة بالمساجد؛ لكنها أعم من الطائفين؛ وثلَّث بـ**"الركع السجود"**؛ لأن ذلك يصحُّ بكلِّ مكان بالأرض؛ فإذاً يكون الله سبحانه وتعالى بدأ بالأخصّ فالأخصّ.

من هداية الآيات:

١- فضيلة البيت الحرام من وجهين: أنَّه مثابةٌ؛ أي: (مرجع)، وأمن.

٢- أنَّه لا غنى للإنسان عن دعاء الله مهما كانت مرتبته؛ فلا أحد يستغني عن

الدعاء أبداً؛ فإنَّ للدعاء أثراً في حصول المقصود سواء كان دفع مكروه، أو جلب محبوب؛ لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ﴾ .الخ.

٣- أهميَّة القبول، وأنَّ المدار في الحقيقة عليه؛ وليس على العمل، لذا وجب على العبد أن يتوسَّل إلى الله ﷻ بأسمائه وصفاته المناسبة لما يدعو به.

٤- أهميَّة الإخلاص؛ وأنَّ الإسلام يشمل كل استسلام لله ظاهراً وباطناً؛ ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ .

٥- أنَّ الأصل في العبادات أنَّها توقيفيَّة؛ أي: لا يتعبَّد الإنسان ربَّه إلَّا بما شرع؛ ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

٦- أنَّ هذه الشريعة كاملة؛ لتضمُّن رسالة النبي ﷺ لهذه المعاني الجليلة؛ وهي: تعليم الكتاب؛ تلاوةً، ومعنىً. والحكمة؛ التي هي معرفة أسرار الشريعة، وتزكية الخلق وتطهيره من كلّ رذيلة. وهكذا كانت شريعة الرسول ﷺ: تنمية للأخلاق الفاضلة؛ فهو يأمر بالبر، والمعروف، والإحسان، والصلة، والصدق وكلّ ما فيه خير للإنسان في دينه ودنياه فإنَّ الإسلام يأمر به_ وهذه تزكية_

وينهى عن الإثم والقطيعة والعدوان والعقوق والكذب والغش، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، _وهذه أيضاً تزكية_

٧- مناسبة العزة، والحكمة لبعث الرسولﷺ؛ بقوله تعالى حكاية عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ...﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ وهي ظاهرة جداً؛

لأنّ ما يجيء به الرسول كله حكمة، وفيه العزّة: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ فمن كان مؤمناً بالله تعالى قائماً بأمره فإنّ له العزة؛ ومن لم يكن كذلك فقد فاته من العزة بقدر ما أخلّ به من الإيمان، والعمل الصالح؛ ولهذا يجب أن تكون رابطة الإيمان أقوى الروابط بين المؤمنين؛ لأنه لا يمكن أن تكون هناك عزة واجتماع على الخير برابطة أقوى من هذه الرابطة.

٨- إثبات الأسماء الواردة في الآيات لله تبارك وتعالى: ﴿السميع﴾ ﴿العليم﴾ ﴿التواب﴾ ﴿الرحيم﴾ ﴿العزيز﴾ ﴿الحكيم﴾، وما تضمَّنته من صفات: السمع، والعلم، والتوبة، والرحمة، والعزَّة، والحِكمة والحُكم.

فائدة:

ينقسم سمع الله تعالى إلى قسمين: سمع بمعنى سماع الأصوات. وسمع بمعنى الاستجابة.

مثال الأول: قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ...﴾. وقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾؛ وهذا السمع من الصفات الذاتية؛ لأنَّه مُلازم لذاته؛ لم يزل، ولا يزال سميعاً.

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾؛ وهذا السمع من الصفات الفعلية؛ لأنَّ الاستجابة تتعلَّق بمشيئته سبحانه: إن شاء استجاب، وإن لم يشأ لم يستجب.

وسماع الأصوات من الله تعالى - تارة يفيد تهديداً؛ كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ...﴾. وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم...﴾ .

وتارة يفيد إقراراً، وإحاطة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾.

ويفيد تأييداً؛ كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.

المعنى الثاني: الآيات:١٣٠-١٤١

من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾.

وجه الربط:

لَّما ذكر تعالى فضيلة إبراهيم ﷺ، وقصَّة بنائه للبيت العتيق منار التوحيد، أعقبه بالتوبيخ الشديد للمخالفين لملَّة الخليل من اليهود والنصارى والمشركين، وأكَّد أنَّه لا يرغب عن ملَّته إلَّا كلّ شقي سفيه الرأي، خفيف العقل.

المعاني الرئيسة

وقد تضمَّن هذا المقطع المعاني التالية:

١) ملَّة التوحيد، ووصيَّة الأنبياء بها: الآيات:١٣٠ – ١٣٤

من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ...﴾.

المفردات اللغوية:

ومن يرغب: يقال: رغب في الشيء: أحبه، ورغب عنه: كرهه. **سفه نفسه**: أوقعها في سفه؛ و"السفه" ضد الرشد؛ وقيل: جهل نفسه؛ أي جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته، أو استخف بها وأذلها واحتقرها. **اصطفيناه**: اخترناه وجعلناه صفيًّا. **ووصى بها**: التوصية: إرشاد غيرك إلى ما فيه خير وصلاح له من قول أو فعل في الدين أو الدنيا. **أم كنتم شهداء**: "أم" هنا بمعنى "بل" وهمزة الاستفهام؛ أي "بل أكنتم" والمعنى: أكنتم حضوراً؟ وحضور الموت: حضور أماراته ومقدماته. **خلت**: مضت وذهبت. **لها ما كسبت**: أي ما عملت.

المعنى الإجمالي:

وبعد أن أثنى الله تعالى على إبراهيم ﷺ وجعله إماماً للناس يُقتدى به، وعهد إليه ببناء البيت وتطهيره للعبادة، أردف ذلك ببيان أنَّ ملَّته هي المِلَّة الحنيفية وهي التوحيد وإسلام القلب لله، فلا ينبغي لأحد أن يتحوَّل عنها. ولا أحد يرغب عن مِلَّة إبراهيم ويتركها معرضاً عنها إلا مَن جهِل ما لنفسه عليه من حق العبادة وتوحيد الله، أو استخَّف بنفسه وأذلَّها بتعمُّده مخالفة هذه المِلَّة الحنيفية القويمة؛ لأنه مَن ترك الخير والهدى والحق، فقد امتهن نفسه وأذلَّها.

ومِمَّا يدلّ على أنَّ في ملَّة إبراهيم ﷺ خير الدنيا والآخرة، أنَّ الله ﷻ اختاره في الدنيا واصطفاه على سائر الأنبياء ما عدا محمداً ﷺ، وجعله أبا الأنبياء، وأكرمه بحمل رسالة التوحيد، وهو في الآخرة من الصالحين الذين أدّوا ما أوجب الله عليهم لنفسه ولخلقه.

وبما أنَّ الله ﷻ عليم حكيم يعلم أين يجعل رسالته، ومَن يصطفي لحمل أمانته، فقد بادر إبراهيم عليه السلام عندما اختاره تعالى لحمل رسالته إلى حملها، معلناً إسلامه الكامل ظاهراً وباطناً لله تعالى.

وحرْصُ الأنبياء على مِلَّة التوحيد جعلهم يوصون بها أبناءهم، فهي وصية الأنبياء وميراثهم لأبنائهم، ولقد أراد إبراهيم ويعقوب عليهما السلام الخير لذريَّتهما، فأوصوهم بالدين الإسلاميّ الحنيف الذي اختاره الله لعباده، وأوصوهم بالثبات على هذا الدين والتمسُّك به حتى يلقوا الله ﷻ.

ولَمَّا كان اليهود يزعمون أنّهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، ردَّ الله تعالى عليهم منكراً قولهم بأنّهم ما كانوا حاضرين حين دنا أجل يعقوب وحضره الموت فقال لبنيه: من هو إلهكم الذي ستعبدونه بعد موتي _ وهذا كالوصيَّة لهم أن لا يعبدوا إلّا الله وحده _ فكان ردّهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾؛ فبدؤوا به؛ لأنّهم يخاطبونه؛ ثمَّ بينوا الآباء. ثمَّ أجابوه بما تقر به عينه فقالوا: نعبد إلهاً واحداً لا نشرك به شيئاً، ونحن منقادون لأمره، مستسلمون لشرعه.

ثم ردَّ تعالى جدال اليهود في آبائهم، فبيَّن أنّ هؤلاء أمة قد مضت، لهم أجرهم لا ينالكم مِمَّا كسبوا شيئاً، كما أنَّ لكم عملكم وأجركم لا ينالهم مما كسبتم شيئاً، ولا تؤاخذون بسيِّئاتهم، كما لا تثابون بحسناتهم.

مسألة: كيف عدَّ أبناء يعقوب عليه السلام إسماعيل عليه السلام مع آبائهم مع أنه عمّهم؟

والجواب: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: أمَّا إطلاق الأبوة على إبراهيم، وعلى إسحاق فالأمر فيه ظاهر؛ لأنّ إسحاق أبوه، وإبراهيم جدّه، وأمَّا إسماعيل

فهو عمٌّ؛ وذُكر مع الآباء؛ لأنَّ العمّ صنو الأب؛ كما قال النبي ﷺ لعمر ﷺ: **"أما شعرت أنَّ عم الرجل صنو أبيه"**؛ و"الصنو" الغصنان أصلهما واحد؛ وإن قيل إنّ هذا من باب التغليب، وأنّ الأب لا يُطلق حقيقة على العم إلَّا مقروناً بالأب الحقيقي؛ فلا إشكال؛ لأنّ التغليب سائغ في اللغة العربية، فيقال: "القمران"؛ ويراد بهما الشمس، والقمر؛ ويقال "العمران"؛ وهما أبو بكر، وعمر.

من هداية الآيات:

١- أنَّ الرشد في اتِّباع ملَّة إبراهيم، وأنَّ مُخالفتها سفه؛ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾.

٢- أنَّ الله تعالى اختار لعباده من الدين ما هو أقوم بمصالحهم؛ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾.

٣- أنَّه ينبغي للإنسان أن يتعاهد نفسه دائماً حتى لا يأتيه الموت وهو غافل، وأنَّ الأعمال بالخواتيم؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

٤- بيان أهمِّيَّته التوحيد، ووصيَّة الأنبياء به، وأنَّ أبناء يعقوب كانوا على التوحيد؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ ﴾.

٥- أنَّ الاعتماد على أعمال الآباء لا يُجدي شيئاً، وأنَّ على الإنسان أن ينظر ماذا كسب لنفسه؛ لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾.

٦- إثبات عدل الله، وأنَّه لا يُؤاخذ أحداً بما لم يعمله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

٧- الإشارة إلى السؤال يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ فمنطوق الآية: نفي السؤال عن عمل الغير؛ ومفهومها: ثبوت السؤال عن عمل العامل، وأنَّ الإنسان سيُسأل عن عمله.

ب) الآيات: ١٣٥ – ١٣٨

وجوب اتباع ملة الإسلام؛ لأنها ملّة جميع الأنبياء، وهي صبغة الله تعالى

من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

حنيفاً: مائلاً عمّا سوى التوحيد. **قولوا آمنا**: خطاب للرسول ﷺ، وأمته جميعاً. **وما أنزل إلى إبراهيم**: من الصحف التي ذكرها الله تعالى. **الأسباط**: جمع سِبْط؛ والسبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب، و**"الأسباط"** قيل: إنهم أولاد يعقوب؛ وقيل: هم أنبياء بني إسرائيل، الذين اختارهم الله تعالى من أسباطهم. **لا نفرق بين أحد منهم**: أي بالإيمان، وليس في الاتباع. **فقد اهتدوا**: سلكوا سبيل الهداية؛ و"الهداية" هنا هداية العلم والتوفيق؛ لأنهم آمنوا عن علم فوفِّقوا. **شقاق**: خلاف، مأخوذ من الشق وهو الجانب، فكأن كل واحد في شق غير شق صاحبه، لما بينهما من عداوة. **صبغة الله**: الصبغة في اللغة: اسم لهيئة صبغ الثوب، وجعله بلون خاص، والمراد بها هنا الإيمان أو دين الله الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره على صاحبه، كالصبغ في الثوب. والإيمان أو الدِّين مطهر للمؤمنين

من أدران الشرك، وهو حلية تزينهم بآثاره الجميلة، وهو متداخل ومنتشر في قلوب المؤمنين، كما يتداخل الصبغ، وبه يتبين أن الإيمان يشبه الصبغة في التطهير والحلية والتداخل.

المعنى الإجمالي:

ما زال السياق الكريم في حجاج أهل الكتاب وبيان أنَّهم لن يألوا جهداً في الدعوة إلى باطلهم وتضليلهم الناس، فاليهود والنصارى يدعون المسلمين ليدخلوا في دينهم زاعمين أنّهم هم المهتدون وغيرهم ضالون، فجاء الجواب الشافي من الباري ﷻ: أنَّ ما تدَّعونه باطل، بل الحق هو دين إبراهيم الذي تدَّعون أنَّكم على دينه، وإبراهيم ﷺ كان على الملَّة الحنيفية التي لا انحراف فيها، مقبلاً على الله، معرضاً عمّا سواه، قائماً بالتوحيد، تاركاً للشرك والمشركين.

ثمَّ أمر تعالى رسوله والمؤمنين أن يُعلنوا عن عقيدتهم الحقّة قولاً باللسان، واعتقاداً بالقلب، والدعوة إليها، إذ هي أصل الدين وأساسه؛ وهي الإيمان بالله الواحد الأحد، المستلزم للقبول، والإذعان. والإيمان بما جاء في القرآن الكريم، والسنة المطهَّرة. والإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء والرسل على حدٍّ سواء في أصل الإيمان. وأمَّا الشرائع فلكلٍّ منهم شِرعةً ومنهاجاً.

ثمَّ خصَّ سبحانه موسى وعيسى عليهما السلام بالذكر؛ لأنهما أفضل أنبياء بني إسرائيل، فيجب الإيمان بما أُعطوا من الآيات الشرعية؛ كالتوراة لموسى عليه السلام، والإنجيل لعيسى عليه السلام، والكونية؛ كاليد، والعصا لموسى عليه السلام؛ وكإخراج الموتى من قبورهم بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله لعيسى عليه السلام. فنؤمن بهذا كلِّه دون تفريق بين نبيٍّ ونبيّ؛ لأنّ جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام

يُصدِّق بعضهم بعضاً، ويشهدون لبعضهم بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم، ولهذا فنحن مسلمون لله قولاً، وعملاً، ظاهراً، وباطناً.

فإن آمن أهل الكتاب الإيمان الصحيح بما آمنتم به يا معشر المؤمنين فقد أصابوا الحق وساروا في طريق الرشاد والتوفيق، والطريق المستقيم الموصل لجنّات النعيم، وإن أعرضوا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به فإنّما هم في عداوة وخلاف، ولا بدّ أن يترتّب على عداوتهم للإسلام كيد ومكر بالنبي ﷺ وبالمؤمنين؛ ولهذا وعد الله ﷻ أن يكفي رسوله والمؤمنين شرَّهم وكيدهم وعداوتهم؛ لأنّه السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم وما يخفون من مكر وكيد، ولقد أنجز الله تعالى وعده لرسوله ﷺ، فعصمه منهم وردَّ كيدهم ومكرهم.

ولمَّا أمر تعالى المؤمنين بالإيمان بكلٍّ ما سبق؛ لأنّها هي الملَّة الحنيفية، أمرهم هنا بالتزام هذه المِلَّة؛ لأنها هي دين الله، فالزموا دينكم ظاهراً، وباطناً، كلزوم الصبغ للثوب، ولا تلتفتوا إلى هؤلاء الذين يريدون أن يصدُّوكم عن دينكم، فإنّ الشريعة جاءت من الله، ولا أحد يشرع للخلق أفضل وأحسن من خالقهم؛ وذلك؛ لأنّ صبغة الله هي دينه الحق؛ وهو أحسن الأديان، وأشملها، وأقومها بمصالح العباد.

من هداية الآيات:

١- أنَّ أهل الباطل يدعون إلى ضلالهم، ويدَّعُون فيه الخير؛ ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾.

٢- أنّ كل داعٍ إلى ضلال ففيه شبه من اليهود، والنصارى؛ كدعاة السفور والتحرر، ودعاة البدع.

٣- ينبغي مقابلة الباطل بالحق؛ لقوله تعالى: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾، وأنَّ ملَّة إبراهيم ﷺ أفضل الملل

٤- وجوب الإيمان بالله، وما أُنزل إلينا من القرآن والسنَّة، وما أوتي النبيّون من الآيات الشرعيَّة، والآيات الكونيَّة، وبجميع الأنبياء والرسل. على حدٍّ سواء في أصل الإيمان لا نفرِّق بين أحد منهم، وأمَّا الشريعة فنحن مأمورون باتِّباع شريعة محمَّد ﷺ التي نسخت جميع الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ...﴾.

٥- أنه ينبغي للمؤمن أن يشعر أنه هو وإخوانه كنفس واحدة، كما قال النبي ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبّك بين أصابعه؛ لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ فأتى بضمير الجمع.

٦- وقوع الشقاق بين أهل الكتاب، والمسلمين؛ وعليه فلا يمكن أن يتفق المسلمون وأهل الكتاب؛ فتبطل دعوة أهل الضلال الذين يدْعون إلى وحدة الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ ؛ فاليهود، والنصارى لمّا لم يؤمنوا صاروا معنا في شقاق؛ وهذا الشقاق لا بد أن يؤدي إلى عداوة، وبغضاء؛ وبالتالي إلى قتال؛ وهكذا وقع: فالمسلمون قاتلوا اليهود، وقاتلوا النصارى.

٧- الوعيد الشديد لهؤلاء المتولين عن شريعة النبي ﷺ؛ لقوله جل شأنه: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

٨- وجوب الالتزام بدين الله؛ لأنَّ هذا الدين حقّ حيث أضافه سبحانه إلى نفسه وأنَّه أحسن الأديان، وأكملها، وأشملها، وأقومها بمصالح العباد؛ لقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾.

٩- أنَّ هذا الدين حق؛ لأن الله سبحانه أضافه إلى نفسه؛ وكل ما يضاف إلى الله عزَّ وجلّ فإنّه حق.

١٠- أنَّ العقل يقضي بالتزام الدين؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾؛ فإن العقل السليم يهدي إلى التزام الأحسن.

ج) الآيات: ١٣٩ – ١٤١

المحاجّة، والبراءة من أعمال أهل الكتاب، وبيان ظلمهم

من قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

أتحاجوننا: أتجادلوننا؛ و"**المحاجّة**" هي أن يدلي كل خصم بحجته لنقض حجة الخصم الآخر. **مخلصون:** "**الإخلاص**" تنقية الشيء من كل الشوائب التي قد تعلق به؛ فالمعنى: أننا مخلصون لله الدين لا نشرك به شيئاً، ومخلصون له العمل فلا

نبغي بأعمالنا غير وجه الله. ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله: أي لا أحد أظلم ممن أخفى شهادة عنده من الله؛ وهم اليهود، والنصارى الذين كتموا صفة النبي محمد ﷺ.

المعنى الإجمالي:

يأمر تعالى نبيّه ﷺ أن ينكر على أهل الكتاب جدالهم وزعمهم أنَّ لهم مكانة خاصَّة عند الله تعالى، ويوبِّخهم على ادِّعائهم أنّهم أولى بالله من المسلمين، وهذه دعوى باطلة؛ لأنّهم يقرُّون أنّ ربّ الجميع واحد؛ وأنّنا وهم بالنسبة إلى الله سواء؛ تجمعنا صفة العبودية لله تعالى؛ والافتقار له ﷻ؛ وأنّنا جميعاً مسؤولون أمامه تعالى، لا يُسألون عنّا، ولا نُسأل عنهم؛ كل له عمله؛ و الله يجازي يوم القيامة كل إنسان بعمله؛ فلا تفاضل بين الناس إلّا بالتقوى وإخلاص العبودية له سبحانه.

ثمّ انتقل الحق سبحانه وتعالى من توبيخ هؤلاء الذين يحاجُّون في الله إلى توبيخ آخر؛ وهو دعواهم أنّ هؤلاء الرسل الكرام كانوا هوداً، أو نصارى؛ وهذه دعوى كاذبة؛ فليس هؤلاء هوداً، ولا نصارى؛ بل إن الله تعالى قال موبِّخاً لهؤلاء مبيِّناً ضلالهم: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران:٦٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:٦٥) فكيف يكون هو وذرِّيته هوداً أو نصارى؟!!! بل هم مسلمون لله تعالى، ولكنَّ هذا من سفه اليهود الذين يدَّعون ذلك؛ لأنَّ هذين الاسمين إنما حدثا بعد هؤلاء الرسل الكرام؛ فما حدث اسم اليهودية إلا بعد موسى ﷺ، وما حدث اسم النصرانية إلا بعد عيسى ﷺ.

ثمَّ أبطل الله تعالى دعواهم بطريق آخر؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ والجواب مبهم؛ لأنّه في غاية الوضوح والبيان؛ ولأنّه من المعلوم أنّه لا أحد أعلم من الله؛ ولكنّ الله سبحانه قال ذلك إلزاماً لهم حتى يتبين بطلان ما ادّعوه، وهم يعلمون أنّ هؤلاء الرسل كانوا حنفاء مسلمين، ويعلمون أنَّ هذا الرسول محمدﷺ هو المبشَّر به في كتابهم، لِما رأوه من الصفات المذكورة عندهم حتى إنَّهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنَّهم كتموا هذه الشهادة، ولا أحد أظلم عند الله مِمَّن كتم شهادة عنده، والله تعالى لا يغفل عمَّا يعمل هؤلاء؛ بل هو جلَّ في علاه عالم بهم، وسوف يحاسبهم عليه.

ثمَّ ختم تعالى هذا الجزء بتكرير الآية للمرة الثانية بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾؛ لقطع تعلق الإنسان بالنسب، وأن نَسَبه لا ينفعه عند الله، وإنما الذي ينفعه هو العمل الصالح الذي يكون قرينه في قبره وفي حشره.

من هداية الآيات:

١- وجوب البراءة من أعمال الكفار، وعدم التشبّه بهم؛ لأن المشابهة موافقة في العمل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ فنحن متميِّزون عنكم، وأنتم متميِّزون عنَّا.

٢- إبطال دعوى اليهود والنصارى أنَّ إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، كانوا هوداً أو نصارى؛ فهذه الدعوى باطلة؛ بل هم مسلمون لله تعالى.

٣- عظم كتم العلم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ فإنَّ العالم بشريعة الله عنده شهادة من الله بهذه الشريعة، كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾.

٤- ثبوت الصفات المنفية؛ وهي ما نفاه الله تعالى عن نفسه؛ وهي متضمِّنة لإثبات كمال ضدها؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ فلكمال مراقبته، وعلمه تعالى ليس بغافل عمّا نعمل.

٥- تخويف الإنسان، وإنذاره من المخالفة.

الجزء الثاني من سورة البقرة

من الآية (١٤٢) إلى الآية (٢٥٢)

من قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

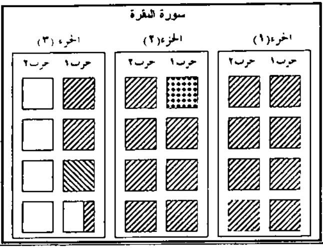

الجزء الثاني/ الحزب الأول/الربع الأول: الآيات: ١٤٢ – ١٥٧

المعنى الأول ١٤٢–١٥٢

أولاً التمهيد لتحويل القبلة الآيات ١٤٢ – ١٤٣

من قوله تعالى:﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾وقوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾

ثانياً:

أ) تحويل القبلة وبيان شدة عناد أهل الكتاب

الآيات ١٤٤ – ١٤٧

من قوله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾

إلى قوله تعالى: ﴿ الحقُّ من ربك فلا تكونن من الممترين﴾.

ب) التنافس المحمود: الآية /١٤٨/

قوله تعالى ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾

ج) المسجد الحرام قبلة المسلمين في أنحاء الأرض، و تمام نعمة الله عليهم، ووجوب ذكره وشكره الآيات ١٤٩ – ١٥٢

من قوله تعالى:﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

إلى قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

المعنى الثاني: ١٥٣–١٥٧

الصبر على البلاء.

الآيات ١٥٣ – ١٥٧

من قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

إلى قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾

الجزء الثاني من سورة البقرة

الحزب الأول – الربع الأول: الآيات: ١٤٢– ١٥٧

من قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ ﴾
إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ... ﴾.

وجه الربط:

مازال القرآن يبين قبائح اليهود وما كانوا عليه من المعاندة والاستكبار، وإن شاركهم فيه غيرهم من المشركين كإنكار تحويل القبلة والنسخ.

تضمَّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: الآيات:١٤٢– ١٥٢

أولاً: التمهيد لتحويل القبلة: الآيات: ١٤٢– ١٤٣

من قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ... ﴾
إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ... ﴾.

المفردات اللغوية:

السفهاء: السفه: إضراب الرأي والفكر أو الأخلاق، والسفيه هو الذي لا يُحسن التصرف لنفسه. **ولّاهم**: صرفهم. **القبلة**: أصلها الحالة التي يكون عليها المقابل. ثمّ خُصت بالجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة. **صراط**: "الصراط": الطريق الواسع الذي يسهُل سلوكه؛ والمراد به هنا شريعة الله التي شرعها لعباده. **مستقيم**: الذي اعوجاج فيه. **عَقِبَيْه**: العقب: مؤخر القدم، يُقال: انقلب على عقبيه عن كذا: إذا انصرف عنه بالرجوع إلى الوراء، والمراد يرتد عن الإسلام. **إيمانكم**:

صلاتُكم إلى بيت المقدس. لرؤوف: الرأفة: أشدُّ الرحمة؛ فهي رحمة خاصة. رحيم: أي متصف بالرحمة.

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ يصلي وهو بالمدينة متجهاً إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان عليه الصلاة والسلام يرغب أن يتوجَّه إلى الكعبة قِبلة إبراهيم ﷺ، وقبل أن يأتي أمر الله بالتوجُّه إلى الكعبة، أخبر تبارك وتعالى نبيَّه محمداً ﷺ بما سيقول هؤلاء الجهلة من المشركين واليهود ومن والاهم من المنافقين ضعاف العقول، ولذا ابتدأ الله تعالى الكلام بذكر ما سيقولون، آية له عليه الصلاة والسلام، وتسلية له ولأصحابه، حيث أخبر تعالى أنّه لا يعترض على أمره إلَّا سفيه، ثمَّ علَّم رسوله الردَّ على اعتراضهم ليوطِّن نفسه عليه، ويستعدَّ للإجابة عند إثارة التساؤلات.

وقد وقع ما أخبر به جلَّ في علاه فقد قال هؤلاء: أيّ شيء صرفهم عن التوجُّه في الصلاة إلى بيت المقدس؟ فأمر تعالى نبيَّه ﷺ أن يردَّ عليهم بقوله: لله المشرق والمغرب، فهو سبحانه المالك لجميع الجهات والأقطار يصرِّف إليها العباد كيف يشاء، والعبرة في الاستسلام لأمره تعالى، وهو الذي هدى هذه الأمَّة إلى القبلة التي يرضاها الرسول ﷺ، والهداية والرشاد إنما يكونا في اتِّباع شرعه، وشرعه هو الطريق المستقيم الموصل إلى رحمته ورضوانه، وهو أوسط الطرق وأعدلها، ولهذا اختاره تعالى طريقاً للأمَّة المسلمة الموَحِّدة التي فضَّلها سبحانه على جميع الأمم حيث هداها إلى استقبال بيته الذي هو أوَّل بيت وضع للناس، وأعظم بيت في الأرض، ولذلك حسدتها اليهود عليه، وأثاروا ضجَّة عظيمة على التَّولِّي عن

قبلتهم إلى الكعبة، وصاروا مع مَن يناصرهم من المشركين والمنافقين، حتى إنَّ بعض المسلمين ارتدَّ _ والعياذ بالله _ عن الإسلام لَّما سمعوا من زخرف القول من هؤلاء اليهود، وغيرهم.

ولَّما بيَّن تعالى أنّه قد هدى هذه الأمّة إلى الطريق المستقيم وهو دين الإسلام، وحوَّلهم إلى القبلة الوسط وهي بيت الله الحرام خاطب تعالى المؤمنين مبيِّناً نعمته عليهم بأن جعلهم أمّة خياراً عُدولاً وسطاً في كلِّ الأمور بلا إفراط ولا تفريط، وكلَّفهم بأكمل الشرائع وأقوم المناهج، فمن أعظم الميزات التي تمتاز بها الشريعة الإسلامية، ميزة الوسطية والاعتدال في أحكامها، ولهذا أكرمها تعالى بمنزلة الشهادة على الأمم يوم القيامة بأنَّ رسلهم قد بلَّغتهم رسالة ربهم، ويشهد الرسول على أمته بأنّه قد بلَّغهم البلاغ المبين، فإن أنكرت الأمم أنّ أنبياءهم بلَّغتهم، استشهد الأنبياء بهذه الأمّة، وزكَّاها نبيَّها ﷺ وأَعْلَم بعدالتها.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: **"يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلّغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمّته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا نذير، فيقول: مَن شهودك؟ فيقول: محمد وأمّته، فيُجاء بكم فتشهدون"** ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾ قال: _ عدلاً _﴿ وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾. قال ابن حجر في الفتح: والحديث أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والإسماعيلي، بزيادة:

"فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبيّنا أنّ الرسل قد بلّغوا، فصدَّقناه"

ثمَّ بيّن تعالى الحكمة من استقبال بيت المقدس أولاً، ثمّ التَّحول بعدها إلى الكعبة ليظهر حال مَن يتَّبع الرسول، مِمَّن ينكص على عقبيه ويرتدُّ عن الإسلام بسبب

ضعف إيمانه، فهو امتحان وابتلاء ليظهر ما علمه الله تعالى في سابق علمه للرسول وللمؤمنين، ولتقام عليهم الحجة وما يترتَّب على ذلك من ثواب وعقاب.

ثمَّ بيَّن تعالى أنَّ هذه الواقعة _ وهي تحويل القبلة _ ثقيلة عظيمة إلَّا على الذين وفَّقهم الله تعالى إلى الحق، فعرفوه وانقادوا له، وحفظ الله تعالى قلوبهم من الاعتراض والفساد، فهؤلاء لا يثْقُل عليهم اتِّباع الرسول ﷺ والاستسلام لأحكام الله وشرعه.

ولمَّا كان تغيير القبلة قد يثير التساؤل بين بعضهم عن حُكم مَن مات قبل التحويل، بيَّن سبحانه أنّ رأفته ورحمته تقتضي أن لا يضيع أجر عمل عامل إذا كان مبنيّاً على الإيمان، فكذلك لا يضيع أجر مَن صلَّى إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، ولا يضيع إيمان من آمن، وصدَّق، وعمل صالحاً، ومات على ذلك، فهو سبحانه لطيف بعباده، شديد الرحمة بهم، عظيمها.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: قد اشتملت الآية: ـ ١٤٢ ـ على ما يلي:

معجزة- وتسليَة - واعتراض وصفة المعترضين والرَّد عليهم- وصفة المُسلِّم لحكم الله دينه- وتطمين قلوب المؤمنين، وهي:

- في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ... ﴾ معجزة للنبيﷺ بإخباره عمّا سيتم من هؤلاء السفهاء من الاعتراض على تحويل القبلة، والإخبار بالغيب من دلائل نبوته ﷺ، وفي ذلك أيضاً **تسلية له ﷺ**؛ وذلك أنه لن يعترض على حكم الله وشرعه إلا سفيه جاهلٌ معاند، والعاقل لا يبالي باعتراض السفيه ولا يلقي له ذهنه، **وفي هذا بيان لصفة هذا المعترض**؛ بأنَّه سفيه قليل العقل والحلم والديانة، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقَّى أحكام ربه بالقبول، والانقياد،

والتسليم. فدلَّت الآية بمفهومها على صفة المؤمن العاقل المسلِّم لحكم الله الذي ينقاد ويستسلم لأوامره سبحانه وتعالى.

- وفي قوله تعالى: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ...﴾ اعتراض من المشركين والمنافقين وأحبار اليهود.
- وفي قوله تعالى:﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ...﴾ الرد على هؤلاء السفهاء؛ فإذا كان المشرق والمغرب ملكاً لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، فلأيِّ شيءٍ يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله؟! فأنتم لم تستقبلوا جهة ليست ملكاً له.
- وفي قوله تعالى: ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ...﴾ تطمين لقلوب المؤمنين. وأنَّ من يتخذ أسباب الهداية يهده الله فضلاً منه وإحساناً.
- ولّما كان قوله تعالى:﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ... ﴾ مطلقاً، والمطلق يُحمل على المقيَّد؛ فإنَّ الهداية والضلال لها أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، وقد ذكر الله ﷻ في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقاً بجميع أنواع الهداية، ومِنَّة الله عليها فقال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ أي: عدلاً خياراً.. وما عدا الوسط داخل تحت الخطر.

فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين:

أ. وسطاً في الأنبياء بين من غلا فيهم – كالنصارى – وبين من جفاهم – كاليهود – بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك.

ب. ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

ج. وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصحّ لهم صلاة إلَّا في بِيَعِهم وكنائسهم، وقد حرِّمت عليهم الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجِّسون شيئاً، ولا يُحرِّمون شيئاً، بل أباحوا ما دبَّ ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمّها، وأباح لهم الطيبات من المطاعم والملابس والمناكح، وحرَّم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمَّة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلّها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان مالم يهبه لأمَّة سواهم فلذلك كانوا ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ كاملين معتدلين، ليكونوا ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمّة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالردّ فهو مردود، فإن شكَّ شاكٌّ في فضلها وطلب مزكِّياً لها، فهو أكمل الخلق؛ نبيهم ﷺ: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا... ﴾

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ فمن رأفته ورحمته بهم أن أتمّ عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن ميَّز عنهم مَن دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحاناً زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجتهم، وأن وجَّههم إلى أشرف البيوت، وأجلِّها. ا.هـ

من هداية الآيات:

١ – أنَّه مَن اعترض على حكم الله فهو سفيه؛ لقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ...﴾

٢- إعلام المرء بما يُتوقَّع أن يكون؛ ليستعدَّ له.

٣- فضيلة هذه الأمَّة، حيث هداها الله جلَّ في علاه إلى استقبال بيته الذي هو أوَّل بيت وضع للناس، وجعلها أمَّة وسطا.

٤- أنَّ الله تعالى قد يمتحن العباد بالأحكام الشرعيّة إيجاباً، أو تحريماً، أو نسخاً.

٥- وجوب اتِّباع الرسول ﷺ؛ لقوله تعالى:﴿ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ... ﴾

٦- أنَّ التقدّم حقيقة إنَّما يكون بالإسلام، وأنّ الرجعية إنّما تكون بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى:﴿ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ... ﴾ فإنَّ هذا حقيقة الرجوع على غير هدىً؛ لأنَّ الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسِّكين بكتاب الله وسنّة رسوله (رجعيون)، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة؛ لأنّ الله سمَّى مخالفة الرسول ﷺ انقلاباً على العقب؛ ولا أبلغ من هذا الرجوع أنّ الإنسان يرجع على عقبيه رجوعاً أعمى _ والعياذ بالله _ لا يدري ما وراءه.

٧- أنَّ العمل من الإيمان؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ... ﴾ ؛ وهذا دليل لمذهب أهل السنة والجماعة؛ أنَّ الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

لطيفة:

- ثبت علمياً أن مكة المكرمة التي جعل الله فيها قبلة المسلمين أفضل بقاع الأرض وأشرفها وأوسطها فهي سُرَّة الأرض ومركزها.

فقد ذكرت مجلة البحوث الإسلامية في عددها السادس، تحت عنوان الإسقاط المكي العام "وعندما تم توقيع حدود القارات السبعة على خريطة الإسقاط، وجدنا أن الحدود الخارجية لهذه القارات يجمعها محيط دائرة واحد مركزها عند

مدينة مكة المكرمة، أي أن مكة تعتبر وسطاً للأرض على سطح الكرة الأرضية. والعجيب أن بعض قدماء التفسير ذكروا هذه الحقيقة عند تفسير هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ مثل "القرطبي" وهو من علماء القرن السابع الهجري، و"البقاعي" وهو من علماء القرن التاسع الهجري"

ثانياً: الآيات: ١٤٤- ١٥٢

من قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ... ﴾

وقد تضمَّن هذا المقطع المعاني الرئيسة التالية:

أ) تحويل القبلة، وبيان شدة عناد أهل الكتاب: الآيات: ١٤٤ – ١٤٧

إلى قوله: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ... ﴾

وجه الربط:

لمّا ذكر تعالى فيما تقدَّم ما قاله السفهاء عند تحويل القبلة، ذكر في هذه الآيات أنَّ اعتراض أهل الكتاب على رسالة النبيﷺ لم يكن لشبهة، وإنما للمعاندة. وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ من جحودهم.

روى البخاري عن البراء بن عازب قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بين المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا... ﴾ فقال السفهاء من النّاس:﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا...﴾ فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ... ﴾.

المفردات اللغوية:

تقلب وجهك في السماء: تردُّد نظرك مرة بعد مرة في جهة السماء، ترقُّباً لنزول الوحي جبريل بتحويل القبلة إلى الكعبة. **فلنولينّك**: فلنوجهنَّك؛ وقيل: فلنحولنّك. **فولِّ وجهك**: استقبل بوجهك، والمراد بالوجه: جملة البدن. **شطر المسجد الحرام**: جهة المسجد الحرام؛ وسمِّيت الكعبة بالمسجد الحرام إشارة إلى أنَّ الواجب على البعيد مراعاة الجهة، دون عين الكعبة. الحرام: صفة مشبهّة من الحُرُم؛ وهو المنع؛ وسمِّي "حراماً"؛ لأنّه يُمنع فيه من أشياء لا تُمنع في غيره، ولأنَّه محترم معظَّم. **بكلّ آيةٍ**: الباء للمصاحبة؛ والمعنى مصطحباً كلَّ آية؛ "والآية" العلامة والبرهان والحجَّة. **أهواءهم**: جمع هوى، وهو الميل؛ ويُطلق "الهوى" في الغالب عن الميل عن الحقّ؛ ويُقابله "الهدى"؛ فيُقال: اتبع الهوى بعد الهدى. **الممترين**: الشاكِّين.

المعنى الإجمالي:

تبيِّن الآيات الكريمات كيف كان النبيّ ﷺ يحبّ أن يحوِّله الله تعالى إلى قبلة إبراهيم ﷺ، وأنّه كان كثير النظر إلى جهة السماء، ينتظر نزول الوحي عليه، يأمره بالتحوُّل إلى الكعبة، فأخبره تعالى أنّه كان كثيراً ما يرى تردُّد نظره في السماء، متشوِّقاً لنزول الوحي، فأكّد له سبحانه أنّه سيحوِّله لقبلة تحبّها وتميل إليها، فقال له: استقبل بوجهك جهة المسجد الحرام، ثمَّ عَدَلَ سبحانه بالخطاب إلى المؤمنين آمراً إيَّاهم أن يتوجَّهوا في صلاتهم أينما كانوا من برٍّ أو بحرٍ، وشرق وغرب، وجنوب وشمالٍ، إلى جهة المسجد الحرام.

ثمَّ عادت الآيات الكريمات لمناقشة أهل الكتاب الذين اشتركوا في تحريك الفتنة بعد تحويل القبلة فبيّن الله أنَّ أهل الكتاب والعلماء منهم خاصَّة يعلمون علماً جازماً أنَّ النبي ﷺ في تحوُّله واستقباله المسجد الحرام على حقٍّ، لما يجدونه في كتبهم في شأن النبيِّ ﷺ والبَشارة به، وأنّه سيُصلّي إلى القبلتين، ولكنّهم يتكاتمون ذلك بينهم حسداً، وكفراً، وعناداً ولهذا تهدَّدهم الله تعالى بالعقاب والعذاب، وأنَّه حفيظ على أعمالهم محيط بها، وسيجازيهم عليها الجزاء الأوفى.

ولمَّا كان النبي ﷺ _ من كمال حرصه على هداية الخلق _ يبذل غاية ما يقدر عليه من النصيحة، ويتلطَّف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، ومنهم هؤلاء اليهود والنصارى المعاندين الجاحدين، أخبره سبحانه أنَّه لو قام كلّ دليل على صحة ما جاءهم به، وأنهم مهما أوتوا من الآيات فإنّهم لن ينصاعوا لك، ولن يتَّبعوا قبلتك، لدأبهم على إنكار الحق، وترويج الباطل، ولعنادهم وشدَّة جحودهم، وإذا كان كذلك فلن يتَّبعوا دينك؛ لأنّ القبلة بعض الدِّين؛ فمتى كفروا بها فهو كفر بالدِّين كلّه.

ثمَّ بيَّن الله تعالى أنَّ الرسول ﷺ لم يكن أبداً ليتَّبع قبلتهم بعد أن هداه الله تعالى إلى أفضل قبلة وأحبها إليه؛ ولأنَّه نبيٌّ مرسل يتَّبع وحي الله ولا يتَّبع أهواء هؤلاء الجاحدين؛ وهذا هو السرّ في التعبير _ والله أعلم _ بالجملة الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ... ﴾ ، وفي الكلام عنهم أتى بالجملة الفعلية في قوله تعالى: ﴿ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ... ﴾ .

ثمَّ بيَّن تعالى أنَّ أهل الكتاب مختلفون فيما بينهم، فاليهود لا تتبع قبلة النصارى؛ لأنّهم يقولون أنّهم كفار ليسوا على حق، والنصارى لا تتبع قبلة اليهود؛ لأنّهم

يقولون أنّهم كفار، واختلافهم هذا لا دليل عليه، وإنَّما فعلوا ذلك اتّباعاً لأهوائهم ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ ولم يقل دينهم؛ لأنّ ما هم عليه مجرَّد هوى نفس، حتى هم _ في قلوبهم _ يعلمون أنّه ليس بدين، ومَن ترك الدِّين، اتَّبع الهوى لا محالة. ولهذا حذّر الله تعالى نبيَّه من اتِّباعهم؛ لأنّه اتِّباعٌ للهوى لا للهدى، وإذا وقع هذا بعدما تبيَّن لك أنّك على الحق، وهم على الباطل. فأنت من الظالمين لأنفسهم، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ خطاب للنبي ﷺ ، وأمته داخلة في ذلك فإذا كان النبي ﷺ فاعلاً ذلك – **وحاشاه لعصمته ﷺ** فلا يمكن أن يقع منه ذلك – صار ظالماً مع علو مرتبته وكثرة إحسانه، فغيره من باب أولى .

ثمّ أخبر سبحانه أنَّ أهل الكتاب الذين أعطاهم الله تعالى التوراة والإنجيل قد تقرَّر عندهم وعرفوا أنَّ محمدا رسول الله ﷺ، وأنَّ ما جاء به حق؛ لأنّهم يجدونه مكتوباً عندهم في كتبهم، وتيقَّنوا ذلك كما تيقّنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون بغيرهم، ومع هذه المعرفة التّامة فإنّ طائفة منهم يخفون هذه الشهادة مع تيقّنها والعلم بأنَّ هذا الرسول حقّ وقد جاء بالحق، هذا الحق الذي هو أحق أن يسمّى حقّاً من كل شيء؛ لِما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتزكية النفوس وحثِّها على تحصيل مصالحها، ودفع مفاسدها، لصدوره من ربِّك أيّها الرسول، فلا يحصل لك أدنى شكّ وريبة فيه، _ وكما بيَّنا أنّه ﷺ لا يمكن أن يقع منه ذلك، بل المراد تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين في وجه حملات التضليل والتشكيك التي أثارها يهود المدينة حينئذ.

من هداية الآيات:

١- أنَّ حديث الآحاد تثبت به العقيدة، لأنَّ أهل المسجد صدَّقوا من أخبرهم، - وهو واحد فقط - بأنَّ القبلة قد تحولت إلى الكعبة بينما هم يصلون قِبل بيت المقدس فداروا كما هم قِبل البيت، فتصديقهم خبر الواحد في أمر كهذا، هو لا شك عقيدة.

٢- وجوب الاتجاه نحو المسجد الحرام؛ لأنّه قبلة المسلمين في أي مكان كانوا.

٣- انتفاء غفلة الله ﷻ عن أعمال العباد المتضمن لكمال علمه، وإحاطته بهم.

٤- أنّ اتِّباع اليهود والنصارى اتباع للهوى لا للهدى.

٥- أنّ ما جاء من عند الله تعالى فهو حق، لذا يجب أن يؤمن الإنسان به، وأن لا يلحقه في ذلك شك.

٦- أنّ الشك ينافي الإيمان.

ب) التنافس المحمود: الآية: /١٤٨/

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا... ﴾ .

المفردات اللغوية:

ولكِلٍ وُجهة هو مولِّيها: الوجُهة، والجهة، والوجه، معناها متقارب؛ أي: لكلِّ واحد من النّاس جهة يتولاها؛ وهذا شامل للجهة الحسية؛ كاختلاف النّاس إلى أين يتجهون في صلاتهم: فمنهم من يتجه نحو المشرق؛ ومنهم من يتجه نحو بيت المقدس؛ ومنهم من يتجه نحو الكعبة؛ وكاختلاف النّاس في اتجاههم في العمل:

فمنهم من يتجه للتجارة؛ ومن يتجه للنجارة.. وهكذا، والمعنوية؛ كاختلاف النّاس في الملل، والنِحل. **فاستبقوا الخيرات**: بادروا إلى الطاعات. **يأت بكم الله**: يجمعكم يوم القيامة، فيُجازيكم بأعمالكم.

المعنى العام للآية الكريمة:

تستمر الآيات الكريمات في تأييد موقف النبي ﷺ في اتجاهه إلى الكعبة، وإبطال دعوى المنكرين، فذكر الله تعالى أنّ لكلٍّ أمّة أو مِلَّة جهة وقبلة ولّاها الله إيّاها حسب ما تقتضيه حكمته، وليس الشأن في استقبال القبلة؛ فإنَّه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، ولكنَّ الشأن في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، والتنافس المحمود إنما يكون بالاستباق إلى الخيرات.

ولمّا كان أقوى ما يحثّ النفوس على المسارعة إلى الخير ويُنشِّطها ما رتَّب الله عليها من الثواب؛ نبَّه تعالى أنّه جامع الناس يوم القيامة في مقام واحد، حيث يحشر الأوَّلين والآخِرين، فيجازي كل عامل بعمله.

لطيفة: يقول ابن سعدي رحمه الله تعالى:

والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها وإيقاعها على أكمل الأحوال والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا فهو السابق في الآخرة إلى الجنات فالسابقون أعلى الخَلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد ونفع متعد وقاصر.

ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام، والحج والعمرة، وإخراج الزكاة.

فلله ما أجمعها وأنفعها من آية!! ا.هـ

ج) الآيات: ١٤٩- ١٥٢

المسجد الحرام قبلة المسلمين في أنحاء الأرض،

وتمام نعمة الله عليهم﴿١٤٩-١٥١﴾ ووجوب ذكره وشكره تعالى﴿١٥٢﴾

من قوله تعالى:﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ... ﴾

إلى قوله تعالى:﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ...﴾ .

المفردات اللغوية:

لئلّا يكون للناس: كل من احتجَّ على المسلمين بتحويلهم من بيت المقدس إلى الكعبة؛ كاليهود، والمشركين، والمنافقين. **إلّا الذين ظلموا منهم:** المُعاندون المكابرون الذين لا يَرْعَوون للحقِّ مهما تبيَّن. **واخشوني:** "الخشية"، "والخوف" متقاربان؛ إلّا أنّ أهل العلم يقولون: إنّ الفرق أنّ "الخشية" لا تكون إلّا عن علم؛ بخلاف "الخوف": فقد يخاف الإنسان من المخوِّف وهو لا يعلم عن حاله. **ولأُتمَّ نعمتي عليكم:** "النِّعمة" هي ما ينعَم به الإنسان؛ ويُقال: "نِعمة" بكسر النون؛ ويُقال: "نَعمة" بالفتح؛ لكنّ الغالب في نعمة الخير أن تكون بالكسر؛ و"النَّعمة" بالفتح: التنعيم من غير شكر، كما قال تعالى:﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ (الدخان: ٢٧) وقال تعالى: ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ... ﴾ (المزمل: الآية١١).

يُزكّيكم: يطهركم، ويُنمّي أخلاقكم ودينكم. **الكتاب**: القرآن. **الحكمة**: أسرار الشريعة، وحُسن التصرف بوضع كل شيء في موضعه اللائق به. وقال بعضهم: "الحكمة" السُنَّة. **واشكروا**: أي قوموا بالشكر؛ و"الشكر" هو القيام بطاعة المنعم. **لا تكفرون**: لا تجحدون.

المعنى الإجمالي:

وعادت الآيات الكريمات بعد أن دفعت شبهات المعترضين على تحويل القبلة، إلى تأكيد حكم التحويل فكرَّرت الخطاب مرَّات لبيان أهميَّة الثبات على توجيه الله تعالى لنبيِّه والمؤمنين لاستقبال الكعبة، فأمر الله تبارك تعالى رسوله باستقبال جهة المسجد الحرام عند الصلاة في أيّ مكانٍ كان، في الأسفار وغيرها؛ لأنَّ هذه التولية حكم ثابت أمرك به ربك الذي لا يغفل عن أعمال عباده طرفة عين.

ثمّ كرَّر الأمر سبحانه لنبيِّه، وللمسلمين عامَّة بالتوجّه للكعبة عند الصلاة تأكيداً، وبياناً لأهمِّيَّته، وقطعاً لاحتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين على المسلمين بتحويلهم من بيت المقدس إلى الكعبة.

قال ابن سعدي: لمّا حصل في صرف المسلمين إلى الكعبة فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب والمنافقون وأكثروا فيها من الكلام والشُّبه؛ بسطها تعالى، وبيَّنها أكمل بيان، وأكَّدها بأنواع من التأكيدات:

* منها: الأمر به ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة.

* ومنها: أن الأمر إمَّا أن يكون للرسول فتدخل فيه الأمة، أو للأمة عموماً، وهذه الآية أُمِر فيها الرسول بالخصوص؛ فقال تعالى:﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ... ﴾ والأمة عموما؛ بقوله تعالى: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ...﴾.

* ومنها: أنَّه تعالى ردَّ فيها جميع الاحتجاجات الباطلة التي أوردها أهل العناد وأبطلها شُبهة شُبهة؛ لأنَّ اليهود يعلمون من كتابهم أنَّ من صفة الرسول ﷺ وصدقه أنَّه يتَّجه في صلاته إلى الكعبة، فبقاؤه في اتجاه الصلاة إلى بيت المقدس دائماً طعن في نبوته. ثم إن المشركين يرون أنّ من مفاخرهم هذا البيت العظيم، وأنه من ملَّة إبراهيم، وأنه إذا لم يستقبله ﷺ توجَّهت نحوه حججهم، وقالوا كيف يدَّعي أنه على ملَّة إبراهيم، وهو من ذرِّيته، وقد ترك استقبال قبلته، فباستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين ومن ورائهم المنافقين.

* ومنها: أنّ مجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال الله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ... ﴾.

* ومنها: أنه أخبر ـ وهو العالم بالخفيات ـ أنَّ أهل الكتاب متقرِّر عندهم صحة الأمر ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم؛ لقوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ... ﴾ ا.هـ (**تفسير ابن سعدي بقليل من التصرف**).

لكن رغم انقطاع حجج المخالفين المعاندين من اليهود، والمشركين في موضوع استقبال المسجد الحرام، فإنهم لن يتوقَّفوا عن معارضتكم، ولا يهتدون للحق مهما تبيّن، ولهذا اتَّجهت الآيات إلى تثبيت المؤمنين، فمهما قال الظالمون من زخارف القول، ومهما ضايقوا من مضايقات فلا تخافوهم، واخشَوْا الله وحده باتِّباعكم أوامره، والانقياد لشرعه ودينه.

ولمَّا ذكر الحق ﷻ أوَّل الحِكم والمِنَن في توليته لنا الكعبة المشرّفة؛ وهي ألّا يكون للناس علينا حجة؛ ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ... ﴾ بيَّن الحكمة والمِنَّة الثانية؛ وهي إتمام نعمته علينا بتوجيهنا إلى الكعبة بدلاً من بيت المقدس؛ فقال تعالى:

﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ... ﴾ فلا شكّ أن من نعمة الله ﷻ أنْ أنعم على المسلمين بتوجيههم إلى هذا البيت الذي هو أول بيت وضع للناس، وجعل أفئدة الناس وشعوب العالم تهوي إليه، وتكون سبباً في تحقيق منافع مادية ومعنوية لا حصر لها.

ولمَّا كانت خشيته ﷻ من أسباب الهداية ذكر تعالى الحكمة والمِنَّة الثالثة؛ وهي هدايتنا إلى العلم الشرعي، والعمل به؛ فقال سبحانه: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، فمن اتَّخذ أسباب الهداية هداه الله، ووفقه للعمل الصالح.

ولَّما كان توليته ﷻ لنا لاستقبال القبلة نعمة عظيمة، وكان لطفه بهذه الأمَّة ورحمته لم يزل يتزايد، ذكر تعالى مِنَّة رابعة هي من أبلغ مننه ونعمه ـ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ـ امتنَّ بها سبحانه علينا؛ فأصل النعمة الهداية لدينه بإرسال رسوله، وإنزال كتابه؛ ثم بعد ذلك النعم المتمِّمات لهذا الأصل؛ ولَّما كان الله تعالى قد خلق الخلق لِيُعْبد بما شرع؛ ولا يمكننا معرفة هذا إلا بواسطة الرسل؛ أرسل إلينا سبحانه وبحمده رسولاً منّا يقرأ علينا آياته المبينة للحق والهدى، الدَّالة على كمال ربوبيّته، ووحدانيّته، وسلطانه، ورحمته سبحانه وتعالى، ويطهِّرنا، وينمِّي أخلاقنا بتربيتنا على الأخلاق الجميلة، وتزكية النفوس من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر إلى التحابب والتواصل، وغير ذلك من أنواع التزكية، ويبيِّن لنا الأحكام الشرعيَّة، وأسرار الشريعة والفقه فيها، ويعلِّمنا ما نحتاج إلى العلم به من أمور الدنيا، والآخرة، مِمَّا لم

نكن نعلمه من قبل، فكلّ علم أو عمل نالته هذه الأمّة فعلى يده ﷺ، وبسببه كان. وبهذا تكمل الشريعة من جميع وجوهها، وتتميّز هذه الأمّة بشعائرها وشرائعها.

فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق، وهي أكبر نعم ينعم الله بها على عباده، فوظيفتهم شكره تعالى عليها، ودوام ذكره وطاعته.

من هداية الآيات:

١- دلت الآيات أن البيت قبلة مشاهده، والمسجد قبلة أهل الحرم، والحرم قبلة أهل الأرض.

٢- وجوب تنفيذ شريعة الله ﷻ، وخشيته، وألّا يخشى الإنسان لومة لائم.

٣- إثبات الحكمة في أفعال الله ﷻ.

٤- بيان نعمة الله تعالى علينا بإرسال الرسول ﷺ.

٥- أنّ مَن ذكر الله تعالى ذكره الله، ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي: **"من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي؛ ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"**

لطائف:

❖ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى...﴾ **قال الشيخ ابن عثيمين:** أُتي بالأمر بعد النهي؛ لأنّه كما يُقال: التخلية قبل التحلية؛ أي: أزِل الموانع أولاً، ثمّ أُثْبت؛ فأولاً **فرِّغ قلبك من كلِّ خشية لغير الله، ثمّ مكِّن خشية الله من قلبك.**

❖ الذكر هو رأس الشكر فلهذا أمر به الله سبحانه وتعالى خصوصاً فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ...﴾ ثم من بعد أمره بالشكر عموماً فقال سبحانه: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى...﴾ والشكر يكون بالقلب: إقراراً بالنعم واعترافاً، وباللسان: ذكراً وثناءً، وبالجوارح: طاعة وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيه.

❖ قال أهل العلم (الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود).

المعنى الثاني: الصبر على البلاء: الآيات: ١٥٣- ١٥٧

من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

وجه الربط:

لمَّا كان تحويل القبلة فتنة للنّاس، لاختبارهم وتمييز المؤمن الحق من المنافق الكاذب، وأن هذا التحويل نعمةً لا نقمة، بيَّن تعالى في هذه الآيات أنَّ النِّعمة قد تقترن بالبلاء وألوان المصائب، وأن لا دواء لتحمّل المصائب إلَّا بالاستعانة بالصبر والصلاة، فلمّا فرغ سبحانه من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، وإرشاد المؤمنين للاستعانة بالصبر والصلاة، فإنَّ العبد إمَّا أن يكون في نعمة فيشكرها، أو في نقمة فيصبر عليها.

المفردات اللغوية:

الصبر: توطين النفس على احتمال المكاره. **ولنبلونكم**: لنمتحنَنّكم، من الابتلاء: وهو الاختبار، والمراد نصيبنّكم إصابة من يخبر أحوالكم. **عليهم صلوات**: الثناء عليهم في الملأ الأعلى رفعاً لذكرهم، وإعلاءً لشأنهم.

المعنى الإجمالي:

استهلّ الحق سبحانه وتعالى هذه الآيات بنداء المؤمنين؛ للدّلالة على الاهتمام بما سيأمرهم به، أو ينهاهم عنه، وترغيباً وحثّاً لهم على الامتثال، فأمرهم الله تعالى بالاستعانة على أمورهم بالصبر والصلاة؛ إذ في الصبر تقوية الإرادة وتحمُّل المشقّة

والثبات على المصاعب، وأمّا الاستعانة بالصلاة؛ لأنّها عماد الدين، ونور المؤمنين وصلة العبد بربّه جلّ وعلا ومناجاته واستشعار هيبته؛ وهي مفزع الخائفين، وسبيل تفريج كرب المكروبين، واطمئنان نفوس المؤمنين، ولهذا قال الرسول الكريم: **"جعلت قرّة عيني في الصلاة"**، ولمّا كانت الصلاة من الصبر؛ لأنّها صبر على طاعة الله بشّر تعالى الصابرين بالبَشارة الكبرى بأنّه معهم يثبّتهم، ويؤيّدهم.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى:

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبَه وخصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر، وكذلك المعصية التي تشد دواعي النفس ونوازعها إليها، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار، وكذلك البلاء الشاق خصوصاً إذا استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسية والجسدية، ويوجد مقتضاها ـ وهو التسخط ـ إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله تعالى، فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه﴿ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وهذه معيّة خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره، وهذه منقبة عظيمة للصابرين. وأما المعيَّة العامة فهي معيّة العلم والقدرة، وهذه عامَّة للخلق. ا.هـ

ولمّا ذكر تبارك وتعالى الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأحوال ذكر نموذجاً ممّا يستعان بالصبر عليه وهو الجهاد في سبيله وأخبر أنَّ من قتل في سبيله حيّ يرزق عند ربّه إلى يوم القيامة.

ثم أقسم الله تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن ليتبيّن الصابر من الجازع، والصادق من الكاذب، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر . فأخبر سبحانه بأنواع البلاء:

- ❖ شيء من الخوف: من الأعداء
- ❖ شيء من الجوع: بالقحط.
- ❖ نقص من الأموال: بالهلاك أو الخسارة.
- ❖ نقص من الأنفس: بذهاب الأحباب من الأولاد والأقارب، ومن أنواع الأمراض.
- ❖ نقص من الثمرات: كالحبوب والأشجار، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية.

فمن صبر قولاً وفعلاً، واحتسب أجره عند الله، فهؤلاء لهم البشارة العظيمة، فنالوا: الثناء من الله سبحانه وتعالى، والرحمة التي يجدون أثرها في بَرْد قلوبهم وسكينة نفوسهم عند نزول المصيبة، وهؤلاء هم المهتدون إلى الحقِّ والصواب، ونافع الأعمال.

من هداية الآيات:

١ - إثبات معيَّة الله سبحانه وتعالى؛ ومعيَّته تعالى نوعان: **عامَّة** لجميع الخلق، ومقتضاها الإحاطة بهم علماً، وقدرة، وسلطاناً، وسمعاً، وبصراً. **وخاصّة**؛ ومقتضاها مع الإحاطة: النصر والتأييد.

والمعية الخاصة تكون مقيدة بوصف؛ كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، وتكون مقيدة بشخص؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ .

٢- الحث على الجهاد في سبيل الله وملازمة الصبر عليه.

٣- في الآيات دليل على نعيم البرزخ وعذابه؛ لقوله تعالى:﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ ...﴾.

٤- استحباب الاسترجاع عند المصيبة، وبيان عِظم الصبر، والثناء على الصابرين بأنهم هم المهتدون الذين اهتدوا إلى ما فيه رضا الله تعالى وثوابه.

٥- أن الله سيبتلي عباده؛ لقوله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ... ﴾ أي بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع كله، لهلكوا. والمحن للتمحيص لا للهلاك.

٦- بيان حكمة الله تعالى فيما يبتلي به العباد.

لطيفة: قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نِعم:

الأولى: أنَّها لم تكن في ديني.

الثانية: أنَّها لم تكن أعظم مِمَّا كانت.

الثالثة: أنَّ الله يُجازي عليها الجزاء الكبير، ثم تلا قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾.

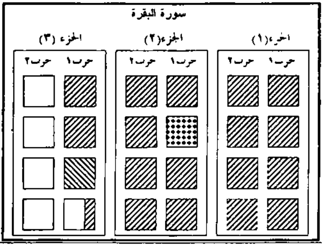

الجزء الثاني/ الحزب الأول/الربع الثاني: الآيات ١٥٨ – ١٧٦

المعنى الأول: الآية:/١٥٨/

السعي بين الصفا والمروة:الآية /١٥٨/

قوله تعالى:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ..﴾

المعنى الثاني:الآيات:١٥٩ – ١٦٢

جزاء كتمان ما أنزل الله:الآيات:١٥٩–١٦٢

من قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى .﴾

إلى قوله تعالى:﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ﴾

المعنى الثالث: الآيات: ١٦٣ – ١٧٦

أولاً: وحدانية الله ورحمته ومظاهر قدرته: الآيات: ١٦٣ – ١٦٤

قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، وقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. ﴾

ثانيا: براءة وحسرة: الآيات: ١٦٥ – ١٦٧

من قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا..﴾ وقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ .﴾

ثالثا: حل الطيبات ومنشأ تحريم المحرمات، وتحريم التقليد الأعمى:

الآيات: ١٦٨ – ١٧١

من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾.

إلى قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾

رابعا: العبادة والشكر: الآيات: ١٧٢ – ١٧٣

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾

خامسا: عود على بدء، كتمان أهل الكتاب ما أنزل الله: الآيات:١٧٤ – ١٧٦

من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾.

الجزء الثاني - الحزب الأول- الربع الثاني

الآيات: ١٥٨- ١٧٦

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ... ﴾ .

وجه الربط:

لمّا ذكر الله الصبر وأثنى على الصابرين، والشاكرين، وكان الحج من الأعمال الشاقّة المضنية للمال والبدن التي تحتاج إلى الصبر على أداء مناسك الله وتعظيم شعائره، أعقبه بذكر بعض شعائر الحج، وهو السعي بين الصفا والمروة لإتمام النعمة بالإشراف على البيت الحرام وتطهيره من الشرك والوثنيَّة، وتعظيم شعائر الله فيه.

وكل من الاتّجاه إلى الكعبة والسعي هو أيضاً إحياء لملَّة إبراهيم عليه السلام الذي مرّ معنا دعاءه عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ _ في آخر الجزء الأول _ فلا مسوّغ بعدئذ لمعاندة أهل الكتاب والمشركين في تحويل القبلة.

وهذه الآية الكريمة توطئة لِما سيأتي لاحقاً من تفصيل أحكام الحج والعمرة في نهاية الحزب الأول من الجزء الثاني.

تضمّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: السعي بين الصفا والمروة: آية /١٥٨/

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

كلمة في السياق:

أصل السعي مأخوذ من ترداد أمّنا هاجر رضي الله عنها بين الصفا والمروة في طلب الماء لابنها إسماعيل لما نفد منها التمر، والماء، وتقلّص لبنها، وجاع ابنها، حين تركها إبراهيم عليه السلام بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرَّم، وليس عندها أحد من الناس، فلمّا خافت على ولدها الضَّيعة هناك قامت تسعى بين جبلين معروفين شرقيَّ الكعبة؛ جبل أبي قبيس؛ وهو الصفا، وجبل قُعَيقعان؛ وهو المروة، فكانت تصعد عليهما لتتحسَّس هل حولها أحد، ولمَّا أتمَّت الشوط السابع من سعيها بين الجبلين وقد انقطع رجاؤها من وجود أحد من الناس، وتعلَّق قلبها بالله وحده، كشف الله تعالى كربتها، وآنس غربتها، وفرَّج شدَّتها، وأنبع لها ماء زمزم التي ماؤها طعام طعم وشفاء سقم، وأكرمها الله عز وجل، وأكرم آل إبراهيم بأن جعل فعلها شعيرة من شعائره إلى يوم القيامة، تتذكّر فيه هذه الأمّة ارتباطها بإبراهيم وآله، وتقتدي بفعله وفعل آله، وتتذكَّر فيه هذه الأمّة عاقبة التسليم لأمر الله وطاعته، ومجيء الفرج بعد الشدة، وتتذكَّر فيه هذه الأمّة تلك اللحظات الصِّعاب التي مرّت بها أمّنا أم إسماعيل أثراً عن طاعتها وطاعة إبراهيم لله عز وجل. فكم هي رائعة عاقبة الصبر على أمر الله.

المفردات اللغوية:

شعائر الله: "شعائر": جمع شعيرة؛ وهي التي تكون عَلَماً في الدين؛ يعني من معالم الدين الظاهرة؛ وتُسمى المشاعر أيضاً، وواحدها مَشْعر، وهي تُطلق أحياناً على معالم الحجّ ومواضع النُّسك، وحيناً آخر على العبادة والنُّسك فيه. **فمن حجَّ البيت أو اعتمر: "الحجّ"** لغة: القصد، وشرعاً: قصد البيت الحرام لأداء مناسك الحجّ،

والعمرة: لغة: الزيارة، وشرعاً: زيارة البيت لأداء مناسك العمرة. **فلا جناح**: فلا إثم.

المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى مقرِّراً أنَّ السعي بين الصفا والمروة من معالم الدين الظاهرة التي تعبَّد الله بها عباده، ومن مناسك الحج والعمرة، فمن قصد بيت الله الحرام حاجّاً أو معتمراً فلا إثم عليه أن يسعى بينهما؛ لأنّها من شعائر الله؛ ولدفع ما وقع في نفوس بعض المسلمين من التحرُّج بالطواف بهما. فقد أخرج الشيخان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال: قلت لعائشة: أرأيت قول الله:﴿ **إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا**...﴾ فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أوَّلتها عليه، كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنّهما إنّما أنزلت؛ لأنّ الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يُهلّون لمناة الطاغية، وكان مَن أهلَّ لها، يتحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله، فأنزل الله هذه الآية.

ثم بيَّن تعالى أنَّ مَن فعل طاعة من الطاعات زيادة على ما فرض الله تعالى عليه فإنّه تعالى يعلم ذلك؛ لأنّه ذو علم، ويشكر، ويثيب عليه؛ لأنّه سبحانه وتعالى شاكر، وشكور؛ وشكره تعالى أن يثيب العامل أكثر من عمله؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وقرن الحق سبحانه هنا العلم بالشكر ليطمئن العبد إلى أنّ عمله لن يضيع فإنّه معلوم عند الله، وسيجزيه على عمله بما وعده به، وأكثر.

من هداية الآية:

١- مشروعيَّة الطواف بين الصفا والمروة؛ لكونه من شعائر الله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...﴾ واختلف أهل العلم في السعي هل هو ركن، أو واجب، أو سُنَّة على أقوال ثلاثة؛ فقال بعضهم: إنّه ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلَّا به؛ وقال بعضهم: إنّه واجب من واجبات الحج يجبر بدم، ويصح الحج بدونه؛ وقال آخرون: إنّه سُنَّة. **والقول** بأنّه سنّة ضعيف جداً؛ لأن قوله تعالى: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ...﴾ يدل على أنّه أمر مهم؛ لأنّ الشعيرة ليست هي السنة فقط؛ الشعيرة هي طاعة عظيمة لها شأن كبير في الدين.

بقي أن يكون متردِّداً بين الركن، والواجب؛ والأظهر أنّه ركن في الحج والعمرة؛ لأنّ الأحاديث النبوية دلت عليه قولاً وفعلاً، فقد قال ﷺ: "**اسعوا فإنّ الله كتب عليكم السعي**"؛ وفعله ﷺ عندما حجّ واعتمر، وقال: "**خذوا عني مناسككم**"

٢- أنَّ الطاعة خير؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا...﴾ ولا ريب أن طاعة الله تعالى خير للإنسان.

وقفـة:

قال ابن سعدي رحمه الله: دلَّ تقييد نفي الجناح فيمن تَطَوَّف بهما في الحج والعمرة.

في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ...﴾ أنه لا يتطوع بالسعي مفرداً إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت فإنه يُشرع مع الحج والعمرة، وهو عبادة مفردة؛ وأمّا السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنّها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك كانت بدعة.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ :

- دلَّ أنَّه كلما ازداد العبد طاعة لله، ازداد خيره وكماله ودرجته عند الله لزيادة إيمانه.

- ودلَّ تقييد التطوع بالخير أنَّ من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله أنَّه لا يحصل له إلا العناء وليس بخير له، بل قد يكون شرّاً له إن كان متعمِّداً عالمَاً بعدم مشروعيَّة العمل.

- وفي قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ "الشاكر"، و"الشكور" ﷻ من أسماء الله تعالى؛ الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته، أعانه على ذلك وأثنى عليه ومدحه وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً، وفي بدنه قوة ونشاطاً، وفي جميع أمواله زيادة وبركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق، ثم بعد ذلك يَقْدُمُ على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفورا. ومع أنه شاكر ﷻ فهو عليم ﷻ بمن يستحق الثواب الكامل بحسب نيته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم ﷻ بأعمال العباد فلا يضيّعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نيّاتهم التي اطَّلع عليها العليم الحكيم ﷻ.

لطيفة:

في التعبير عن الجزاء الحسن بالشكر تربية على فضائل الأخلاق؛ إذ أنّ منفعة عمل العباد عائدة إليهم، وهو سبحانه مع ذلك قد شكرهم عليه، فهل يليق بعدئذ كفران النعمة الإلهية وعدم شكرها؟!، إنّ شكر المعروف وتقدير النعمة

سمة أهل الوفاء والإخلاص، بل هو سبب لزيادة النعمة ودوامها وإسبال الستر الإلهي على العبد الطائع الشاكر.

المعنى الثاني: جزاء كتمان ما انزل الله: الآيات: ١٥٩- ١٦٢

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾.

المفردات اللغوية:

يكتمون: يُخفون. **البينات**: الآيات. **الهدى**: العلم النافع الذي يهتدي به الخلق إلى الله ﷻ. **يلعنُهم الله**: يطردُهم ويُبعدهم من رحمته. **ويلعنُهم اللاعنون**: يسألون لهم اللعنة. **يُنظرون**: يمهلون.

المعنى الإجمالي:

عاد السياق بعد أن قرَّر أنّ الصفا والمروة من شعائر الله، إلى كشف موقف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في معاندة الرسول ﷺ ومعاداتهم إيّاه، ولا سيما علماء اليهود وأحبارهم، وما تضمَّنه موقفهم من معرفتهم النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وأنّهم يكتمون الحق وهم يعلمون، ولهذا بيّن تعالى قبح صنيع مَن يخفي ما أنزل الله من الآيات البيِّنات، والعلم النافع الذي يهتدي به الخلق إلى الله ﷻ، وقد بيَّنه سبحانه للناس وأظهره لهم في الكتب المنزلة عليهم، فمن كتمه وأخفاه إمَّا بلسان الحال؛ بعدم ذكر نصوصه للناس حين الحاجة إليه؛ كأن يُرى شخص يعمل عملاً ليس على الوجه المرضي؛ فهذا لسان حاله يدعو إلى أن يبيَّن له الحق؛ وإمَّا بلسان

المقال؛ كأن يسأل سائل عن علم يعلمه الإنسان فيجب تعليمه، فمن نبذ ذلك وكتم ما عنده من العلم فقد استحقَّ _ والعياذ بالله _ الجزاء الوخيم من الله ﷻ بالإبعاد والطرد من رحمته، وغضب الله عليه، وتسأل لهم الملائكة اللعنة، ويدعو عليهم الناس بها؛ لأنهم بكتمانهم هذا سعوا في إضلال الناس ونشر الكفر بينهم، كما سعوا في إشاعة الفساد في الأرض، لذلك يتعرضون للعنة الناس.

ولم يغلق الله تعالى باب الأمل، فاستثنى من جزاء الكاتمين السابق التائبين، فمن رجع إلى الحقِّ وبيَّنه وأظهره للناس، ورجع عمّا هو عليه من الذنوب، ندماً وإقلاعاً وعزماً على عدم المعاودة، وأصلح ما فسد من عمله، بإصلاح نفسه أولاً بصالح الأعمال، ثم أصلح ما أفسد في النّاس والمجتمعات، حيث أنه لا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن، ثم وضَّح للناس ما كان يخفي ويكتم من العلم، فيبديه ويبيِّنه، فهذا يقبل الله منه التوبة؛ لأنّه تعالى رجّاع على عباده بالعفو والصفح بعد الذنب إذا تابوا، رحيم بهم بأن وفّقهم للتوبة والإنابة، وقبول التوبة منهم.

وبعد أن ذكر تعالى في الآيات السابقة حكم العلماء الذين يكتمون الحق، بيَّن في هذه الآيات حكم الكفار الذين استكبروا عن الحق، وتوعَّد من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه ولم يتب عن قريب، فأولئك استحقوا من الله تعالى الطرد والإبعاد عن رحمته، واستحقوا لعنة الملائكة والناس يلعنونهم ويمقتونهم، وتلازمهم تلك اللعنة إلى يوم القيامة، ثم الخلود في نار جهنم التي لا يخفف عنهم من عذابها، ولا هم يمهلون؛ لأن وقت الإمهال – وهو الدنيا – قد مضى ولم يبق لهم عذر فيعتذرون.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى:

هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإنَّ حكمها عامّ في كلِّ من اتَّصف بكتمان ما أنزل الله {من البَيِّنات} الدَّالات على الحق المظهرات له، ومن (الهدى) أي: العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يُبيِّنوا للنّاس ما منَّ الله به عليهم من علم ولا يكتموه.

من هداية الآيات:

١- وجوب نشر العلم، وبيان عِظم كتمه؛ لأنّ هؤلاء الكاتمين ملعونون، وأنَّ كتمه من كبائر الذنوب؛ يُؤخذ من ترتيب اللعنة على فاعله؛ وكل ما ترتَّب عليه لعنة فهو من كبائر الذنوب.

٢- أنَّ ما أنزل الله من الوحي فهو بيِّن لا غموض فيه؛ وهدىً لا ضلالة فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ...﴾ .

٣- أنَّ توبة الكاتمين للعلم لا تكون إلّا بالبيان، والإصلاح؛ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟.. ﴾ .

٤- أنَّ كل ذنب _ وإن عظم _ إذا تاب العبد منه فإنّ الله تعالى يتوب عليه. وفي هذا دليل على أنّ الداعي إلى كفر أو بدعة، إذا تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه، ومن توبته أن يعلن تراجعه عن كفره وبدعته.

٥- أنَّ الكافر مستحق للعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ويُشترط لهذا أن يموت على الكفر.

٦- أنّ الحكم يدور مع علته، وجوداً وعدماً؛ ووجه ذلك أنَّ هؤلاء الذين كفروا حتى ماتوا على ذلك صار كفرهم وصفاً ثابتاً، فصارت اللعنة عليهم وصفاً ثابتاً لا تزول إلى يوم القيامة.

المعنى الثالث: الآيات:١٦٣- ١٧٦

من قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

تضمّن هذا المقطع المعاني الرئيسة التالية:

أولاً: وحدانية الله ورحمته ومظاهر قدرته: الآيات:١٦٣- ١٦٤

إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وجه الربط:

لَّما حذَّر الله تعالى من كتمان الحق، بيّن أن أوّل ما يجب إظهاره من أمور الحق ولا يجوز كتمانه أمر التوحيد، وأعقبه بذكر البرهان، والتفكر في عجائب الصنع والإبداع، الدالة على وحدانية البارئ، وإلهيته، وعظيم سلطانه، ورحمته، وسائر صفاته.

المفردات اللغوية:

وبثَّ فيها: فرَّق ونشر. **من كلِّ دابة:** أي من كلَّ ما يدبُّ على الأرض من صغير، وكبير، وعاقل، وبهيم. **تصريف الرياح:** تنويعها في اتجاهها، وشدَّتها ومنافعها، و"الرياح" جمع ريح؛ وهي الهواء. **والسحاب المسخَّر:** الغمام، والمزْن؛ وسمِّي سحاباً لأنّه ينسحب انسحاباً في الجو بإذن الله. **لقوم يعقلون:** يتدبرون.

المعنى الإجمالي:

استهلّت الآيات توجهها الجديد بتقرير حقيقة التوحيد الكبرى، التي هي أساس التشريع، مخاطبةً في تقريرها هذا جميع البشر؛ أن يا أيها الناس إنَّ معبودكم الحق معبود واحد، لا نظير له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولا خالق ولا مدبِّر غيره.

قال ابن سعدي رحمه الله: فإذا كان كذلك، فهو المستحقّ وحده أن يُؤله ويُعبد بجميع أنواع العبادة [محبَّة وتعظيماً]، ولا يشرك به أحد من خلقه؛ لأنّ ألوهيته مبنيَّة على الرحمة؛ فهو المتَّصف بالرحمة العظيمة التي وسعت كلّ شيء، وعمَّت كل حيّ؛ فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كلّ نقمة، وبرحمته عرَّف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبيّن لهم كلّ ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. فإذا عُلِم أنّ ما بالعباد من نعمة فمن الله، وأنّ أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً، عُلِم أنّ الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يُفرد بالمحبّة والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات، وأنَّ من أظلم الظلم، وأقبح القبيح، أن يُعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد، وأن يُشرك المخلوق من تراب، برب

الأرباب، أو يُعبد المخلوق المدَبَّر العاجز من جميع الوجوه، مع الخالق المدّبِّر القادر القويّ، الذي قهر كل شيء، ودان له كل شي.. ا.هـ

ثم ذكر تعالى بعض البراهين الدّالة على وحدانيته ورحمته وإحسانه، فأبان سبحانه أنّ في هذه المخلوقات العظيمة آيات ودلائل على وحدانيته وإلهيّته وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته؛ ففي خلق السموات وارتفاعها، واتّساعها، وإحكامها، وإتقانها، وما جعل الله فيها من عوالم وأفلاك، بديعة الجمال، دقيقة النظام كلّ ما فيها يجري لأجل مسمّى في مداره، وتنظيمها لمصالح العباد؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وفي خلق الأرض؛ مهاداً للخلق يمكنهم القرار عليها، والانتفاع بها أودع الله فيها من المنافع، حيث جعلها مشتملة على جميع ما يحتاج الخلق إليه في حياتهم، وبعد مماتهم، ما يدلّ على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها ونظّمها، وعلمه ورحمته التي أودع بها ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

ومن أجل إتمام النعمة، وإسباغ الرحمة على الإنسان، وتيسير سبل العيش الكريم والراحة والسكينة، جعل الليل والنهار متعاقبين على الدّوام؛ وخالف بينهما في الحرارة والبرودة، والتوسط، والطول والقصر، وما ينشأ عن ذلك من الفصول الأربعة التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

ويسّر الله تعالى للإنسان سبيل الارتحال ونقل البضائع وغيرها عن طريق السفن

والمراكب والغواصات التي تستخرج من جوف البحر اللؤلؤ والمرجان وما ينفع الناس، فمَن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟ أم مَن الذي سخَّر البحر العظيم والرياح تجري فيه بإذنه وتسخيره؟ إنّ المُسخِّر لذلك ربّ واحد حكيم عليم لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء، بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته، سبحانه وبحمده؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وأنزل الله تعالى المطر من السماء لإحياء النباتات بعد أن كانت الأرض يابسة هامدة لا نبات فيها، أليس ذلك دليلاً على قدرة مَن حمله إلى السماء، وأنزله رذاذاً؛ لأنّه لو جعله ينزل صبّاً لأهلك العالم، ثمَّ أخرج به ما أخرج؛ دليلاً على رحمته ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدَّة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

ثـمَّ إنـه تعـالى نـشر وفـرَّق في أقطـار الأرض مـن الـدَّوابِّ مـا لا يعلـم أنواعهـا وأجناسها فضلاً عن أفرادها إلّا الـذي خلقهـا سبحانه وتعـالى، وسـخّرها للنـاس ينتفعون بها؛ فمنها ما يـأكلون مـن لحمـه، ويـشربون مـن لبنـه، ومنهـا مـا يركبـون، ومنها لحراستهم، ومنها ما هو للاعتبار والتفكر، كل ذلك من آيات الله الدّالة على كمال قدرته، ورحمته، وعلمه، وحكمته ما يبهـر العقـول؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وفي تصريف الرياح وتوجيهها شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً؛ آيات: إذ لـو بقيـت في اتّجاه واحد لأضرّت بالعالم؛ لكنّها تتقابل، فيكسر بعضها حِدّة بعـض، ويـذهب

بعضها بما جاء به البعض الآخر من الأذى، والجراثيم، وبعضها يجمع السحاب؛ وبعضها يفرّقه؛ وبعضها يلقحه؛ وبعضها يدرّه، وفي بعضها إهلاك أناسٍ، وإنجاء آخرين؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وفي الغمام المذلّل بأمر الله بين السماء الأرض، وتجمعه في الجو، ثم توجيهه إلى أي جهة يريدها الله ليمطر هنا ولا يمطر هناك حسب إرادة العزيز الحكيم؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وصدق الله؛ فكل هذه الظواهر عبر ومواعظ لمن يعقل ويتدبَّر وينظر، ليدرك الأسرار والعجائب، ويستدل بما فيها من إتقان وإحكام على قدرة الخالق المبدع، ووحدانية الإله المدبّر، ورحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك من كمال الحكمة، واكتمال الكون الدال على وجود الله، وأنه إله واحد، وإله كل شيء، وخالق كل شيء.

لطائف من الآيتين:

❖ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾: فيه إثبات وحدانية الباري وإلهيته، فهي مشتملة على كلمة التوحيد مضافاً إليها اسمان عظيمان من أسمائه الحسنى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وهما اسمان يملآن القلب استبشاراً وأملاً في رحمة الله.

ثم أتبع الحق جل جلاله آية التوحيد، آية كريمة بيّنت بدائع خلق الله؛ ليُعلم أن معرفة هذا الإله الواحد يأتي عن طريق التأمل والتدبر في بدائع آياته وعظيم مخلوقاته. ولله ما أجمل قول الشاعر:

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ ؟
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحدُ

وللهِ في كــــلّ تحريكـــــة وتــــسكينة أبـــداً شاهـــدُ

❖ الآيات الكونية التي ذكرها تبارك وتعالى منها آيات تُشاهد في كل يوم، مثل:

• خلق السموات والأرض. • تعاقب الليل والنهار. • السفن التي تمخر عباب الماء محمّلة بما ينفع النّاس.

وهناك آيات موسمية يُشاهدها الإنسان في مواسم العام منها:

• إنزال المطر وإخراج النبات والأرزاق. • تصريف الرياح في وجهاتها المختلفة باردة وحارّة، شمالية وجنوبية وشرقية، ولينة وعاصفة، وتصريفها عقيماً وملقحة، ونكباً وهلاكاً، ونصراً ورحمة.

• تسخير السحاب بين السماء والأرض – على خفته ولطافته – يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث يشاء، فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد، فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفاً، ويصرِّفه عناية وعطفاً.

يقول ابن سعدي رحمه الله:

كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أنَّ العالم العلوي والسفليّ كلّهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات: فلا إله إلا الله، ولا ربَّ سواه.

أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه ؟!

أليس ذلك دليلاً على حلمه، وصبره، وعفوه، وصفحه، وعظيم لطفه؟ فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه، فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً. ا.هـ

ثانياً: براءة وحسرة: الآيات:١٦٥- ١٦٧

من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾

وجه الربط:

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: "**ما أحسن اتصال هذه الآية بالتي قبلها**" ا.هـ

فإنه تعالى لَمَّا بيَّن في الآية السابقة الأدلة القاطعة على وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، وبيَّن فيها أنه لا يستفيد من الآيات إلا أصحاب العقول المفكرة المتأملة، ذكر هنا حال الذين لا يعقلون هذه الأدلة ومرّوا عليها مرور الغافلين المعرضين فاتخذوا أنداداً لله، يلتمسون منهم الخير، ويتأملون بهم دفع الشر.

المفردات اللغوية:

أنداداً: جمعْ نِدّ؛ وهو الشبيه النظير لأنّه من نادّه ينادّه إذا كان نظيراً له ومكافئا. **تبرّأ:** "التبرؤ: المبالغة في التنصُّل والتباعد ممَّن يُكره قربه وجواره. **اتَّبعوا:** أي

الرؤساء. من **الذين اتُّبِعوا**: وهم الأتباع، والضعفاء. **الأسباب**: جمع سبب؛ وهو ما يُتوصل به إلى غيره؛ والمراد بها هنا كلُ سبب يؤملون به الانتفاع هؤلاء المتبوعين. **كرّة**: رجعة إلى الدنيا. **حسرات**: جمع حسرة؛ وهي الندم مع الانكماش، والحزن، والكمد.

المعنى الإجمالي:

أقام الله تعالى في الآية السابقة الأدلة على وحدانيته ورحمته، وذكر هنا حال المشركين الذين لا يعقلون هذه الأدلة، فجعلوا لله نظراء يعبدونهم ويحبونهم ويعظمونهم كتعظيم الله وحبه، مع أنَّ المخلوق ليس نِدّاً لله؛ لأن الله هو الخالق وغيره مخلوق؛ وهو الكامل من كل الوجوه والعبيد ناقصون من جميع الوجوه؛ وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة؛ والذل التام، فلهذا مدح الله المؤمنين؛ لأنّ محبتهم له سبحانه خالصة لا يشوبها شيء؛ وهم مستسلمون له؛ راضون بأحكامه الشرعية والقدرية في جميع الأحوال، في السراء والضراء، والمنشط والمكره، بخلاف المشركين، فإنّهم يحبون أصنامهم في السراء فقط، وعند الضراء يلجؤون إلى الله، فهم أحبّوا مَن لا يستحق من الحب شيئاً، فلهذا استحقوا الوعيد من الله؛ لأنّهم نقصوا الله حقَّه حيث جعلوا له أندادا؛ ونقصوا أنفسهم حقّها بعدم رعايتها وتوجيهها لعبادة الله وحده، فهؤلاء الظالمون حينما يعاينون العذاب يوم القيامة بأبصارهم، سيعلمون وقتئذ أن القوة والقدرة لله تعالى، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء، وحقَّ عليهم العذاب الشديد.

في ذلك اليوم الشديد الأهوال يتبرأ المتَّبَعُون من التابعين، وتتقطع بينهم المودة، والأنساب والصلات، والحيل، وأسباب الخلاص، وحينئذ يتمنى التابعون أن

يُردُّوا إلى الدنيا فيتبرَّؤوا من متبوعيهم، وهيهات فات الأمر، وهم في هذا التمني كاذبون بل لو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه، ولا أمل لهم في النجاة حين رؤية العذاب، ولا معدل ولا مصرف عن النار حينئذ.

ومثل ذلك الذي رأوه من العذاب، يريهم الله جزاء أعمالهم حسرات عليهم؛ أي أن الله تعالى يظهر لهم أن أعمالهم كان لها أسوأ الأثر في نفوسهم، لما ورَّثتهم من شقاء وخسران، فهي تذهب وتضمحل، ولن يخرجوا من النار إلى الدنيا لشفاء كيدهم وغيظهم من رؤسائهم؛ لأن دخولهم النار كان بسبب الشرك، وحبِّ الأنداد.

من هداية الآيات:

١- الإنكار الشديد والذمُّ لمن يجعل لله نِدّاً في المحبة يحبه كحب الله؛ لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ .

٢- أنَّ محبَّة الله من العبادة؛ لأن الله جعل من سوَّى غيره فيها مشركاً متَّخذاً ندّاً؛ فالمحبة من العبادة بل هي من أساس العبادة؛ لأن أساس العبادة مبني على الحب والتعظيم؛ فبالحب يفعل المأمور؛ وبالتعظيم يجتنب المحظور؛ هذا إذا اجتمعا؛ وإن انفرد أحدهما استلزم الآخر.

٣- أن أعظم جريمة عن الله تعالى هي الشرك به، فقد قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٤٨)، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: **" أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك"**

٤- أنه كلما ازداد إيمان العبد ازدادت محبته لله؛ لأن الله تعالى رتَّب شدة المحبة على الإيمان؛ والقاعدة الأصولية: أن الحكم إذا عُلِّق على وصف فإنه يقوى بقوة ذلك الوصف، ويضعف بضعفه.

٥- إثبات الجزاء لله تعالى، وإثبات القوَّة كذلك لله عز وجل.

٦- أن المتبوعين بالباطل لا ينفعون أتباعهم، وأن الأمر لا يقتصر على عدم النفع؛ بل يتعداه إلى البراءة منهم، والتباعد عنهم؛ وهذا أشد حسرة على الأتباع، ولهذا فإنَّ الأتباع يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ليتبرّءوا من متبوعيهم كما تبرأ هؤلاء منهم في الآخرة؛ وهو غير ممكن؛ وما يزيدهم إلا حسرة.

٧- أنّ جميع الأسباب الباطلة التي لا ترضي الله، تنقطع بأصحابها يوم القيامة، وتزول، ولا تنفعهم.

٨- أنّ مَن استغاث بالرسل، أو غيرهم من المخلوقات فيما لا يقدر عليه إلّا الله، فقد ضلّ في دينه، وسفه عقله، وأتى الشرك الأكبر.

ثالثا: حِلُّ الطيبات ومنشأ تحريم المحرمات، وتحريم التقليد الأعمى

الآيات: ١٦٨- ١٧١

من قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ...﴾

إلى قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ...﴾

المفردات اللغوية:

حلالاً: أي كلوه حال كونه حلالاً _ أي محلّلاً _؛ فهي بمعنى اسم المفعول. و"الحلال" المباح الذي أحلّه الله تعالى. **طيّبا**: حال كونه طيّباً، والطّيّب المستلذ النافع. **خطوات الشيطان**: أعماله التي يعملها، ويخطو إليها. **عدوٌّ مبين**: ظاهر العداوة لذوي البصائر. **بالسوء**: كل ما يسوء وقوعه أو عاقبته؛ أي السيئ القبيح. **الفحشاء**: كل ما يقبح شرعاً أو في أعين الناس من المعاصي: وهي ما تجاوز الحدّ في القبح، مما ينكره العقل ويستقبحه الشرع. **اتّبعوا ما أنزل الله**: عقيدةً، وقولاً، وفعلاً. **ألفينا**: وجدنا. **ومَثَل**: صِفَة. **ينعق**: يصيح، أو يصوِّت.

المعنى الإجمالي:

لمّا بيّن الله تعالى في بداية هذا الربع أنه لا إله إلا هو، بيّن أنّه الرزاق لجميع خلقه، لذلك جاء الخطاب بـ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ليشمل المؤمن والكافر، ويبيِّن شمول إنعامه ورحمته؛ ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام، فبيّن تعالى فضله على الناس. فيما خلق لهم في الأرض من المطاعم الطيبة النافعة، وامتنّ عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من أشجار، وزروع، وحيوان، حال كونها حلالاً؛ أي: مكتسبة بالحلال؛ لا مغصوبة، ولا مسروقة، وأن تكون طيبة؛ أي: ليست خبيثة؛ كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، فعلى الإنسان أن يميّز بين الحلال الطيب، وبين الحرام الخبيث، فأحكام الشريعة الإسلامية جاءت تراعي مصلحة الإنسان، فما حرَّمت عليه إلَّا كلّ خبيثٍ ضارٍّ بدينه وصحته، وما أحلت له إلّا كلّ طيّب نافع.

ثمّ حذّر الله تعالى الناس من اتِّباع طرق الشيطان التي يأمر بها، وهي شاملة للشرك فما دونه، وبينّ أنَّ عداوته لهم ظاهرة؛ لأنّه لا يريد بهم إلّا الشقاوة

والتعاسة، وهو لهم بالمرصاد يغويهم ويضلّهم ولا يأمرهم إلا بما يجلب لهم الشرَّ القبيح من المنكرات وكبائر الذنوب، ومخالفة شريعة الله، واتِّباع الشرائع الوضعية المخالفة لأحكام دين الله تعالى. ويأمرهم أن يقولوا عليه سبحانه ما ليس لهم به علم؛ إن كان في أسمائه، أو صفاته، أو أفعاله، أو تأوُّل كلامه سبحانه، أو كلام رسوله، على غير مراده سبحانه، أو أحكامه؛ فيحلّوا ما حرَّم الله ويحرِّموا ما أحلَّ الله تعالى كما كان يفعل أهل الجاهلية؛ فقد كان الناس يتمسَّكون بتقاليد وعقائد وشرائع آبائهم وأجدادهم، ويرفضون من أجلها دعوة النبي ﷺ، والانقياد لشريعة الله، كما حكى عنهم سبحانه فيما أمرهم الشيطان بفعله: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ (الأنعام:١٣٩) وقوله تعالى:﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ..﴾ (المائدة:١٠٣).

فأخبر الله تعالى عن حال هؤلاء المشركين الذين إذا أمروا بإتباع ما شرع الله في كتابه وسُنَّة نبيِّه ﷺ، لا يُقبلون، بل يُكابرون ويكتفون بتقليد آبائهم وما وجدوهم عليه من العقيدة والعمل، حقّاً كان أو باطلاً؛ كقوله تعالى حكاية عنهم:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ .(ص: ٤–٧)

ولهذا ردَّ الله عليهم قولهم وأبطله؛ أفيتَّبعون آباءهم؛ ولو كان آباؤهم أجهل النّاس لا رشد لهم ولا هداية؟!

ثـم ضرب الله لهؤلاء المشركين مثلاً فيما هـم فيـه مـن الغـيِّ والـضلال؛ بـسبب تقليـدهم لآبـائهم، وسيرهــم وراءهــم دون نظـر واستبـصار، كالـدَّواب الـسارحة التي لا تفقه مـن صـوت راعيهـا إلّا جـرس النغمـة ودويَّ الـصوت، فتـسير وراءه وهي لا تدري إلى أين تسير، وما يُـراد بهـا، فقـد يقودهـا هـذا الـصوت إلى هلاكهـا وحتفها وهي لا تـدري، فلهـذا كـانوا صـمّاً لا يـسمعون الحـق سماع فهـمٍ وقبـول، وعُمياً لا يبصرون الحقّ، وبكماً لا ينطقون بالحقّ، والسبب الموجب لذلك كله أنـه ليس لهم عقل صحيح بل هم أسفه السفهاء.

لطيفة:

قال ابن سعدي رحمه الله: إن من دُعي إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونُهي عـن اقتحـام العذاب، وأُمِر بـما فيـه صـلاحه وفـوزه ونعيمـه فعـصى الناصـح، وتـولى عـن أمـر ربـه، واقتحم النّار على بصيرة واتبع الباطل، ونبذ الحق، فهذا ليس له مسكة من عقل.

من هداية الآيات:

١- إظهار مِنّة الله تعالى على عباده؛ حيث أباح لهم جميع ما في الأرض من حلال طيب؛ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا .. ﴾ أنّ الأصل فيما في الأرض الحِلّ والطيِّب حتى يتبيّن أنّه حرام.

٢- أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؛ لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ وهم داخلون في هذا الخطاب؛ ولكن ليس معنى خطابهم بها أنهم ملزمون بها في حال الكفر؛ لأننا ندعوهم أولاً إلى الإسلام، ثم نلزمهم بأحكامه.

٣- تحريم اتباع خطوات الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾؛ ومن ذلك الأكل بالشمال؛ لقول النبي ﷺ: **"لا يأكل أحدكم بشماله، ولا**

يشرب بشماله؛ **فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**"؛ وكذلك القياس الفاسد؛ لأن أول من قاس قياساً فاسداً هو إبليس حين أمر بالسجود فقال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ (الأعراف: ١٢) ومن اتباع خطوات الشيطان أيضاً الحسد؛ لأن الشيطان إنما قال ذلك حسداً لآدم عليه السلام؛ وكل خُلُقٍ ذميم، أو عمل سوء، فإنه من خطوات الشيطان.

٤- تأكيد عداوة الشيطان لبني آدم؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ لأن الجملة مؤكَّدة بـ"إنّ"؛ ولا يمكن أن يؤمن عاقلٍ بعداوة أحد ويتبعه أبداً.

٥- أن للشيطان إرادة وأمرا، وأنَّ الإنسان إذا وقع في قلبه همّ بالسيِّئة أو الفاحشة فليعلم أنها من أوامر الشيطان، فليستعذ منه؛ لقوله تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

٦- ذم التعصب بغير هدى؛ ﴿ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ... ﴾، ويدخل في هذا القول: مَن تعصَّب لمذهب مع مخالفة الدليل، والواجب على الإنسان إذا قيل له: "اتبع ما أنزل الله" أن يقول: "سمعنا، وأطعنا"

٧- دلَّ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾ على تحريم التقليد الأعمى، وعلى أنه يجب على المسلم وغيره أن ينظر على قدر طاقته وقوته في أمور دينه.

وأما العامي الذي لا يستطيع استنباط الأحكام من أصولها ففرضه أن يسأل أهل الذكر، قال تعالى: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**.

رابعاً: العبادة والشكر

الآيات: ١٧٢ – ١٧٣

قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

كلمة في السياق:

دلَّت الآيات الكريمات فيما سبق على ارتباط الشريعة بالعقيدة في الإسلام؛ فالله تعالى وحده الخالق الرازق، وله وحده الحكم والتشريع والتحليل والتحريم، وعلى الإنسان المؤمن أن يستسلم لحكمه سبحانه ويذعن لشرعه، وتأكيداً لحقيقة الارتباط بين العقيدة والشريعة، اتجهت الآيات إلى مطالبة المؤمنين بأن يلتزموا بأحكام دين الله تعالى وشريعته، في مطاعمهم ومشاربهم وسائر شؤون حياتهم، وتبيِّن لهم في الوقت نفسه أن في الحلال ما يغني عن الحرام، وأن ما أحلّه الله تعالى من الطيِّبات أكثر بكثير مِمَّا حرَّم عليهم، وأنّ الشريعة الإسلاميّة تمتاز باليُسر والمرونة في أحكامها.

المفردات اللغوية:

حرَّم عليكم الميتة: التحريم: المنع؛ أي منعكم من أكلها. **الميتة**: في اللغة ما مات حتف أنفه _ يعني بغير فعل من الإنسان _؛ أمَّا في الشرع: فهي ما مات بغير ذكاه شرعية، كالذي مات حتف أنفه؛ أو ذبح على غير اسم الله؛ أو ذبح ولم ينهر الدم؛ أو ذكَّاه من لا تحِلُّ تذكيته، كالمجوسي، والمرتدّ. **الدَّم**: أي المسفوح. **وما أهل به لغير الله**: الإهلال: رفع الصوت؛ والمراد به هنا ما ذُكر عليه اسم غير الله عند

ذبحه. **فمن اضطر**: أي ألجأته الضرورة لأكل شيء مما ذُكِر؛ والضرورة فوق الحاجة. **غير عاد**: غير متجاوز قدر الضرورة.

المعنى الإجمالي:

بعد أن خاطب الله النّاس جميعاً بأن يأكلوا مِمّا في الأرض من خيراتها وجّه أمره للمؤمنين خاصة؛ لأنهم أحق بالفهم، وهم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فقال لهم: إن كنتم حقّاً تقرّون بأنه إلهكم ومعبودكم ولا معبود لكم سواه، فكلوا من رزقه واشكروا له على ما أنعم عليكم من الطيب الحلال باستعمالها بطاعته.

ولّما أباح تعالى لعباده أكل ما في الأرض من الحلال الطيب، وكانت وجوه الحلال كثيرة، بيّن لهم ما حرّم عليهم؛ لكونه أقل؛ فبيَّن تعالى أنَّه حرَّم عليهم ما مات بغير ذكاة شرعية، كالذي مات حتف أنفه؛ أو ذكَّاه من لا تحِلُّ تذكيته، كالمجوسي؛ وحرَّم عليهم الدَّم المسفوح دون الذي في اللحم، والعرق، ودم الكبد، والقلب. وحرَّم عليهم لحم الخنزير؛ لأنّه خبيث ونجس؛ وحرَّم عليهم ما ذبح على غير اسم الله، وكانوا في الجاهلية يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم إذا ذبحوا لها، فمن ذبح على غير اسم الله كمن يذبح "باسم المسيح"، أو "باسم محمد"، أو "باسم الجن" فذبيحته محرَّمة لا يجوز أكلها.

ولّما كان هذا الدين يُسراً لا عسرَ فيه ولا حرج، رفع حكم هذا التحريم عن المضطر الذي ألجأته الضرورة إلى شيء مِمّا حُرِّم؛ بأن أشرف على الهلاك فأكل منه حال كونه غير طالب له ولا راغب فيه ولا مجاوز لسد الرمق وإزالة الضرورة؛ فلا إثم عليه وإن بقيت حرمته؛ لأن الإنسان في هذه الحالة مأمور بالأكل، بل منهيٌّ أن

يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه، وهذه الإباحة والتوسعة من رحمته تعالى؛ فإن الله يغفر ذنوب عباده ويرحمهم، ويرفع الحرج والمشقة عنهم.

من هداية الآيات:

١- وجوب الشكر لله، وأنَّ من شكر الله فقد عبده وأتى بما أمر به.

٢- دلت الآيات أيضاً على أن الأكل الطيب سبب للعمل الصالح وقبوله.

٣- أمر الله بالشكر عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة، كما أن الكفر ينفِّر النعم المفقودة، ويزيل النعم الموجودة.

٤- تحريم جميع الميتات، واستثنى الشارع من الميتة، ميتة الجراد، وسمك البحر، فإنه حلال طيب.

٥- في الآية دليل على القاعدة المشهورة (الضرورات تبيح المحظورات).

خامساً: عود على بدء: كتمان أهل الكتاب ما أنزل الله

الآيات: ١٧٤ - ١٧٦

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ﴾

المفردات اللغوية:

يكتمون: يُخفون. **ويشترون به ثمناً قليلاً:** يبيعونه بثمن قليل من الدنيا يأخذون بدله من أتباعهم، فلا يُظهرونه خوف فوته عليهم. **ولا يكلِّمهم الله:** تكليم رضا

غضباً عليهم. **ولا يزكّيهم**: ولا يُثني عليهم بخير. **ولهم عذاب أليم**: عقوبة موجعة. **اشتروا الضلالة**: اختاروا الضلالة؛ و"الضلالة" العماية التي لا يهتدي فيها الإنسان لمقصده؛ والمراد بها هنا كتمان العلم؛ فإنه ضلال. **بالهدى**: الشرائع التي أنزلها الله على لسان أنبيائه؛ والمراد بها هنا بيان العلم ونشره **فما أصبرهم**: ما أشدَّ صبرهم؛ وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجبات النار، من غير مبالاة. **ذلك بأنَّ**: المشار إليه الذي ذُكر من جزائهم؛ أي ذلك الجزاء الذي يُجازون به بسبب أنّ الله نزَّل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه. **شقاق**: اختلاف أو مخالفة. **بعيد**: بعيد عن الحق.

المعنى الإجمالي:

عادت الآيات مرة ثانية تتوعَّد كاتمي العلم من أحبار اليهود، ورهبان النصارى، كما ذكرت ذلك في أول ربعٍ من هذا الحزب؛ بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ.. ﴾ ، فبيَّنت هنا حرمة ما يأكلون من حطام الدنيا، بسبب كتمانهم صفات النبي ﷺ فقد كتموا ما أنزل الله في كتبهم من صفاته ﷺ، وأخفوا الصحيح وأظهروا الكذب مقابل أخذ الأجور القليلة من عرض الدنيا، فكان جزاؤهم من جنس عملهم بأن كان ما يأخذونه في مقابل كتمان الحق ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة وكانت سبباً لإعراض الله عنهم وغضبه عليهم. إنّ أولئك الكاتمين لكتاب الله، المُتَّجرين به استحقوا ما استحقوا من العذاب؛ لأنّهم استبدلوا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، ولو أنّهم بيَّنوا، وأظهروا العلم لجوزوا بالمغفرة، ولكنهم كتموا، فجوزوا بالعذاب فعجباً لهم أشد العجب كيف يطيقون الصبر على موجبات النّار.

ثمَّ بيَّن تعالى أنَّ ذلك العذاب الذي ينتظرهم هو غاية العدل؛ لأنّه تعالى نزَّل الكتب السماوية بالحقِّ الثابت الواضح، وأنّها نزلت من عنده حقّاً، وأمّا الذين اختلفوا فيها، فآمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها، فهم في خلاف ونزاع بعيد عن الحق.

من هداية الآيات:

١ – وجوب نشر العلم، وبيان عظم هذا الأمر حيث كرَّره تعالى مرّة ثانية.

٢ – قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

الوعيد الشديد لمن كتم العلم، وأن هذا الوعيد على من جمع بين الأمرين: "يكتمون" و"يشترون"؛ فأما من كتم بدون اشتراء؛ أو اشترى بدون كتم فإن الحكم فيه يختلف؛ فإذا كتم بدون اشتراء فقد قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾. (البقرة:١٥٩) وهذا يدل على أن كتمان ما أنزل الله من كبائر الذنوب؛ ولكن لا يستحق ما ذُكر في الآية من الوعيد.

وأما الذين يشترون بما أنزل الله من الكتاب ثمناً قليلاً بدون كتمان فقد قال تعالى فيهم: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. (هود:١٥-١٦)

فالناس في كتمان العلم وما أنزل الله ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يكتم العلم بخلاً به، ومنعاً لانتفاع الناس به.

القسم الثاني: من يكتم العلم، ولا يبينه إلا لغرض دنيوي من مال وجاه أو غير ذلك.

القسم الثالث: من يكتم العلم بخلاً به، ولا يبينه إلا لغرض دنيوي؛ فيجمع بين الأمرين؛ وهذا شرّ الأقسام؛ وهو المذكور في الآية.

١- أن عقوبة الله لهم ليست ظلماً منه؛ بل هم الذين تسببوا لها، حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

٢- أن متاع الدنيا قليل ـ ولو كثر ـ

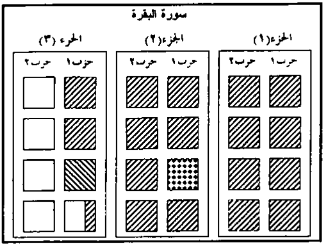

الجزء الثاني/ الحزب الأول/الربع الثالث: الآيات: ١٧٧ – ١٨٨

المعنى الأول:الآية: ١٧٧

خصال البر المكملة لإيمان الصادقين المتقين: قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

المعنى الثاني: ١٧٨– ١٧٩

تشريع القصاص:

من قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ إلى قوله تعالى. ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾

المعنى الثالث: ١٨٠–١٨٢

تشريع الوصية.

الآيات: ١٨٠– ١٨٢

من قوله تعالى.﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾

إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

المعنى الرابع : تشريع الصيام: الآيات: ١٨٣– ١٨٧

أ) فرض الصيام، ونزول القرآن في رمضان:

الآيات: ١٨٣– ١٨٥

من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ .﴾

إلى قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

ب) الصيام و الدعاء: الآية: /١٨٦/

قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾.

ح) تخفيف وتيسير في أحكام الصيام، الصيام والاعتكاف. الآية: /١٨٧/

قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾

المعنى الخامس: الآية:/١٨٨/

تحريم أكل المال بالباطل: قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ .﴾

الجزء الثاني - الحزب الأول - الربع الثالث

الآيات: ١٧٧- ١٨٨

من قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ... ﴾ .
إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ... ﴾ .

وجه الربط:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

لمّا أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حوّلهم إلى الكعبة شقّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب، وبعض المسلمين، فأنزل الله بيان حكمته في ذلك؛ وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجُّه حيثما وجِّه، واتباع ما شرع، فهذا هو البرّ والتقوى والإيمان الكامل، وليس في التوجُّه إلى جهة المشرق أو المغرب برٌّ ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه.

المعاني الرئيسة:

تضمّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: خصال البر المكمّلة لإيمان الصادقين المتقين: آية: /١٧٧/

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ... ﴾

المفردات اللغوية:

ليس البر: أي: ليس الخير، أو كثرة الخير والبركة. و"البِرّ" في الأصل الخير الكثير؛ ومنه سميَّ "البَرّ" لسعته واتساعه؛ ومنه "البَرّ" اسم من أسماء الله، كما قال تعالى:﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الطور: ٢٨). آتى:

أعطى. **المال**: كل عين مباحة النفع سواء كان هذا المال نقداً، أو طعاماً، أو عقاراً، أو أيّ شيء. **على حبه**: كونه محبّاً له لحاجته إليه، أو لتعلّق نفسه به. **واليتامى**: جمع يتيم؛ وهو من مات أبوه قبل بلوغه من ذكر أو أنثى؛ وسمي يتيماً من الانفراد. **المساكين**: جمع مسكين، و"المسكين": هو المحتاج الذي له مال لا يكفيه، وسمي بذلك لأن الحاجة أذلته وأسكنته. وأما الفقير: فهو الذي لا مال له. **وابن السبيل**: الملازم للطريق، وهو المسافر؛ والمسافر يكون في حاجة غالباً؛ وزاد العلماء قيداً؛ قالوا: المسافر المنقطع به السفر، أو البعيد عن ماله ولا يمكنه إحضاره. **السائلين**: جمع سائل؛ وهو المستجدي الذي ألجأته الحاجة إلى السؤال والطلب من الناس. **وفي الرقاب**: أي وفي تحرير الرقاب وعتقها. **والموفون بعهدهم**: العهد: ما يلتزم به إنسان لآخر. **البأساء**: من البؤس؛ وهو شدة الفقر. **الضراء**:كل ما يضر الإنسان من مرض أو فقد محبوب. **حين البأس**: وقت شدة القتال. **صدقوا**: "الصدق" مطابقة الشيء للواقع؛ والمعنى: صدقوا الله، وصدقوا عباده بوفائهم العهد وإيتاء الزكاة، وغير ذلك.

وقفة:

البرّ: اسم جامع لكل خير، وهو كل ما يُتقرب به إلى الله من الإيمان به، وصالح الأعمال، وفاضل الأخلاق. **والبرّ الحقيقي**: هو الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر إيماناً قلبياً صادقاً مقروناً بالعمل الصالح، وهو: الإيمان الحقيقي الكامل الشامل: للعقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه، ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية.

قال الراغب: لمّا كان أولى من يتفقده الإنسان بمعروفه أقاربه، كان تقديمها أولى، ثم عقّبه باليتامى لأن مواساتهم بعد الأقارب أولى، ثم ذكر المساكين الذين لا مال لهم حاضراً ولا غائباً، ثم ذكر ابن السبيل الذي قد يكون له مال غائب ثم ذكر السائلين الذين منهم الصادق والكاذب، ثم ذكر الرقاب الذين لهم أرباب يعولونهم. فكل واحد ممّن أُخر ذكره أقل فقراً ممّن قُدِم ذكره.

لطائف:

- في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ليدل أنَّ أعظم ما تكون الصدقة من برهاناً لإيمانه كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾.
- في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟...﴾ أي: عاهدوا الله تعالى أو عاهدوا الناس، فالإنسان في الإسلام مسؤول عن عهوده والتزاماته المشروعة؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ (الإسراء: ٣٤). وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾؛ عطف على قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ ولم يقل: وأوفى، كما قبله؛ إشارة إلى وجوب استقرار الوفاء، كما أنّ فيه تعريض بالناقصين لعهودهم، كما تقدَّم عن بني إسرائيل.
- في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ...﴾ جاءت كلمة: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ منصوبة على الاختصاص والمدح مع أنَّ ما قبلها مرفوع: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟...﴾، وذلك ليدل على أهمية الصبر وامتيازه، إذ فيه دلالة على كمال الاستسلام لله تعالى والرضا بقدره،

كما مرّ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ ويحث عليه في هذه الأحوال؛ وهي:

- الشدة والفقر، وعند الضُرِّ من مرض، وفقد أهل ومال وولد.
- وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب.

من هداية الآيات:

١- أنَّ البرَّ حقيقة هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه....الخ، والإيمان يتضمَّن أربعة أمور:

- الإيمان بوجوده، فقد دلَّ عليه الشرع والحسّ والعقل والفطرة.
- والإيمان بربوبيته: فهو الإيمان بأنه وحده الخالق لهذا الكون المالك له المدبّر له.
- والإيمان بألوهيته: فهو الإيمان بأنه لا إله في الوجود حق إلَّا الله تعالى وكل ما سواه من الآلهة باطلة.
- والإيمان بأسمائه وصفاته: فهو الإيمان بما أثبته ﷻ لنفسه، أو أثبتته له رسله من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

٢- أنَّ طاعة الله تعالى من البرِّ.

٣- إثبات رحمة الله تعالى، حيث ندب إلى إتيان المال لليتامى، والمساكين؛ لأن هذا لا شك من الرحمة بهم.

٤- أن لابن السبيل حقّاً ـ ولو كان غنيّاً في بلده.

٥- الثناء على الموفين بالعهد، وأن ذلك من البر، والعهد عهدان: عهد مع الله تعالى، وعهد مع الخلق.

المعنى الثاني: تشريع القصاص

الآيات: ١٧٨- ١٧٩

من قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ... ﴾

إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

وجه الربط:

لّما كان الالتزام بالشريعة الإسلامية الغرّاء يُوصل إلى التقوى حيث أن الشريعة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً

بالعقيدة السليمة، شَرَعَت الآيات في عرض بعض الأحكام التشريعية فبدأت ببيان تشريع القصاص في القتلى، ثمَّ عقَّبت بمجموعة من الأحكام التشريعية؛ كأحكام الوصية، وأحكام الصيام، والإجابة عن السؤال عن الأهلّة توطئة لبيان أحكام الحج، وتخلَّل ذلك بيان أحكام القتال.

المفردات اللغوية:

كتب: فرض عليكم، وسمي الفرض مكتوباً؛ لأن الكتابة تثبِّت الشيء، وتوثِّقه. **القصاص**: المماثلة في القتلى وصفاً وفعلاً، أي أن يُفعل بالجاني ما فعل بالمجني به، يعني أن يُقتل القاتل؛ لأنه مساو للمقتول في نظر الشرع. **في القتلى**: أي في شأن القتلى. **الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى**: أن يقتل الحر بالحر، ويقتل العبد بالعبد، والأنثى بالأنثى. **فمن عفي له من أخيه شيء**: أي من عفي له من جهة ولي الدم شيء من العفو، والعفو يطلق على معان، المناسب منها هنا اثنان: العطاء، والإسقاط والترك، فالمعفو عنه هو القاتل، و"**من أخيه**" المراد به المقتول. **فاتباع بمعروف**: "الاتباع" مستعمل في القبول والرضا؛ أي فليرض بما عُفيَ له.

وأداء إليه بإحسان: أي وتأدية من جهة الجاني للمجني عليه من غير مماطلة ولا تعب ولا بخس حق. **ذلك**: الحكم المذكور من وجوب القصاص، ومن جواز العفو، وإحسان الأداء. **تخفيف**: تسهيل. **ورحمة**: بالجميع، حيث وسع في ذلك، ولم يحتم واحداً منها كما حتم القصاص على اليهود، والدية على النصارى. **فمن اعتدى**: أي مَن تجاوز ما شرع الله تعالى بأن قتل غير القاتل، أو انتقم من القاتل بعد العفو وأخذ الدية. ويحتمل أن يكون المراد: مَن اعتدى من أولياء المقتول، ومن القاتل. **فله عذاب أليم**: وموجع. **الألباب**: جمع لب: وهو العقل.

المعنى الإجمالي:

يخاطب الله تعالى المؤمنين، وقد ذكرنا فوائد تصدير الخطاب بالنداء بصفة الإيمان، ولأنّ هذه الآيات من التشريع لأحكامٍ ذات بالٍ في صلاح المجتمع الإسلامي واستتباب نظامه وأمنه حين صار المسلمون بعد الهجرة جماعة ذات استقلال بنفسها ومدينتها، ولا شكّ أنّ فرض نظام القَصاص على مجتمع كانت تسود فيه عادات الأخذ بالثأر، من أقوى المظاهر الدّالة على انقياد واستسلام أفراد المجتمع لشريعة الله تعالى.

لهذا وجّه تعالى خطاب التكليف بتشريع القصاص للمؤمنين، بأسلوب الفرض والإلزام، فيا أيها المؤمنون فرض الله عليكم العدل ومراعاة التماثل بين القاتل والمقتول، فحرّكم بحرّكم، وعبدكم بعبدكم، وأنثاكم بأنثاكم.

ثمَّ بيّن تعالى ما امتازت به الشريعة الإسلامية من يسر ومرونة في أحكامها، عندما شرع لأولياء المقتول أن يأخذوا الدية، فأي قاتل عُفي له من دم أخيه شيء

سقط القصاص، وذكره تعالى بلفظ الأخوة في الدِّين ليعطف عليه ويرقّ له، فيعفو عن القصاص ويرضى بالدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً.

وحينئذٍ يجب على أولياء المقتول إذا عفَوا إلى الدية ألّا يتسلَّطوا على القاتل، بل يُحسنوا في الطلب من غير إرهاق ولا تعنيف ولا منَّة. وفي المقابل على القاتل أداء الدية وافية بدون مماطلة ولا تسويف.

ثمّ إنّ الله تعالى بيَّن أنّ ذلك الحكم الذي شرعه من جواز العفو عن القاتل إلى الدية أو بدون دية، تخفيف ورخصة ورحمة منه تعالى، حيث أذن لهم أن يأخذوا عوضاً، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنّ بني إسرائيل فرض الله عليهم القصاص فرضاً، وهذه الأمة خفَّف عنها فلم يجب عليها القصاص.

وختم الله تعالى الآية بوعيد شديد للذين يعتدون أو يتجاوزون ما شرعه الله تعالى، إن كانوا من أولياء المقتول، أو القاتل، فلهم العقوبة المؤلمة، والعذاب الموجع يوم القيامة.

ثمّ بيَّن الله تعالى حكمته العظيمة في مشروعيّة القصاص، ففي تطبيق أحكامه حياة آمنة للمجتمع، وبه يزجر القاتل وأمثاله، وتنحقن الدماء، ويقمع العدوان، إذ مَن علم أنّه إذا قتل غيره قُتل به، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رُؤيَ القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيره وانزجر، فكان في ذلك حياة النفوس.

ولَّما كان حكم القصاص لا يقدّر ما يحقِّقه من مصلحة عامة وخاصة إلَّا أهل العقول الكاملة خصّهم الله تعالى بالخطاب، فعليهم إدراك الحكمة وفهم دقائق الأحكام الشرعية، وتحذير الناس ليتَّقوا القتل، ويسلموا من القصاص.

من هداية الآيات:

١- أهمية القصاص؛ لأن الله تعالى وجه الخطاب به إلى المؤمنين؛ وصدَّره بالنداء المستلزم للتنبيه. وأن تنفيذ القصاص من مقتضى الإيمان، وترك تنفيذه نقص في الإيمان.

٢- وجوب التمكين من القصاص؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى... ﴾.

٣- مراعاة التماثل بين القاتل، والمقتول؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾.

٤- أنَّ الحر يُقتل بالحرِّ _ ولو اختلفت صفاتهما، كرجل عالم عاقل غني قتل رجلاً فقيراً أعمى....الخ.

٥- أن العبد يُقتل بالعبد _ ولو اختلفت قيمتهما. وإذا كان قاتل العبد حرّاً فهل يقتل به؟ قال فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: هذه المسألة خلاف بين أهل العلم؛ فمنهم من قال يُقتل الحر بالعبد لعموم قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ... ﴾ . (المائدة:الآية٤٥) وقول النبي ﷺ: **"لا يحل دم امرئ مسلم إلّا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس.."** وهذا القول هو الصواب.

٦- أنَّ الأنثى تُقتل بالأنثى _ ولو اختلفت صفاتهما. وكذلك تقتل بالرَّجُل. والرجل يقتل بالمرأة.

٧- جواز العفو عن القصاص إلى الدية؛ لقوله تعالى:﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ... ﴾ وهل له أن يعفو مجاناً؟

والجواب نعم؛ له ذلك لأن الله تعالى ندب للعفو فقال: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ... ﴾ ؛ لكن العفو المندوب إليه ما كان فيه إصلاح، مثل أن يكون القاتل معروفاً بالصلاح؛ وإذا علمنا أن القاتل معروف بالشر والفساد، والعفو عنه لا يزيده إلّا فساداً فترك العفو عنه أولى.

٨- أنه إذا عفا بعض الأولياء عن القصاص سقط القصاص في حق الجميع؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ... ﴾؛ وهي نكرة تعم القليل والكثير؛ لأنها في سياق الشرط.

٩- أن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان؛ ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ... ﴾ ؛ فجعل الله المقتول أخاً للقاتل؛ ولو خرج من الإيمان لم يكن أخاً له. ومن هنا يتبيّن ضلال طائفتين مبتدعتين؛ وهما الخوارج، والمعتزلة؛ لأنهم يقولون: إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان؛ لكن الخوارج يصرحون بكفره؛ والمعتزلة يقولون: إنه بين المنزلتين: الإيمان، والكفر _ فلا هو كافر؛ ولا هو مؤمن؛ لكن اتفق الجميع على أنه مخلد في النار.

١٠- أن الله تعالى خفَّف عن هذه الأمَّة بجواز العفو، ورحمهم بجواز أخذ العوض؛ لقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ... ﴾ تخفيف على القاتل؛ ورحمة بأولياء المقتول، حيث أذن لهم أن يأخذوا عوضاً؛ وإلَّا لقيل لهم: إما أن تعفو مجاناً؛ وإما أن تأخذوا بالقصاص .

١١- إثبات الرحمة لله تعالى؛ وهي رحمة حقيقية تستلزم حصول النعم، واندفاع النقم؛ وأهل التعطيل يفسرونها بـ"الإنعام" الذي هو مفعول الرب؛ أو

بـ"إرادة الإنعام"؛ وينكرون حقيقة الرحمة؛ وقد ضلوا في ذلك: فإن الإنعام، أو إرادته من آثار الرحمة، وليسا إياها.

١٢- أن المعتدي بعد انتهاء القصاص، أو أخذ الدية متوَعَّدٌ بالعذاب الأليم سواء كان من أولياء المقتول، أو من أولياء القاتل؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

١٣- بيان الحكمة العظمى في القصاص؛ وهي الحياة الكاملة؛ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ...﴾.

١٤- أنَّ كون القصاص حياة يحتاج إلى تأمُّل وعقل، حتى يتبيّن له أنَّه عين الحكمة، والمصلحة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

ويتفرَّع على هذه الفائدة: أنّ الله يحبّ من عباده أن يُعملوا أفكارهم وعقولهم في تدبُّر ما في أحكامه من الحِكم، والمصالح الدّالة على كماله، وكمال حكمته وعدله ورحمته الواسعة، وأنّ مَن كان بهذه المثابة فقد استحقّ المدح بأنّه من ذوي الألباب الذين وُجِّه إليهم الخطاب، وناداهم ربّ الأرباب، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً لقوم يعقلون.

لطائف:

❖ دلَّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ...﴾ إلى أنَّ الأولى بالناس قبول الصلح استبقاءً لأواصر أخوة الإسلام؛ وأنَّ المراد بأخيه هو القاتل، لذا وصف تعالى القاتل بأنه أخ؛ تذكيراً بأخوة الإسلام، وترقيقاً لنفس وليِّ المقتول؛ لأنه إذا اعتبر القاتل أخاً له كان من المروءة ألَّا يرضى بالقَوَد منه.

❖ دلَّ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ...﴾ أن الأصل وجوب (القصاص) في النفس، وأن الدِّية بدل عنه، وعلى تميُّز الشريعة الإسلامية بالسماحة والرحمة واليسر والمرونة، ذلك أن شريعة التوراة كانت القصاص ولم يكن أخذ الدِّية مشروعاً عند اليهود، وأهل الإنجيل كان لهم العفو، وعند عرب الجاهلية التعدي وقتل غير القاتل أو قتل الجماعة بالواحد، فجاءت الشريعة الإسلامية وسطاً وأصبح الخيار مقرراً بين القصاص، والدية، والعفو مطلقاً عن أي شيء.

❖ قوله تعالى:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ...﴾ قول بليغ وجيز فيه من النكاية والانزجار ما يدل على حكمة الحكيم الغفار. ولمّا كان هذا الحكم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة خصَّهم بالخطاب دون غيرهم؛ لأنهم يُدركون بسلامة عقولهم حكمة القصاص وأنه سبب للحفاظ على الحياة إذ العاقل يحرص على الحياة ويتقي القتل لِيسْلَم من القصاص.

❖ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ...﴾ نكَّر كلمة ﴿حَيَوٰةٞ﴾ لإفادة التعظيم والتكثير.

المعنى الثالث: تشريع الوصية: الآيات: ١٨٠- ١٨٢

من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ...﴾

وجه الربط:

لمّا ذكر الله تعالى القتل في القصاص، والديّة، أتبع ذلك بالتنبيه على الوصيّة وبيان أنه ممّا كتبه الله على عباده، حتى يتنبه كل أحد، فيوصي قبل مفاجأة الموت.

المفردات اللغوية:

كتب: فرض. **الموت**: أي أسبابه وعلاماته وأماراته كالمرض المخوف. **خيراً**: أي المال، وقيل الكثير منه. **الوصية**: مأخوذة من "وصَّاه وأوصاه إيصاء وتوصية: عهد إليه"؛ والمعنى: تصرف في التركة مضاف إلى ما بعد الموت؛ أي فليوص من أوشك على الموت ببعض ماله لأقاربه، وتطلق على التوصية، وعلى الموصى به من عين أو عمل. **بالمعروف**: أي بما عرفه الشرع، وأقرَّه؛ وهو الثلث فأقلّ. **حقاً على المتقين**: مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله؛ أي: المتصفين بالتقوى.

فمن بدله: أي بدَّل الإيصاء؛ بأن غيَّره بنقص، أو زيادة، أو منع. **بعد ما سمعه**: بعدما علمه؛ قال أهل العلم: عبَّر بالسمع عن العلم؛ لأن السمع من الحواس الظاهرة؛ والعلم من الإدراكات الباطنة - أي فمن بدَّله بعد أن علمه علم اليقين، كما لو سمعه بنفسه؛ ومعلوم أن العلم بالوصية لا يتوقف على السماع؛ فقد يكون بالكتابة؛ وقد يكون بالمشافهة والسماع؛ وقد يكون بشهادة الشهود. **فإنما إثمه**: أي الإيصاء المبدل. **فمن خاف**: من توقَّع، أو اطَّلع. **جنفاً**: ميلاً عن الحق و العدل عن غير قصد. **أو إثماً**: " الإثم" الميل عن قصد. **فأصلح بينهم**: بين الورثة وبين الموصى لهم، بحسب شرع الله تعالى. **فلا إثم عليه**: فلا عقوبة عليه في ذلك.

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى أنّه قد فرض على المؤمنين، إذا ظهرت علامات الموت بمرض مخوِّف ونحوه على أحدهم، وكان قد ترك مالاً كثيراً يستغني به ورثته فلا يحتاجون إلى غيرهم، أن يوصي لأبيه وأمِّه، ومَن سواهما من القرابة؛ كالإخوة، والأعمام، ونحوهم، وصيَّة عادلة، في حدود ثلث التركة فأقل، دون تمييز ولا جور في

الوصية، فلا يوصي لغنيٍّ ويدع الفقير.

وبما أنَّ المتقين هم الذين يراعون فرائض الله وجَّه الخطاب إليهم بأنَّ هذه الوصية أوجبها الله تعالى حقّاً مُقرَّراً على مَن اتقى الله وآمن بكتابه، فمن غيَّر الإيصاء من شاهدٍ ووصيٍّ بنقصٍ، أو زيادة، أو منعٍ، بعد ما عقله من الأوصياء والشهود، فإنَّ ذنب هذا التغيير عليه، وبرئت منه ذمَّة الموصي، وثبت له الأجر عند ربّه السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم وأحوالهم، وفي هذا وعيد للموصي أن يجور في وصيَّته، وللوصيّ أن يبدِّل أو يغيِّر في الوصية شيئاً.

ثمَّ استثنى تعالى من إثم التبديل حالة الإصلاح والنصح، فإذا خرج الموصي في وصيَّته عن منهج الشرع والعدل خطأً أو عمداً، فمن علم بذلك له أن يصلح بين الموصي والموصى له، أو بين الورثة والموصى لهم، بأن يردَّ الوصيّة إلى العدل والمقدار المحدَّد لها شرعاً، ولا إثم على هذا التبديل؛ لأنّه بحق، ولإزالة المنكر ومنع الظلم.

قال ابن سعدي رحمه الله:

واعلم أنَّ جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالِدَيْن والأقارب غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص دليل، والأحسن في هذا أن يقال: إن هذه الوصيَّة في الوالِدَيْن والأقارب جملة، ردَّها الله إلى العرف الجاري بقوله: ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ، ثم إن الله تعالى قدَّر للوالدين الوارثَيْن وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ ، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالِدَين الممنوعين من الإرث،

كالكافِرَيْن والعبدَيْن وغيرهما مِمَّن حُجِب بشخص قريب، أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق النّاس بِبِرِّه.

وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، فبهذا الجمع يحصل الاتفاق، والجمع بين الآيات، لأنه إن أمكن الجمع كان أحسن من ادِّعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

من هداية الآيات:

١- جواز الوصية بما شاء الإنسان من المال؛ لكن هذا مقيد بحديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال للنبي ﷺ " **أتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا؛ قال: فالشطر؟ قال: لا؛ قال: فالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير**". وعلى هذا فلا يزاد في الوصية على ثلث المال؛ فتكون الآية مقيدة بالحديث.

٢- أن الوصية الواجبة إنما تكون فيمن خلَّف مالاً كثيراً؛ لقوله تعالى:﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ؛ فأما من ترك مالً قليلاً فالأولى أن لا يوصي إذا كان له ورثة؛ لقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: "**إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفَّفون الناس**"

٣- أن الوصية ليست مقيدة بجزء معين من المال؛ بل هي بالمعروف؛ لقوله تعالى: ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

٤- أهمية صلة الرحم، حيث أوجب الله تعالى الوصية للوالدين والأقربين بعد الموت.

٥- قال ابن عطية: خُصَّ المتقون بالذكر تشريفاً للرتبة ليتبارى الناس إليها؛ لقوله تعالى: ﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

٦- تحريم تغيير الوصية؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ... ﴾ .

٧- أن من خاف جوراً أو معصية من موص فعليه الإصلاح؛ وهذا يشمل ما إذا كان قبل موت الموصي، أو بعده؛ مثاله قبل موت الموصي: أن يستشهد الموصي، أو يستكتب شخصاً لوصيته، فيجد فيها جوراً، أو معصية، فيصلح ذلك؛ ومثاله بعد موته: أن يُوصي لوارث، فيُطَّلع على ذلك بعد موته، فتُصلَح الوصية إما باستحلال الوارث الرشيد؛ وإما بإلغائها إذا لم يمكن.

٨- رفع الإثم عن الوصي إذا أصلح؛ ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ .. ﴾ .

٩- أنه قد يعبَّر بنفي الإثم، أو نفي الجناح دفعاً عن توهمه؛ وعليه فلا ينافي المشروعية؛ ﴿ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

١٠-إثبات الأسماء: "السميع" و "العليم" و"الغفور" و "الرحيم" لله تعالى؛ وما تضمنته من الصفة؛ والحكم؛ والحكم: الذي هو الأثر.

المعنى الرابع: تشريع الصيام: الآيات: ١٨٣- ١٨٧

من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ...﴾.

وقد تضمَّن هذا المقطع المعاني التالية:

أ) فرض الصيام، ونزول القرآن في رمضان: الآيات: ١٨٣- ١٨٥

من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ...﴾.

المفردات اللغوية:

كتب: فرض. **الصيام**: في اللغة: الإمساك والكف عن الشيء والترك له، وفي الشرع: التعبّد لله بترك المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بنّية من أهله، احتساباً لوجه الله، وإعداداً للنفس لتقوى الله. **كما كتب على الذين من قبلكم**: أي في الفرضية ووجوب الصوم. **لعلكم تتقون**: للتعليل؛ أي تتقون الله؛ وهذه هي الحكمة الشرعية التعبدية للصوم؛ وما جاء سوى ذلك من مصالح بدنية، أو مصالح اجتماعية، فإنها تبع. **أياماً معدودات**: عنى به شهر رمضان؛ وإنما عبّر عن رمضان بأيام معدودات وهي جمع قِلَّة؛ تسهيلاً على المكلفين. **من أيام أخر**: أي أيام مغايرة. **يطيقونه**: أي يستطيعونه. **فدية**: أي فداء يفتدي به عن الصوم، والأصل أن الصوم لازم، وأن المكلَّفَ به إن أفطر عليه أن يفدي نفسه بإطعام مسكين. **فمن تطوع خيراً**: يحتمل أن يكون المراد: بالزيادة على القدر المذكور في الفدية، أو أن يكون: مَن أراد الإطعام مع الصيام. **فهو خير له**: أي

التطوع أو الخير الذي تطوعه، خير له. والصوم خير من الإفطار والفدية. **إن كنتم تعلمون**: جملة مستأنفة؛ والمعنى: إن كنتم من ذوي العلم فافهموا؛ و"إن" هنا ليست شرطية فيما قبلها- يعني ليست وصلية - كما يقولون؛ لأنه ليس المعنى: خيراً لنا إن علمنا؛ فإن لم نعلم فليس خيراً لنا؛ بل هو مستأنف؛ ولهذا ينبغي الوقوف على قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. **رمضان**: ممنوع من الصرف بسبب العلمية وزيادة الألف، والنون؛ مأخوذ من الرَّمْض؛ واختلف لماذا سمي رمضان؛ فقيل لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها؛ وقيل: لأنه أول ما سميت الشهور بأسمائها صادف أنه في وقت الحر والرمضاء؛ فسمي شهر رمضان؛ وهذا أقرب؛ لأن هذه التسمية كانت قبل الإسلام. **أنزل فيه القرآن**: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر. **هدىً**: هادياً من الضلالة. **وبينات**: آيات واضحات. **من الهدى**: صفة لـ"بينات" يعني أنها بينات من الدلالة والإرشاد. **والفرقان**: مما يفرق بين الحق والباطل. **فمن شهد**: حضر. **اليسر**: السهولة والتخفيف بإباحة الفطر في السفر والمرض. **يريد الله بكم اليسر**: تعليل لما قبله، أي يريد فيما شرعه من هذه الرخصة في الصيام، وسائر ما يشرعه لكم من الأحكام، أن يكون دينكم يسراً تاماً لا عسر فيه. **ولتكملوا العدّة**: اللام للتعليل، وهو معطوفة على التعليل المستفاد من قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ كأنه قال: رخص لكم في حالي المرض والسفر؛ لأنه يريد بكم اليسر، وأن تكملوا العدّة، فمن لم يكملها أداء، لعذر المرض أو السفر، أكملها قضاء بعده، فالله شرع لكم القضاء حال الفطر والسفر. **ولتكبروا الله**: أي: ولتقولوا: الله أكبر؛ والتكبير يتضمَّن: الكِبَرَ بالعظمة، والكبرياء، والأمور المعنوية؛ والكِبَرَ في الأمور الذاتية؛ فإن السموات السبع، والأرض في كف الرحمن

كحبة خردل في كف أحدنا؛ والله أكبر من كل شيء. **على ما هداكم**: أي تكبروه لهدايتكم؛ وتشمل هداية العلم "الإرشاد"، وهداية العمل "التوفيق" **ولعلكم تشكرون**: تقومون بشكر الله على هذه النعم كلها، و"الشكر" هو القيام بطاعة المنعم بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى بما منَّ به على عباده بأنَّه فرض عليهم الصيام كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي فيها مصلحة للخلق في كلِّ زمان، وناداهم بوصف الإيمان المقتضي للامتثال، وتنشيطاً وترغيباً فيه. ثم بيَّن أنّ الصوم فُرض على جميع الناس تسلية لهم، وتوضيحاً أنّ الأمور الشاقّة إذا عمَّت، سهُل تحمُّلها، وتنبيهاً لهم أنَّه ينبغي عليهم أن ينافسوا غيرهم في تكميل الفضائل التي سبقت إليها الأمم السابقة، والمسارعة إلى صالح الخصال.

ثمّ ذكر تعالى حكمته في مشروعيَّة الصيام، وهي تقوى الله تعالى، فالصوم يربّي النفس ويهذِّبها، ويقوي الإرادة على العبادة والاستسلام لله تعالى والخضوع لأحكامه، إذ هو إمساك عن المُفطِرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنيَّة العبادة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **"الصيام جُنّة، فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم _ مرتين _ والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها"**

ولمَّا ذكر تعالى أنّه فرض على الناس الصيام، أخبر أنّه في أيام قليلة معدودة، ثمَّ زاد في التخفيف أن أذن للمريض والمسافر بالفطر، وعليهما القضاء إذا زال

المرض، وانقضى السفر. وأمَّا الذي يتحمّل الصوم بمشقة وكلفة، له أن يفطر ويطعم بدل الصوم عن كل يوم أفطره مسكيناً، فمَن تطوَّع وزاد في الفدية عن طعام مسكين لليوم الواحد، بأن يطعم أكثر من مسكين في اليوم، أو يطعم أكثر من القدر الواجب، أو جمع بين الصيام والإطعام، فهو خير له وأكثر ثواباً. وهذا في ابتداء فرض الصيام، لَمَّا كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه فيه مشقّة عليهم، درجهم الربّ الحكيم بأسهل طريقة، وخيَّر المطيق للصوم بين أن يصوم، أو يطعم، وبيَّن تعالى أنَّ الصوم أفضل وأخير لهم. فإن كنتم من ذوي العلم فافهموا هذا واعقلوه.

ثم بين الحق تعالى أنّ هذه الأيام القليلة هي شهر رمضان المبارك، الذي حصل للمسلمين فيه من الله الفضل العظيم، حيث بُدئ فيه بإنزال القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الدخان:٣) ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ (القدر:١)، واستمرّ نزوله منجّماً في ثلاث وعشرين سنة، أنزله سبحانه هادياً للناس إلى أقوم دين وأفضل تشريع، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء:٩)، فهو هداية علمية للناس عموماً، وأمَّا الهداية العملية فإنّه للمتقين، كما في أول السورة؛ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وهو أيضاً آيات بينات كما قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ...﴾ (العنكبوت:٤٩) أي: دلائل واضحة تهدي إلى الحق، فهذا القرآن الكريم مشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق

بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة.

فحقيق بشهرٍ هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسماً للعباد مفروضاً فيه الصيام، فمن علم حلول شهر رمضان وحضره وكان قادراً صحيحاً معافى فليصمه.

ولمَّا كانت هذه الآية ناسخة للتخيير بين الصيام والفداء في الآية السابقة، أعاد الله تعالى تأكيد الرخصة للمريض والمسافر، لئلا يتوهم أنّ الرخصة أيضاً منسوخة، ثمَّ بيَّن تعالى سبب الترخيص؛ لأنَّه تعالى يحبُّ لعباده اليسر والسهولة، ويدفع عنهم الحرج والمشقة؛ ولأنَّه تعالى يحبّ منَّا الإتيان بعدَّة أيام الصيام كاملة، وكذلك أصحاب الأعذار عليهم القضاء ليكملوا عدَّة شهر الصيام؛ ويحبّ الله تعالى منَّا إذا اكتملت عدّة الصوم أن نعظمَّه ونمجِّده على هدايتنا إلى أكمل دين، وأيسر وأسمح شريعة؛ والمشروع في هذا التكبير أن يقول الإنسان: **"الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد"**؛ وإن شاء أوتر فقال: **"الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلَّا الله، والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد"** والله تعالى يحبّ منَّا أن نشكره على ما أنعم علينا بتوفيقنا للقيام بطاعته، وأداء فرائضه، وما مَنَّ علينا من الرخص والتيسير.

لطيفة:

لّما أُبهم الأمر في الأيام عُيِّنت بقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ...﴾؛ لأنَّ ذلك أفخم وآكد من تعيينه من أول الأمر.

من هداية الآيات:

١- أهمية الصيام؛ لأن الله تعالى صدَّره بالنداء بوصف الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

٢- فرضية الصيام، وأنه فُرض كذلك على من قبلنا من الأمم؛ لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ... ﴾ وفي هذا فائدة وهي: تسلية الإنسان بما ألزم به غيره ليهون عليه القيام به.

٣- بيان الحكمة في إيجاب الصيام؛ وهي تقوى الله؛ لقوله تعالى:﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

٤- بيان حكمة الله تعالى بتنويع العبادات.

٥- أن الصوم أيامه قليلة، وفي التعبير بهذا تهوين الأمر على المخاطب؛ لقوله تعالى:﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾.

٦- أن المشقة تجلب التيسير؛ لقوله تعالى:﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾.

٧- جواز الفطر للمرض الذي يشق معه الصوم، أو يتأخر معه البرء. **وللمريض حالات:**

الأولى: أن لا يضره الصوم، ولا يشق عليه؛ فلا رخصة له في الفطر.

الثانية: أن يشق عليه، ولا يضره؛ فالصوم في حقه مكروه؛ لأنه لا ينبغي العدول عن رخصة الله.

الثالثة: أن يضره الصوم؛ فالصوم في حقه محرم.

٨- جواز الفطر في السفر؛ لقوله تعالى: ﴿ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وللمسافر باعتبار صومه في سفره حالات ثلاث:

- **الحالة الأولى**: أن لا يكون فيه مشقة إطلاقاً، ففي هذه الحالة الصوم أفضل. وإن أفطر فلا حرج؛ ودليله أن الرسول ﷺ كان يصوم في السفر، كما في حديث أبي الدرداء ﷺ قال: "**خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر؛ وما فينا صائم إلّا ما كان من النبي ﷺ وعبد الله بن رواحة**"
- **الحالة الثانية**: أن يشق عليه الصوم مشقة غير شديدة؛ فهنا الأفضل الفطر.
- **الحالة الثالثة**: أن يشق الصوم على المسافر مشقة شديدة؛ فهنا يتعين الفطر.

٩- أن من عجز عن الصيام عجزاً لا يرجى زواله فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾؛ ولأن الله جعل الإطعام عديلاً للصيام حين التخيير بينهما؛ فإذا تعذَّر الصيام وجب عديله. ويرجع في الإطعام وكيفيته ونوعه إلى العرف.

١٠- أنّ هذا القرآن متضمن لهداية الناس جميعاً، ومتضمن لآيات بينات واضحة لا تخفى على أحد، وأنه فرقان يفرق بين الحق والباطل؛ وبين النافع والضار، وبين أولياء الله وأعداء الله؛ لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

١١- أن شريعة الله سبحانه مبنية على اليسر والسهولة؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

١٢- مشروعية التكبير عند تكميل العدة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

ب) الصيام والدعاء: الآية: /١٨٦/

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي...﴾.

المفردات اللغوية:

فإني قريب: الخطاب للرسول ﷺ أي: أخبرهم بأني قريب أعلم أحوالهم وأسمع كلامهم. **الداع**: "الدعاء" بمعنى الطلب، **"إذا دعان"** أي إذا صدق في دعائه إياي. **فليستجيبوا لي**: فليلبوا دعوتي إياهم بالإيمان والطاعة والانقياد. **وليؤمنوا بي**: أي ليؤمنوا بأني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان. **لعلهم يرشدون**: يهتدون.

المعنى العام للآية الكريمة:

ولمّا كان الصيام عبادة خالصة لله تعالى، لا يدخلها رياء، وهو مظنَّة إجابة الدعاء، وجَّه تعالى خطابه للرسول المصطفىﷺ أن يخبر المؤمنين أنَّ الله قريب منهم، عليم بأحوالهم، سميع لأقوالهم، فليقبلوا عليه بالدعاء، وقد وعد سبحانه بالإجابة لمن آمن به، واستجاب لربه بالانقياد لأوامره ونواهيه، وصدق في دعائه، مخلصاً له غير متعلّق قلبه بسواه، عالماً أنَّه لا يفرِّج الكربات، ولا يكشف السوء، ولا يقضي الحاجات إلَّا الله، ومشعراً نفسه بالافتقار إلى ربّه، وأنّ الله سبحانه كريم، جواد، قادرٌ على إجابته، فمن دعا ربّه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإنَّ الله وعده بالإجابة.

وفي ظل هذا الأنس الحبيب يوجِّه تعالى عباده إلى الاستجابة له، والإيمان به، لعلَّ هذا يقودهم إلى الهداية والرشد والصلاح، فالثمرة الأخيرة من الاستجابة والإيمان هي لهم كذلك، والله غنيٌّ عن العالمين.

من هداية الآيات:

١- أن الصيام مظنة إجابة الدعاء؛ لأن الله تعالى ذكر هذه الآية في أثناء آيات الصيام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... ﴾.

والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

٢- إثبات قرب الله سبحانه وتعالى، وهو قرب خاص بمن يعبده، أو يدعوه؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾.

٣- أن الإنابة إلى الله تعالى، والقيام بطاعته سبب للرشد؛ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

لطيفة:

❖ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ ،لم يقل تعالى في الردِّ عليهم: فقل لهم. إنّما تولَّى تعالى بذاته الجواب على عباده: ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ، ولم يقل: أسمع الدعاء. إنَّما عجَّل بالإخبار عن إجابة الدعاء بقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

ج) تخفيف وتيسير في أحكام الصيام، والصيام والاعتكاف: الآية: /١٨٧/

قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ... ﴾.

المفردات اللغوية:

ليلة الصيام: ليالي الصوم. **الرفث**: الإفضاء، والجماع. **هن لباس**: كل من الزوجين بمثابة لباس للآخر؛ لأنه يستر صاحبه وعبر سبحانه باللباس لما فيه من ستر

العورة، والحماية، والصيانة. **تختانون**: تخادعون أنفسكم بالجماع ليلة الصيام. **الخيط الأبيض**: أول ما يبدو من بياض النهار، كالخيط الممدود رقيقاً ثم ينتشر . **الخيط الأسود**: هو ما يمتد من سواد الليل، مختلطاً مع بياض النهار، كأنه خيط ممدود. **من الفجر**: أي الصادق، بيان للخيط الأبيض، أما بيان الأسود فهو محذوف أي: من الليل، واكتفى بالأول؛ لأنه بيان أحدهما بيان للثاني. **ثم أتموا الصيام إلى الليل**: أي أكملوا الصيام على وجه التمام إلى دخول الليل. **ولا تباشروهن**: أي ولا تجامعوهن. **وأنتم عاكفون**: الاعتكاف: لغة: اللبث وملازمة الشيء، وشرعا: المكث في المسجد طاعة لله وتقرباً إليه. حدود الله: مفردها **"حد"**: وهو في اللغة: المنع؛ ومنه حدود الدار، و"الحدود" الحواجز، وسميَّت الأحكام حدود الله؛ لأنها تمنع من دخول غيرها فيها، فإن جاء بعدها: ﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾ فالمراد بها ممنوعاته ومحارمه، وإن جاء بعدها {فلا تعتدوها} فالمراد بها أحكامه، **وإن أريد بالحدود**: الأحكام عامة، فيكون المقصود من قوله:﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾ أي لا تتعرضوا لها بالتغيير، أو لا تقربوا الحد الحاجز بين حيّز الحق وحيّز الضلال، مثل منع الاقتراب من الحمى في حديث:" **فمن حام حول الحمى، يوشك أن يقع فيه**"

المعنى الإجمالي:

أضافت الآيات وجهاً آخر من وجوه التيسير والتخفيف في أحكام الصيام تأكيداً لما أخبر عنه تعالى في قوله:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ ، وإبرازاً ليُسر الشريعة الإسلاميَّة وسماحتها، وامتيازها على غيرها من الشرائع؛ فقد كان المسلمون في أوَّل فرض الصيام إذا صلَّى أحدهم العشاء الآخرة، أو إذا نام قبلها، فإنّه يحرم عليه الأكل والشرب ومجامعة النساء إلى غروب الشمس من

اليوم التالي؛ فشقَّ عليهم ذلك مشقَّة عظيمة؛ فخفَّف الله تعالى عنهم، وأباح لهم في ليالي الصيام مجامعة نسائهم؛ لأنَّ مابين الزوجين من الملابسة وقوة الاتصال وشدة الاقتراب حتى أنَّ أحدهما بمنزلة اللباس للآخر، ثمَّ بيَّن سبحانه حكمته ورحمته بالمؤمنين إذ أحلَّ لهم ما كان محرّماً عليهم، فإنَّه إذا كان بينهم مثل هذه المخالطة والملابسة، قلَّ صبرهم عنهنَّ، وصعب عليهم اجتنابهنّ، فكانوا يخادعون أنفسهم بإتيانهنَّ، فتاب الله عليهم بنسخ الحكم، وعفا عنهم بتجاوزه عمَّا وقع منهم من مخالفة، فالآن بعد هذه الرخصة والسعة منه تعالى يمكنكم جماعهنَّ، وانووا في مباشرتكم إعفاف فروجكم وفروجهنَّ، وما قدَّر الله لكم من الذرية، فالجماع سبب، والخالق هو الله تعالى.

كما أنّه سبحانه أباح لكم الأكل والشرب حتى يتميَّز بياض الفجر عن سواد الليل، ثمَّ أمسكوا عن المفطرات إلى غروب الشمس، كما في قوله ﷺ: **"إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم"**

وبعد أن أباح الله تعالى الوطء في ليالي الصيام، بيَّن لهم أنهم إذا كانوا معتكفين في المساجد بقصد القربة والطاعة، فلا يحلَّ لهم مباشرة النساء، وتلك الأحكام هي حدود الله وموانعه التي فرضها على عباده فلا ينبغي لهم مخالفتها أو تغييرها، وبمثل هذا البيان التام الواضح لأحكامه ﷻ يبيِّن الله لكم أيها الناس معالم دينه، وأحكام شريعته، فإذا بانت لكم فاتَّبعوها، وتمسكوا بها؛ لتدخلوا في زمرة المتقين.

من هداية الآيات:

١- جواز استمتاع الرجل بزوجته، وأن الزوجين ستر لبعضهما، وأنَّ بينهما من القرب كما بين الثياب، ولابسيها؛ لقوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾.

٢- ثبوت علم الله بما في النفوس؛ لقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾.

٣- أنّ الإنسان كما يخون غيره قد يخون نفسه؛ وذلك إذا أوقعها في معاصي الله، فإنّ هذا خيانة؛ وعلى هذا فنفس الإنسان أمانة عنده؛ لقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾.

٤- أخذ بعض أهل العلم من قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾؛ استحباب السحور، وتأخيره.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: وهذا الاستنباط له غور؛ لأنّه إنّما أبيح الأكل والشرب ليلة الصيام رفقاً بالمكلّف؛ وكلّما تأخر إلى قرب الفجر كان أرفق به؛ وهذا استنباط جيد تعضده الأحاديث، كقوله ﷺ **"تسحّروا فإن في السحور بركة"**

٥- أن الصيام الشرعي من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس؛ لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾. كما أنّ في الآية الإشارة إلى كراهية الوصال؛ وهو مواصلة الإمساك عن المُفطرات في الليل، حتى يتصل صيام اليوم بالذي يليه، وقد ثبت أنّ النبي ﷺ نهى عنه، فعن عائشة رضي الله عنها

قالت: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: **"إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقين"**

٦ - الإشارة إلى مشروعية الاعتكاف؛ ويكون في آخر شهر رمضان؛ وهو مشروع في كل مسجد جماعة؛ لقوله تعالى: ﴿ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾

٧- النهي عن مباشرة النساء حال الاعتكاف، وأنه مبطل للاعتكاف؛ ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ ﴾.

٨- أن أوامر الله حدود له؛ وكذلك نواهيه؛ لأنّ النهي عن الاقتراب من الحدّ الحاجز بين الحلال والحرام يفيد الابتعاد عن المحرَّمات، وعن وسائل المحرّمات؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ وكم من إنسان حام حول الحمى فوقع فيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾.

٩- أن الله تعالى يبين آياته للناس لتكون دليلاً لهم على ربهم، فيتقونه، ويعبدونه حق عبادته؛ لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

المعنى الخامس: تحريم أكل المال بالباطل: الآية /١٨٨/

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ... ﴾ .

هذه الآية توطئة وتقديم لمبادىء المعاملات المالية المذكورة في أواخر سورة البقرة.

المفردات اللغوية:

ولا تأكلوا أموالكم بينكم: أي يأكل بعضكم مال بعض بغير وجه مشروع، والمراد بالأكل: الأخذ والاستيلاء، وعبر به؛ لأن المقصود الأعظم من المال هو الأكل.

وأكل المال بالباطل له وجهان: الأول ـ أخذه على وجه الظلم والسرقة والغضب ونحو ذلك، الثاني ـ أخذه من جهة محظورة كالقمار، وأجرة الغناء، ونحو ذلك من سائر الوجوه التي حرمها الشرع. وقد انتظمت الآية تحريم كل هذه الوجوه. **والباطل**: في اللغة: الذاهب أو الزائل، والمراد به هنا: الحرام شرعاً كالسرقة والغضب، ويشمل كل ما أُخذ دون مقابل، أو دون رضا من صاحبه، أو أنفق في غير وجه حقيقي نافع. **وتدلوا**: الإدلاء في الأصل مأخوذ من: أدلى دلوه؛ والذي يدلي دلوه يريد التوصل إلى الماء؛ والمعنى: لا تلقوا بالأموال إلى الحكام لتجعلوهم وسيلة لأكلها بأن تجحد الحق الذي عليكم. **فريقاً**: الفريق من الشيء: الجملة والطائفة منه. **بالإثم**: الباء للمصاحبة؛ أي أكلاً مصحوباً بالإثم وهو ـ الذنب ـ. **وأنتم تعلمون**: أنكم مبطلون آثمون، وهذه مبالغة في الجرأة والمعصية.

وجه الربط:

وأمّا إيرادها بعد آيات الصيام؛ فلأن الصيام يُربِّي نفس المسلم، ويقوي إحساسه بمسؤوليته ورقابة الله تعالى عليه، ولا شك أن الأثر العملي لهذه التربية الوجدانية تظهر في تعامل الإنسان مع غيره، وفي امتناعه عن أكل أموال النّاس بالباطل. **وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى**: أنّه لما ذكر التحريم الخاص الذي يحصل في الصيام بيَّن التحريم العام الذي يحصل في الصيام، وفي غير الصيام.

المعنى الإجمالي:

من معالم دين الله تعالى وأحكام شريعته، حقّ التَّملُّك الفردي للمال، وتقرير حرمة هذا المال، وتحريم أكله بالباطل من قبل الآخرين، لهذا نهى سبحانه وتعالى

عباده عن أكل بعضهم أموال بعض بالباطل، كالغصب والغش والاحتيال والربا والقمار، إلى غير ذلك من وجوه الاكتساب غير المشروع في الإسلام.

ثمَّ ذكر تعالى نوعاً هو شرّ أنواع أكل المال بالباطل، وهو إمّا دفع المال إلى القُضاة والحُكّام ورشوتهم ليحكموا لهم بغير الحق. أو رفع القضايا للمحاكم، اعتماداً على الحجة الباطلة، وتزييف الحقائق، وشهادة الزور، واليمين الغموس، ففي هذه الحالة يحكم الحاكم بما ظهر له، وبما سمع، فيكون هذا من الإدلاء إلى الحكام. وكلا القولين صحيح.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى:

لمَّا كان أكل الأموال نوعين: نوعاً بحقّ، ونوعاً بباطل، وكان المحرَّم أكلها بالباطل، قيَّده الله تعالى بذلك. ويدخل في ذلك: أكلها على وجه السرقة، والخيانة في وديعة أو عارية، أو نحو ذلك. ويدخل فيه أيضاً، أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرَّمة، كعقود الرِّبا، والقمار. ويدخل في ذلك أخذها بغشٍّ في البيع، والشراء، والإجارة، ونحوها. ويدخل في ذلك استعمال الأجراء وأكْل أجرتهم. وكذلك أخذهم أجرة على عمل لم يقوموا بواجبه. ويدخل في ذلك الأخذ من الزَّكوات، والصدقات، والأوقاف، والوصايا، لمن ليس له حق منها، أو فوق حقه. فكل هذا ونحوه من أكل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه. ا.هـ

من هداية الآيات:

١ – تحريم أكل المال بالباطل؛ و"الباطل" كل شيء ليس للإنسان به حق شرعاً.

٢ –بيان حرص الشارع على حفظ الأموال؛ لأن الأموال تقوم بها أمور الدين، وأمور الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ .

٣– تحريم الرشوة؛ لقوله تعالى:﴿ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ على أحد التفسيرين، كما سبق.

٤ –أنَّ الحاكم يحكم بما ظهر له؛ لقوله تعالى: ﴿ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ وكقوله رسول الله ﷺ: **"إنَّما أنا بشر، وإنّكم تختصمون إليّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له بنحوٍ مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار"**. فهذه فيمن يدّعي ما ليس له.

٥ –أن أكل الأموال بالباطل مع العلم بحرمته أشد بشاعة من أكلها جهلاً؛ لقوله تعالى: ﴿ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

٦ –تيسير الله على الحكام بين الناس، حيث لا يعاقبهم على الأمور الباطنة؛ وإلا لكان الحكام في حرج ومشقة؛ ووجه ذلك من الآية؛ أنَّ الحاكم إذا حكم بما ظهر له_ وإن كان خلاف الواقع _ فلا إثم عليه.

٧ –أنّ مَن حُكم له بما يعتقد أنَّه حق فلا إثم عليه؛ لكن لو تبيّن له بعد الحكم أنّه لا حق له وجب عليه الرجوع إلى الحق.

لطائف:

❖ بما أن الحكَّام مظنّة الرِّشاء- إلا من عُصِم خصَّهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ أي لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم،

ليقضوا لكم على أكثر منها. ويلاحظ تناسب اللفظين﴿ وَتُدْلُواْ ﴾ من إرساء الدلو. والرَّشوة من الرِّشاء وهو حبل الدلو، فكأنما يمدّ بها ليقضي الحاجة.

❖ عبَّر تعالى بالأكل؛ لأنه أقوى وجوه الانتفاع؛ فيشمل الانتفاع بغير الأكل من الملبوسات، والمفروشات، والمسكونات، والمركوبات.

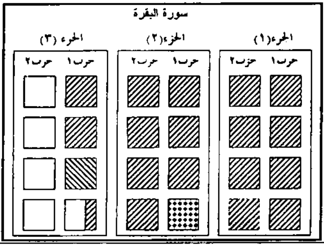

الجزء/الثاني/الحزب/الأول/الربع الرابع/ الآيات: ١٨٩ – ٢٠٣

أولاً: الأهلة والمواقيت الشرعية:

الآية:/١٨٩/

قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.... ﴾

ثانياً: تشريع الجهاد، وتحريم العدوان:

الآيات: ١٩٠– ١٩٥

من قوله تعالى.﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

ثالثاً: الآيات: ١٩٦ – ٢٠٣

تفصيل أحكام الحج والعمرة:

١- فرضية الحج والعمرة؛ لقوله تعالى. ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

٢- الإحصار وفديته؛ لقوله تعالى.﴿إِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾

٣- النهي عن الحلق قبل بلوغ الهدي مكان الذبح، لقوله تعالى.﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾.

٤- وجوب الهدي على المتمتع؛ لقوله تعالى:﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾

٥- حاضري المسجد الحرام ليس عليهم هدي؛ لقوله تعالى.﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

٦- الإحرام بالحج في أشهر الحج، لقوله تعالى:﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾

٧- فرضية إتمام الحج والعمرة لمن تلبس بهما؛ لقوله تعالى:﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ .﴾

٨- التقرب لله بالطاعات، والتزود لهذا السفر بزاد البلغة والتقوى.﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا . ﴾

٩- رفع الإثم في طلب الرزق الحلال أثناء الحج، لقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾.

١٠- الوقوف بعرفة، ثم الإفاضة إلى مزدلفة، وذكر الله عند المشعر الحرام، والدعاء، والتهليل والاستغفار، لقوله.﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾إلى:﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾

١١- الدعاء، لقوله تعالى:﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

١٢- المبيت أيام التشريق في منى، والإكثار من ذكر الله بتعظيمه وتكبيره، ونحر الهدي، ورمي الجمار، ورفع الحرج عن المتعجل، والمتأخر أفضل، ولابد أن يكون الخروج من منى قبل غروب الشمس، لقوله تعالى.﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ ﴾.

الجزء الثاني - الحزب الأول- الربع الرابع

حسب القرآن: الآيات: ١٨٩ - ٢٠٢

من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

حسب المعنى: الآيات: ١٨٩ - ٢٠٣

إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ...﴾

وجه الربط:

لّما كانت التوقيتات الشرعيّة مؤقتة بالشهور القمرية؛ ذكر تعالى آية الأهلة في سياق آية الصيام وفي مقدمة آيات الجهاد والحج، فبعض أحكام الجهاد لها صلة بالأشهر الحرم وهي أشهر قمرية، وأشهر الحج أيضاً قمرية وبهذا تكون الآية متصلة بما قبلها، وممهدة لما بعدها.

المعاني الرئيسة:

ويتضمن هذا الربع المعان الرئيسة التالية:

أولاً: الأهلة والمواقيت الشرعية: الآية: /١٨٩/

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ...﴾.

المفردات اللغوية:

الأهلة: جمع هلال، وهو القمر أول ما يكون شهراً؛ وسمي هلالاً لظهوره بعد خفائه؛ ومنه الإهلال بالحج؛ لظهور الصوت بالتلبية، أو لأن الناس عند ظهور الهلال يرفعون أصواتهم بذكره عند رؤيته. مواقيت: جمع ميقات ـ من الوقت ـ

وهو ما يعرف به الوقت أي الزمن المقدر المعين. **مواقيت للناس والحج**: أي بالأهلة يعرف الناس أوقات زرعهم، ومتاجرتهم، وعُدَد نسائهم، وصيامهم وإفطارهم، وأوقات صلواتهم، وكذلك زمان الحج يُعلم وقته بالأهلة أيضاً، وهو من عطف الخاص على العام. **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**: أي تأتوها من الخلف. **تفلحون**: هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب.

المعنى الإجمالي:

يسألونك يا محمد (ﷺ) عن الحكمة من الأهلَّة، فقل لهم: هي أوقات يؤقِّت الناس بها مصالحهم وأعمالهم التي تحتاج إلى توقيت بالأشهر، كعدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا، وعدة المطلقة بعد الدخول إذا كانت لا تحيض ثلاثة أشهر، ومدة الحمل، ويستفيدون من معرفتها فوائد أخرى، في ضبط الحساب، وتوقيت الزمان، ومعرفة أنواع المساقاة، والمزارعة، والإجارات، والأكرية، وغير ذلك من مصالح العباد وعباداتهم، ومنها الحج، فالأهلّة مواقيت للحج؛ لأنّ الحج أشهر معلومات، وكذلك هي مواقيت للصيام، كما قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (البقرة:١٨٥)؛ ولم يذكره تعالى هنا؛ لأنه سبق.

ثمَّ بيَّنت الآية بطلان عادة جاهلية، كانوا يفعلونها عندما يُحرمون بحجٍّ، أو عمرة إلّا قريشاً؛ وهي أنّهم كانوا يتسلّقون البيوت مع الجدران لئلّا يسترهم سقف البيت؛ لاعتقادهم أنّ هذا يبطل إحرامهم، ويعتقدون أنّ ذلك بِرّ وقُربة إلى الله ﷻ؛ فنفى الله هذا وأبطله؛ لما فيه من التعسير، والسفه، وبيَّن تعالى أنَّ البِرَّ الحقيقي هو طاعة الله ﷻ وتقواه؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وأمرهم أن يأتوا البيوت

من أبوابها، وأن يتقوا الله بالتزام شرعه والوقوف عند حدوده، فإنّه سبب الفلاح، الذي هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب.

لطيفة:

أفرد الله تعالى {الحج} بالذكر؛ لأنه مِمّا يحتاج فيه إلى معرفة الوقت، وأنه لا يجوز فيه التأجيل أو النسيء عن وقته، بخلاف ما كان عليه العرب فإنها كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله قولهم وفعلهم.

من هداية الآيات:

١- حرص الصحابة ﷺ على العلم، وسؤالهم عن أمور الدين، وأمور الدنيا؛ لأن هذا مما يتعلق بالدنيا.

٢- أن الحكمة من الأهلة أنها مواقيت للناس في شؤون دينهم، ودنياهم؛﴿ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾.

٣- أنَّ العادات لا تجعل غير المشروع مشروعاً؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾.

٤- أنَّ البر يكون بالتزام ما شرعه الله، والحذر من معصيته؛ لقوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾

٥- وجوب تقوى الله، وأن التقوى تُسمّى براً، وأنها سبب للفلاح؛ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾.

٦- أنَّ الله تعالى إذا نهى عن شيء فتح لعباده مما أذِنَ به ما يقوم مقامه؛ فإنَّه لما نفى أن يكون إتيان البيوت من ظهورها من البر بيّن ما يقوم مقامه.

٧- من الفوائد المسلكية في هذه الآية: أنه ينبغي للإنسان في كلّ أمر من الأمور أن يأتيه من الطريق السهل القريب؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾؛ فإن الآية كما تناولت الأمور الحسية كذلك تناولت أيضاً الأمور المعنوية. فالآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويعامله بحسب حاله. وكذلك المتعلِّم والمعلِّم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله.

ثانياً: تشريع الجهاد، وتحريم العدوان: الآيات:١٩٠- ١٩٥

من قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ... ﴾.

وجه الربط:

لّما كانت آيات الجهاد في سياق آيات الحج وردت هذه الآيات في الإذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرم، إذا فوجئوا بالقتال بغياً وعدواناً.

المفردات اللغوية:

وقاتلوا في سبيل الله: أي لإعلاء دينه، لأنه طريق إلى مرضاته، فالقتال في سبيل الله: هو القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه. **يقاتلونكم**: أي يتوقع منهم قتالكم. **ولا تعتدوا**: أي في المقاتلة؛ والاعتداء يشمل الاعتداء في حق الله؛ كأن يُقاتَل في وقت لا يحلّ القتال فيه؛ وفي حق المقاتَلين؛ كالتمثيل بهم. **إن الله لا يحب المعتدين**: المتجاوزين ما حُدَّ لهم من الشرائع والأحكام. **ثقفتموهم**: وجدتموهم وظفرتم بهم. **والفتنة أشد من القتل**: صدُّ الناس عن دينهم أعظم من القتل لهم في الحرم أو

الإحرام الذي استعظموه. **فإن انتهوا**: عن الكفر وأسلموا. **ويكون الدين لله**: أي ويكون دين الله هو الظاهر، الغالب. **فإن انتهوا**: عن قتالكم، وعن الشرك. **فلا عدوان**: أي لا مقاتلة. **إلا على الظالمين**: أي المتجاوزين حدودهم المعتدين على غيرهم، فمن انتهى عن الشرك والاعتداء فليس بظالم، فلا عدوان عليه. **الشهر الحرام بالشهر الحرام**: ردّ على استعظام القتال في الأشهر الحرم، إذ هتك حرمة الشهر الحرام من المسلمين مقابل هتك حرمة الشهر الحرام من الكفار. **والحرمات**: جمع حرمة: وهي ما يجب احترامه من زمان، أو مكان، أو منافع، أو أعيان. **قصاص**: أي يقتص بمثلها إذا انتهكت. **فمن اعتدى عليكم**: مَن تجاوز الحدَّ في معاملتكم سواء بأخذ المال، أو بقتل النفس، أو بالعِرْض، أو غير ذلك. **فاعتدوا عليه**: سمي مقابلة الاعتداء اعتداء، لشبهها بالمقابل به في الصورة. **وأنفقوا في سبيل الله**: أي ابذلوا الأموال في طاعته بالجهاد وغيره. **ولا تلقوا بأيديكم**: أي أنفسكم. **إلى التهلكة**: من الهلاك؛ أي لا تلقوها إلى ما يهلكها. **وأحسنوا**: أي افعلوا الإحسان في عبادة الخالق؛ وفي معاملة المخلوق.

المعنى الإجمالي:

الجهاد لإعلاء كلمة الله مشروع في الإسلام، وكلمة "جهاد" تدلُّ بمعناها اللغوي على شدّته وصعوبته، فهو في الأصل المشقّة، يقال: جهدت جهداً، بلغت المشقة، ومعناها الشرعي بذل الجهد في قتال الكفار.

ومن رحمته تعالى بالمؤمنين أنّه ما كلَّفهم بالجهاد في أوّل الأمر، فما شرعه تعالى إلّا بعد الهجرة؛ لأنّهم كانوا بمكة مستضعفين لا شوكة لهم ولا قوَّة، ولمَّا هاجروا إلى المدينة وصارت مأوى وقاعدة ينطلقون منها إلى الجهاد، شرع الله لهم القتال وأنزل

فيه: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحج:٣٩) وأنزل هذه الآية: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ فأُذِن للمسلمين إذا قاتلهم المشركين بقتالهم لردِّ عدوانهم، ولإعلاء دين الله وشرعه، وحثِّهم وأغراهم على ذلك؛ لأنّ هؤلاء الأعداء لا همَّ لهم إلّا قتال الإسلام وأهله.

ونهى سبحانه عن الاعتداء في المقاتلة، ويشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل مَن لا يقاتل من النساء والشيوخ والأطفال، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين، أو مقاتلة مَن تقبل منهم الجزية إذا بذلوها. وبيَّن تعالى أنّه من تجاوز واعتدى فقد تعرَّض لانتفاء محبة الله له.

ثمَّ أمر تعالى المسلمين بقتال جميع الكفار، أينما وُجِدوا، وفي أيِّ زمانٍ كانوا، أي: (ولتكن همّتكم منبعثة على قتالهم كما همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادكم التي أخرجوكم منها قصاصاً).

ولمَّا كان الأمر بالقتال فيه إزهاق النفوس. وكان القتال عند المسجد الحرام يُتَوَهَّم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام، أخبر تعالى أنَّ ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله، وصدِّ الناس وفتنتهم عن دينهم، أشدُّ وأعظم من مفسدة قتلهم؛ قال تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ.. ﴾.

والآية الكريمة وإن كانت نزلت في مشركي مكة الذين قاتلوا المسلمين وأنزلوا فيهم من أنواع الظلم ليفتنوهم عن دينهم، وألجئوهم إلى الهجرة، فإنّها عامّة للمسلمين في قتالهم مع الكفار في كلِّ وقت.

ثم استثنى تعالى من هذا العموم القتال عند المسجد الحرام، فللحرم حرمته، إلا أن يبدأ الأعداء بالقتال فإنهم يُقاتَلون؛ لأنّهم الذين هتكوا حرمة البيت الحرام، فليس على المسلمين حرج في قتلهم، ومثل هذا الجزاء _ وهو قتل مَن قاتل عند المسجد الحرام _ جزاء الكافرين وعقوبتهم التي يكافؤون بها على اعتدائهم؛ قال تعالى:﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ .

فإن هم كفُّوا عن عدوانهم وتوقَّفوا عن القتال، أو تركوا كفرهم وشركهم، ودخلوا في دين الله، فيجب الكفّ عن قتالهم، والله يغفر لهم ما تقدَّم منهم؛ لأنّه تعالى غفور للسيِّئات يغفر ما سلف، رحيم بالعباد لا يُعاجلهم بالعقوبة؛ قال الله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

ثمَّ أمر تعالى المسلمين بالاستمرار في قتال الكافرين قتال مدافعة، وقتال مهاجمة، وبيَّن أنَّ الغاية منه إزالة الكفر والشرك، وكسر شوكة الكفار وقوتهم التي يصدُّون بها عن سبيل الله وما يلحقونه بالمسلمين من أنواع الضّرر والإيذاء. فالقتال لم يُشرع لإكراه الناس على الإسلام، ولا لسفك الدماء، وأخذ الأموال، بل ليكون دين الله غالباً ظاهراً لا يعلو إلّا الإسلام فقط، وما دونه فهو دين معلوٌّ عليه يؤخذ من أصحابه الجزية عن يد وهم صاغرون، فإذا حصل هذا المقصود، وانتهوا عن الكفر، وعن معارضة دين الله والصدِّ عنه فلا قتل ولا مقاتلة، فمن عاد واعتدى فلكم أن تعتدوا عليه تأديباً له حتى يكفّ عن ظلمه ويرتدع عن عدوانه.

ولمّا بيّن تعالى فيما سبق حكم انتهاك حرمة المكان، بيّن هنا حكم انتهاك حرمة الزمان، وكان المشركون قد حبسوا رسول الله ﷺ عندما سار معتمراً في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، حتى إذا كان بالحديبية، صدّوه بمن معه من المسلمين عن الدخول والوصول إلى البيت، فصالحهم رسول الله ﷺ على أن يرجع عامه، ثمّ يأتي القابل. فلمّا كان العام المقبل، تجهّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء في ذي القعدة، وكان المسلمون يحترمون الأشهر الحرم والقتال فيها، فخاف الصحابة أن لا تفي لهم قريش بذلك، أو أن يغدروا بهم ويتعرّضوا لهم بالقتال وهم في شهر حرام، فسلّاهم تعالى أولاً بأنّهم إذا فاتهم قضاء عمرتهم في هذا الشهر الحرام فيمكنهم أن يقضوها في الشهر الحرام من السنة الثانية، فإن منعوكم عن قضاء العمرة بموجب العهد الذي بينكم، وغدروا بكم، وقاتلوكم، فلا حرج عليكم أن تردّوا عدوانهم بالمثل وتقاتلوهم؛ فالحرمات قصاص؛ فقال تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ فمن انتهك حرمة شيء فإنّه تنتهك حرمته: فمن انتهك حرمة الشهر انتهكت حرمته في هذا الشهر؛ ومن انتهك نفس مؤمن فقتله انتهكت حرمة نفسه بقتله؛ وهكذا.

ولمّا أباح تعالى الاقتصاص بالمثل، وشأن النفوس _ في الغالب _ حب المبالغة في الانتقام لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، فلا يحلّ لأحد أن يتعدّى ما يجب له من القصاص. ثمّ أمر تعالى عباده أن يعلموا علماً يقينياً أنه سبحانه مع المتقين؛ بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق؛ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

ثمّ أمر تعالى بالإنفاق في طرق الخير الموصلة إليه سبحانه من زكاة، أو صدقة، وأعظم وأوّل ما يدخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فكما أنّ الجهاد يحتاج إلى التضحية بالأرواح، فهو يحتاج أيضاً إلى بذل الأموال وإنفاقها في تجهيز الجيوش، فالجهاد لا يقوم إلّا على ساق النفقة، فهي له كالروح، لذا أمر تعالى بإنفاق المال فيه لشراء السلاح، وإعداد المُؤن والعُدد.

ونهى سبحانه عن ترك الجهاد والاستعداد له، أو النفقة فيه، فإنّه متى تُرِك ذلك كان كمن ألقى بيده إلى الهلاك، وكان ذلك موجب لتسلط الأعداء على الأمّة.

ولمّا كانت النفقة في سبيل الله نوعاً من أنواع الإحسان، عطف بالأمر به في كلّ شيء؛ في القتال، وفي الإنفاق؛ بجعلها خالصة لوجهه الكريم، وعموماً في عبادة الخالق، وفي معاملة المخلوق؛ فالله يحب المحسنين، ومن أحبه الله أكرمه ونصره؛ ولو لم يكن من الإحسان إلّا محبة الله لكان كافياً للمؤمن أن يقوم بالإحسان.

من هداية الآيات:

١- وجوب القتال في سبيل الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي في شرعه ودينه، ومن أجله.

٢- أنه ينبغي للمتكلِّم أنْ يذكر للمخاطب ما يهيّجه على الامتثال؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾.

٣- تحريم الاعتداء حتى على الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾؛ وعلى المسلمين من باب أولى.

٤- يُستدل من هذه الآية على القاعدة المشهورة: **(ارْتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما).**

٥- وجوب قتال الكفَّار أينما وجِدوا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾؛ ووجوب قتالهم أينما وجدوا يستلزم وجوب قتالهم في أي زمان؛ لأن عموم المكان يستلزم عموم الزمان؛ لكن لوجوب قتالهم شروط؛ من أهمها: القدرة على ذلك.

٦- أن الفتنة بالكفر، والصد عن سبيل الله أعظم من القتل، فيتفرع على هذه الفائدة: أن استعمار الأفكار أعظم من استعمار الديار؛ لأن استعمار الأفكار فتنة؛ واستعمار الديار أقصى ما فيها إما القتل. أو سلب الخيرات، أو الاقتصاد، أو ما أشبه ذلك؛ فالفتنة أشد؛ لأنها هي القتل الحقيقي الذي به خسارة الدين، والدنيا، والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾.

٧- تعظيم حرمة المسجد الحرام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾.

٨- الأمر بقتال الكفار مقيَّد بغايتين، غاية عدمية؛ تتضح من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ والفتنة هي الشرك، والصد عن سبيل الله، وغاية إيجابية وهي قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ أي: يكون الدين غالباً ظاهراً لا يعلو إلّا الإسلام فقط؛ لهذا قال تعالى:﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾.

٩- أنَّ الله مع المتقين؛ لقوله تعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾. والمعية تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة؛ فالعامة: هي الشاملة للخلق كلهم، وتقتضي الإحاطة بهم علماً، وقدرة، وسمعاً، وبصراً، وغير ذلك من معاني

الربوبية؛ لقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ... ﴾ (المجادلة:٧) وأما الخاصّة: فهي المقيّدة بوصف، أو بشخص؛ مثال المقيدة بوصف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل : ١٢٨) ؛ ومثال المقيدة بشخص قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٠- تحريم الإلقاء باليد إلى التهلكة؛ ومن التهلكة ترك الجهاد، والإقامة في الأهل والولد؛ ويشمل التفريط في الواجب، وفعل المحرَّم؛ أو الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة؛ وبعبارة أعمّ: يتناول كل ما فيه هلاك الإنسان، في دينه، أو دنياه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾.

١١- الأمر بالإحسان، وبيان فضيلته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ والأمر بالإحسان يشمل جميع أنواع الإحسان:

- ❖ بالمال، والجاه؛ أي: (بالشفاعات).
- ❖ ويكون الإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع.
- ❖ ويدخل في الإحسان كذلك قضاء حوائج النّاس من تفريج كرباتهم، وإزالة شدائدهم، وعيادة مرضاهم، وإرشاد ضالهم.
- ❖ ويدخل في ذلك الإحسان في عبادة الله تعالى؛ وهو كما ذكر النبي ﷺ: [**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**]فمن اتَّصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.

ثالثاً: الآيات:١٩٦- ٢٠٣

من قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

وقفة:

يلاحظ أنَّ الله تعالى قرن بين آيات الحج وآيات الجهاد هنا في سورة البقرة كما قرن بينهما في سورة الحج، وقد بيّن تعالى فائدة اقتران الحج بالجهاد في سورة الحج عندما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ... ﴾ [الحج: الآية٢٥] فالحج رمز لوحدة المسلمين وتوحيدهم، والصدُّ عنه صدٌّ عن الإسلام، ومحاربة للأمة المسلمة وتهديد لمقدساتها، وفي الجهاد حماية للأمة المسلمة ومقدساتها.

وقد أشارت الآيات هنا في سورة البقرة إلى الصلة بين الحج والجهاد، بتقديمها حكم الإحصار في الحج والعمرة، ولا شك أنّ سببه الرئيسي هو قطع الطريق على الحجاج والعمّار، ومنعهم من الوصول إلى بيت الله الحرام. فللجهاد دور كبير في تأمين سلامة الحجاج والعمّار، وحماية بيت الله الحرام من عدوان أعداء الإسلام، الذين يرون في الحج مظهراً من مظاهر وحدة الأمة وقوتها.

وقد تضمَّن هذا المقطع المعاني التالية:

أ) الآية: / ١٩٦/

تفصيل لبعض أحكام الحج والعمرة

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ...﴾

المفردات اللغوية:

وأتموا الحج والعمرة: أدوهما بحقوقهما. **فإن أحصرتهم**: منعتم عن إتمامها بعدو أو مرض. **استيسر**: تيسّر. **الهدي**: كل ما ذُبح من النعم تقرُّباً إلى الله من هدي، أو أضحية، أو عقيقة. **ولا تحلقوا رؤوسكم**: أي لا تزيلوها بالموسى. **حتى يبلغ الهدي محله**: مكان الحلول والنزول، وهو يوم العيد. **أو به أذى من رأسه**: كالقمل، وما أشبه ذلك. **ففدية**: فعليه أن يفدي نفسه. **من صيام**: ثلاثة أيام. **أو صدقة**: إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع. **أو نسك**: أي ذبح شاة، وأصل النسك: العبادة، والمراد هنا الذبيحة، وسميت نسكاً لأنها من أشرف العبادات التي يتقرب بها المؤمنين إلى الله تعالى. **أو**: للتخيير. **فإذا أمنتم**: قيل: برأتم من المرض. وقيل: من خوفكم من العدو. **فمن تمتع بالعمرة**:أي فمن أتى بالعمرة متمتعاً بحلِّه منها بما أحلَّ الله له من محظورات الإحرام بسبب فراغه منها. **إلى الحج**: أي ابتداء زمن الحج؛ وهو اليوم الثامن من ذي الحجة. **فما استيسر من الهدي**: أي فعليه ما تيسَّر من الهدي شكراً لله على نعمة التحلل. **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج**: الهدي، لفقده أو فقد ثمنه، فعليه صيام ثلاثة أيام في أثناء الحج. **وسبعة إذا رجعتم**: أي إذا رجعتم من الحج بعد إكمال نسكه، أو إذا رجعتم إلى

أهليكم فعليكم صيام سبعة أيام. ذلك أي ذلك التمتع الموجب للهدي. **لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام**: المراد بالأهل: سكنه الذي يسكن إليه من زوجة، وأب، وأم، وأولاد، وما أشبه ذلك؛ وحاضروا المسجد الحرام هم أهل الحرم.

وتضمنت الآية الكريمة ما يلي:

١- فرضية الحج والعمرة. ووجوب إتمامها بأركانهما و واجباتهما من غير أن يفعل أثناءهما شيء من المحظورات. ظاهراً بأداء المناسك على وجهها المطلوب شرعاً، وباطناً بالإخلاص لله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾.

٢- **الإحصار** وفديته؛﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ فمن لم يجد الهدي فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يُحِلّ. وهذا القول قياساً على المتمتع الذي لم يجد الهدي. وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

٣- **النهي عن الحلق** قبل بلوغ الهدي مكان ذبحه وهو يوم النحر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾، وأما من أصابه ضرر من أذى أو مرض في رأسه وينتفع بالحلق فإنه يحِلّ له ذلك وتكون عليه فدية من صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو نسك ما يجزي في أضحية، فهو مُخير. والنسك أفضل، فالصدقة، فالصيام؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾.

٤- **على المتمتع ما تيسَّر من الهدي**، أما إذا ساق المتمتع الهدي فلا يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، ومثله القِران لحصول النسكين له، فمن لم يجد الهدي فصيام ثلاثة أيام في الحج: وأول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة بعد النحر، أيام رمي الجمار، والمبيت في (منى) ولكن الأفضل أن يصوم السابع والثامن والتاسع، وسبعة إذا فرغ من أعمال الحج؛ أي يجوز فعلها في مكة، وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ولا يجوز صيام هذه السبعة في أيام الحج.

٥- وأما من كان أهله حاضري المسجد الحرام فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

مسائل في الحج والعمرة مستنبطة من الآية: / ١٩٦/

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته:

١- أنَّ الحج والعمرة سواء في وجوب إتمامها؛ وظاهر الآية أنّه لا فرق بين الواجب منهما، وغير الواجب؛ ووجه هذا الظاهر: العموم في قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ ﴾ فيكون شاملاً للفريضة، والنافلة؛ ويؤيده أنَّ هذه الآية نزلت قبل فرض الحج؛ لأن الحج إنما فرض في السنة التاسعة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران:الآية٩٧) السنة التي يسميها العلماء: **سنة الوفود**.

٢- أنه لا تجوز الاستنابة في شيء من أفعال الحج، والعمرة؛ فلو أنّ أحداً استناب شخصاً في أن يطوف عنه، أو أن يسعى عنه، أو أن يقف عنه بعرفة، أو أن يرمي عنه الجمار، أو أن يبيت عنه في منى فإنه حرام؛ لأن الأمر بالإتمام للوجوب؛ فيكون في ذلك ردّ لقول من قال من أهل العلم: إنه تجوز الاستنابة في نفل الحج، وفي بعضه. ومن هنا يتبين وجوب الحذر مما يفعله بعض الناس الآن من التساهل في رمي الجمرات، حيث إنهم يوكلون من يرمي عنهم بدون عذر.

٣- أنه إذا أحصر الإنسان عن إتمام الحج والعمرة فله أن يتحلل؛ ولكن عليه الهدي، فمن تعذّر عليه الهدي فقد قال بعض أهل العلم: يصوم عشرة أيام، ثم يحلّ ـ قياساً على هدي المتمتع. وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين أنَّ من تعسَّر عليه الهدي فلا شيء عليه؛ لأن الله تعالى لم يذكر بديلاً عند العجز؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾، وأما الصيام قياساً على هدي المتمتع فقال: هذا القياس ليس بصحيح من وجهين:

الوجه الأول: أنه مخالف لظاهر الآية؛ لأن الله لم يذكر بديلاً للهدي.

الوجه الثاني: أن تحلل المتمتع تحلل اختياري، وأما المحصر فتحلله اضطراري.

أ) أنَّ كفارات المعاصي فدًى للإنسان من العقوبة؛﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾

ب) أنه لا يجب على الإنسان أن يقترض للهدي إذا لم يكن معه ما يشتري به الهدي ـ ولو كان غنياً ـ لقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾. وهل يؤكل من هذا الهدي أم لا؟ والجواب: يؤكل.

ج) أنه لا يحرم حلق شعر غير الرأس؛ لأن الله تعالى خصَّ النهي بحلق الرأس فقط؛ وأما الشارب، والإبط، والعانة، والساق، فلا يدخل في الآية الكريمة؛ لأنه ليس من الرأس؛ والأصل الحِلّ، ولكنَّ أكثر أهل العلم ألحقوا بالرأس بقية شعر البدن؛ وقالوا: إنه يحرم على المحرم أن يحلق أي شعر من بدنه حتى العانة، وقد بيَّن رحمه الله الأدلة على قوله في ردِّه على من قال بقياس باقي شعر لبدن على شعر الرأس، ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب الشرح الممتع للشيخ رحمه الله.

د) وجوب الفدية على المحرم إذا حلق رأسه، وهي على التخيير؛ إما صيام ثلاثة أيام؛ أو إطعام ستة مساكين: لكل مسكين نصف صاع؛ وإما ذبح شاة تفرَّق على الفقراء.

فوائد:

- وجوب الإخلاص لله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ أي لله؛ فلا تراعوا في ذلك جاهاً، ولا رتبة، ولا ثناءً من الناس.
- فضيلة المسجد الحرام؛ لوصف الله تعالى له بأنه حرام – أي: ذو حرمة –؛ ومن حرمته تحريم القتال فيه وتحريم صيده، وشجره، وحشيشه، وأن من أراد فيه بظلم أذاقه الله من عذاب أليم.
- وجوب تقوى الله تعالى، وتهديد من خالف ذلك؛ ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾

- أن العلم بشدة العقوبة من أهم العلوم؛ ولهذا أمر الله تعالى به بخصوصه؛ لأنه يورث الخوف من الله، والهرب من معصيته.
- أن العقوبة على الذنب لا تنافي الرحمة؛ إذ من المعلوم أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه؛ لكن إذا عاقب من يستحق العقاب فإن ذلك من رحمة المعاقِب ﷻ؛ لأن هذه العقوبة إن كانت في الدنيا فهي كفارة له؛ وإن كانت في الآخرة فما دون الشرك أمره إلى الله: إن شاء عذب، وإن شاء غفر.
- تيسير الله تبارك وتعالى على عباده، حيث جعل الأكثر من الصيام بعد الرجوع.
- بلاغة القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ فحذف المفعول للعموم ليشمل من لم يجد الهدي، أو ثمنه؛ فاستفيد زيادة المعنى مع اختصار اللفظ.

ب) الآيات: ١٩٧ـ ٢٠٢

أحكام الحج:

من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

وجه الربط:

لمّا أمر تعالى بإتمام الحج والعمرة، وكانت العمرة لا وقت لها معلوماً، بيّن أن الحج له وقت معلوم.

المفردات اللغوية:

فمن فرض فيهن الحج: أي ألزم نفسه بالشروع فيه. **فلا رفث**: كناية عن الجماع ومقدِّماته. **ولا فسوق**: أي لا خروج عن طاعة الله بمعاصيه لا سيما ما يختص بالنسك، كمحظورات الإحرام. **ولا جدال**: خصام ومجادلة، المراد بالنفي في الثلاثة النهي عنها. **وما تفعلوا من خير**: أيّ خير؛ لأنَّ "خير" نكرة في سياق الشرط فهي تفيد العموم. **يعلمه الله**: يحيط به علماً. **وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى**: أي اتخذوا زاداً لغذاء أجسامكم، وغذاء لقلوبكم. **واتقوا الله يا أولي الألباب**: أي اتقوا الله يا أصحاب العقول والألباب: جمع لبّ، ولبّ كل شيء: خالصه، ولذلك قيل للعقل: لبّ. **جُناح**: أي حرج، وإثم. **أن تبتغوا فضلاً**: تطلبوا عطاء ورزقاً بالتجارة أيام الحج. **أفضتم**: أصله: أفضتم أنفسكم ودفعتموها، والمراد: الدفع منه بكثرة. **عرفات**: موقف الحاج لأداء النسك، **وعرفة**: اسم لليوم الذي يقف فيه الحاج بعرفات، وهو التاسع من ذي الحجة. **المشعر الحرام**: مكان الشعيرة، وهو جبل في مزدلفة التي تقع بين مِنى وعرفات، وسمي بالمشعر؛ لأنه معلم للعبادة، والشعائر: العلامات، ووصف بالحرام لحرمته، فلا يفعل فيه ما نُهي عنه. **واذكروه كما هداكم**: أي دلّكم ووفّقكم. **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**: أي من عرفات. **فإذا قضيتم مناسككم**: أديتم وأنهيتم مناسككم؛ وذلك بالتحلّل منها. **فاذكروا الله كذكركم آباءكم**: أي فالهجوا بذكر الله تعالى واستمروا عليه كما تذكرون آباءكم؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يذكرون أمجاد آبائهم إذا انتهوا من المناسك؛ وكل يفخر بنسبه، وحسَبِه. **خلاق**: نصيب. **حسنة**: أما حسنة الدنيا: فتوفيقاً، وصحة، وسعة رزق، وأما حسنة

الآخرة: فأعظمها الجنة، وكذلك تبييض الوجه، وتثقيل الموازين. **أولئك لهم نصيب مما كسبوا**: لهم حظّ من جنس ما سألوا.

وتضمنت الآيات الكريمات ما يلي:

١- الإحرام بالحج في أشهر الحج؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ وهي: شوال، ذي القعدة، وذي الحجة.

٢- أنَّ من تلبّس بالحج، أو العمرة وجب عليه الإتمام، وصار فرضاً عليه، وينبغي تعظيم الإحرام بالحج خصوصاً الواقع في أشهره، وصونه عن كل ما يُفسده من الرفث والفسوق والجدال؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ .

٣- التقرب إلى الله بالطاعات، وفعل الأوامر، والتزود لهذا السفر المبارك بزاد البُلغة والمتاع للاستغناء عن المخلوقين، والكفّ عن أموالهم، والزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه هو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار؛ ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾.

٤- رفْع الإثم في طلب الرزق الحلال أثناء الحج من طريق البيع والشراء وغيره، إذا لم يكن هو المقصود الأساسي بالذات، ولم يشغل صاحبه عمّا يجب من العبادة والطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

٥- الوقوف بعرفة ثم الإفاضة منه إلى مزدلفة، وذِكْر الله عند المشعر الحرام، والدعاء، والتهليل. والاستغفار، روى مسلم أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعوا حتى أسفر جداً؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

٦- الدعاء: فقد أخبر تعالى عن أحوال الخلق بأن منهم من يسأله من مطالب الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، وكل من هؤلاء لهم نصيب من كسبهم وعملهم؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) ﴾.

فوائد:

- تعظيم شأن الحج، حيث جعل الله له أشهراً مع أنه أيام؛ وقد جعل الله له أشهراً ثلاثة حتى يأمن الناس، ويتأهبوا له.
- البعد حال الإحرام عن كل ما يشوش الفكر، ويشغل النفس، ومن ثَمَّ يتبين خطأ أولئك الذين يزاحمون على الحجر عند الطواف؛ لأنه يشوش الفكر، ويشغل النفس عما هو أهم من ذلك.
- الحث على فعل الخير سواء قَلَّ أو كثُر، وعلى التزود منه.
- يشرع الاستغفار في آخر العبادات لتلافي الخلل أثناء أداء العبادة.

- بيان انقسام الناس فيما يطلبون من الله، وأن منهم ذوي الغايات الحميدة، والهمم العالية الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ ومنهم ذوو الغايات الذميمة، والهمم النازلة الذين يقولون: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

ج) الآية: / ٢٠٣ /

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

واذكروا الله في أيام معدودات: أي في أيام التشريق الثلاثة. **فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه:** أي استعجل بالنفر من منى في ثاني أيام التشريق (العيد) بعد رمي جماره فلا إثم عليه. **ومن تأخر:** إلى اليوم الثالث في منى ورمى جماره، فلا إثم عليه، أي هم مخيرون في ذلك. **لمن اتقى:** قيد للأمرين جميعاً للتعجيل والتأخر.

وتضمنت الآية الكريمة ما يلي:

١ – المبيت أيام التشريق في (منى) والإكثار من ذكر الله بتعظيمه وتكبيره، ونحر الهدي، ورمي الجمار ورفع الحرج عن المتعجل. والمتأخر أفضل لأنه أكثر عبادة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾.

٢ – أنه لا بد أن يكون خروجه من مِنى قبل أن تغرب الشمس.

فوائد:

- مزية الذكر في هذه الأيام المعدودات.
- سعة فضل الله تعالى، وتيسيره في أحكامه، حيث جعل الإنسان مخيراً أن يبقى ثلاثة أيام، أو يتعجل في اليومين.
- قرن المواعظ بالتخويف؛ لأن الإنسان إذا علم أنه سيحشر إلى الله عزَّ وجلَّ. وأنه سيجازيه فإنه سوف يتقي الله، ويقوم بما أوجب الله، ويترك ما نهى الله عنه؛ وبهذا عرفنا الحكمة من كون الله تعالى يقرن الإيمان باليوم الآخر في كثير من الآيات بالإيمان بالله دون بقية الأركان التي يؤمن بها؛ وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر يستلزم العمل لذلك اليوم؛ وهو القيام بطاعة الله ورسوله.

لطيفة:

ختمت الآيات بالأمر بالتقوى وأداء المناسك التي فرضها الله على وجهها الصحيح. وذكَّر النّاس بمسؤوليتهم أمامه تعالى فهو سائلهم عن أعمالهم ومجازيهم عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾

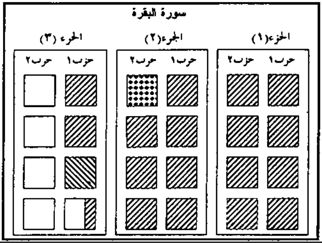

الجزء/الثاني/الحزب/الثاني/ الربع الأول/ الآيات: ٢٠٤ – ٢٢١

المعنى الأول: الآيات: ٢٠٤ –٢١٠

أولاً: صنفان من الناس منافق ومؤمن:

الآيات:٢٠٤ – ٢٠٧من قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾.

ثانياً: وجوب تطبيق الشرع جملة وتفصيلاً، وتحريم إتباع خطوات الشيطان، ووعيد وتهديد واستفهام.

الآيات: ٢٠٨ – ٢١٠

من قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ.. ﴾.

المعنى الثاني: الآيات:٢١١ – ٢١٤

وتضمنت الآيات ما يلي:

أ) إخبار ووعيد الآية:/٢١١/ قوله تعالى ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾.

ب) تسلية ونعي: الآية:/٢١٢/ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾

ج) رأفة ورحمة:الآية:/٢١٣/ قوله تعالى:﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾.

د) تمحيص وابتلاء: الآية:/٢١٤/ قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم..﴾.

المعنى الثالث: أحكام و تشريع: الآيات:٢١٥–٢٢١

أ) الأحكام التشريعية في وجوه إنفاق المال وبيان مصارف صدقة التطوع: الآية:/٢١٥/ قوله تعالى.﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ..﴾

ب) الأحكام التشريعية في الجهاد، وأحكام القتال في الأشهر الحرم: الآيات:/٢١٦ – ٢١٨/ من قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ..﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا اللَّهِ ﴾

ج) الأحكام التشريعية في مرحلة من مراحل تحريم الخمر والقمار، ومقدار صدقة التطوع: الآية:/٢١٩/ قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ.. ﴾

د) الأحكام التشريعية في إباحة خلط مال اليتيم بمال وليه: الآية :/٢٢٠/ قوله تعالى. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾.

هـ) الأحكام التشريعية في تنظيم المجتمع الإسلامي الداخلي بتحريم نكاح المشركين والمشركات. الآية:/٢٢١/ قوله تعالى:﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾

الجزء الثاني – الحزب الثاني – الربع الأول

حسب القرآن: الآيات: ٢٠٣ – ٢١٨

من قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ... ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٢٠٤ – ٢٢١

من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ... ﴾

المعاني الرئيسة:

تضمّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: الآيات: ٢٠٤ – ٢١٠

أولاً: صنفان من الناس منافق ومؤمن: الآيات: ٢٠٤ – ٢٠٧

من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ... ﴾.

وجه الربط:

لمّا ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أنَّ الناس في الحج صنفان؛ منهم مَن يدعو للدنيا، ومنهم من يدعو للآخرة، وأن المقصد من كل العبادات هو تقوى الله،

ومحل التقوى هو القلب لا اللسان؛ ذكر هنا صنفين آخرين من الناس في ميزان التقوى: منافق (كالأخنس بن شريق) وكل من كان على شاكلته، يتكلَّم بلسانه ويخالف فعله قوله. ومؤمن مخلص في عمله يبتغي مرضاة الله (كصهيب الرومي) وكل من اتصف بصفته.

المفردات اللغوية:

يعجبك: أي مَن تستحسن قوله. **يُشهد الله على ما في قلبه**: أنه يقرن حسن قوله وظاهر تودده بإشهاد الله على أن ما قلبه مطابق لما في لفظه، ومعنى إشهاد الله: حلفه بأن الله يعلم إنه لصادق. **ألد الخصام**: شديد العداوة. **تولى**: ذهب وانصرف عنك. **سعى في الأرض**: السعي حقيقة المشي الحثيث، ويطلق السعي على العمل والكسب، ويطلق على التوسط بين الناس لإصلاح ذات البين، ويطلق على الحرص وبذل العزم لتحصيل شيء، والمراد هنا: ذهب يسير في الأرض غازياً ومغيراً ليفسد فيها بالمعاصي، والكفر، والفتنة. **الحرث**: الزرع. **النسل**: أطفال الحيوان، مشتق من نسل الصوف نسولاً إذا سقط وانفصل. **والله لا يحب الفساد**: بيان أن عمله هذا مكروه إلى الله؛ وإذا كان لا يحب الله هذا الفعل فإنه لا يحب مَن اتصف به. **وإذا قيل له اتق الله**: إذا وعظه واعظ بما يقتضي تذكيره بترك المعاصي، والفساد. **أخذته العزة بالإثم**: حملته العزة الكاذبة أي الأنفة والحمية، على العمل الذي أمر باتقائه. **فحسبه**: أي كافيه. **المهاد**: الموضع المهيأ للنوم، ومنه مهد الصبي، وسميت جهنم مهاداً؛ لأنها مستقر الكفار، أو لأنها بدل لهم من المهاد. **يشتري نفسه**: يبيع نفسه في طلب رضا الله ﷻ. **رؤوف**: ذو رأفة؛ و"الرأفة" أرق الرحمة، وألطفها.

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن بعض الناس مِمَّن لا حظَّ لهم في الآخرة وهم متظاهرون بأنّهم راغبون فيها، وهم المنافقون، فهؤلاء إذا تكلم أحدهم بأمر الدنيا راق كلامه للسامع، وإذا نطق ظننته يتكلم بكلام نافع، ويزيد في الإيهام والتضليل أنّه يحلف بالله أن ما في قلبه موافقٌ لما نطق به وهو كاذب في ذلك، قويُّ الجدل، شديد العداوة والتعصب والخصومة، وإذا أدبر وتوارى عن الأعين اجتهد على أعمال المعاصي، ليس له هِمَّة إلَّا الفساد في الأرض، فيهلك بسبب ذلك الحرث والنسل، والله لا يرضى بالفساد ولا يحبه، ولا يحب المفسدين، ولا ينظر إلى الصور والأقوال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال.

ومن صفات هؤلاء المنافقين أنّهم يبغضون كلَّ دعوة للإصلاح، فإذا وُعظ أحدهم أو ذُكِّر وأُمِر بالتقوى تكبَّر وأَنِف، وحملته الحميَّة والاستكبار على فعل الإثم، ورفع رأسه في وجه الحق الذي يُذكَّر به، وأمام الله بلا حياء منه، وهو الذي كان يُشهد الله على ما في قلبه، فهذا وأمثاله تكفيهم جهنم دار العاصين والمتكبرين يمتهدونها فراشاً لا يبرحون منها أبداً ولبئس المهاد جهنم. والمهاد: الفراش، وجيء به للتهكُّم المرير، ففي مواجهة هذا الاعتزاز بالإثم واللدد في الخصومة، والقسوة في الفساد، يجبهه الله بهذه العقوبة المهينة، فالجزاء من جنس العمل.

وأمَّا الفريق الثاني: فهو فريق مُسلم، مستسلم لحكمه وشرعه، باع نفسه ابتغاء رضوان الله، ولم يُؤثر عرض الدنيا على ما عند ربه من حسن الجزاء. والله ذو رأفة بالنّاس، فيجزيهم بالنعيم الدائم على العمل القليل.

فائدة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ولمَّا ذكر حال المنافقين ذكر حال قوم على ضدِّهم؛ وهكذا القرآن مثاني تثنَّى فيه الأمور؛ فيؤتى بذكر الجنة مع النار؛ وبذكر المتقين مع الفجار.... لأجل أن يبقى الإنسان في روضة متنوعة؛ ثم ليبقى الإنسان بين الخوف، والرجاء _ لا يغلب عليه الخوف فيقنط من رحمة الله _؛ ولا الرجاء فيأمن مكر الله؛ فإذا سمع ذكر الجنة، ونعيمها، وثوابها، أوجب له ذلك الرجاء؛ فترتيب القرآن من لدن حكيم خبير سبحانه وتعالى؛ وهو الموافق لإصلاح القلوب؛ ولهذا نرى من الخطأ الفادح أن يؤلف القرآن مرتَّباً على الأبواب والمسائل كما صنعه بعض الناس؛ فإنّ هذا مخالف لنظم القرآن، والبلاغة، وعمل السلف؛ فالقرآن ليس كتاب فقه؛ ولكنه كتاب تربية، وتهذيب للأخلاق؛ فلا ترتيب أحسن من ترتيب الله؛ ولهذا كان ترتيب الآيات توقيفيّاً لا مجال للاجتهاد فيه؛ وكان النبي ﷺ إذا نزلت الآية قال: **"ضعوا هذه الآية في مكان كذا من سورة كذا"**

من هداية الآيات:

١- التحذير من الاغترار بظواهر الأحوال، وفصاحة وبيان الإنسان إذا لم يكن من أهل الإيمان والإخلاص؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...** ﴾ .

٢- قول الإنسان: يعلم الله، ويشهد الله، يعتبر يميناً فليحذر الإنسان أن يقول ذلك وهو يعلم من نفسه أنه كاذب؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ** ﴿٢٠٤﴾ ﴾.

٣- أنَّ المعاصي سبب لهلاك الحرث والنسل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾.

٤- التحذير من الفساد في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

٥- التحذير من ردِّ الناصحين؛ لأنَّ الله تعالى جعل هذا من أوصاف المنافقين؛ فمن ردَّ آمراً بتقوى الله ففيه شبه من المنافقين؛ والواجب على المرء إذا قيل له "اتق الله" أن يقول: "سمعنا وأطعنا" تعظيماً لتقوى الله.

٦- أن الأنفة قد تحمل صاحبها على الإثم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾.

٧- أنَّ هذه الصفات موجبة لدخول النار، وأن النار بئس المثوى؛ ﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

٨- بيان فضل من باع نفسه لله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾.

٩- إثبات الرأفة لله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

لطائف:

- مع أن المنافق الذي نزلت فيه هذه الآيات معروفاً؛ إلَّا أن عدم ذكر الأسماء دليل على الأسلوب التربوي الرفيع، إذ التشهير يُحدِث ردَّ فعل لا تؤيده التربية الحكيمة.
- أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود ﷺ : إنّ من أكبر الذنب أن يقول الرجُل لأخيه: اتق الله تعالى، فيقول: عليك نفسك، عليك نفسك.

❖ ذُكر أنّ يهودياً كانت له حاجة عند هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم يقض حاجته، فوقف يوماً على الباب، فلمّا خرج هارون سعى حتى وقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين، فنزل هارون عن دابّته وخرَّ ساجداً، فلمّا رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت، فلمّا رجع قيل له: يا أمير المؤمنين، نزلت عن دابّتك لقول يهودي؟ قال: لا، ولكن تذكَّرت قول الله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

❖ في الآيات صور بلاغية رائعة منها:

▪ قوله تعالى: ﴿ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾ ؛ صورة لمدى استهانة المنافق بربه؛ لأن القلوب بيد الله وهو على ما فيها شهيد، والمنافق شهد الله على كذبه ونفاقه ونواياه الإجرامية.

▪ قوله تعالى:﴿ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ السعي: تعبير كناية عن نشاطه الشديد في الإفساد.

▪ قوله تعالى: ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ ؛ تعبير في قمّة البلاغة؛ لأن العزَّة تكون بالإيمان والصلة بالله، أما حين تكون العزَّة بالإثم، فهو تناقض صلف، تدل على نفس خبيثة تستمد من الإثم أنفتها، وتقول له الملائكة حين تعتلّه عتلاً إلى سواء الجحيم: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾.

▪ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ ؛ تعبير موجز بليغ عمّن باع نفسه لله لا يبغي ثمناً لها غير مرضاته مع مطابقة قوله لعمله، وموافقة لسانه لما في جنانه، والآية تضمنت هذا الوصف في مفهومها لا منطوقها.

ثانياً: الآيات: ٢٠٨ - ٢١٠

وجوب تطبيق الشرع جملة وتفصيلاً، وتحريم اتباع خطوات الشيطان،﴿ ٢٠٨﴾
ووعيد، وتهديد، واستفهام﴿٢٠٩-٢١٠﴾

من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ... ﴾.

وجه الربط:

بعد أن عرضت الآيات نمطين من أنماط النّاس ـ المنافق، والمؤمن ـ دعت الآيات المؤمنين إلى الإسلام الكامل لله تعالى، والإذعان لأحكامه القدرية والشرعية.

المفردات اللغوية:

السلم: المراد به الإسلام؛ وهو الاستسلام لله تعالى ظاهراً وباطناً، الانقياد له محبة وإذعاناً. **كافة**: أي ادخلوا في الإسلام كله بتنفيذ أحكامه جميعاً. **خطوات الشيطان**: جمع خُطوة، أي طرقه، والمراد تزيينه ووساوسه بمخالفة الدخول في السلم كافة. **عدو مبين**: بيِّن العداوة. **زللتم**: عدلتم وملتم عن الدخول في الإسلام جميعه، والزلل في الأصل: الزلَق؛ أي عثرة القدم، ثم استعمل في الانحراف عن الحق. **البينات**: صفة لموصوف محذوف؛ أي الآيات البينات؛ وهي الحجج الظاهرة، والأدلة التي ترشد إلى أن الإسلام الذي دعيتم إليه هو الحق. **عزيز**: غالب لا يعجزه شيء. **حكيم**: ذو الحكم، والحكمة. **هل ينظرون**: أي ما

ينتظر هؤلاء المكذبون. **إلّا أن يأتيهم الله**: أي يأتيهم الله نفسه. **في ظلل من الغمام**: "الظلل"جمع ظلة؛ وهو ما أظلّك، و"**الغمام**": السحاب الأبيض الرقيق؛ و"في" بمعنى: "مع"؛ وخرجت "في" عن الأصل الذي هو الظرفية؛ لأنها لو بقيت على أصلها لصارت هذه الظلل محيطة بالله ﷻ؛ والله أعظم، وأجلّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته؛ فيكون المعنى والله أعلم: أنَّ الله يأتي مصاحبا لهذه الظلل من الغمام، أو أنّ هذا الغمام يأتي مقدمة بين يدي مجيء الله ﷻ. **والملائكة**: أي وتأتيهم الملائكة تحيط بهم أيضاً. **وقضي الأمر**: أي انتهى الأمر، و"الأمر" بمعنى الشأن؛ أي قضي شأن الخلائق، وصار أهل النار إلى النار، وأهل الجنة إلى الجنة، والجملة تحتمل معنيين؛ قيل: هي معطوفة على: "أن يأتيهم" فتكون في حيّز الأمر المنتظر بمعنى: هل ينظرون إلّا إتيان الله في ظلل من الغمام، وإتيان الملائكة، وانقضاء الأمر؛ وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه. وقيل: هي جملة مستأنفة؛ أي: تمَّ أمر إهلاكهم وفرغ منه، ولا عذر لهم بعد ذلك، ولا حجة. **وإلى الله ترجع الأمور**: أي إلى الله وحده ترجع شؤون الدنيا والآخرة.

وقد تضمنت الآية الكريمة ما يلي:

١ – أمر ونهي وتحذير:قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾.

يأمر تعالى عباده في هذه الآية الكريمة أن يستسلموا له وينقادوا في جميع شرائع الدين، وأن يطيعوه في كل الأوامر والنواهي.

ولما كان الدخول في السلم كافة لا يُمكن ولا يُتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان أورد سبحانه النهي عن اتِّباع خطوات الشيطان، وهذا هو التحذير الثاني في السورة، جاء يشبه لتحذير الأول في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾. (البقرة:١٦٨)

وتكرار التحذير يدلّ على خطر اتِّباع الشيطان، وأنّه عدو مبين لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء ويسعى جاهداً لمنع الإنسان المسلم من الإسلام والاستسلام لله تعالى والإذعان لأحكامه.

٢- وعيد وتخويف واستفهام: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾.

ولّما كان العبد لا بُدَّ أن يقع منه خلل وزلل، توعَّده وحذَّره إن هو مال عن الحقّ، بعد أن أقام عليه الحجة بالآيات الواضحات؛ ليتجنب هذا الزلل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ وليتحصَّن من نزغات الشيطان ووساوسه، وأعلمهم سبحانه أنّه غالب قاهر، لا يعجزه الانتقام ممن عصاه وخالف أمره، حكيم في كل أمر وشرع، لا ينتقم ولا يعذِّب إلّا بحقّ وعدل، وأنّه سينزِّل بالعباد ما تتبيَّن به عزَّته؛ لأنَّ هذا هو مقتضى حكمته. وفي هذا الإعلام من التحذير والتهديد ما لا يخفى.

ثمّ زاد في التهديد والوعيد، فأورد هذا الاستفهام: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ أي: فماذا ينتظر هؤلاء المكذبون الذين زلّوا بعد ما جاءتهم البيِّنات؟ هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله تعالى نفسه مع قطع من السحاب يوم القيامة، ومعه الملائكة أيضاً محيطة بهم للفصل بين عباده؛ وقد بيَّن تعالى في موضع

آخر من كتابه الكريم أنَّ السماء الدنيا تشقق بالغمام؛ قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ ﴾ . (الفرقان: ٢٥)

وحينئذ وقد رجعت الأمور إلى الله تعالى وحده، ووجب العذاب، وفُرِغ من الحساب، فلا حجة لهؤلاء المكذبين ولا عذر.

تنبيه:

هذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنّة والجماعة المثبتين لصفات الله تعالى الفعليَّة الاختيارية؛ كالاستواء، والنزول، والمجيء - ونحو ذلك - التي أخبر الله تعالى عن نفسه، وأخبر بها عنه رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

لطيفة:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ إيماء للمؤمن أن يُبادر إلى التوبة وإصلاح الحال حتى لا يُفاجئه الموت أو المرض الذي يعجزه عن العمل الصالح.

من هداية الآيات:

١- تحريم التشبه بالكفار؛ لأن أعمال الكفار من خطوات الشيطان؛ والشيطان لا يأمر إلّا بالمنكر؛ ولا أنكر من الكفر - والعياذ بالله -

٢- قرن الحكم بعلّته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ ثم علَّل: ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾.

٣- الوعيد لمن زلَّ بعد قيام الحجة عليه؛ لقوله تعالى:﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ .

٤- وجوب الإيمان بأسماء الله، وما تضمنته من صفات؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ ﴾ أي: علم اعتراف، وإقرار، وقبول، وإذعان؛ فمجرَّد العلم لا يكفي؛ لأنّه لا ينفع بدون إذعان وقبول.

المعنى الثاني: الآيات:٢١١- ٢١٤

من قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ... ﴾.

وجه الربط:

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة المؤمنين أن يدخلوا في السلم كافة، وتوعَّد من حاد منهم عن جادة الاستقامة، ذكَّرهم بمواقف الجحود والعناد التي وقفها بنو إسرائيل، تحذيراً لهم أن يتشبهوا بهم ويُبدِّلوا نِعم الله كُفْراً ومبارزة لله بالمعاصي إيثاراً للدنيا وزينتها كما يفعل الكفار والمنافقون.

وقال الشيخ: محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره: تتنزل هاته الآية من التي قبلها منزلة البرهان على معنى الجملة السابقة؛ فإن قوله تعالى: "هل ينظرون" سواء كان خبراً، أو وعيداً، أو وعداً، أم تهكّماً وأيّاً ما كان فقد دلَّ بكل احتمال على تعريض بِفِرَقٍ ذَوي غرور وتمادٍ في الكفر وقلَّة انتفاع بالآيات البينات؛ فناسب أن يعقِّب ذلك بإلفاتهم إلى ما بلغهم من قلة انتفاع بني إسرائيل بما أوتوه من آيات

الاهتداء مع قلة غِنَاء الآيات لديهم على كثرتها، فإنهم عاندوا رسولهم، ثم آمنوا به إيماناً ضعيفاً، ثم بدّلوا الدِّين بعد ذلك تبديلا ا.هـ .

تضمَّنت الآيات الكريمات ما يلي:

أ) إخبار ووعيد: الآية: /٢١١/

قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ... ﴾.

المفردات اللغوية:

كم آتيناهم من آية بيّنة: كم أعطيناهم من علامة ظاهرة في كونها آية؛ والإيتاء هنا يشمل الإيتاء الشرعي، وهو التوراة؛ والإيتاء القدري الكوني، كالعصا واليد البيضاء وفلق البحر وإنزال المن والسلوى. **ومن يبدل نعمة الله:** "التبديل" تغيير الشيء من حال إلى حال؛ و المراد بتبديلهم نعمة الله: تبديل الشكر بالكفر.

المعنى العام للآية:

يأمر الله سبحانه بسؤال يهود المدينة في عصر التنزيل سؤال تبكيت وتوبيخ عن الآيات الكثيرات الواضحات التي أنعمها تعالى عليهم، فلم يقوموا بشكرها، بل كفروا بها واستبدلوها بالمعاصي والإعراض عن المنعم ﷻ، وما ذلك إلا لافتتانهم بالدنيا، وإنّ الله لهم بالمرصاد، وهو شديد العقاب لمن خالف أو أساء.

من هداية الآية:

١- بيان كثرة ما أعطاه الله بني إسرائيل من الآيات الدالة على صدق رسله؛ لقوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ... ﴾.

٢- أنَّ الآيات من نعم الله؛ لأنها تحمل المرء على الإيمان؛ وفي الإيمان نجاته، وكرامته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ ﴾.

٣- التحذير من تبديل نعمة الله تعالى؛ والمراد تبديل الشكر بالكفر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

٤- إثبات شدة العقاب من الله تعالى لمن يبدل نعمته بالكفر؛ وهذا من تمام عدله وحكمته.

ب) نعي وتسلية: الآية: /٢١٢/

قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... ﴾

المفردات اللغوية:

زين للذين كفروا الحياة الدنيا: "التزيين" جعل الشيء بهيّاً جذّاباً في عين ناظره، أو في سمعه، أو في مذاقه، أو في فكره؛ و**"الحياة الدنيا"** شهواتها وملَذّاتها، و"الدنيا" مأخوذة من الدنو الذي هو ضد العلو؛ ووصفت هذه الحياة بالدنيا لوجهين: الأول: دنوّ مرتبتها؛ والثاني: سبقها على الآخرة، والمعنى: جُعلت محبوبة في قلوبهم فتهافتوا عليها تهافت الفراش على النار وأعرضوا عما سواها. **ويسخرون:** يستهزئون ويحتقرون المؤمنين؛ إمَّا لما يقومون به من الأعمال الصالحة؛ وإما لكونهم لم يؤتوا من الدنيا ما أوتي هؤلاء – على زعمهم –. **والله يرزق من يشاء بغير حساب:** أي يعطي من يشاء من فضله بغير تقدير ولا حصر.

المعنى العام للآية الكريمة:

ينعي الله تعالى على الكافرين الذين تهالكوا في محبة الدنيا وسخروا من المؤمنين واستهزؤوا بهم، فردَّ الله على هؤلاء الساخرين، بأن الشأن كل الشأن والتفضيل الحقيقي في الدار الباقية حيث يكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع

النعيم والسرور، والكفار في أسفل الدَّركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة، والشقاء السرمدي؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ وفي هذا تسلية للمؤمنين.

ولمّا كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية لا تحصل إلا بتقدير الله؛ قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾، والرزق بلا حساب في الدنيا يكون بالنسبة إلى الأفراد، فإنا نرى كثيراً من الأبرار وكثيراً من الفجار أغنياء أو فقراء، لكن المتقي يكون دائماً أحسن حالاً وأكثر احتمالاً، فلا يؤلمه الفقر، كما يؤلم الفاجر، إذ هو بالتقوى يجد المخرج من كل ضيق، ويرى من عناية الله به رزقاً غير محتسب. أما الأمم فأمرها على خلاف ذلك، وسنته فيها أن يرزقها بعملها، ويسلبها بزللها، إذ ليس من سنن الله أن يرزق الأمّة العزّة والثروة والقوة والسلطة من حيث لا تعمل ولا تتدبر.

من هداية الآية:

١– انخداع الكافرين بالحياة الدنيا، وأنها هي همهم وغرضهم، وبيان حقارتها حيث وصفها تعالى بالدنيا وهي من الدنوّ زمناً، ورتبة؛ لقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾. ويتفرع على هذه الفائدة: أنه لا ينبغي لنا أن نركن إلى هذه الحياة؛ بل نجعل همتنا منصرفة إلى الدار الآخرة؛ وهذا لا ينافي أن نتمتع وننعم بما أحلّ الله لنا مع الاستقامة في ديننا.

٢–أنّه ينبغي للمؤمنين أن لا تكون الدنيا في أعينهم شيئا؛ لقوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ولهذا كان الرسول ﷺ إذا رأى ما يعجبه في الدنيا يقول: **"لبيك! إن العيش عيش الآخرة"** لتوجيه النفس إلى إجابة الله؛ لا إجابة رغبتها.

٣- أن الكفار لا يزالون يسلطون أنفسهم على المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالفعل المضارع؛ لأنه يدل على الاستمرار، والحال، والاستقبال؛ فهم دائماً في سخرية من الذين آمنوا.

٤- البشرى للمؤمنين الذين اتقوا أنهم فوق الكفار يوم القيامة، وأنَّ العبرة بكمال النهاية؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

ج) رافة ورحمة: الآية: /٢١٣/

قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ... ﴾.

المفردات اللغوية:

أمة: ورد لفظ الأمة في القرآن بعدة معان:

- الجماعة: الذين يرتبطون برابطة واحدة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾.
- الملة: أي العقائد وأصول التشريع، مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ .
- الزمن: مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾.
- الإمام: مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ أي رجلاً جامعاً للخير.

والمراد بها هنا في رأي كثير من المفسرين: الملة: أي أن جميع الأنبياء والرسل على دين واحد. **الكتاب**:مفرد يُراد به الجنس؛ فيعم كل كتاب. **بالحق**: الباء للمصاحبة متعلقة بـ"أنزل"؛ و"**الحق**"؛ أي الثابت النافع؛ وضده الباطل الذي يزول ولا

ينفع؛ والمعنى: أنّ هذه الكتب حق من عند الله، وليست مفتراة عليه، وأنّ ما جاءت به فهو حق. **البينات**: صفة لموصوف محذوف؛ أي الآيات البينات؛ وهي الحجج الظاهرة على التوحيد. **من بعد**: متعلقة بقوله تعالى: "اختلف" أي وما اختلف فيه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً إلّا الذين أوتوه، وهي وما بعدها متقدم عل الاستثناء في المعنى. **بغياً**: حسداً وعدواناً. **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**: من بيانية؛ لبيان الإبهام الكائن في "ما" الموصولة؛ أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه. **بإذنه**: بإرادته، ومشيئته.

المعنى العام للآية الكريمة:

تبيَّن الآية الكريمة شدة حاجة النّاس إلى إرسال الرسل بالشرائع الإلهية، وأنَّ الاهتداء بهديهم ضروري للبشر وذلك؛ لأنّ الناس كانوا طائفة واحدة على دين واحد هو دين الإسلام؛ ثمّ بعد مدة من الزمن كثر الناس، واختلفت الأهواء، فاختلفوا؛ فحينئذ صاروا بحاجة إلى بعث الرسل؛ فبعث الله الرسل مبشرين بثواب الله لمن استحقّه؛ ومنذرين بعقاب الله مَن خالف أمره، وأنزل معهم الكتب المشتملة على الشرائع النافعة، والأخبار الصادقة، والأحكام العادلة المصلحة للخلق في معاشهم، ومعادهم؛ لتكون تلك الكتب هي فصل النزاع فيما يُختلف فيه، وليحصل بين الناس الاجتماع والائتلاف، ولكنهم وبرغم الآيات الواضحات الدالة على صدق ما جاء به الرسل، بغوا واعتدوا، وحسد بعضهم بعضا، ولكن الله برحمته وحكمته ومشيئته هدى المؤمنين من هذه الأمّة للحق، والله يهدي من يستحق الهداية، ومن هو أهلاً لها، إلى طريقه المستقيم.

كان أبو العالية يقول: هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يُصلي يقول: "**اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**"

من هداية الآية:

١- أن دين الإسلام هو الفطرة؛ لقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً﴾.

٢- بيان الحكمة في إرسال الرسل؛ وهي التبشير، والإنذار؛﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

٣- أنَّ الكتب نازلة من عند الله، فالواجب الرجوع إليها عند النزاع، فلو رجع الناس إليها لحصل بينهم الاجتماع والائتلاف؛ ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾.

٤- اللوم والتوبيخ للذين اختلفوا؛ لأنهم اختلفوا بعد أن أوتوا الكتاب وقامت عليهم الحجة، وكان الواجب والأحرى بهؤلاء ألاَّ يختلفوا؛ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ...﴾

٥- أن الإيمان سبب للهداية للحق، وكلما قوي إيمان العبد كان أقرب إلى إصابة الحق؛ لأن الله علَّق الهداية على وصف الإيمان؛ وما عُلِّق على وصف فإنه يقوى بقوته ويضعف بضعفه؛ لذا ينبغي للإنسان أن يسأل الهداية من الله؛ ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾

د) تمحيص وابتلاء:آية /٢١٤/

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟... ﴾.

المفردات اللغوية:

أم حسبتم: "أم" من حروف العطف؛ وهي هنا منقطعة بمعنى "بل"؛ أي: بل أحسبتم؛ فهي إذاً للإضراب الانتقالي؛ وهو الانتقال من كلام إلى آخر؛ و"**بل**": تفيد افتتاح كلام جديد؛ و"حسبتم" بمعنى ظننتم. **ولمَّا يأتكم**: "لما" بمعنى "لم" وهي حرف نفي، وجزم، وقلب؛ والفرق بينها وبين:لم": أنّ "لَمَّا" للنفي مع توقع وقوع المنفي؛ و"لم" للنفي دون ترقب وقوعه؛ مثاله: إذا قلت: "لم يقم زيد" فقد نفيت قيامه من غير ترقب لوقوعه، ولو قلت: "لما يقم زيد" فقد نفيت قيامه مع ترقب وقوعه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ ﴾. **مَثَل**: وصف عظيم، وحال ذات شأن. **مسّتهم**: جملة مستأنفة مبينة ما قبلها؛ و"المسّ" هو مباشرة الشيء؛ يعني أصابتهم إصابة مباشرة. **البأساء**: شدة الفقر، وكل ما يصيب الإنسان في غير ذاته، كأخذ المال، والطرد من الديار، وتهديد الأمن، ومقاومة نشاط الدعوة إلى الله. **الضراء**: المرض، وكل ما يصيب الإنسان في نفسه، كالجرح والقتل. **وزلزلوا**: أزعجوا بأنواع البلايا، **والزلزال**: الاضطراب في الأمر، والقلق، والفتن العظيمة، والشبهات، والشهوات. **متى نصر الله**: الاستفهام للاستعجال ـ أي متى يقع نصر الله. **قريب**: لا تثنّيه العرب، ولا تجمعه، ولا تؤنثه، وفي هذا المعنى قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ ﴾.

المعنى العام للآية الكريمة:

بعد أن ذكر تعالى اختلاف الأمم على أنبيائهم، وما لقوا منهم من الشدائد، ذكر ما يُتبيَّن منه عنايته سبحانه بهذه الأمّة، حيث أخبرها بما وقع لغيرها تسلية لها، وتثبيتاً للمؤمنين وتقوية لقلوبهم لما يُلاقونه من أذى الكفار، وإنكاراً على مَن يظنّ أنَّ دخول الجنة يكون دون ابتلاءٍ، أو اختبار، فبيَّن تعالى أنّ من سنَّته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، أنَّ من قام بدينه وشرعه، لابُدَّ أن يبتليه، كما جرى على الأمم السالفة من أنواع المخاوف، والقتل، والنفي، وأنواع المضارّ في الأموال والأنفس. واضطربت قلوبهم من كثرة الشدائد وقوَّة المحن حتى وصلت بهم الحال إلى أن يقول الرسول من هؤلاء الذين زلزلوا، ومن معه من المؤمنين: متى يأتي نصر الله؟ استعجالاً لنصر الله مع يقينهم به.

فلمّا كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، جاءهم الجواب من القويّ العزيز، مبشِّراً بقرب النصر بعد أن حصل لهم من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رعباً:﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ ﴾ ؛ فالنصر يأتي بعد الثبات والصبر، وبعد أن تصل المحنة إلى ذروتها وشدّتها؛ فطريق النصر محفوف بالمكاره والشدائد.

من هداية الآية:

١- أن الإيمان ليس بالتمني، ولا بالتحلي؛ بل لا بد من نية صالحة، وصبر على ما يناله المؤمن من أذى في الله عزَّ وجلّ؛ لقوله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ... ﴾

٢- تبشير المؤمنين بالنصر ليتقووا على الاستمرار في الجهاد ترقباً للنصر المبشرين به.

٣- حكمة الله تعالى، حيث يمنع النصر لفترة معينة من الزمن _ مع أنه قريب _

٤- الإشارة إلى ما جاء في الحديث الصحيح: "حفَّت الجنة بالمكاره"؛ لأنّ تجرُّع كأس الصبر من المكاره.

المعنى الثالث: احكام وتشريع: الآيات: ٢١٥ - ٢٢١

من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ...﴾.

عرضت الآيات الكريمات مجموعة من الأحكام التشريعية من خلال عرضها لأسئلة وُجِّهت من الصحابة إلى النبي ﷺ.

ومن هذه الأحكام:

أ)- الأحكام التشريعية في وجوه إنفاق المال وبيان مصارف صدقة التطوع:

الآية /٢١٥/

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ...﴾.

المفردات اللغوية:

من خير: من مال كثير طيب، وسمي به لأن حقه أن ينفق في وجوه الخير، وهو شامل للقليل والكثير. **الأقربين**: جمع أقرب؛ وهو من كان أدنى من غيره إلى المنفِق. **واليتامى**: جمع اليتيم: من فقد والده ولم يبلغ. **والمساكين**: جمع المسكين: من عجز عن كسب ما يكفيه؛ سمي كذلك لأن الفقر أسكنه، وأذلَّه. **ابن السبيل**: المسافر الذي انقطع به السفر. **وما تفعلوا من خير**: إنفاق أو غيره. **فإن الله به عليم**: يعلمه ويجازي عليه.

المعنى الإجمالي:

بيَّنت الآية أنَّ أيَّ مال يُنفق قليلاً أو كثيراً فأولى الناس به الوالدان. ومن بعدهم الأقربون، على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصِلَة. ثمَّ اليتامى فهم في مظنَّة الحاجة. ثمَّ المساكين لدفع حاجاتهم. ثمَّ ابن السبيل فيعان على سفره بالنفقة التي توصله إلى مقصده.

ثمَّ عممَّ سبحانه بأنَّ كلَّ فعل خير سواء كان إنفاقاً ماليَّاً، أو بدنيَّاً، أو تعليم علم، أو جهاد في سبيل الله، أو غير ذلك فإن الله يعلمه، وسيجازي عليه؛ لأن: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ نكرة في سياق الشرط؛ فتكون للعموم.

من هداية الآية:

١- حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عن العلم؛ وقد وقع سؤالهم لرسول الله ﷺ في القرآن أكثر من اثنتي عشرة مرة.

٢- أنَّ من حسن الإجابة أن يزيد المسؤول على ما يقتضيه السؤال إذا دعت الحاجة إليه؛ فإنهم سألوا عما ينفقون، وكان الجواب عمَّا ينفقون، وفيما ينفقون؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ..﴾

٣- أن الرسول ﷺ هو مرجع الصحابة في العلم. ويتفرَّع على هذه الفائدة أن العلماء هم ورثة الأنبياء، لذا يجب الرجوع إليهم والصدور عنهم.

٤- فضل الإنفاق على الوالدين، والأقربين؛ وأنه مقدم على الفقراء، والمساكين؛ لأن الله بدأ بهم.

٥- أنه ينبغي للإنسان ألّا يحقر من المعروف شيئاً؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ﴾ .

٦- عموم علم الله تعالى؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢١٥) ﴾ .

أ) الأحكام التشريعية في الجهاد وأحكام القتال في الأشهر الحرم:

الآيات: ٢١٦ - ٢١٨

من قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ... ﴾.

المفردات اللغوية:

كتب: فرض. كره: مكروه. وعسى: تأتي بأربعة معانٍ: للرجاء؛ والإشفاق؛ والتوقع؛ والتعليل؛ وهنا الظاهر أنها للتوقع، أو للترجية. **وصد عن سبيل الله:** منع الناس عن الإسلام، أو منع الناس وصرفهم عن سائر ما يوصل العبد إلى الله من الطاعات. **وكفر به:** أي بالله ﷻ. **وإخراج أهله منه:** وهم النبي ﷺ والمؤمنون. **أكبر عند الله:** أعظم إثماً، وجرماً من القتال في الشهر الحرام. **والفتنة:** أي صدّ المسلمين عن دينهم بإلقاء الشبهات في قلوبهم، أو بتعذيبهم حتى يهلكوا. **ومن يرتدد:** يرجع عن دين الإسلام إلى الكفر. **حبطت:** بطلت وفسدت في الدنيا والآخرة، فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها. **فيمت:** التقييد بالموت يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام، لم يبطل عمله، فيثاب عليه ولا يعيده، كالحج مثلاً. **وهاجروا:** "**الهجر**" في اللغة الترك؛ وفي الشرع له معنيان: عام، وخاص؛ فأما العام فهو هجر ما حرم الله ﷻ، كما قال النبي ﷺ: "**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**"؛ وأما

الخاص فهو أن يهجر الإنسان بلده ووطنه لله ورسوله. وجاهدوا: من الجهد: أي المشقة، وبذل الطاقة. يرجون: يطمعون.

المعنى الإجمالي:

ولَّا كان القتال من البأساء التي ذكرها تعالى في قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ...﴾ (البقرة:الآية٢١٤) أخبر تعالى أنَّ قتال أعداء الله الكفّار فرض على المسلمين، كتبه عليهم بعد ما كانوا مأمورين بتركه لضعفهم، وعدم احتمالهم لذلك، ثمَّ لما هاجر النبي ﷺ وكثُر المسلمون فرضه تعالى عليهم لإعلاء دينه، وأخبر سبحانه أنّه مكروه للنفوس بمقتضى الطبيعة البشرية، ولما فيه من التعب والمشقّة، وبذل المال وتعريض النفس إلى الهلاك، ولكنّه تعالى كلَّفهم به لعلمه أنَّ فيه خيراً وصلاحاً لهم، ولعلَّ الإنسان يكره شيئاً طبعاً وفيه خير ونفع له فيما بعد؛ لأنّ في الجهاد إعلاء كلمة الإسلام ورفع منارة الحقّ والعدل ودفع الظلم؛ وفيه إمّا الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر ومرضاة الله؛ ولعلّ الإنسان يحبُّ شيئاً كترك القتال، وهو شرٌّ له؛ لأنَّ فيه الذلّ والهوان، وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب، وتسلط الأعداء على بلاد المسلمين وأموالهم، واستباحة حرماتهم.

ثمَّ علَّل تعالى فَرْضه القتال، حيث أنّه سبحانه يعلم ما فيه صلاح عباده وفلاحهم، وهم لقصور عقولهم لا يدركون الخير والشرّ فيما قدَّره لهم، فالواجب عليهم المبادرة إلى ما يأمرهم به، والتسليم لحكمه.

ولّما كان المشركون يعيِّرون المسلمين بالقتال في الأشهر الحُرُم، وكان النبي ﷺ قد بعث سرية بقيادة عبد الله بن جحش وذلك في جمادى الآخرة في السنة الثانية من

الهجرة قبل قتال بدر بشهرين، ليترصَّدوا قريشاً، فمرَّت بهم عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، وذلك _ على ما قيل في أول يوم من رجب وهم يظنُّونه من جمادى الآخرة_ فقتلوا عمرو بن الحضرمي، وأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فثارت ثائرة قريش وقالت: محمد يحلّ الشهر الحرام بالقتال فيه، وشنَّعوا ذلك حتى أنّ الرسول ﷺ وقف العير والأسيرين ولم يقض فيهما بشيء، وأكثر الناس في ذلك، وسألوا النبي ﷺ عن القتال في الأشهر المحرَّمة _ رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، المحرَّم_ فأنزل الله هذه الآية، يبيِّن فيها أنَّ القتال في هذه الأشهر ذنب كبير، بيد أنَّ صدّ قريش ومنعهم الناس عن الدخول في دين الله، وكفرهم بالله ﷻ، وصدّ النبي والذين آمنوا عن المسجد الحرام وعن أداء العمرة فيه، وإخراجهم من مكة، كلّ ذلك أكبر إثماً وأعظم جرماً عند الله، كما أنَّ تعذيب المسلمين ليفتنوهم ويردّوهم إلى الشرك، أشدّ وأكبر من القتال في الشهر الحرام.

ثمَّ بيَّن الله ﷻ حقيقة: وهي أنَّ هؤلاء الكفّار مقيمون على أخبث الكيد، وأعظمه لأهل الإسلام، فهم ما يزالون على الشرّ والمنكر وقتال المسلمين ليردّوهم إلى الكفر إن تمكَّنوا وقدروا على ذلك، ولهذا حذَّر الله تعالى المؤمنين، وبيَّن أنَّه من يرجع عن دين الإسلام إلى الكفر، ويصرَّ على الكفر حتى يموت عليه، فقد بطل عمله الصالح في الدنيا والآخرة، وذهب ثوابه وأجره، وصار هباءً منثورا، وأصبح من أهل النار خالداً فيها.

ثمَّ بيَّن تعالى في مقابل عقوبة المرتدين، مكانة المؤمنين الثابتين على إيمانهم، الواثقين بربِّهم، الراجين فضله ورحمته وثوابه، الذين فارقوا الأهل والأوطان، وهاجروا خوفاً من الفتنة في الدين، وقارعوا الأعداء، وسَعَوْا لنصرة دين الله،

فأولئك هم الذين يطمعون برحمته تعالى، فإذا لم يرْجُ هؤلاء رحمة الله فمَن الذي يرجوها؟!!

فهؤلاء هم أهل الرجاء؛ لأنّهم قد أتوا بأسبابه من الإيمان، والهجرة والجهاد في سبيل الله، فإن حصل منهم تقصير أو تفريط فإنَّ الله يغفر لهم، ورحمته وسعت كلَّ شيء، وعمَّ جوده وإحسانه كلَّ حيٍّ.

من هداية الآيات:

١- فرضية الجهاد، إذ أنَّ هذه الآية هي أوّل آية يُفرض فيها القتال، فالقتال كان محظوراً على المسلمين في مكة، ثمّ أذن الله لهم في مقاتلة المقاتلين من المشركين بعد الهجرة إلى المدينة، ثمَّ أبيح القتال لكلّ المشركين، ثم فرض الجهاد في هذه الآية في السنة الثانية للهجرة؛ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾.

لكن لا بد من شروط؛ منها القدرة على قتال العدو بحيث يكون لدى المجاهدين قدرة بشرية، ومالية، وعتادية؛ ومنها أن يكونوا تحت راية إمام يجاهدون بأمره.

٢- أن الله تعالى قد يحكم حكماً شرعياً، أو كونياً على العبد بما يكره وهو خير له.

٣- أن انتهاك حرمات المسلمين بفتنتهم عن دينهم وتعذيبهم وطردهم من ديارهم، أشد جُرْماً من انتهاك حرمة الشهر الحرام، وقد بيّن القرآن علّة مشروعية القتال، وهي فتنة المسلمين عن دينهم.

٤- بيّنت الآية كيد هؤلاء الكفرة - وهذا الوصف عام لكل الكفار - وأنهم لا يزالون يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، ـوخصوصاً أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، ألّفوا الجمعيّات، ونشروا الدُّعاة، وبثُّوا الأطباء، وبنوا المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم.كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾.

٥- تيئيس الكافرين أن يردُّوا المؤمنين كلهم عن الدين؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ ولكن لن يستطيعوا حتى يأتي أمر الله، ويكون في آخر الزمان، فتهب ريح تقبض نفس كل مؤمن حتى لا يبقى إلا شرار الخلق.

٦- أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن من ارتدّ عن الإسلام واستمر في ذلك حتى مات فهو كافر قد بطلت أعماله التي عملها في الإسلام، وعقوبته في الدنيا القتل إن هو أصرّ على ردّته، وتَبِينُ منه زوجته بانفساخ عقد نكاحه، ولا يرِثُ من أقاربه، ولا يُورثُ عنه ماله الذي اكتسبه في حالة الردة. وأما في الآخرة فهو خالد في نار جهنم؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾.

٧- دلت الآية بمفهومها أن من ارتدَّ ثم عاد إلى الإسلام أنه لا يبطل عمله السابق بل يرجع إليه عمله.

٨- فضيلة الإيمان والهجرة، والجهاد، ووجوب مراعاة الإخلاص في الهجرة والجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾.

وقفة:

الهجرة التي امتدح الله بها المؤمنين كانت فرضاً على المسلمين من مكة إلى المدينة، ثم نُسِخت بقوله ﷺ في الصحيح: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة". ومع ذلك يُؤخذ من علة وجوب الهجرة في عهد التشريع أنّها تَجِب بمثل تلك العلة في كل زمان ومكان، فلا يجوز لمؤمن أن يُقيم في بلاد يُفْتن فيها عن دينه، بأن يؤذى إذا صرَّح باعتقاده، أو عمل بما يجب عليه.

لطائف:

- قال ابن سعدي رحمه الله: هذه الأعمال الثلاثة (الإيمان ، الهجرة ، الجهاد) هي عنوان السعادة، وقطب رحى العبودية، وبها يُعرف ما مع الإنسان من الربح والخسران، فمن قام بها – على لأوائها ومشقتها – كان لغيرها أشد قِياماً به وتكميلاً، فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجين رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة. وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز، وتمنٍّ، وغرور، وهو دال على ضعف همَّة صاحبه ونقص عقله.
- في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى أن العبد – ولو أتى من الأعمال بما أتى به – لا ينبغي له أن يعتمد عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله، ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

ج) الآية:/٢١٩/

الأحكام التشريعية في مرحلة من مراحل تحريم الخمر، والقمار، ومقدار نفقة التطوع

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

أول مرحلة من مراحل تحريم الخمر والقمار:

المفردات اللغوية:

يسألونك عن الخمر والميسر: فيه إيجاز بالحذف، أي عن تعاطيهما، والمراد بالخمر: كل ما أسكر على وجه اللذة، والطرب. والميسر المراد به القمار؛ وهو كل ما يكسب عن طريق المخاطرة، والمغالبة. **وإثمهما أكبر من نفعهما**: ما يترتب عليهما من العقوبة أكبر من نفعهما. **كذلك يبين الله لكم الآيات**: أي مثل ذلك البيان يبين الله لكم هذه الأحكام الشرعية. **لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة**: يعني في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها.

المعنى العام للآية الكريمة:

هذه أول آية نزلت في الخمر ردّاً على سؤال المؤمنين عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعمَلَين في الجاهلية وأول الإسلام.

ولقد مرَّ الخمر بأربع مراحل تدرَّج فيها التشريع لينقل الناس من الأخفِّ إلى الأشدِّ تدريجياً – وذلك في أربع آيات:

– آية تبيحه، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾. (النحل:٦٧)

– وآية تعرض بالتحريم وهي هذه الآية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾. (البقرة:٢١٩)

– وآية تمنعه في وقت دون آخر، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النساء:٤٣).

– وآية تمنعه دائماً مطلقاً وهي آية المائدة التي نزلت في السنة الثامنة من الهجرة؛ وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (المائدة: ٩٠).

فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يُبيّن لهم منافعها ومضارهما ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما وتحتيم تركهما؛ لأنهما من الآفات الاجتماعية الخطيرة. فبيّن تعالى أنّ في تعاطيهما إثماً كبيراً ومنافع للناس؛ فإثم الخمر ما تحدثه في عقل الشارب وصحته من الأضرار، وما يصدر عنه من أقوال وأفعال شاذّة تضرّ بدينه ومجتمعه؛ وأمّا منافعه بسبب التجارة فيها؛ إذ كانت بضاعة رائجة بينهم؛ وأمّا إثم القمار فما ينتج عنها من كراهية وخصام، وإتلاف للأموال، وتضييع للطاقات، وإهدار للأوقات؛ وأمّا منافعه فما يصيب الناس من الربح فكانت للفقراء، فمن عاداتهم التي كانوا عليها في الجاهلية أن يتعفّف الرابح في الميسر عن أخذ الربح، ويتركه للمحتاجين، وهذه كلّها منافع مادية بحتة، وليست منافع ذات خير ينتفع بها المؤمنون، لهذا قال تعالى:﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾؛ أي: ما فيهما من أضرار أكثر بكثير ممّا يترتب عليهما من منافع.

ولَمَّا بيَّن تعالى أنَّ في الخمر والميسر إتلاف للمال بدون فائدة بيَّن فضل بذل المال بفائدة؛ وهو الإنفاق ابتغاء وجهه تعالى، فجاء الجواب عن سؤال الصحابة الثاني في الآية _ أي: أيُّ شيء ينفقونه _؛ فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾؛ أي: ما سهل وتيسر (وفَضُلَ عن الحاجة)؛ لأنَّ الأفضل في الإنفاق أن ينفق الإنسان ما يزيد على حاجته؛ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:"**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**"

من هداية الآية:

١- حرص الصحابة ﷺ على معرفة أحكام الله فيما يفعلونه، ويأتونه من مآكل، ومشارب، وغيرها.

٢- أنه مهما كثرت المنافع في الخمر والميسر، فإن الإثم أكبر من منافعهما.

٣- أن الدين الإسلامي جاء بتحصيل المصالح، ودرء المفاسد، فينبغي المقارنة في الأمور بين مصالحها، ومفاسدها.

٤- أن الأفضل في الإنفاق أن ينفق الإنسان ما يزيد على حاجته؛ لأن دفع الحاجة أفضل من الإنفاق؛ لقوله تعالى:﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ ؛ أي ما زاد على حاجتكم، كما سبق بيانه.

فائدة:

دلَّ سؤال الصحابة عن الخمر والميسر، على أن الدِّين الجديد قد أحدث في نفوسهم وعقولهم يقظة وتفتحاً ووعياً، حتى أصبحوا يميِّزون بين ما يضرُّهم وما ينفعهم، فهم يعيشون في ظلال شريعة تُبيح لهم كل طيب نافع، وتُحرِّم عليهم كل خبيث ضار.

لطيفة:

❖ ترشد الآية إلى ضرورة استخدام الفكر وتنمية دائرته، واستعمال العقل في مصالح الدارين معاً.

د) الآية:/ ٢٢٠/

الأحكام التشريعية في إباحة خلط مال اليتيم بمال وليّه

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ...﴾.

المفردات اللغوية:

في الدنيا والآخرة: أي في أمر الدنيا والآخرة، فتأخذوا بالأصلح لكم فيهما، والجار والمجرور متعلق بفعل: {تتفكرون} في الآية السابقة، أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين، فتأخذون بما هو أصلح لكم. **ويسألونك عن اليتامى**: أي عن الإشراف على اليتامى وكفالتهم وما يلقونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم أثموا، وإن عزلوا مالهم عن أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم، فَحَرَج. **قل إصلاح لهم خير**: أي اتباع ما هو أصلح لهم في جميع شؤونهم سواء كان ذلك في التربية أو في المال. **وإن تخالطوهم**: تخالطوهم في المأكل، والمشرب، والمسكن، والمصاهرة. **لأعنتكم**: لشقَّ عليكم فيما يشرعه لكم؛ ومن ذلك أن يشقَّ عليكم بتحريم المخالطة، والعنت: المشقة، والإحراج.

المعنى الإجمالي:

هذا هو **السؤال الثالث** من أسئلة الصحابة، وذلك أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ (النساء:١٠) شقَّ ذلك على المسلمين، وعزلوا أموالهم عن أموال اليتامى، وتركوا مخالطتهم في المأكل والمشرب، خوفاً

من تناولها، فشرع لهم الله مخالطة أموالهم بأموال اليتامى إن كان في المخالطة إصلاح لهم ومنفعة، وحفظ للأموال من الضياع، وذلك خير من اعتزالهم.

ثمَّ بيَّن تعالى لهم إن هم خلطوا طعامهم بطعامهم، وشاركوهم في النفقة والسكن، فلا حرج عليهم في ذلك أيضاً، فهم إخوان لهم في الدين، أو في النسب، أو فيهما جميعاً.

وفي الوقت نفسه حذَّر تعالى أصحاب النفوس الضعيفة، الذين يقصدون بالمخالطة إلى أكل أموال اليتامى، وبيَّن أنّه مطَّلعٌ على نيَّاتهم وإراداتهم، فيجازي المفسد على إفساده، والمصلح على إصلاحه.

ولمَّا كانت هذه الإباحة في مخالطة مال الأيتام تدل على يُسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، وأنّه تعالى يريد التيسير على الأمّة المسلمة، ذكر تعالى ذلك مبيِّناً فضله وإحسانه، وأنّه لو شاء لشقَّ عليهم فيما يشرعه لهم، فهو سبحانه غالب على أمره، يشرع ما يريد، وهو حكيم يتصرَّف في ملكه بما تقتضيه مشيئته وحكمته، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن لا يكلِّف نفساً إلّا وسعها، ولم يشقّ على هذه الأمّة، فله الحمد، والشكر.

من هداية الآية:

١- فضيلة الإصلاح في الولايات، ومراعاة الإصلاح فيمن ولَّاه الله على أحد؛ ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾.

٢- جواز مخالطة الأيتام في أموالهم، ومعاملتهم في هذه المخالطة معاملة الإخوان؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ ففي هذه الجملة الحث، والإغراء على ما فيه الخير لهم، كما يسعى الأخ لأخيه.

٣- التحذير من الإفساد؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾.

٤- أن الدين يسر، ولا حرج فيه، ولا مشقة؛ وأنَّ الأحكام الإسلامية متلائمة مع القدرة والطاقة البشرية دون إعنات ولا إحراج، مع أنّ الله قادر على أن يضيق على عباده ويشدّد في أحكامه، ولكنه لم يشأ إلّا التسهيل عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾.

٥- إثبات هذين الاسمين الكريمين لله ﷻ وهما "العزيز" و "الحكيم"؛ وإثبات ما دلَّا عليه من صفة.

هـ) الآية/ ٢٢١/

الأحكام التشريعية في تنظيم المجتمع الإسلامي الداخلي بتحريم نكاح المشركين والمشركات

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ...﴾

المفردات اللغوية:

ولا تنكحوا المشركات: "النكاح" في الأصل الجمع، والضم؛ وأما في الشرع فهو عقد على محلَّلة لقصد المصالح المترتبة على النكاح من تحصين الفرج والتناسل وغير ذلك. و"**المشركات**"واحدها مشركة: مَن اتخذ إلهاً يعبده من دون الله. **ولو أعجبتكم:** أي سرَّتكم، ونالت إعجابكم في جمالها وحسبها، أو لمالها وغير ذلك من دواعي الإعجاب. **ولا تنكحوا المشركين:** لا تزوجوا نساءكم المؤمنات

الكفار مطلقاً. **أولئك يدعون إلى النار**: هذه الجملة تعليل لما سبق؛ أي أهل الشرك يدعون الناس إلى العمل الموجب للنار بأقوالهم، وأفعالهم، وأموالهم، فلا تليق مناكحتهم. **والله يدعو إلى الجنة والمغفرة**: أي يدعو الناس إلى العمل الموجب لهما بالحثّ على الأعمال الصالحات، ومغفرة الذنوب بالحثّ على التوبة، والاستغفار. **يتذكرون**: يتعظون.

المعنى الإجمالي:

ولّما كان في مخالطة الأيتام فوائد جمّة، وحِكَم واضحة حيث تؤدي إلى تقوية الصلات الاجتماعية معهم، بتزويجهم أو الزواج منهم، بيّن أن مناكحة المشركين لا تصح حتى يدخلوا في دين الله، فلا يحلّ للمسلم أن يتزوّج المرأة المشركة ولو كانت يتيمة، والأمَة المؤمنة مع ما فيها من ذلّ العبودية والرِّق أفضل من المشركة وإن كانت ذات مال وجمال وحسب وسلوك؛ إذ بالإيمان كمال الدين والحياة معاً، وبالمال والجمال كمال الدنيا فقط، ورعاية الدين وما يستتبعه من دنيا أولى من رعاية الدنيا.

ولا يحلّ لأولياء النساء المؤمنات تزويجهنَّ من الكفار حتى يؤمنوا بالله ورسوله، ولَئِن تزوِّجوهنَّ من عبد مؤمن بالله ورسوله، مع ما به مِن مهانة، خير لكم من أن تزوِّجوهنَّ من حرٍّ مشرك، وإنْ أعجبكم في الحسب والنسب والشرف.

ثمَّ بيّن الله تعالى الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين؛ لأنَّ النكاح والمصاهرة يُوجب المداخلة والألفة والمحبة والتأثر بهم، والتقليد في الأفعال والعادات غير الشرعية؛ مِمّا يؤدي إلى الضلال والشقاء الأبدي في النّار.

والله يدعو عباده لتحصيل الجنّة والمغفرة، التي من آثارها دفع العقوبات، وذلك بالحثّ على الأعمال الصالحات، والاستغفار، والتوبة النصوح، ويوضّح آياته وأحكامه وأدلّته للناس، لعلّهم ينتفعون بها ويتّعظون.

من هداية الآيات:

١- أنّه يحرم على المؤمن نكاح المشركات؛ لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾؛ ويستثنى من ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ..﴾، (المائدة:/ ٥) فإن هذه الآية مخصصة لآية البقرة.

٢- أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً؛ لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ ؛ فدل ذلك على أنه متى زال الشرك حل النكاح؛ ومتى وجد الشرك حرم النكاح.

فائدة: قال ابن سعدي:

يُستفاد من تعليل الآية، النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع؛ لأنه إذا لم يجز التزوُّج- مع أن فيه مصالح كثيرة - فالخلطة المجرَّدة من باب أولى، وخصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها.

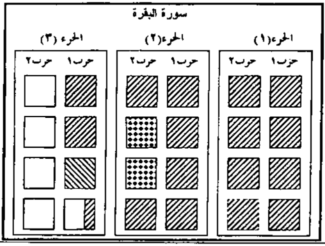

الجزء الثاني/الحزب/الثاني/ الربع الثاني والثالث/الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة:٢٢٢-٢٤٢

أولاً: الحيض وأحكامه: الآيات: ٢٢٢ – ٢٢٣

قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾. وقوله تعالى:﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾

ثانيا: أحكام الأيمان وأقسامها: الآيات: ٢٢٤ – ٢٣٢

أ) اليمين اللغو، واليمين المعقدة: الآيات: ٢٢٤– ٢٢٥

قوله تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ.. ﴾

ب) يمين الإيلاء، وحكمه الآيات: ٢٢٦ – ٢٢٧

قوله تعالى.﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾

ج) يمين الطلاق وأحكامه: الآيات: ٢٢٨ – ٢٣٢

١– الحكم الأول من أحكام الطلاق: عدة المطلقات والمساواة بين الحقوق والواجبات: الآية:/٢٢٨/

قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ... ﴾

٢– الحكم الثاني من أحكام الطلاق: عدد مرّات الطلاق وما يترتب عليه من أحكام:الآيات ٢٢٩– ٢٣٠

قوله تعالى:﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ...﴾ وقوله تعالى ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ ﴾

٣– الحكم الثالث من أحكام الطلاق: واجب الرجل في معاملة المطلقة. الآية:/٢٣١/

قوله تعالى:﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.. ﴾

٤– الحكم الرابع من أحكام الطلاق:ولاية التزويج، ونهي الولي عن عضل المرأة:الآية /٢٣٢/

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾

تابع هيكلة الربع الثاني والثالث / الحزب الثاني/ الجزء الثاني/

ثالثا: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة.
الرضاعة وأحكامها ٢٣٣

١- حق الأولاد في الرضاعة: قوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.
٢- وجوب النفقة على المولود له من رزق وكسوه بالمعروف.
قوله تعالى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
٣- تحريم المضارة بين الزوجين: قوله تعالى ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾
٤- وجوب النفقة على وارث الطفل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾.
٥- جواز فطام الولد قبل الحولين: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾
٦- جواز اتخاذ الظئر (المرضع بالأجرة) قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾
٧- تنفيذ الأحكام السابق في ظل تقوى الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

رابعا: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة: عدة الوفاة وأحكامها: الآيات: ٢٣٤-٢٣٥
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.. ﴾
وقوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ . ﴾.

خامسا: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة: الآيات: ٢٣٦ – ٢٣٧
أ) حكم المطلقة قبل الدخول ولم يسمَّ لها مهر. ووجوب متعتها: الآية: ٢٣٦ من قوله تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً..﴾
ب) حكم المطلقة قبل الدخول بعد تسمية المهر. الآية: /٢٣٧/ من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

سادسا: الصلاة والأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة الآيات: ٢٣٨ – ٢٣٩
قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى .. ﴾
وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ... ﴾.

سابعاً: عود على ما سلف من الأحكام التشريعية للمتوفى عنها زوجها ومتعة كل مطلقة
الآيات: ٢٤٠ – ٢٤٢
من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾
إلى قوله تعالى ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

الجزء الثاني - الحزب الثاني- الربع الثاني والثالث حسب المعنى

حسب القرآن: الآيات: ٢١٩- ٢٣٢

من قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ... ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٢٢٢- ٢٤٢

من قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ ويُضم إليه نصف الحزب الثاني من الآية / ٢٣٣/ من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ إلى آخر هذا الثُمن، من قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾ الآية/ ٢٤٢/ حيث أن الآيات من بداية ربع الحزب الثاني- حسب المعنى- وحتى نهاية نصف الحزب الثاني تتحدَّث عن الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة.

المعاني الرئيسة:

تضمَّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

الأحكام التشريعية داخل الأسرة، وهي على النحو التالي:

أولاً: الحيض وأحكامه: الآيات ٢٢٢ - ٢٢٣

توطئة:

ولَّما كان أهل يثرب قد امتزجوا باليهود واستنُّوا بسنَّتهم في كثير من الأشياء، وكان اليهود يتباعدون عن الحائض أشدَّ التباعد بحكم التوراة، فاليهود إذا حاضت المرأة اعتزلوها اعتزالاً كاملاً، حتى إنهم لا يجتمعون معها على طعام ولا تحت سقف واحد، فجاءت هذه الآيات تُبيِّن يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، بمقارنتها مع شريعة التوراة، فالأمر في الإسلام أيسر من ذلك بكثير، فهو يحرِّم الاتصال الجنسي في أثناء الحيض، ولا يكلف اعتزال المرأة كما يفعل اليهود. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، أمرها رسول الله ﷺ فتأتزر بإزار، ثم يباشرها"

وعن ميمونة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يضطجع معي وأنا حائض، وبيني وبينه ثوب". فأين هذا التيسير والتسهيل من التشديد الذي عليه اليهود.

المفردات اللغوية:

المحيض: مصدراً ميمياً بمعنى الحيض؛ ولغة: السيلان، يقال: حاض السيل وفاض. وشرعاً: دم فاسد يخرج من أقصى رحم المرأة. **فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن**: ترك غشيانهن في هذه المدة. **يطهرن**: أي ينقطع الدم ويزول أثره

ويحصل النقاء. **تطهَّرن**: أي يغتسلن بالماء. **فأتوهن**: بالجماع. **من حيث أمركم الله**: أي الذي أمركم بتجنبه في الحيض، وذلك في المكان المأمور به وهو القبل، لا الدبر. **حرث لكم**: موضع حرث كالأرض التي تستنبت، شبهت بها النساء؛ لأنها منبت للولد، كالأرض للنبات. **فأتوا حرثكم أنى شئتم**: أي جامعوا في القبل كيف شئتم؛ وقد زعمت اليهود: أن الرجل إذا أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول. **وقدموا لأنفسكم**: الطاعات، وما ينفع الإنسان عند ربِّه. **واتقوا الله**: في أمره ونهيه. **واعلموا أنكم ملاقوه**: بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم. **وبشر المؤمنين**: أخبرهم بما يسرّهم.

المعنى الإجمالي:

وتساءل المسلمون عن حكم مخالطة المرأة الحائض زمن الحيض، وكيفية معاملة الزوج لزوجته في أثناء الحيض، فأخبر تعالى أنَّ الحيض ضرر وأذى، يضر الرجل والمرأة على السواء، لذا يَحْرُم الوطء في الفرج خاصَّة أثناء الحيض، حتى ينقطع الدم، فإذا انقطع الدم وجب على المرأة الاغتسال والتَّطهُّر بالماء، فإذا تطهَّرت أبيح لزوجها مجامعتها في المكان الذي أحلَّه الله له، أي: في القُبُل لا في الدُّبُر؛ لأنَّه محل الحَرْث.

ولما كان هذا المنع (منع إتيان الحائض) لطفاً منه تعالى بعباده، وصيانة لهم عن الأذى، بيَّن تعالى أنَّه يحبُّ التوابين من ذنوبهم على الدوام، وَالمتنزهين عن الفواحش والآثام.

ثمَّ أكَّد تعالى أنَّ الجماع لا يكون إلا في المكان الذي أحلَّه الله –أي في القُبُل لا في الدُبُر– بقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ ؛ فالزوجة بالنسبة

لزوجها كالأرض التي تتقبَّل البذر وتحمله وتنمِّيه، والزوج بالنسبة لها، الزَّارع الذي ينبغي له أن يضع البذر في موضعه المناسب له، ولا حرج على أن يأتي زوجه متى شاء وكيف شاء، ما دام الجماع في موضع الحرث.

وينبغي للأزواج أن يقدِّموا لأنفسهم ما ينفعهم عند الله من الطاعات، والتقرُّب إليه بفعل الخيرات، ومن ذلك النكاح ابتغاء تحصين الفروج، وطلب الذرِّيَّة الصالحة، والتسمية عند الجماع، كما ينبغي تقوى الله في جميع الشؤون والأحوال، بفعل الأوامر، واجتناب النواهي؛ لأنَّه لابُدَّ للعبد من ملاقاة الله يوم القيامة فيجازيه على أعماله؛ فإن كان مؤمناً أعماله صالحة فليُبشر بما يسرُّه، وأمَّا إن كان من الذين تجاوزوا حدود الله، واتَّبع الشهوات، وخرج عن السنن المشروعة، فلا يكاد يسلم من الضرر في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

أحكام من الآيات:

أ) أنَّ الحيض أذى، ومضرّ بالرجل والمرأة على السواء؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾.

ب) وجوب اعتزال المرأة حال الحيض. وحرمة جماعها فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾.

ج) وجوب الاغتسال للحائض ولا تحل للزوج حتى ينقطع الحيض، وتغتسل بالماء غسل الجنابة وهذا رأي الجمهور. لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾. ودم النفاس عند الولادة كدم الحيض.

د) تحريم الوطء في الدبر؛ لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث. وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك، ولعن فاعله.

هـ) إباحة الحال والهيئات أثناء الجماع إذا كان الوطء في موضع الحرث (القُبُل).

من هداية الآيات:

١- أنَّ الشريعة الإسلامية شريعة رحمة، أنزلها تعالى لصلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، وما حرَّمت على الناس إلّا ما فيه ضرر وأذى؛ ولهذا حرَّمت وطء الحائض ووطء الدُّبُر، وعندما ينتفي الضرر والأذى لا تضيِّق الشريعة الإسلامية على الإنسان، بل تتركه على الإباحة الأصلية.

٢- فضيلة التوبة، وأنَّها أمر مطلوب، وأنّها من أسباب محبة الله تعالى للعبد.

٣- وجوب تقديم ما أمكن من العمل الصالح ليكون زاد المسلم إلى الدار الآخرة، ووجوب تقواه سبحانه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومنها معاملة الأهل حسب ما شرع الله؛ لأن ذلك من تقوى الله.

٤- أنَّ من البلاغة إذا أخبر الإنسان عن أمرٍ هام أن يقدِّم بين يدي الخبر ما يقتضي انتباهه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ ؛ وهذا مما يزيد الإنسان انتباهاً وتحسباً لهذه الملاقاة.

٥- فضيلة الإيمان حيث استحقَّ أهله البَشَارة من الله تعالى على لسان رسوله محمد ﷺ .

مسائل في الحيض:

أ) **قال القرطبي**: قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب: ودم الحيض والنفاس يمنع أحد عشر شيئاً هي:

١- وجوب الصلاة. فتسقط عنها ولا يلزمها قضائها.

٢- وصحة فعلها. أي إن صلَّت الحائض فلا تصِحُّ صلاتها.

٣- وفعل الصوم دون وجوبه أي أن الحيض يمنع الصوم، ويجب القضاء. وفائدة الفرق لزوم القضاء للصوم ونفيه في الصلاة.

٤- الجماع في الفرج وما دونه. ٥- العدَّة. ٦- الطلاق.

٧- الطواف. ٨- مسّ المصحف. ٩- دخول المسجد.

١٠- الاعتكاف. ١١- في قراءة القرآن روايتان: الحرمة عند الجمهور، والإباحة عند المالكية.

ب) أجمع العلماء على أن للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم الظاهر السائل من فرجها:

الأول: دم الحيض المعروف، ودمه أسود خاثر تعلوه حمرة، تترك له الصلاة والصوم، لا خلاف في ذلك.

الثاني: دم النفاس عند الولادة؛ وله أيضاً عند العلماء حدّ معلوم اختلفوا فيه، والراجح إذا طَهُرت من النفاس اغتسلت كالغسل من الحيض والجنابة، وصلَّت، وإلا كان أربعين يوماً ثمَّ اغتسلت وصلَّت. وإن كان هناك دم، فحكمها كالمستحاضة.

الثالث: دم ليس بعادة ولا طبع منهن ولا خلقه، وإنما هو عرق انقطع، سائله دم أحمر لا انقطاع له إلّا عند البرء منه؛ فهذا حكمه أن تكون المرأة منه طاهرة لا يمنعها من صلاة ولا صوم بإجماع العلماء وهو ما يُعرف "بالاستحاضة"

جـ) اختلف العلماء في الذي يأتي امرأته وهي حائض ماذا عليه؟ قال بعضهم يستغفر الله ولا شيء عليه. وقال آخرون بقول ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **"يتصدق بدينار أو نصف دينار"**. والله أعلم.

د) اختلف العلماء في الكتابية هل تجبر على الاغتسال أم لا ؟ فقال مالك في رواية ابن القاسم: نعم؛ ليحل للزوج وطؤها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: بالماء، ولم يخص مسلمة من غيرها. وهذا موافق لرأي الشافعية والحنابلة القائلين بأن الكافر مكلف بفروع الشريعة. وقال الحنفية: إنه غير مُكَلَّف.

لطائف ووقفات مع آيات الحيض:

❖ **ذكرنا** في مطلع سورة البقرة أن السورة في جزئها الأول أفاضت بالكلام عن بني إسرائيل لكشف حقائقهم وبيان مثالبهم. ثم ها هي مرة أخرى تُبيِّن تعنُّت اليهود والتشدّد الذي كانوا عليه، وتظهر يُسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، وهذا من الإعجاز البلاغي في القرآن الحكيم؛ حيث تترابط موضوعات السورة على الرغم من طولها. فاليهود إذا حاضت المرأة اعتزلوها اعتزالاً كاملاً حتى أنهم لا يجتمعون معها على طعام ولا تحت سقف واحد. وهذا سبب نزول الآيات:/ ٢٢٢- ٢٢٣/ .

روى **مسلم** وغيره عن أنس بن مالك: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل الأصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﷻ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ: **"اصنعوا كل شيء إلا النكاح"**، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلّا خالفنا فيه. **قال النووي**:لم يجامعوهن:لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في البيوت.

وروى **الشيخان** وغيرهما عن جابر قال: كانت اليهود تقول إذا جامعها ورائها- أي يأتي امرأته من ناحية دبرها في قُبلها-: إن الولد يكون أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

❖ في قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ . وقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة؛ وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يتعلموها، ويتأدبوا بها، ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم.

❖ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ **قال ابن سعدي** رحمه الله: وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.

❖ في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ؛ الدنيا في نظر الإسلام مزرعة للآخرة، وكل أعمال الإنسان الدنيوية إذا التُزِم بها أحكام الشريعة الإسلامية، وقُصِد بها رضوان الله تعالى، تصبح عبادات يُثاب عليها. **وقيل**: بالتزوج من

العفائف ليكون الولد صالحاً طاهراً؛ لأن الولد خير الدنيا والآخرة؛ فقد يكون شفيعاً وجُنّة. والإعراض عن سيئة الأخلاق التي تسوء معاشرتها للزوج، وتفسد تربية الأولاد. **وقال ابن سعدي رحمه الله**: أي من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يُباشر الرجل امرأته على وجه القُربة والاحتساب وعلى رجاء تحصيل الذرية، الذين ينفع الله بهم. **وقال الآلوسي**: ومنه التسمية عند الجماع كما قال ﷺ: **"لو أن أحدكم إذا أتى امرأته قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنّه إن يُقدِّر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً"**

- قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴾ ؛ خبر يقتضي المبالغة في التحدّي، أي فهو يجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

ثانياً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة:

أحكام الأيمان وأقسامها: الآيات: ٢٢٤- ٢٣٢

اليمين اللغو واليمين المنعقدة، ويمين الإيلاء، ويمين الطلاق

من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ... ﴾ .
إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ.. ﴾ .

وجه الربط:

شرعت الآيات في التحدث عن الأيمان؛ لما لها من صلة قوية بتقوى الله والحذر من معصيته، ونبّه هنا على أن مِمّا يُتقى ويُحذر منه: أن يُجعل اسم الله مانعاً من البر والتقوى والإصلاح بين النّاس.

قال بعض أهل العلم: لمّا أمر الله تعالى بالإنفاق وصحبة الأيتام والنساء بجميل المعاشرة، قال: لا تمتنعوا عن شيء من المكارم تعللاً بأنّا حلفنا ألاّ نفعل كذا.

وهي أيضاً توطئة لإيضاح أحكام أيمانٍ مخصوصة، كيمين الإيلاء وحكمه، ويمين الطلاق وحكمه.

وقد تضمّن هذا المقطع المعاني التالية:

أ) اليمين اللغو، واليمين المنعقدة: الآيات: ٢٢٤ – ٢٢٥

من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ...﴾.

المفردات اللغوية:

عرضة: هي المانع المعترض دون الشيء. **لأيمانكم:** أي ما حلفتم عليه من البر والتقوى والإصلاح، ويكون: ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ بدلاً من أيمانكم، ويكون المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله معترضاً بينكم وبين البر، والتقوى، والإصلاح بين الناس. **لا يؤاخذكم الله باللغو:** "اللغو" لغة الشيء الساقط؛ والمراد به هنا اليمين التي لا يقصدها الحالف؛ كأن يجري على لسانه: إي والله، ولا والله، وبلى والله، من غير قصد اليمين، وإنما يسبق إليه اللسان عادة، فلا مؤاخذة فيه بكفارة ولا بعقوبة ولا إثم. **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم:** أي ما قصدتموه من الأيمان إذا حنثتم، وهو مثل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ [المائدة:٨٩].

المعنى الإجمالي:

ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يجعلوا الحلف به سبباً مانعاً لهم من أعمال البرِّ والتقوى والإصلاح بين الناس. وأخبرهم أنَّه تعالى سميع لأقوالهم، عليم بنيَّاتهم وأفعالهم فلْيتَّقوه ﷻ.

وبيَّن تعالى أنَّه لا مؤاخذة بما يجري على الألسنة من الأَيْمان التي لا يقصدها الحالف، ولا عقاب، ولا كفَّارة عليها بالحنث، وإنَّما العقوبة، والمؤاخذة بإلزام الكفَّارة لليمين المنعقدة التي تمَّ العزم عليها، ونواها الحالف. **والله تعالى غفور** حليم، ومن مغفرته لعباده أن أسقط عنهم المؤاخذة باللغو في أيمانهم، ومن حلمه سبحانه أنَّه لم يعاجلهم بالعقوبة في حال الحنث وعدم البرّ بالأَيْمان المنعقدة، بل حضَّ سبحانه على التوبة، وشرع الكفارة.

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآيات: المقصود من اليمين والقسم، تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه، وكان الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡ ﴾ [**سورة المائدة٥**]، وكان مقتضى ذلك حفظها في كل شيء، ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البِرُّ باليمين يتضمن ترك ما هو أحب إليه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أي لا تُصيِّروا الحلف بالله معترضاً بينكم وبين البر، والتقوى، والإصلاح بين الناس؛ "**فالبر**" فعل الخيرات؛ و"**التقوى**" هنا اجتناب الشرور؛ و"**الإصلاح بين الناس**" التوفيق بين المتنازعين حتى يلتئم بعضهم إلى بعض، ويزول ما في أنفسهم.

ويمكن إجمال أحكام الأَيْمان على النحو الآتي:

- من حلف على ترك واجب، وجب حنثه، وحرم إقامته على يمينه.
- ومن حلف على ترك مستحب، اسْتُحِب له الحنث.
- ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث. أو على فعل مكروه، استحب الحنث.
- وأما المباح فينبغي فيه حفظ اليمين عن الحنث. **وبهذا يتبين أن الله قسَّم اليمين قسمين:**

– ما كسبه القلب؛ وهي اليمين المنعقدة، ويلزم فيها الكفارة بالحنث فيها.

– اللغو، كقول الرجل لا والله، وبلى والله؛ في حديثه وكلامه، غير معتقد لليمين ولا مريدها.

ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة: "إذا تزاحمت المصالح قُدِّم أهمها" ا.هـ

لطيفة:

ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ ؛ لتبيِّن فضل الله تعالى، وتيسيره على النَّاس، وعدم تكليفهم بالشاق من الأحكام، ودفعاً للحرج عنهم، أنه رفع المؤاخذة والإثم والكفَّارة عن اليمين اللغو وذلك لأنه:﴿ غَفُورٌ ﴾ ، ورفع الحرج عن الحالفين بالله إذا أرادوا فعل الخير وذلك لأنه: ﴿ حَلِيمٌ ﴾.

ب- يمين الإيلاء وحكمه: الآيات:٢٢٦، ٢٢٧

قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

هذه الآيات في أحكام الأيمان الخاصة بالزوجة؛ في أمر خاص؛ وهو حلف الرجل على ترك وطء زوجته مطلقاً، أو مقيداً بأقل من أربعة أشهر أو أكثر.

المفردات اللغوية:

يؤلون: يحلفون أو يقسمون؛ **والألية:** الحلف، جمع إيلاء، **والإيلاء:** أن يحلف الرجل ألا يقرب امرأته أربعة أشهر فأكثر. **تربُّص:** انتظار. **فاءوا:** رجعوا إلى نسائهم عن اليمين. **فإن الله غفور:** يغفر لهم ما تجرَّؤوا عليه من ضرر المرأة. **عزموا الطلاق:** صمموا على إيقاع الطلاق، وقصدوه بعزيمة تامة. **فإن الله سميع عليم:** سميع لأقوالهم ـ ومنها الطلاق ـ . بأحوالهم ـ ومنها عزيمتهم على مفارقة زوجاتهم ـ.

المعنى الإجمالي:

حدَّد الله تعالى مدَّة قصوى للذين يحلفون ألّا يقربوا زوجاتهم، وهي أربعة أشهر، إشارة إلى أنَّ الإيلاء لمدة طويلة مِمَّا لا يُرضي الله تعالى، لما فيه من قطيعة واستمرار نزاع، ومنعاً من إلحاق الضرر بالمرأة وإهدار حقوقها. فإن رجعوا إلى معاشرتهنَّ المعاشرة الزوجية الكريمة، وكفَّروا عن أيمانهم فالله يغفر لهم إساءتهم إلى زوجاتهم، وإن لم يفيئوا وعزموا على الطلاق، فإنَّ الله سميع لإيلائهم وطلاقهم، عليم بنيَّاتهم وأحوالهم.

احكام من الآيات:

١- ثبوت حكم الإيلاء؛ لأن الله تعالى وقَّت له أربعة أشهر.

٢- أنَّ مَن آلى من زوجته لدون أربعة أشهر فهذا مثل سائر الأيمان، وإن حنث لزمته الكفّارة، وإن أتمَّ يمينه فلا شيء عليه.

وإن كان أبداً، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، ضُربت له مدة أربعة أشهر من يمينه فإذا تمت أُمِر بالفيئة؛ وهو الوطء، فإن وطئ فلا شيء عليه إلا كفَّارة

اليمين، وإن امتنع من الوطء أجبر على الطلاق، فإن امتنع عن الطلاق طَلَّق عليه الحاكم.

٣- أنَّ الفيئة والرجوع إلى الزوجة أحبّ إلى الله تعالى؛ لأنه: ﴿ غَفُورٌ ﴾ ؛ يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف بسبب رجوعهم؛ لأنه: ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ ؛ حيث جعل لأيمانهم كفَّارة وتَحِلَّة. ورحيم بهم أيضاً حيث فاءوا إلى زوجاتهم، وحنَّوا عليهنَّ ورحموهنَّ.

٤- يستدل من الآية على أن الإيلاء خاص بالزوجة؛ لقوله تعالى: ﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾.

٥- يلزم الإيلاء كل من يلزمه الطلاق، فالحر والعبد والسكران يلزمه الإيلاء، وكذلك السفيه والمولى عليه إذا كان بالغاً غير مجنون، والشيخ الكبير إذا كان فيه بقية قوة، والأخرس بما يُفهم عنه من كناية أو إشارة مفهومة، والأعجمي كالعربي بلغته.

٦- أن الطلاق لا يقع بمجرد تمام مدة الإيلاء؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ ؛ فإن قيل: لو امتنع عن الفيئة، والطلاق فهل يجبر على أحدهما؟ والجواب: نعم؛ يجبر على أحدهما إذا طالبت الزوجة بذلك؛ لأنه حق لها؛ فإن أبى فللحاكم أن يطلق كما بينا، أو يفسخ النكاح؛ والفسخ أولى من الطلاق لئلّا تحسب عليه طلقة، فيضيق عليه عدد الطلاق.

من هداية الآية:

١- حكمة الله ﷻ، ورحمته بعباده في مراعاة حقوق الزوجة؛ وكما أنه حق للزوجة فهو من مصلحة الزوج أيضاً حتى لا يضيع حق المرأة على يده، فيكون ظالماً.

٢- أن الطلاق بيد الزوج، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ ؛ لأن الضمير يعود على"الذين يؤلون من نسائهم"

٣- أن الإيلاء من أربعة أشهر فما فوق محرَّم؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ ؛ فإن المغفرة لا تكون إلَّا في مقابلة ذنب.

٤- قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ فيه وعيد وتهديد، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المشاقّة.

ج- يمين الطلاق واحكامه: الآيات /٢٢٨- ٢٣٢ /

من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ.... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ... ﴾.

توطئة:

أبرزت آيات الإيلاء حرص الشريعة الإسلامية على سلامة العلاقة الزوجية وصفائها، وشرعت لهذا السبب، في حال وقوع الطلاق، العدة؛ لكي يتمكن الزوجان في أثنائها من العودة إلى الحياة الزوجية، واستدراك ما فاتها بالطلاق ولهذا بادرت الآيات الكريمة إلى بيان عدة الطلاق قبل الحديث عن الطلاق نفسه، لإظهار حرص الشريعة على بقاء الأسرة وسلامتها وأشارت في تأخيرها الحديث عن الطلاق، إلى كونه أمراً مكروهاً ما شُرِع إلا عند الضرورة المُلجئة إليه.

وقد تضمَّن هذا المقطع الأحكام التالية:

الحكم الأول من أحكام الطلاق:

عدة المطلقات والمساواة بين الحقوق والواجبات: الآية /٢٢٨/

من قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾.

المفردات اللغوية:

يتربصن: ينتظرن في العدَّة ويحبسن أنفسهن عن الزواج. **قروء**: جمع قَرْء، ويطلق في كلام العرب على الطهر، وعلى الحيض حقيقة، فهو من ألفاظ الأضداد. وأصل القرء: الاجتماع، وسمي الطهر قرء لاجتماع الدم في البدن، وسمي الحيض قرء لاجتماع الدم في الرحم، وقد يطلق القرء على الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم. ولما كان الحيض معتاداً مجيئه في وقت معلوم، سمت العرب وقت مجيئه قرءاً. وجاء القرء بمعنى الحيض في قوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش: "**دعي الصلاة أيام أقرائك**" لذا قال الحنفية والحنابلة: المراد بالقرء الحيض، وقال المالكية والشافعية: المراد به الطهر. **ما في أرحامهن**: من الولد أو الحيض. **وبعولتهن**: أزواجهن، مفرد بعل أي زوج، والمراد هنا الزوج الذي طلّق. **إن أرادوا إصلاحاً**: بينهما، لا إضرار المرأة، وهو تحريض على قصده، لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي. **ولهن مثل الذي عليهن**: أي للنساء على الزوج من الحقوق مثل الذي له. **بالمعروف**: شرعاً: من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك. **وللرجال عليهن درجة**: أي فضل

في العقل، والحقوق؛ وهذا من باب الاحتراس حتى لا يذهب الذهن إلى تساوي المرأة والرجل من كل وجه.

المعنى العام للآية الكريمة:

على الزوجات اللاتي تمَّ زواجهنَّ، ثمَّ طلَّقهنَّ أزواجهنَّ أن ينتظرن في العُدَّة، ثلاث حيضات، أو أطهار بعد الطلاق حتى تنقضي العُدَّة، للتعرُّف على براءة الرحم من الولد فلا تختلط الأنساب، لذا لا يحِلُّ للنساء أن يكتمن شيئاً مِمَّا في أرحامهنَّ من حمل أو حيض، وإن طالت العُدَّة للتزوج بزوج آخر، ولا يحل لهنَّ الكذب بكتمان الحيض أيضاً لأجل استدامة النفقة ما دُمنَ في العُدَّة وذلك إن كنَّ مؤمناتٍ إيماناً صادقاً بالله واليوم الآخر، فلا يخفى على الله شيء، ويحاسب كل إنسان على قوله وفعله يوم القيامة، مِمَّا يقتضي أن تكون المرأة أمينة على ما في رحمها، فإن لم تكن أمينة لعدم إيمانها الكامل أضلَّت نفسها وغيرها.

وفي هذا تهديد شديد ووعيد للنساء على خلاف الحق، مِمَّا يدلُّ على أنَّ المرجع في هذا إليهنَّ؛ لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهنَّ، ويتعذَّر إقامة البيِّنة غالباً عليه، فَرُدَّ الأمر إليهنَّ وتُوعِّدن فيه لئلَّا يُخبرن بغير الحق، إمَّا استعجالاً منها لانقضاء العُدَّة، أو رغبة منها في تطويلها، لما لها في الحالين من المقاصد، فأُمِرت أن تخبر بالحق في شأنها من غير زيادة ولا نقصان.

ثمَّ بيَّن الله تعالى أنَّ لأزواج المطلَّقات في حال الطلاق الرجعيِّ الحقّ برجوعهنَّ إلى بيت الزوجية، في مدَّة العُدَّة، حرصاً من الشرع على إبقاء الرابطة الزوجية السابقة، فليس هناك من الحلال أبغض عند الله من الطلاق، وعلى المرأة الاستجابة إلى طلب الزوج الرجعة، بشرط أن يكون المقصود بالرجعة: الإصلاح

والخير للزوجين أمّا إذا كان القصد هو الانتقام ومنعها من الزواج بآخر، فهو آثم عند الله بإلحاق الضرر بها.

ثمَّ شرَّعت الآية مبدأً أساسيّاً للتعامل بين الزوجين، يتمتَّع كل منهما بحقوق مساوية للواجبات عليه نحو الآخر؛ فكما أن على الزوجة أن تتقي الله تعالى في حقوق زوجها؛ فلها أيضاً مثل الذي له في حسن المعاشرة.

ولمَّا كانت المماثلة تقتضي المساواة أخرج ذلك بقوله تعالى: **"وللرجال عليهن درجة"** أي فضل في العقل والحقوق؛ وهذا من باب الاحتراس حتى لا يذهب الذهن إلى تساوي المرأة والرجل من كل وجه.

وما أروع ما ختمت به الآية من التذكير بعزة الله وقدرته التي لا تغلب، وبحكمته بوضع الشيء في موضعه المناسب له، فهو ذو الحكم التام، والحكمة البالغة، فلا يجوز لأحد أن يعترض على أحكامه وشرعه.

مسألة:

اختلف المفسِّرون في معنى القرء هل هو الحيض أم الطهر؟ فرجح ابن سعدي وغيره "الحيض". ورجح الشنقيطي في كلام طويل له "انطهر" والله أعلم. ونسب العلم إليه أسلم.

الأحكام المستنبطة من الآية:

١- وجوب اعتداد المطلقة بثلاث حيض؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ لحِكَم منها: التعرف على براءة الرحم من الولد فيُؤمن من اختلاط الأنساب، والحفاظ على نعمة الحياة الزوجية وتقديرها، والتفكير في عواقب الطلاق.

ويستثنى من عموم هذه الآية: مَن لا تحيض لصغر، أو إياس: فعدَّتها ثلاثة أشهر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾. (الطلاق:٤)

ويستثنى أيضاً مَن طُلِّقت قبل الدخول، والخلوة: فليس عليها عدّة؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ ﴾.(الأحزاب:٤٩)

ويستثنى أيضاً الحامل؛ فعدَّتها إلى وضع الحمل؛ لقوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾.(الطلاق:٤) وأمّا الإماء فعدتهنَّ حيضتان. وسياق الآية يدل على أنَّ المراد بها (الحرة).

٢- أنَّه يُرجع إلى قول المرأة في عدَّتها؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ ﴾.

٣- تحريم كتمان الحمل، أو الحيض، لأن ذلك يُفضي إلى مفاسد كثيرة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ ﴾.

٤- مشروعية الرجعة بشرط قصد الإصلاح؛ لقوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ ﴾. ومفهوم الآية أنه إن لم يرد الزوج الإصلاح فليس له حق في ردها. ولا رجعة بعد انقضاء العُدَّة.

٥- أنَّ للزوجة حقّاً كما أنَّ عليها حقّاً؛ ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾، ومرجع هذه الحقوق بين الزوجين إلى المعروف وهو: العادة الجارية في ذلك البلد، وذلك الزمان، من مثلها لمثله.

٦- للرجال على النساء درجة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ ؛ وهي زيادة حقّ لقوامته عليها.

فائدة:

بيان حسن الاحتراز في كلام الله جلَّ في علاه؛ وأنَّه لا ينبغي الإطلاق في موضع يخشى فيه من التعميم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ أي: حقوق الرجال أكثر من حقوق النساء، ودرجة الرجال على النساء من وجوه متعدِّدة؛ فالدرجة التي فُضِّل بها الرجال على النساء في:

أ) **العقل**: فالرجل عقله أكمل من عقل المرأة؛ وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنّه قال: **"ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكنّ؛ قلن: وما نقصان العقل يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة الرجل بشهادة امرأتين؟ فذلك نقصان عقلها"**

ب) **الجسم**: فإنَّ الرجل أكمل من المرأة في الجسم؛ فهو أنشط من المرأة، وأقوى جسماً.

جـ) **الدين**: فإنَّ الرجل أكمل من المرأة في الدِّين؛ لأنّ الرسول ﷺ قال في المرأة: "إنها ناقصة في الدين"؛ وفسّر ذلك بأنّها إذا حاضت لم تصلّ، ولم تصم؛ ولهذا يجب على الرجُل من الواجبات الدينية ما لا يجب على المرأة، كالجهاد مثلاً.

د) **الولاية**: فقد فضَّل الله تعالى الرجُل على المرأة في الولاية؛ فإنّ الله تعالى جعل الرجُل قوَّاماً على المرأة، ولهذا لا يحل أن تتولّى المرأة ولاية عامة أبداً.

هـ) **الإنفاق**: فالزوج هو الذي ينفق على المرأة.

و) **الميراث، وعطيّة الأولاد**: فإنَّ للذكر مثل حظّ الأنثيين.

لطيفة:

ما أروع ما ختمت به الآية من التذكير بعزة الله وقدرته التي لا تُغلب، وبحكمته بوضع الشيء في موضعه المناسب له؛ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾.

الحكم الثاني من أحكام الطلاق:

عدد مرات الطلاق وما يترتب عليه من أحكام، ومشروعية الخلع:

الآيات: ٢٢٩- ٢٣٠

من قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

المفردات اللغوية:

الطلاق مرتان: أي التطليق الذي يراجع فيه، كالسلام بمعنى التسليم، ومرتان: دفعتان أو اثنتان. **فإمساك بمعروف**: أي فعليكم إمساكهن بعد المراجعة من غير إضرار، بل بإصلاح وحسن معاشرة. **أو تسريح بإحسان**: أي إيقاع الطلقة الثالثة بدون رجعة وأداء حقوقها المالية، دون أن يذكرها بعد المفارقة بسوء. **حدود الله**: أحكامه وشرائعه. **تعتدوها**: تتجاوزوها. **والاعتداء**: تجاوز الحد في قول أو فعل. **حتى تنكح**: تتزوج زوجاً غيره ويطأها. **فإن طلّقها**: الزوج الثاني. **فلا جناح عليهما**: أي الزوجة والزوج الأول أن يتراجعا إلى الزواج الجديد بعقد جديد بعد انقضاء العدة. **يعلمون**: يتدبرون. **فلا جناح عليهما فيما افتدت به**: أي لا إثم على الزوج في أخذ المال الذي افتدت به نفسها ليطلقها، ولا حرج أيضاً على الزوجة في بذله. **تلك**: الأحكام المذكورة. **الظالمون**: **الظلم**: وضع الشيء في غير موضعه.

المعنى الإجمالي:

هذه الآية مخصصة لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾؛ فهي واردة لبيان عدد الطلاق الذي يجوز فيه للرَّجل الرجعة، والعدد الذي لا رجعة فيه؛ والمعنى: إنَّ عدد الطلاق الذي تصح فيه الرجعة طلقتان فقط، وليس بعد المرتين إلَّا أحد الأمرين: الإمساك بالمعروف والمعاشرة الحسنة، أو تركها فلا يُراجعها، من غير إضرار بها. وهذا من حكمته سبحانه وتعالى ورحمته حيث حصر الطلاق بالثلاث بأنَّه لا رجعة بعد الثالثة حتى تنكح زوجاً غيره؛ لأنّهم كانوا في الجاهلية يُطلّق الإنسان زوجته عدّة طلقات؛ فإذا قاربت انتهاء العدة راجع، ثم طلّق، فتستأنف العدة؛ فإذا شارفت الانقضاء راجع، ثمّ طلّق...وهكذا؛ فتبقى المرأة معذّبة: لا مزوَّجة، ولا مطلقة؛ فتبقى معلّقة؛ فجعل الله الأمر في ثلاث طلّقات فقط.

ولا يحلُّ للزوج أن يأخذ شيئاً مِمَّا أعطاه للزوجة من مهرٍ أو غيره إذا طلَّقها، إلَّا في حالة واحدة؛ وهي: أن تخشى الزوجة ألَّا تقوم بحق الزوج؛ أو يخاف الزوج ألَّا يقوم بحق الزوجة؛ أو يخشى أهل الزوجين، أو القاضي، أو مَن له عِلمٌ بحالهما مِمَّن يمكنه الإصلاح: فله أن يتدخَّل، ويعرض الخلع، ففي مثل هذه الحالة لا إثم على الزوجين فيما بذلته فداءً لنفسها في مقابل فسخ النكاح بينهما.

وبيَّن تعالى أنَّ هذه الأحكام والشرائع شرَّعها سبحانه، فلا يحِلُّ تجاوزها بالمخالفة والإعراض، فلا يحلُّ تجاوز الحلال إلى الحرام، ولا تجاوز الإحسان إلى الإساءة، ولا المعروف إلى المنكر، وأوعد تعالى المخالفين الذين يعتدون على أحكام الشرع، ووصفهم بأنهم هم الظالمون لأنفسهم لتعديهم لحدود الله.

ثم شرعت الآيات ببيان حكم الطلاق الثالث الذي تصبح المرأة فيه بائناً بينونة كبرى؛ فلا تحِلُّ المطلَّقة بعد الثالثة للزوج المطلِّق حتى تتزوج من آخر زواجاً شرعيّاً صحيحاً يُقصد به الدوام والاستمرار، فإن طلقها الزوج الثاني، وانقضت عُدَّتها منه، فلا إثم على الزوج الأول، وزوجته المطلَّقة من الزوج الثاني أن يرجع أحدهما إلى الآخر بعقد جديد، إن ظنَّا أنَّهما يستطيعان أن يستأنفا حياتهما الزوجية في ظلِّ شريعة الله تعالى.

وذكَّرتهم الآية مرة ثانية بأنَّ هذه الأحكام هي الحدود التي شرعها الله تعالى ووضَّحها لهم إمَّا بكتابه المبين، وإمَّا بالسُّنَّة المطهَّرة، وما لا يوجد في الكتاب والسُّنَّة نصّاً بعينه، فيوجد بمعناه؛ وذلك بالقياس الصحيح، فيجب الوقوف عندها، والعمل بها، فالعلم لا يكون نافعاً إلا إذا عمل به.

أحكام من الآيات:

١- **الطلاق الرجعي مرتان:** وهو الطلاق الأول والثاني؛ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ﴾، وهذه الآية رافعة لما كان عليه الأمر في الجاهلية وأول الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلمّا كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهنَّ الله على ثلاث طلقات، وأباح الرجعة في المرتين، وأبانها كليّاً في الثالثة.

٢- تحذير الرجال من إلحاق الظلم بالنساء وهضم حقوقهنَّ أو أخذ شيء من أموالهن من مهر أو غيره؛ لأنَّ الله حرَّم ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾.

٣- مشروعية الخلع: وهو: افتداء المرأة نفسها من زوجها بعوض طلباً للطلاق. كما في قصة ثابت بن قيس وزوجته حبيبة، وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال:[أتردِّين عليه حديقته]؟ قالت: نعم، فدعاه فذكر له، قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت الآية: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾.

٤- أنَّ المخالعة ليست رجعيّة؛ بمعنى أنّ الفراق في الخلع فراق بائن فلا سبيل لإرجاعها إلّا بعقد جديد؛ لقوله تعالى: ﴿ فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ ؛ فإذا كان فداءً فالفداء فيه عوض عن شيء؛ وإذا استلم الفداء لا يمكن أن يرجع المفدي عنه ـ وهو الزوجة ـ إلّا بعقد جديد.

٥- حكم الطلقة الثالثة: البائن بينونة كبرى أو "المبتوتة": فلا تحلُّ لزوجها حتى تتزوج من آخر زواجاً شرعياً صحيحاً، ويُقصد به الدوام والاستمرار دون أن يُقصد به مجرد تحليل المرأة المطلَّقة لزوجها. لذا كان لا بد من العقد، والوطء؛ ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾.

٦- مشروعية رجوع الزوجة لزوجها بعقد جديد إن طلَّقها زوجها الثاني شرط إقامة الحقوق الزوجية وحسن المعاشرة؛ ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ... ﴾

تنبيه:

قسم الله الحدود قسمين: حدود الأمر: بالامتثال. حدود النهي: بالاجتناب.

فأما حدود الأمر بالامتثال، فهذه الآية: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي التي أمر بامتثالها.

وأما حدود النهي بالاجتناب، فقد وردت في سورة البقرة كذلك، عندما بيّن مفسدات الصوم في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ فلاحظ الفرق وتدبر.

من هداية الآيات:

١- بيان حكمة الله في تشريعه سبحانه وتعالى؛ إذ قال تعالى في الإمساك: ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ ؛ لأنه إذا ردَّها جبر قلبها بالرَّد؛ وقال تعالى في التسريح: ﴿ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ ؛ لأنه سيفارقها، فيحتاج إلى زيادة في معاملتها بالتي هي أحسن حتى ينضم إلى الفراق الإحسان _ والله أعلم _

٢- أنَّ للوسائل أحكام المقاصد؛ يؤخذ ذلك من جواز أخذ الإنسان من امرأته ما آتاها، أو بعضه إذا خيفت المفسدة في البقاء على الزوجية.

٣- اعتبار المفاسد، وسلوك الأهون لدفع الأشدّ؛ لأنّ الأخذ من مال الزوجة محرَّم بلا شك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ ؛ لكن إذا أريد به دفع ما هو أعظم من تضييع حدود الله صار ذلك جائزاً؛ ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾.

٤- عظم شأن النكاح، وما يتعلّق به؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ ؛ فبيَّن أنَّ هذا من حدوده سبحانه، ونهى عن تعدّيها.

٥- أنَّ التعدي لحدود الله ظلم عظيم؛ يؤخذ من حصر الظلم في تعدَّيها.

٦- عناية الله سبحانه وتعالى بعباده في بيان ما يجب عليهم في عبادتهم، وفي معاملة بعضهم لبعض حتى لا تحصل الفوضى المؤدية إلى النزاع.

٧- أنّه إذا لزم من فعل المباح شيء محرَّم صار الشيء المباح حراماً؛ لأنّ رجوع الزوجة حلال في الأصل؛ فإذا لم يظن الإنسان أنه يقوم بالحدود صار حراماً.

لطائف:

❖ يلاحظ في قوله تعالى: ﴿ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا ﴾ ولم يقل إن علما أنهما يقيمان؛ لأنَّ اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله ﷻ، ولكن إن غلب الظن على إقامة الحقوق جاز الرجوع.

❖ ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ ؛ لأنَّ العالِم هو الذي ينتفع بالعلم، ويعرف حدود الله ممّا أنزل على رسوله، ويتفقه بها.

الحكم الثالث من أحكام الطلاق:

واجب الرجل في معاملة المطلقة: الآية /٢٣١/

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ... ﴾.

المفردات اللغوية:

بلغن أجلهن: قال بعض العلماء: المراد قاربن بلوغ انقضاء عدتهن، والأجل يطلق على المدّة كلها وعلى آخرها، فيقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت: أجل. والمراد به هنا زمن العدّة. **فأمسكوهن**: أي ردّوهنَّ على عصمتكم بالمراجعة. **بمعروف**: من غير ضرر، والمعروف ما استحسنته النفوس شرعاً وعرفاً وعادةً. أو

سرحوهن: التسريح: ترك المراجعة حتى تنقضي العدة. **ضراراً**: أي بقصد الإضرار بهن. **لتعتدوا**: عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل العدّة؛ والاعتداء: الظلم. **ظلم نفسه**: بتعريضها لعذاب الله. **آيات الله**:أي الآيات الشرعية وهي هنا أحكام الطلاق والرجعة والخلع ونحوها. **هزواً**: مهزوءاً بها بالإعراض عنها والتهاون في الحفاظ عليها. **نعمة الله**: مفرد مضاف؛ والمفرد المضاف يدل على العموم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ ونعمة الله هنا عامة؛ أي سائر نعم الله. **وما أُنزل عليكم من الكتاب**: أي ما أنزل الله في القرآن من آيات أحكام الزوجية التي تحقق السعادة في الدارين. **والحكمة**: السّنة الشريفة، أو سر تشريع الأحكام وما فيها من منافع ومصالح. **يعظكم به**: يذكّركم به ترغيباً، وترهيباً.

المعنى الإجمالي:

وجّهت الآيات الخطاب للأزواج الذين يريدون تطليق زوجاتهم؛ تحذّرهم من الإضرار بهنَّ وظلمهنَّ، كما كان الحال في الجاهلية، فبيَّنت أنّه إذا انتهت الزوجة من عدَّتها؛ وذلك بطهرها من الحيضة الثالثة فعلى الزوج أن يردَّها إلى عصمته إذا شاء، أو يتركها بدون مراجعة، أمّا الإمساك بقصد المضايقة فهو اعتداء يأباه الشرع، وجلب الإثم والعقوبة على النفس، فينبغي التمسك بأحكام الله وشريعته والعمل بها، وعدم التهاون في امتثال أوامر الله تعالى، وإلا كنتم لاعبين هازئين بها، وفي هذا وعيد شديد لمن يتجاوز الحدود الشرعية.

ثم وجهت الآيات مجموعة أوامر أولها وجوب ذِكْر نعمة الله تعالى، والتي منها

الرحمة والمودَّة بين الزوجين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم: ٢١).

ثمّ أمر تعالى بذكر ما أنزل في القرآن والسُّنَّة النبوية من أحكامٍ وحِكَم، يتَّعظ به العبد، ويجتنب ما فيه مضرَّته إلى ما فيه مصلحته.

ثم أمر تعالى بوجوب التقوى، وما أكثر ما يأمر الله ﷻ بالتقوى؛ لأن بالتقوى صلاح القلوب، والأعمال. وأخيراً أمر تعالى بالعلم بأن الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من الأمور فاحذروا مخالفة أمره، ومجاوزة شرعه.

الأحكام المستنبطة من الآية:

أ) المراجعة المشروعة عند انتهاء العدة بالمعروف؛ أي: "المراجعة بدون إيذاء" أو إخلاء سبيل المرأة المطلقة بالمعروف، أي: "الخلو من إلحاق ضرر بها" لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ.. ﴾.

ب) تحريم المراجعة كلَّما قاربت عدة المرأة على الانتهاء بقصد الإضرار بها لما فيه من مخالفة أمر الله، وتجاوز لحدود شرعه ممّا يستوجب غضبه وعذابه، وأن الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان بمعروف واجب؛ لقوله تعالى:﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ... ﴾.

من هداية الآيات:

١- وجوب التمسك بأحكام الشريعة بجد، وقوة، والعلم بها، والعمل: فإنما شرعها الله سبحانه لصلاح الأسرة وسعادتها، ويحرم اتخاذها في طريق الهزو، فإنها جدٌّ كلها؛ ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾.

٢- وجوب المعاشرة بالمعروف حتى بعد الطلاق؛ لقوله تعالى﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾: لئلّا يؤذي الإنسان زوجته بالقول؛ أو بالفعل، أو بمنع الحقوق، أو ما أشبه ذلك.

٣- وجوب ذكر الله سبحانه وشكره على نعمه عموماً: باللسان: حمداً وثناءً، وبالقلب: اعترافاً وإقراراً، وبالأركان: عملاً وطاعة. ومن هذه النعم بيان الأحكام، وتبيان القرآن بالحكمة التي هي السنّة والأسرار التشريعية؛ قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾. **قال ابن سعدي رحمه الله**: المراد بالحكمة: أسرار الشريعة فالكتاب: فيه الحكم. والحكمة فيها: بيان حكمة الله في أوامره ونواهيه. ولهذا قال: ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾؛ أي: بما أنزل عليكم، وهذا مِمَّا يقوي أن المراد بالحكمة أسرار الشريعة؛ لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، والترغيب أو الترهيب، فالحكم به يزول الجهل. والحكمة مع الترغيب يوجب الرغبة، والحكمة مع الترهيب يوجب الرهبة.﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في جميع أموركم؛ ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ ﴾. فلهذا بيّن لكم هذه الأحكام التي هي جارية في المصالح في كل زمان ومكان. فله الحمد والمنّة ا.هـ

٤- تحذير المرء من المخالفة؛ لأنه إذا علم أن الله بكل شيء عليم حذر مخالفته؛ ولهذا أعقبها بعد الأمر بالتقوى؛ قال تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾

الحكم الرابع من أحكام الطلاق:

ولاية التزويج، ونهي الولي عن عضل المرأة:

الآية/٢٣٢/

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم...﴾

المفردات اللغوية:

فبلغن أجلهن: البلوغ: الانتهاء، والأجل هنا آخر مدّة العدّة، فهو على الحقيقة لا قربها، كما في الآية السابقة؛ لأن إمكان المراجعة لا يتأتى إلا في العدة، قال الشافعي: دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين. **فلا تعضلوهن**: الخطاب للأولياء، وقيل للأزواج، والأول أقرب؛ أي لا تمنعوهن من نكاح أزواجهن المطلقين لهن. **والعضل**: الحبس والتضييق. **إذا تراضوا**: أي الأزواج والنساء. **بالمعروف**: شرعاً. **ذلك**: المشار إليه ما سبق من الأحكام. **يوعظ به**: العظة: النصح والتذكير بالخير، وكان مقتضى الظاهر: أن يقال: "ذلكم يوعظ به"؛ لأنه يخاطب جماعة، وإنما قال: {ذلك يوعظ به} لكثرة تردده على ألسنة العرب في كلامها. **أزكى لكم وأطهر**: أفضل وأطيب، من الزكاء: وهو النماء والبركة والخير، ومن الطهر: وهو الطيب والنقاء. **والله يعلم**: ما في ذلك من المصلحة والزكاء والطهر. **وأنتم لا تعلمون**: ذلك، فاتبعوا أمره.

المعنى الإجمالي:

يخاطب الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة الأزواج والأولياء بأنَّ من حقِّ المرأة التي طلَّقها زوجها وبانت منه ثمَّ انقضت عدتها أن ترجع إلى حياتها الزوجية

السابقة، أو تنكح زوجاً آخر إن هي أرادت ذلك، فلا يجوز للزوج منعها من نكاح آخر إذا حصل التراضي بينها وبين الخاطب لها، ولم يكن هناك محظور شرعي، كما أنّه لا يجوز لوليّها أن يمنعها من العودة لزوجها السابق بعقد ومهر جديد إذا تمّ الاتّفاق ورضيت المرأة بالعودة.

روى البخاري وغيره عن معقل بن يسار ﷺ أنّه قال: زوَّجت أختاً لي من رجل، فطلَّقها، حتى إذا انقضت عدَّتها جاء يخطبها، فقلت له: زوَّجتك وأفرشتك وأكرمتك، فطلَّقتها ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾ ، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: فزوَّجها إيَّاه.

ثمَّ بيَّن تعالى أنَّ ذلك الذي تقدَّم من الأحكام التشريعيَّة، ينتفع به ويذَّكَّر أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، فهم الذين يتقبَّلونه، امتثالاً لأمر ربِّهم، فشأن المؤمن الطاعة والعظة، وأنَّ الاتّعاظ بأحكام الله تزكية للنفس.

وتنمية للإيمان، والأخلاق، والآداب، والله تبارك وتعالى يعلم ما فيه صلاح العبد وسعادته، والعبد قاصرٌ علمه، وعاجزٌ عن إدراك ما ينفعه بسبب تغلُّب الهوى وعدم العلم بالحقائق وأبعاد المستقبل.

احكام من الآية:

نهي وليّ المرأة، أو زوجها السابق عن عضلها: أي منعها حقّ الزواج إذا خطبها الكفء، وتراضت المرأة والخاطب لها، بشرط أن يكون رضاها للخاطب على وجه يقرُّه الشرع، أمَّا إذا كان لا يقرُّه الشرع لفسقه،

وانسلاخه من الدين فلوليِّها أن يمنعها؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾.

- أنّه لا يحلّ عقد النكاح قبل انقضاء العدّة للبائنة بينونة كبرى؛ لقوله تعالى: ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾.

دلَّت الآية على أنه لا يجوز النكاح بغير وليّ: بدليل سبب النزول في أخت "معقل بن يسّار"، فقد كانت ثيِّباً، ولو كان الأمر إليها دون وليّها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليّها "معقل"

من هداية الآية:

١- أن الإيمان مدعاة للاتعاظ؛ قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾؛ فشأن المؤمن الطاعة والعظة. وأمّا الذين لا يتعظون فهؤلاء إنما آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.

٢- أن الاتعاظ بالأحكام الشرعية تطهير للنفس من أرجاس المعاصي والآثام، وتطهير للقلوب من الأحقاد والأضغان، وحفظ للعرض والشرف، ومنع من الفسوق، والانحراف؛﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾.

٣- أن الإنسان كلّما كان أشدَّ تطبيقاً لأحكام الله كان ذلك أزكى له.

٤- التشريع الإلهي يحمي المصالح الاجتماعية العامة البعيدة الأمد التي لا ينتبه لها النّاس أحياناً بسبب قصور العقل البشري وعدم قدرته على الاستيعاب، والاطلاع على المستقبل.

٥- الإشارة إلى نقصان الإنسان في علمه؛ لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ فنفى عن الإنسان العلم ـ والمراد نفي كماله؛ لأن الإنسان له علم، لكن

لنقصان علمه نفى الله عنه العلم، فإذا كان الله يعلم، ونحن لا نعلم فإنّ مقتضى ذلك أن نسسلم غاية الاستسلام لأحكامه سبحانه وتعالى، وان لا نعارضها بعقولنا مهما كانت؛ ولهذا ينعى الله ﷻ على الكفار والمشركين عدم العقل؛ وكل ما خالف الشرع فليس بعقل.

ثالثاً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة:

الرضاعة وأحكامها: الآية /٢٣٣/

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ... ﴾.

توطئة:

اهتمَّت الشريعة الإسلامية بالأولاد، وخاصَّة الصغار منهم، فلهم حقوق لا ينبغي إهمالها في أثناء الخلافات الزوجية بين الآباء، وها هي الآيات تتحدَّث عن حقوق الأطفال في الرضاع، وما يتعلَّق بها من أحكام، في حال انفصال الزوجين ووقوع الطلاق.

المفردات اللغوية:

حولين كاملين: الحول: العام أو السنة. وكاملين: صفة مؤكدة. **المولود له**: هو الزوج. **رزقهن**: نفقتهن. **وكسوتهن**: ما يكسو به الإنسان بدنه. **بالمعروف**: بما تعارف الناس بينهم عليه. **وسعها**: طاقتها، وهي آخر درجات القدرة، وما بعدها العجز. والتكليف: الإلزام. **لا تضار والدة بولدها**: أي بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت. **ولا يضار مولود له بولده**: أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته.

وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف. **والمضارة**: تقتضي المشاركة أي مشاركة كل من الوالدين للآخر في الضرر. وهذا يدل على أن الإضرار بالآخر إضرار بنفسه، وينعكس أثر المضارة على الولد. **وعلى الوارث مثل ذلك**: قيل: على الولد في ماله للوالدة من الرزق (النفقة) والكسوة وعدم الإضرار بها مثل الذي على الأب للوالدة، إن كان له مال، أي أن نفقة إرضاعه تكون من ماله إن كان له مال، وإلا فهي على عصبته. وقال بعضهم: إن المراد بالوارث: هو وارث المولود عليه مثل ما على أبيه من النفقة، والكسوة، وهو الذي لو مات الصبي ورثه، فتؤخذ النفقة ممن يرث الطفل إذا لم يكن له مال. **فإن أرادا**: أي الوالدان. **فصالاً**: فطاماً قبل الحولين، وسمي بذلك؛ لأنه يفصل الولد من أمه، ويفصلها منه، فيكون مستقلاً في غذائه دونها. **عن تراض**: اتفاق بينهما. **وتشاور**: بينهما فيما يحقق مصلحة الصبي. والتشاور والمشاورة والمشورة: استخدام الرأي من المستشارين. **فلا جناح عليهما**: أي لا حرج على الأبوين. **أن تسترضعوا أولادكم**: تتخذوا مراضع غير الوالدات. **إذا سلَّمتم ما آتيتم**: أي أعطيتم ما اتفقتم عليه في العقد على الإرضاع. **بالمعروف**: بالجميل كطيب النفس، وحسن القضاء، وعدم المماطلة.

الأحكام المستنبطة من الآية الكريمة:

١- حق الأولاد في الرضاعة: خبر بمعنى الأمر يوجب على الأم الإرضاع، وأنَّ الرضاع التام حولان كاملان، ويجوز النقص عن الحولين؛ بشرط التشاور والتراضي؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾.

٢- وجوب النفقة على المولود له: من رزق، وكسوة، بالمعروف؛ فيرجع إلى العرف في نوع الرزق، وكميته، وكيفيته وكذلك الكسوة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

* واختلف الفقهاء في قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هل المعتبر في تقدير الرزق والكسوة حال الزوج، أو حال الزوجة؟

فقال بعض أهل العلم: المعتبر حال الزوجة؛ أي الكسوة الرزق الذي يصلح لمثلها؛ وعلى هذا فإذا كان الزوج فقيراً وهي غنية يُلزم بنفقة غني، وكسوة غني.

وذهب آخرون: إلى أن المعتبر حال الزوج، واستدل بقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾. [سورة الطلاق: آية/ ٧]

وقال بعض أهل العلم: بل نعمل بالآيتين جميعاً، فنقول: المعتبر حال الزوج، والزوجة جميعاً: إن كانا موسرين فنفقة الموسر؛ وإن كانا معسرين فنفقة المعسر؛ وإن كان أحدهما فقيرا، والآخر غنياً فنفقة المتوسط.

وقال الشيخ ابن عثيمين: والراجح أن المعتبر حال الزوج. – وهو مذهب الشافعي–

تحريم المضّارة بين الزوجين: بأن تمتنع الأم أن ترضع الولد، أو تطلب أجراً أكثر من مثلها إضراراً بأبيه أو يمنع الأب الأم من إرضاع طفلها إضراراً بها؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾.

٣- **وجوب النفقة للمولود على وارث الطفل**؛ إذا عُدِم الأب، وكان الطفل ليس له مال، فيكون عليه مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾.

٤- **جواز فطام الولد قبل الحولين**: باتفاق الوالدين ورضاهما؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

٥- **جواز اتخاذ الظئر؛ أي: (المرضع بالأجرة)**: إذا اتفق الآباء والأمهات على ذلك، ويجب حينئذ تسليم الأجرة إلى المرضعة الظئر؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

٦- **وجوب تنفيذ الأحكام السابقة في ظل تقوى الله**، وعدم التفريط في شيء منها؛ لأن الله بصير بعمل عباده. وفي هذا وعيد لمن خالف أمره؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

لطائف من الآية /٢٣٣/ :

- ❖ أن الأم أحق برضاع ولدها من الأجنبية لأنها أحنى عليه وأرق.
- ❖ أن الأم أحق بحضانة ولدها وإن فُطِم لحنوِّها وشفقتها، ما لم تُنْكح.
- ❖ أن مدة الرَّضاع المحرِّم حولان فقط، فإذا لم يقع الرَّضاع فيهما لا يُحرِّم.
- ❖ أقل مدة الحمل ستة أشهر.
- ❖ وجوب نفقة الولد على الوالد لضعفه وعجزه، لأن الله أوجب نفقة المطلقة على الوالد في زمن الرضاع لأجل الولد. ولذلك جاز للأب الأخذ من مال ولده رضي أم لم يرض، بخلاف الأم.

❖ قررت الشريعة قاعدة مهمّة في نظام التكافل الاجتماعي عندما أوجبت على الأقارب النفقة، فكما قررت للقريب الإرث في حال وفاة قريبه، أوجبت في مقابل ذلك النفقة عليه إذا كان محتاجاً إليها.

❖ حكمة الشريعة الإسلامية حيث حفظت حقوق جميع أفراد الأسرة، وخاصة الضعفاء فيها وهم الأطفال الرضع، بأسلوب متوازن ممّا يدل على كمالها وإنسانيتها، وأنها حقاً شريعة الحكيم العليم والبرّ الرحيم.

رابعاً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة:

عدة الوفاة وأحكامها: الآيات ٢٣٤ – ٢٣٥

من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

يتوفون: يموتون بأن يتوفاهم الله ويقبض أرواحهم. ويذرون: ويتركون. **أزواجاً**: يطلق الزوج على الذكر والأنثى. أربعة **أشهر وعشراً**: من الليالي. **فإذا بلغن أجلهن**: أي أتممن عدتهن وانتهت مدة تربصهن وانتظارهن. **فلا جناح عليكم**: أيها الأولياء. **فيما فعلن في أنفسهن**: من التزين والتعرض للخطاب. **بالمعروف**: شرعاً. خبير: عالم بباطن العمل وظاهره. **عرَّضتم**: لوحتم، والتعريض في الكلام: أن تفهم المخاطب المقصود الذي تريد بلفظ لم يوضع له صراحة، وإنما بالإشارة والتلويح، ويحتاج فهمه إلى قرينة، لبعده عن ذهن السامع، وبعبارة

موجزة: هو القول المفهم للمقصود، وليس بنص فيه. **خطبة النساء**: المتوفي عنهن أزواجهن، والخطبة: طلب الرجل المرأة للزواج بالوسائل المعروفة بين الناس. والتعريض بخطبة معتدة الوفاة في أثناء العدة: أن يقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك، ورب راغب فيك. **أو أكننتم في أنفسكم**: ما أخفيتم وأضمرتم في النفس من قصد النكاح، أو العزم عليه بعد انقضاء العدة. **علم الله أنكم ستذكرونهن**: تتكلمون فيهن معربين عن رغبتكم في نكاحهن، فأباح لكم التعريض. **ولكن لا تواعدوهن سراً**: أي لا تواعدوهن زواجاً فيما بينكم وبينهن. **قولاً معروفاً**: أي ما عرف شرعاً من التعريض، فالقول المعروف: مالا يُستحيا منه في المجاهرة كذكر حسن المعاشرة ورحابة الصدر للزوجات ونحو ذلك. **ولا تعزموا عقدة النكاح**: أي عَقْدِه، والعزم: التصميم على تنفيذه. **الكتاب**: أي المكتوب المفروض من العدة. **أجله**: أي منتهاه، وغايته؛ أي حتى يبلغ غايته حسب ما فرض الله تعالى. **ما في أنفسكم**: ما استقرَّ في أنفسكم مما تضمرونه من كل شيء. **غفور**: "الغفر" هو الستر مع الوقاية؛ والمراد ستر الذنب مع التجاوز عنه. **حليم**: بتأخير العقوبة عن مستحقها.

المعنى الإجمالي:

وكما شرَّعت الآيات عُدَّة للمطلقات، شرَّعت أيضاً عدّة للمُتوَّفى عنها زوجها، ولئلا يُتوهم أنها مثل عدّة الطلاق، فبيَّنت أنّ على المُتوفَّى عنها زوجها الانتظار أربعة أشهر وعشرة أيامٍ من وفاة الزوج؛ وهي مُدَّة الإحداد التي تمكث فيها المرأة في بيت الزوجيَّة دون زواج، أو تزيُّنٍ، أو خروج من البيت لغير عذرٍ شرعيّ، فإذا انقضت مدَّة العُدَّة جاز للمرأة أن تفعل كلَّ ما كان معروفاً من تجمُّل، وخروج من البيت، وغير ذلك.

ثمّ ذيّل تعالى الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ للتحذير من مخالفته؛ لأنه محيط بدقائق أعمالكم لا يخفى عليه شيء، ويعلم مَن يُحسن توجيه النساء نحو التزام حدود الشرع، أو يتساهل ويفرّط في حقوقه تعالى، وإن فرَّطتم وانحرفتم عن حدود الله وقعتم في الشقاء والعذاب.

ثـمَّ بـيَّن الله تعـالى أنّـه لا إثـم عـلى الرجـل في التلـويح برغبتـه في خطبـة النسـاء مُعتدّات الوفاة، من غير تصريح، أو إضمار نيَّة الزواج منهنّ؛ لأنّـه تعـالى يعلـم أنّـه يـشقُّ علـيكم كـتمان رغبـتكم في نكـاحهنّ فأبـاح لكـم التعـريض دون التـصريح، ولكن يحرُم المواعدة على الزواج في السرِّ، إلَّا إذا قلتم قولاً معروفاً شرعاً: وهـو مـا أبيح من التعريض، مثل: لوددتّ أنّه ييسَّر لي امرأة صالحة، أو إنَّك عليَّ كريمة.

ثمَّ حذَّر الله تعـالى من إبرام عقد النكاح قبل انتهاء العُدَّة، فهو في هذه الحالة عقد باطل شرعاً. كما حذَّر من مخالفته بإضمار العزم على فعل ما لا يجوز، فإذا أضـمرتم ما لا يرضاه فإنّ لكم باباً واسعاً ـ وهو المغفرة؛ فتعرَّضوا لمغفرته وتوبوا إليه؛ فهـو سبحانه يغفر للتائبين، ولا يعاجل المذنبين بالعقوبة.

احكام من الآيات:

١- وجوب الإحداد على الأزواج، لإظهار الأسف على فقد الزوج ولاستبراء الرحم من الحمل؛ لقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾

٢- وجوب العدّة على النساء وهي أربعة أشهر وعشرا؛ لقوله تعالى: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ وتلزم العدّة المتوفى عنها زوجها سواءً كان مدخولاً بها أو لا، شملت الآية الصغيرة والكبيرة والآيسة، والتي

حاضت، والتي لم تحض، والمستحاضة، والمسلمة، والكتابية (دخل بها أو لم يُدخل بها) والحرة، والأمة، (إلا أن عدَّتها على النصف من الحرة، شهران وخمسة أيام).

٣- خُصَّ من عموم الآية، الحامل المتوفى عنها زوجها، فإن عدّتها بوضع الحمل؛لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ ، وكذلك الحامل المطلقة عدتها تنتهي بوضع حملها، ولو بعد الوفاة بساعة.

٤- مدة الحداد على القريب ثلاثة أيام فقط خلافاً للأعراف الفاسدة السائدة اليوم.

٥- استدل بالآية على أنه يجب على أولياء النساء وأولي الأمر منعهنّ ممّا لا يجوز فِعْلُهُ فترة الإحداد، وأنهم آثمون ومؤاخذون على خروج النساء وفِعلهنّ غير المعروف شرعاً؛ لأن ذلك يُضعف الأمة، ويهدم الأخلاق؛ فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

٦- جواز التعريض بالخطبة، أو إضمار الرغبة بالزواج في النفس لمعتدّة الوفاة إذا انقضت عدتها تمهيداً للمشاورة والتفكير بالموافقة على مبدأ الزواج الجديد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ وذلك ويُستثنى منها التعريض لخطبة الرجعية؛ لأنها كالزوجة.

٧- يُحرَّم التصريح بالخطبة للمعتدة أيّاً كانت عدتها، من وفاة، أو مطلقة طلاقاً بائناً؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾.

٨- تحريم إبرام عقد الزواج على أيّة معتدة في العدة حتى تنقضي عدتها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾؛ ويفسخ الحاكم نكاح من عقد على المعتدّة في عدتها، ويعتبر النكاح فاسداً لنهي الله عنه.

٩- التحذير من تجاوز حدود الله، ووجوب إصلاح النوايا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾.

لطيفة:

لّما أذِن الله في أول الآية بالتعريض بالخطبة ثم نهى عن المسارَرَة دفعاً للريبة والغيبة، استثنى أن يساررها بالقول المعروف، وذلك أن يَعِدَها بالإحسان إليها، والاهتمام بشأنها، والتكفل بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكّداً لذلك التعريض؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

خامساً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة:

حكم المطلقة قبل الدخول ولم يُسَمَّ لها مهر، ووجوب متعتها. وحكم المطلقة قبل الدخول بعد

تسمية المهر: الآيات:٢٣٦- ٢٣٧

من قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

المناسبة:

مرّ معنا أن الطلاق أمر مكروه، وما شرع إلا للضرورة، وأن الأصل فيه الحظر،

لحرص الشريعة الإسلامية على سلامة الأسرة واستمرارها، لكنّ هذا الحظر يزول إذا لم يكتمل بناء الأسرة، وكانت لا تزال في أول مراحل نشوئها.

قال القرطبي رحمه الله: لمّا نهى رسول الله ﷺ عن التزوج لمعنى التذوق وقضاء الشهوة، وأمر بالتزوج لطلب العصمة والتماس ثواب الله، وقصد دوام الصحبة، وقع في نفوس المؤمنين أن من طلّق قبل البناء قد واقع جزءاً من المكروه، فنزلت الآية رافعة الجناح في ذلك، إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن، **لذا**: ابتدأت الآية بقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾.

المفردات اللغوية:

لا جناح: لا إثم ولا تبعة عليكم، والمراد لاشيء عليكم. **تمسُّوهن**: تجامعوهن. **أو تفرضوا**: أي ولم تفرضوا لهن فرضاً أي مقدار توجبه على أنفسكم وهو المهر، أي لا تبعة ولا مسؤولية عليكم بإثم ولا مهر في الطلاق زمن عدم المسيس وعدم فرض المهر. **ومتعوهن**: أي فإذا طلقتموهن فأعطوهنَّ ما يتمتَّعن به. **على الموسع**: الغني منكم. **المقتر**: الفقير. **قدره**: أي على الغني ما يناسب حاله؛ وعلى الفقير ما يناسب حاله. **متاعاً**: أي متعوهن تمتيعاً. **بالمعروف**: أي بما يقتضيه العرف، وهو ما يتعارفه الناس ويليق بهم بحسب اختلاف أصنافهم ومعايشهم وبيئاتهم. **حقاً**: أي أحقَّ ذلك حقاً ثابتاً واجباً. **المحسنين**: فاعلي الإحسان، الذين يحسنون في معاملة المطلقات. **وقد فرضتم لهن فريضة**: قدَّرتم لهنّ مهراً. **فنصف ما فرضتم**: أي فعليكم النصف مما فرضتموه لهنّ. **إلا أن يعفون**: لكن إذا ترك الزوجات المطلقات حقهن. **أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح**: قيل: المراد به الزوج؛ وقيل: وليّ المرأة؛ والصواب الأول؛ لأن الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح؛ ولأن ولي

المرأة قد لا يملك إسقاط شيء من مهرها. **ولا تنسوا الفضل بينكم**: أي لا تتركوا الفضل بينكم أن يتفضل بعضكم على بعض، والفضل: التسامح، والعفو.

المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى عباده المؤمنين أنَّه لا مُؤاخذة ولا حرج عليهم بتطليق النساء قبل المسيس، وفرض المهر؛ لأنه قد يبدو للرجل أمر بعد العقد يحمله على التراجع عنه، وإن كان في ذلك كسر لها، فإنَّه ينجبر بالمتعة، لذا فالواجب في مثل هذه الحالة أن تعطوهنَّ شيئاً من المال جبراً لخواطرهنَّ، وتقدَّر المتعة على حسب حال المُطلِّق: على مَن له سَعَة فعليه قدره، وإن كان معسراً فعليه قدره، وجعل الله هذه المتعة حقّاً واجباً على الذين يحسنون إلى النساء المطلَّقات.

وأمَّا المطلَّقات قبل الدخول، اللواتي ذُكرت مهورهنَّ، فلكلّ واحدة نصف مهرها المسمَّى، وهذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو المطلَّقة عن نصفها لزوجها، أو يترك الزوج حقَّه في النصف الثاني من المهر فيعطيها المهر كاملاً، ثمَّ رغَّب تعالى وحثَّ على العفو؛ رفعاً لِهِمَمِهم إلى المستوى الرفيع، فمن عفا منهما كان أقرب للتقوى، وإن كان العفو من الزوج أولى؛ لأنَّ الطلاق كان منه ولو كانت هي سببه لكان عفوها هي أولى.

ولكي تبقى العلاقة في المجتمع قائمة على الإحسان ومكارم الأخلاق نهى سبحانه عن نسيان المودَّة والفضل بين الزوجين، فلا يبقى في القلوب نتيجة ما حدث من فرقة وطلاق أحقاد وضغائن، والله بصير بما تعملون من خير وشرّ، فيجازي المحسنين على إحسانهم، وأصحاب الفضل على فضلهم.

احكام من الآيات:

ذكر الله تعالى في الآيات حكم حالتين من الطلاق:

١- مطلقة قبل الدخول وقبل تسمية المهر فجُعِل لها المتعة، وليس لهذه المتعة بمقتضى القرآن والسنة حدّ معروف في قليلها ولا كثيرها، بل يرجع إلى العُرف ويختلف باختلاف الأحوال؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾.

ب) مطلقة قبل الدخول وبعد تسمية المهر، فجُعل لها نصف الصداق، إلّا أن تعفو عن صداقها، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾.

لطيفة:

قيل إنَّ الحكمة في المتعة وإيجاب نصف المهر قبل الدخول: جبر وحشة الطلاق، والتعويض عمّا لحق المرأة من أذى وسوء سمعة، فيكون ذلك سبيلاً لرفع معنويات المرأة، ودفع الشبهات والريبة عنها.

مسألة: من الذي بيده عقدة النكاح أهو الزوج أم وليّ المرأة ؟؟

اختلف المفسرون على قولين: فقالت جماعة هو الزوج مستدلين بأثر ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: [وليّ عقدة النكاح الزوج] وهو ضعيف جداً، والصواب أن الحديث موقوف على علي وابن عباس وغيرهما، وبهذا القول قال جمع من الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم، واختاره أبو حنيفة، وهو الصحيح من قول

الشافعي، كلهم لا يرى سبيلاً للوليِّ على شيء من صداقها. وهذا القول رجحه الشيخ ابن سعدي رحمه الله، وابن عثيمين، والألوسي، والشوكاني في فتح القدير بعد كلام لطيف حول مفهوم الآية.

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما {العفو} في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ أي ترك الزوج تكرُّماً ما يعود إليه من نصف المهر الذي ساقه كاملاً على ما هو المعتاد فيتركه لها ولا يسترده. فإن قيل: كيف يكون الزوج عافياً وهو الباذل؟ فالجواب أن هذا مبني على الغالب؛ وهو أن الزوج قد سلّم المهر؛ فإذا طلقها قبل الدخول صار له عند المرأة نصف المهر؛ فإذا عفا عن مطالبتها به صار أقرب للتقوى.

وقالت جماعة أخرى: أنه الوليّ بأدلة اجتهادية استنبطوها من مفهوم الآية، وبه قال مالك والشافعي في القديم واختاره ابن العربي. والله أعلم.

والخلاصة: بناء على ما قد درسناه في آيات الطلاق يتبين لنا أن المطلقات أربع:

أ) **الأولى**: مطلقة مدخول بها مفروض لها: وقد ذكر الله حكمها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ **الآية / ٢٢٩/** لها المهر كاملاً، وعدتها ثلاثة قروء.

ب) **الثانية**: مطلقة غير مدخول بها ولا مفروض لها: وقد ذكر الله حكمها في هذه الآية: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾**.الآية/ ٢٣٦/** فهذه لا مهر لها، ولها المتعة وجوباً، ولا عدة عليها، كما بين ذلك سبحانه في سورة الأحزاب:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

ج) الثالثة: مطلقة غير مدخول بها مفروض لها: ذكر الله حكمها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ فهذه لها نصف صداقها، ولا عدة عليها.

د) الرابعة: مطلقة مدخول بها غير مفروض لها: ذكر الله حكمها في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (النساء: من الآية٢٤)_أي مهورهنّ _ فهذه لها مهر مثلها إن لم يُسمّ، وعليها عدة.

وعلى هذا تكون المطلقات أربع على النحو التالي:

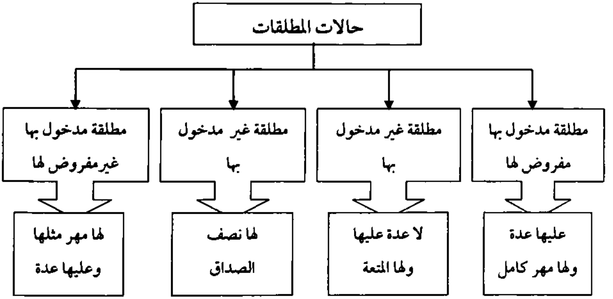

مسائل:

أ) إذا مات الزوج قبل أن يفرض لها، فقال مالك: يكون حكمها حكم المطلقة لها الميراث دون الصداق. وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد: لا يكون لها حكم المطلقة، فيجب لها الصداق والميراث. وحجتهم أن النبي ﷺ قضى في بَرْوع بنت واشق– وقد مات زوجها قبل أن يفرض لها –بالمهر، والميراث، والعدة.

ب) في قوله تعالى: ﴿ تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ ﴾؛ الخطاب فيه للأزواج كما رجحه جمع من العلماء، وقيل هو عام في حق الرجال والنساء جميعاً وغُلِّب الذَّكر لشرفه فيكون المعنى: – أقرب الزوجين للتقوى الذي يعفو؛ لكونه إحساناً موجباً لشرح الصدر فتبقى العلاقة في المجتمع قائمة على الإحسان ومكارم الأخلاق، ولا يبقى نتيجة ما حدث من فرقة وطلاق أحقاد وضغائن.

لطيفة:

ختمت الآيات بتذكير المؤمنين باطلاع الله على كل ما يعامل به الأزواج بعضهم بعضاً، وترغيباً في الإحسان والفضل، وترهيباً من المخاشنة والجهل؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾.

سادساً: الآيات: ٢٣٨- ٢٣٩

الصلاة، والأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة:

قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗا.......كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ .

المناسبة:

لمّا كان الإنسان بحاجة إلى مذكِّر عملي يصله بالله، ليترفع عن البغي والعدوان، ويميل إلى العدل والإحسان في معاملة الأسرة، ولا سيما بعد الطلاق الذي يولِّد الشحناء والبغضاء كان ذلك المذكِّر هو الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر،

وتدعو إلى الإحسان والتسامح، وتنفي الجزع وتنسي هموم الدنيا. فتربي النفس الإنسانية على أفضل سلوك، وأقوم طريق، وتجعل الفرد يقف عند حدود الله.

وتوسطت آيات المحافظة على الصلاة آيات أحكام الأسرة لحكم منها: أن المتدبر لآيات الطلاق يلاحظ أنها دأبت على تقوية الرقابة الوجدانية وتقوية الوازع الديني في نفوس المسلمين، فقد ختمت أكثر الآيات بتذكير الإنسان برقابة الله تعالى عليه وأنه مجازيه بعمله: كقوله تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾. وقوله تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ** ﴾. وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (٢٣٧) ﴾

المفردات اللغوية:

حافظوا على الصلوات: داوموا على الصلوات الخمس بإتقان وأداء في أوقاتها وإتمام أركانها وشروطها مع خشوع القلب، دون تضييع ولا عجلة ولا تأجيل.
الصلاة الوسطى: من الوسط: وهو العدل والخيار، والوسطى: الفضلى، ويحتمل أنها وسط أو متوسطة في العدد؛ لأنها منوسطة بين صلاتين قبلها وصلاتين بعدها، وقيل: إنها وسط من الوقت. والراجح من الأقوال: أنها صلاة العصر؛ لما رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن علي مرفوعاً يوم الأحزاب: **"شغلونا عن الصلاة الوسطى ـ صلاة العصر"**. **وقوموا لله قانتين**: ذاكرين الله تعالى في القيام، مداومين على الضراعة والخشوع، وقيل: هو دوام العبادة، والطاعة، لما رواه أحمد: **"كل قنوت في القرآن فهو طاعة"** وقيل: ساكتين، لما رواه الشيخان عن زيد بن أرقم: **"كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت، فأمرنا بالسكوت"**، وهذا الذي يتعيَّن هنا، بدليل سبب نزول الآية. **فإن خفتم**: حصول مكروه بالمحافظة على ما ذُكِر بأن

أخافكم عدو أو سيل أو سبع. **فرجالاً**: أي على الأرجل؛ جمع راجل، أي صلوُّا مشاة. **أو ركباناً**: جمع راكب. **فإذا أمنتم**: أي زال الخوف عنكم. **فاذكروا الله**: أي أقيموا الصلاة؛ وسمّاها ذكراً؛ لأنها هي ذكر، ومشتملة على ذكر.

المعنى الإجمالي:

يأمر تعالى المؤمنين بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى صلاة العصر خصوصاً، وأن يقوموا له سبحانه خاشعين مخلصين كاملي الاستسلام له تعالى، فإن حصل خوف مكروه من عدوٍّ أو غيره، كحريق، أو سَيل، فليصلُّوا ماشين على أرجلهم، أو راكبين على الدَّوابِّ وسائر المركوبات، فإن زالت أسباب الخوف فليصلُّوا صلاة كاملة مثلما شرع الله تعالى لهم وعلَّمهم ما لم يكونوا تعلمون.

أحكام من الآيات:

١- وجوب المحافظة على الصلوات في أوقاتها بجميع شروطها وأركانها، وخشوعها، وجميع ما لها من واجب ومستحب لفضلهن، وتخصيص الفضلى منهن بزيادة محافظة؛ تشريفاً لها–وهي صلاة العصر– عند جمهور العلماء؛ قال الله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ .

٢- تحريم الكلام في الصلاة وأنه يُبطلها للحديث الشريف الذي رواه زيد بن أرقم قال: كنّا نتكلم في الصلاة، يُكلّم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ أي: ساكتين، فأُمِرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

٣- أجمعت الأمة على أن القيام في صلاة الفرض واجب على كل صحيح قادر عليه منفرداً، كان أو إماماً. أمّا صلاة النافلة فقد دلّت السُّنّة على جواز القعود فيها.

٤- جواز الحركة الكثيرة في صلاة الخائف؛ لأن الراجل - وهو الماشي - يتحرك حركة كثيرة.

٥- جواز الصلاة على الراحلة في حال الخوف.

٦- لا تسقط الصلاة بحال ولا يجوز تركها لأي عذر، ولو في حال اللقاء مع العدو، أو في وسط المعارك الحربية، أو في شدة المرض، إذ شرع الإسلام أداءها بكيفية تتناسب مع كل الأحوال ، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾.

لطائف من الآيات:

❖ فيها إشارة إلى عظم أمر الصلاة وعدم الانشغال عنها بالبيوت والنساء والمتاع. ففي الآية التفات بالخطاب إلى عامّة المؤمنين، تأمرهم بالمحافظة على الصلوات المفروضة، وتأمرهم أن يؤدُّوها على قدر استطاعتهم، مهما كانت الظروف التي يمرّون بها.

❖ في الآية الكريمة وصفة ربانيّة لعلاج المتاعب النفسية التي تواجه الإنسان في حياته الأسرية مع زوجه وأولاده، ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى الرجل أن يأمر أهله بالصلاة؛ فقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾.

❖ حث الرسول ﷺ في عدد من الأحاديث على أداء السنن، لعمارتها بذكر الله، واستنزال الرحمات الإلهية فيها، فهي تُشيع في البيت جو الألفة والمودة، وتُبعد عنه الأجواء المشحونة بالتوتر والبغضاء.

❖ في الآية الكريمة إشارة إلى إنعام الله تعالى علينا بالعلم؛ فلولا هدايته وتعليمه إيَّانا لم نعلم شيئاً ولم نصل إلى معرفة شيء، فله الحمد على ذلك.

❖ وفيها إشارة إلى فضيلة العلم، وأن على من علّمه الله ما لم يكن يعلم، الإكثار من ذكر الله.

❖ وفيها الإشعار أيضاً بأن الإكثار من ذكره سبباً لتعلُّم علوم أخرى لأن الشكر مقروناً بالذكر؛ قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

سابعاً: عود على ما سلف من الأحكام التشريعية للمتوفى عنها زوجها، ومتعة كل مطلقة: الآيات: ٢٤٠- ٢٤٢

من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم... ﴾.
إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

ويذرون: يتركون زوجات بعد موتهم. **وصية لأزواجهم**: أي عهداً لأزواجهم؛ ولا تكون الوصية إلا في الأمر الذي له شأن، وبه اهتمام. **متاعاً إلى الحول**: أي ليعطوهن ما يتمتعن به من النفقة والكسوة إلى تمام الحول من موت الزوج. أو جعل الله لهن ذلك متاعاً مدة الحول. **غير إخراج**: أي غير مخرجات من مسكنهن، أي لهن ذلك المتاع، وهن مقيمات في البيت غير مخرجات منه، ولا ممنوعات من السكنى فيه. **فإن خرجن**: خرج الزوجات قبل الحول. **في ما فعلن في أنفسهن من معروف**: مما يعرفه الشرع، ولا ينكره.

المعنى الإجمالي:

وبعد هذه الالتفاتة السريعة إلى الصلاة وأهميَّتها، رجعت الآيات الكريمة إلى موضوع الطلاق، لتتوّج خاتمته بآيتين كريمتين، تُظهر الأولى منهما فضل الله تعالى بتيسير أحكام هذه الشريعة وتخفيفها، حيث كانت عُدَّة الوفاة سنة كاملة، فخفَّف الله تعالى عُدَّتها إلى أربعة أشهر وعشرة أيام كما مرَّ معنا، وبيَّن هنا في هذه الآية أنَّ للزوج أن يوصي لزوجته أن تبقى في بيتها سنة كاملة، وأنَّ على أهل الميِّت أن يُبقوا زوجة ميِّتهم عندهم حولاً كاملاً إن هي رغبت في ذلك، جبراً لخاطرها، وبرّاً بميِّتهم، فإن أحبَّت الخروج فلا حرج عليها، ولا إثم على أهل الميِّت، ما دام ذلك لا يتنافى مع الشرع، وختم الآية بهذين الاسمين العظيمين: {عزيز، حكيم}؛ الدَّالين على كمال العزّة، وكمال الحكمة؛ لأنّ هذه أحكام صدرت عن عزّته، ودلَّت على كمال حكمته؛ والله ذو عزّة لا يُغالب ويعاقب مَن خالفه، حكيم في كل أمر يراعي مصالح عباده.

ولَمَّا بيَّن الله تعالى في الآية السابقة إمتاع المفارقه بالموت، بيَّن هنا، بقوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾؛ أنَّ لكلِّ مطلَّقة على زوجها أن يُعطيها ما تتمتَّع به حسب حاله، وهذا حقّ على المتقين الذين يخافون الله ويرهبون عقابه، ومثل ذلك البيان السابق يبيِّن الله لكم سائر الأحكام بآياته المحكمة عسى أن تقودكم إلى التعقُّل والتدبُّر فيها، وفي الحكمة الكامنة وراءها، وفي الرحمة المتمثِّلة في ثناياها، وفي النعمة التي تتجلَّى فيها، نعمة التيسير والسماحة مع الحسم والصرامة، ولو تعقَّل الناس هذا المنهج الإلهي لكان له معهم شأن، شأن الطاعة والاستسلام والرضى والقبول.

أحكام من الآيات:

١- **وصيَّة الحول للمتوفَّى عنها زوجها: قال ابن سعدي رحمه الله:** اشتهر عند كثير من المفسرين أن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾ نسختها الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾، وأنَّ الأمر كان على الزوجة أن تتربص حولاً كاملاً، ثم نسخ بأربعة أشهر وعشرا، ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة أن ذلك تقدم في الوضع لا في النزول؛ لأن شرط الناسخ أن يتأخر عن النزول، وهذا القول لا دليل عليه. **والصواب**: أن الآية الأولى في وجوب تربص أربعة أشهر وعشرا على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصيّة لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميِّتهم عندهم حولاً كاملاً جبراً لخاطرها، وبرّاً بميِّتهم إن رغبت في ذلك، وإن أحبت الخروج فلا حرج عليها؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾.

متعة المطلقات:

دلت الآيات أن المتعة شُرعت لكل مطلقة مدخولا بها، أو غير مدخول بها، وهذا حق على المتقين؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾.

مسألة:

هل الأمر بالمتعة على سبيل الوجوب أو الندب ؟؟

أ) مستحب عند الجمهور للمطلقة المدخول بها.

ب) واجب عند الجمهور للمطلقة قبل الدخول بها التي لم يُسَمَّ لها مهر.

ومن العلماء من أوجب المتعة لكل مطلقة استدلالاً بقوله تعالى:﴿ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾ فقالوا: هذه الآية أثبتت المتعة لكل مطلقة سواء أكانت مدخولاً بها أم لم تكن مدخولاً بها، فيكون الله تعالى قد ذكر أولاً المتعة، وأثبتها أو أوجبها لمن طلّقت قبل الدخول وعمّم هنا المتعة لكل مطلقة.

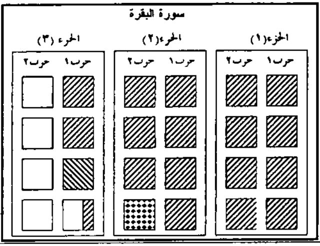

الجزء/الثاني/الحزب/الثاني/ الربع الرابع/ الآيات: ٢٤٣ – ٢٥٣

المعنى الأول: الآيات: ٢٤٣ – ٢٤٥

أولا: قصة الملأ الذين فرّوا من الموت: الآية /٢٤٣/

قوله تعالى. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾

ثانيا: الحث على الجهاد والإنفاق في سبيل الله: الآيات: ٢٤٤ – ٢٤٥

قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾

المعنى الثاني: الآيات: ٢٤٦ –٢٥٣

أولاً: قصة الملأ من بني إسرائيل مع نبي الله طالوت وقد تضمنت الآيات الكريمات المعاني الآتية

١– توطئة لقصة طالوت وجالوت وداود الآية:/٢٤٦/قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

٢– تعيين طالوت ملكاً لبني إسرائيل وأسباب تعيينه،واثبات ملكه بآية حسية الآيات:٢٤٧–٢٤٨

قوله تعالى.﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾وقوله:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾

٣– الاختبار: الآية: /٢٤٩/ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾

٤– المعركة: الآيات: ٢٥٠ – ٢٥١

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾

ثانياً: إثبات نبوة رسول الله ﷺ لأن الآيات المتقدم ذكرها لا يعلمها إلا نبي مرسل الآية. /٢٥٢/

من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ.... ﴾

ثالثاً: التفاضل بين الرسل وسبب النزاع بين الناس وهي الآية الأولى من الجزء الثالث حسب القرآن

الآية:/٢٥٣/ من قوله تعالى. ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

الجزء الثاني - الحزب الثاني - الربع الرابع

حسب القرآن: الآيات: ٢٤٣ - ٢٥٢

من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٢٤٣ - ٢٥٣

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.. ﴾

وجه الربط:

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أحكام الأسرة لتنظيم العلاقة بين أفرادها، وبنائها على دعائم وطيدة، ثم ذكر بعدها أحكام الجهاد للدفاع عن الأمّة، وصون مقدّساتها والدفاع عن عقيدتها، إذ لا صلاح للأسرة إلا بصلاح المجتمع، وللجمع بين الحفاظ على المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، فيتحقق التوازن والتعادل بين ما يحفظ الجماعة وما يحفظ الفرد والأسرة.

المعاني الرئيسة:

تضمّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: الآيات: ٢٤٣ - ٢٤٥

من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾.

وقد تضمَّن هذا المقطع المعاني التالية:

اولا: قصَّة الملأ الذين فرُّوا من الموت: الآية: /٢٤٣/

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ... ﴾.

المفردات اللغوية:

ألم تر: استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، ﴿ أَلَمْ ﴾ استفهام يُراد به التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده، و ﴿ تَرَ ﴾ هل المراد تنظر؛ أو تسمع؛ أو تعلم؟ الفعل هنا عُدِّيَ بـ ﴿ إِلَى ﴾ ؛ وإذا عدِّي بـ"إلى" تعيَّن أن يكون من رؤية العين؛ ولو عدِّي بنفسه لأمكن أن يكون المراد بالرؤية العلم؛ وهي هنا بمعنى النظر؛ لأن الإخبار بها جاء من عند الله؛ وما كان من عند الله فهو كالمرئي بالعين؛ بل أشد، وأبلغ، والاستفهام الداخل هنا على النفي يراد به التقرير. **ألوف**: جمع كثرة، والقلة: آلاف، ومعناه كثرة كاثرة وألوف مؤلفة.

المعنى الإجمالي:

قصة الملأ تتحدث عن جماعة من بني إسرائيل. **قيل**: حلّ الوباء بديارهم فخرجوا منها فراراً من قدر الله؛ فأراد الله أن يريهم أن لا مفرَّ منه إلا إليه فأماتهم الله، فمرّ بهم نبي فدعا الله تعالى لهم فأحياهم، وهؤلاء أخذوا بظاهر الآية؛ قالوا: لأنَّ قوله تعالى:﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ يبيِّن أنه نزل في أرضهم وباء، فخرجوا من ديارهم خوفاً منه. **وقيل**: خرجوا من ديارهم خوف الموت في القتل بالجهاد، وجبناً عن لقاء عدوهم، فأماتهم الله ليعرفوا أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم

أحياهم وأمرهم بالجهاد؛ قالوا: ويؤيد هذا؛ أنَّ الله ذكر بعدها الأمر بالقتال بقوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

قال ابن سعدي رحمه الله: وعلى الاحتمالين فإن فيها ترغيباً في الجهاد وترهيباً من التقاعد عنه وأن ذلك لا يغني عن الموت شيئاً.

والآية الكريمة تقرِّر بأسلوب الاستفهام التعجُّبيّ ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ؛ أي: ألم يصل إلى علمك حال هؤلاء الذين خرجوا من بيوتهم، وأحيائهم، وهم قوم كثيرون خرجوا خوفاً من الموت، فأراد الله تعالى أن يريهم أنّه لا مفرَّ منه إلَّا إليه، فقال لهم موتوا، فماتوا، ثمَّ إنَّه سبحانه أحياهم بعد مدّة؛ ليَرَوا هم وكلّ من خلف من بعدهم أنَّ الإماتة إنّما هي بيد الله تعالى، فلا معنى لخوف خائف، ولا لاغترار مغترّ، وأنَّ الله تعالى صاحب العطاء والتفضّل على الناس فيما يريهم من الآيات الباهرات، والحجج القاطعة، ومع هذا كله، فإنّ أكثر الناس لا يؤدّون شكر ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم في دينهم ودنياهم.

من هداية الآيات:

١- الأعمال والأقدار والبلايا والأمراض بيد الله سبحانه وتعالى والإيمان بذلك واجب، ولن يغني في الواقع حذر من قدر ولكن جاز للإنسان اتخاذ أسباب الوقاية من المكاره، والحذر من المهالك، فإذا نزلت المصيبة فعليه الصبر وترك الجزع.

٢- إذا دخل الوباء بلداً فلا يخرج منه أحدٌ فراراً ولا يدخله أحد. وأجاز العلماء الخروج من بلد الوباء على غير سبيل الفرار منه، إذا اعتقد أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وكذلك الدخول.

لطائف:

❖ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذه الكلمة قد تُذْكر لمن تقدَّم علمه، فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم بما يأتي، وقد تُذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهرت في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب بأن شُبِّه حال من لم ير الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه، وأنه ينبغي أن يتعجب منه، ثم أجرى الكلام معه كما يجري مع من رأى، قصداً إلى المبالغة في شهرته.

❖ اختار الله سبحانه وتعالى في تنزيله بعض الوقائع التي أحدثها الله كإنعام المطيعين وتعذيب العصاة، وما قرع سمعهم وذكر لهم إجمالاً مثل قصص قوم نوح، وعاد، وثمود، وكانت العرب تلقاها أباً عن جَدّ، ومثل قصص إبراهيم وأنبياء بني إسرائيل فإنها كانت مألوفة لأسماعهم لمخالطة اليهود العرب في قرون كثيرة، وانتزع من القصص المشهورة جملاً تنفع في تذكيرهم ولم يسرد القصص بتمامها مع جميع خصوصياتها، والحكمة من ذلك أن العوام إذا سمعوا القصص النادرة غاية الندرة أو استقصى بين أيديهم ذكر الخصوصيات، يميلون إلى القصص نفسها ويفوتهم التذكر الذي هو الغرض الأصلي فيها ونظير هذا الكلام ما قاله بعض العلماء: إن النّاس لما حفظوا قواعد التجويد شغلوا عن الخشوع في التلاوة.

ثانيا: الحثُّ على الجهاد والإنفاق في سبيله: الآيات: ٢٤٤- ٢٤٥

قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾

المفردات اللغوية:

يقرض الله قرضاً حسناً: "القرض" في اللغة القطع؛ أي ينفق المال في سبيل الله؛ بأن ينفقه لوجهه عن طيب قلب. **فيضاعفه:** يضيف له مثله ومثله. **والله يقبض ويبسط:** "القبض" هو التضييق؛ وهو ضد البسط و"البسط" هو التوسيع؛ فهو الذي بيده القبض، والبسط؛ ويعم كل شيء؛ فيقبض في الرزق ويبسط؛ وفي العلم؛ وفي العمر؛ وفي كل ما يتعلق في الحياة الدنيا، وفي الحياة الآخرة.

المعنى الإجمالي:

من المعلوم أن سورة البقرة ممّا نزل في المدينة إثر الهجرة قبل فتح مكة. وكان العدو في مكة وما حولها في كثرة وقوة ومنعة، فأُمِر المسلمون المهاجرون ومن آواهم من الأنصار أن يُقاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق ونشر الدين، وقصّ لهم من الأنباء ما فيه بعث لهم على الجهاد وتبشير لهم بالفوز والعاقبة وإن يكونوا في قلة وضعف، ماداموا مُتمسكين بحبل الوفاق والصبر والمصابرة. فكانت الآية: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ﴾ بعثاً على الجهاد. وحذّر تعالى من التقاعس والجبن، وحثَّ على المسارعة والاستجابة؛ وذلك كله يقرِّره قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ فهو سبحانه سميع لأقوالهم، عليم بأحوالهم، في حال الثبات والاستبسال أو الفرار والهزيمة.

وبما أنَّ لفناء الأمم سببين: الجبن والبخل، قرن الله الآية السابقة التي تندّد بالجبن والخوف والفرار من قدر الله، بالآية التي تدعو إلى البذل والإنفاق، إذ عبَّر الله تعالى عن الإنفاق بالقرض، وبأسلوب الاستفهام ليحث عباده على الإنفاق في سبيل الله، والإكثار من الطاعات والقربات، ومنها الجهاد في سبيله ببذل الأنفس والأموال، وأنزل سبحانه ذاته المقدسة منزلة المستقرض، وهو الغني مالك الملك، خالقهم ورازقهم؛ تلطفاً بهم وتشجيعاً لهم على الاستجابة لأمره تعالى والمبادرة إلى طاعته، ثمَّ بيَّن تعالى أنّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما اقتضت حكمته وتعلَّقت به إرادته، ويضاعف ثوابه أضعافاً كثيرة لا يعلم عددها إلا الله، فأنفقوا ولا تبالوا، فالإنفاق ليس هو سبب الإقتار، والفقر، والثواب على الأعمال الصالحة لا يضيعه سبحانه، بل مرجع العباد كلهم إليه، فيجد المنفقون والعاملون أجرهم عنده مُدَّخراً، أحوج ما يكونون إليه.

ولمَّا كان المانع الأكبر من الإنفاق خوف الإملاق، أخبر تعالى أن الغنى والفقر بيده سبحانه وأنه يقبضه على من يشاء من عباده ويبسطه على من يشاء؛ فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾

من هداية الآيات :

١ - وجوب القتال؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

٢ - الحثّ على الإنفاق في سبيل الله؛ لقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾.

لطائف:

❖ قال ابن سعدي: تأمل هذا الحث اللطيف على النفقة، وأنَّ المُنفِق قد أقرض الله الغني، الكريم، ووعده المضاعفة الكثيرة كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾.

❖ جمع الله بين الأمر بالقتال في سبيله بالمال والبدن لأن الجهاد لا يقوم إلا بالأمرين وحث على الإخلاص، بأن يُقاتل العبد لتكون كلمة الله هي العليا.

من أحكام القرض: قال ابن سعدي رحمه الله تعالى:

– المراد بالقرض الحسن: هو ما جمع أوصاف الحسن، من النيّة الصالحة، وسماحة النفس بالنفقة، ووقوعها في محلها، وأن لا يتبعها المنفق مناً ولا أذى؛ ولا مبطلاً ومنقِصاً. ا.هـ

يجب على المستقرض ردّ القرض مثلما أقرضه، ويجوز إقراض النقود والأطعمة والحيوان. وأجمع المسلمون على أن اشتراط الزيادة في السلف رباً، ولو حبة واحدة.

يجوز للمقترض أن يرد أفضل ممّا بستلف إذا لم يشترط ذلك عليه نصاً أو عُرفاً؛ لأن ذلك من باب المعروف ولحديث الرسول ﷺ في البخاري ومسلم: **"إن خياركم أحسنكم قضاء"**

في القرض ثواب عظيم؛ لأن فيه توسعة للمسلم وتفريج عنه.

المعنى الثاني: الآيات: ٢٤٦ – ٢٥٣

من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ . ﴾.

أولاً: قصّة الملأ من بني إسرائيل مع نبيّ الله طالوت: الآيات: ٢٤٦ – ٢٥١

من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ... ﴾.

وجه الربط:

بعد أن بيّن الله تعالى في الآيات السابقة حكمة تشريع القتال لحماية الحق، وصون عزة الأمة وكرامتها، بيَّن هنا قصة قوم من بني إسرائيل أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجُبْن، لكن جاءت هذه القصة مفصلة بينما الأولى مجملة.

وقد تضمَّنت الآيات الكريمات المعاني الآتية:

١ – توطئة لقصة طالوت وجالوت وداود: الآية / ٢٤٦/

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ... ﴾

المفردات اللغوية:

ألم تر: ﴿ أَلَمْ ﴾ استفهام يُراد به التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده، و ﴿ تَرَ ﴾ هل المراد تنظر؛ أو تسمع؛ أو تعلم؟ الفعل هنا عُدِّيَ بـ ﴿ إِلَى ﴾؛ وإذا عدِّي بـ"إلى" تعيَّن أن يكون من رؤية العين؛ ولو عدِّي بنفسه لأمكن أن يكون المراد بالرؤية

العلم؛ وهي هنا بمعنى النظر؛ لأن الإخبار بها جاء من عند الله؛ وما كان من عند الله فهو كالمرئي بالعين؛ بل أشد، وأبلغ. والاستفهام الداخل هنا على النفي يراد به التشويق. **الملأ من بني إسرائيل**: هم الجماعة الأشراف منهم. **ابعث**: أقم لنا ملكاً نقاتل معه في سبيل الله لتنظتم به كلمتنا ونرجع إليه. **هل عسيتم**: أراد بالاستفهام التقرير، وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه. **وما لنا أن لا نقاتل**: أيُّ داع لنا إلى ترك القتال، وأيُّ غرض لنا فيه. **وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا**: أي لا مانع من القتال مع وجود مقتضيه. تولوا: أعرضوا وجبنوا. **إلا قليلاً منهم**: وهم الذين عبروا النهر مع طالوت. **والله عليم بالظالمين**: وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد، فهو مجازيهم.

المعنى العام للآية الكريمة:

ذلك بأن الأشراف والوجهاء من بني إسرائيل من بعد موسى اتفقوا أن يطلبوا من نبيِّهم أن يعيِّن لهم ملكاً يجاهدون تحت لوائه لأنهم كانوا في حال تشتت وتمزق بعد أن تسلط عليهم أعداؤهم وقاتلوهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً وطردهم من ديارهم وأبنائهم وذلك بسبب الفساد والمعاصي التي انتشرت بينهم، فخشي نبيهم أنّ طلبهم هذا مُجرد كلام لا فعل معه، فأجابوه بأنهم عازمون على القتال لاسترجاع ديارهم وأوطانهم؛ قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ﴾.

ثم أخبر سبحانه ما سيكون منهم من التولي عن الجهاد والجبن والإعراض إلا القليل منهم؛ فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾.

٢- تعيين طالوت ملكاً لبني إسرائيل، وأسباب تعيينه، وإثبات ملكه بآية حسيّة:

الآيات: ٢٤٧- ٢٤٨

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

أنى: استفهام إنكاري؛ كيف ومن أين، وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له. **ولم يؤت سعة من المال**: يستعين بها على إقامة الملك. **اصطفاه**: اختاره للملك. **بسطة**: سعة. **في العلم والجسم**: أي علم تدبير المُلْك والظاهر أن المراد بالعلم: المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب، وبسطة الجسم: القوة والضخامة والشجاعة، فمقومات الملك وهي العلم والجسامة متوافرة فيه؛ لأن الجاهل مزدرى غير منتفع به، والجسيم أعظم في النفوس وأهيب في القلوب. **آية**: علامة. **التابوت**: شيء من الخشب أو العاج يشبه الصندوق. **فيه سكينة من ربكم**: يعني أنه كالشيء الذي يسكنهم، ويطمئنون إليه ـ؛ وهذا من آيات الله. **وبقية**: قيل: من العلم والحكمة. **إن في ذلك لآية لكم**: على ملكه.

المعنى العام للآيات الكريمات:

أ) عيّن نبيّ بني إسرائيل طالوت ملكاً عليهم بأمر من الله، ولكنهم لم يرضوا بحكم الله تعالى واعترضوا عليه لأنه لم يكن من الأسباط التي يكون فيها الملك ولا النبوة، فقد كان من إسرائيل سبطان: سبط نبوة (لاوي بن يعقوب عليه السلام) سبط خلافة وملك (يهوذا بن يعقوب عليه السلام). فلا تكون الخلافة إلا في سبط الخلافة، ولا تكون النبوة إلا في سبط النبوة، ولم يكن طالوت من هؤلاء ولا هؤلاء، ثم إنه كان فقيراً، وللمال في المجتمع الإسرائيلي المكانة الكبرى، فلذلك أنكروا ملكه، فاضطر نبيهم أن يُذكِّرهم بأن اعتراضهم لا قيمة له عند الله تعالى، وأن الشروط الشرعية للملك متوفرة فيه بما آتاه الله من: قوة العلم الذي هو ملاك الإنسان ورأس الفضائل، وقوة الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قوياً في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر، لا شرف النسب. ثم بيّن تعالى أنَّ الملك ملكه، يتصرَّف فيه كما يشاء، والخلق خلقه، وهم عبيده، فما لأحد الاعتراض على شيء ليس هو له، ولا في ملكه؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾.

ب) ثم إن نبيهم سأل الله أن يُجري على يد طالوت آية محسوسة تجعلهم ينقادون لحكمة ويستسلمون لشرعه فكانت علامة ملكه أن يأتيهم التابوت فيه قطعٌ من ألواح التوراة، وعصا موسى عليه السلام وثياب هارون عليه السلام، وكان هذا التابوت قد انتزعه العمالقة (جالوت وأصحابه) منهم عندما تغلبوا عليهم، وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن ويستبشرون بالنصر عندما يكون الصندوق معهم؛ قال تعالى:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ... ﴾

٣- الاختبار: الآية /٢٤٩/

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

فلما فصل: خرج عن بلده مصاحباً الجنود لقتال العمالقة. **قال إن الله مبتليكم:** مختبركم، والابتلاء: الاختبار والامتحان. **بنهر:** كان بين فلسطين والأردن، وكان الاختبار بشرب شيء من مائه ليعلم الذي يصبر، ومن لا يصبر، ومن يطيع ممن لا يطيع. **فليس مني:** أي على طريقي ومنهجي. **ومن لم يطعمه:** يذقه. **غرفة:** المقدار الذي يملأ بالاغتراف، وكان المسموح به هو غرفة واحدة لا زيادة عليها. **والذين آمنوا معه:** وهم أصحاب الغرفة الذين اقتصروا عليها. **لا طاقة:** لا قدرة. **بجالوت وجنوده:** أي لا طاقة لنا بقتالهم وقد جبنوا. **كم من فئة:** كم: خبرية بمعنى كثير، أي ما أكثر ما تغلب القليلة فئة كثيرة.

المعنى العام للآية الكريمة:

لمّا انقادوا لحكم الله وأذعنوا لأمره بقبول طالوت ملكاً عليهم خرجوا للجهاد معه وكان وقت خروجهم حرّ وعطش شديدين فأمر الله نبيَّهم طالوت أن يختبرهم بنهر سيمرون عليه فمن شرب منه فلا يُقاتل مع طالوت ومن لم يشرب منه فإنه سيُقاتل معه، فلمّا وصلوا إلى ذلك النهر شربوا منه إلا قليلاً منهم صبروا ولم يشربوا وهم الذين اجتازوا مع طالوت النهر وكانوا كما ذكر فئة قليلة.

فلمّا رأوا قوة عدوهم وكثرة جنده وقوة سلاحه وعتاده قالوا: لا قدرة لنا اليوم على مقاتلة جالوت، ولكن الصفوة الممتازة منهم الذين كانوا يوقنون بالشهادة قالوا: أن النصر بتأييد الله تعالى ونصره لا بكثرة العدد والعُدد. فثبتوا وصبروا لقتال عدوهم؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي... ﴾.

٤ – المعركة: الآيات: ٢٥٠– ٢٥١

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

ولما برزوا: ظهروا لقتالهم وتصافّوا. **أفرغ علينا صبراً:** املأ قلوبنا، وأجسادنا صبراً حتى نثبت. **وثبت أقدامنا:** قونا على الجهاد واجعل أقدامنا ثابتة لا تزول:

فلا نفر، ولا نهرب. لفسدت الأرض: بغلبة المشركين، وقتل المسلمين، وتخريب المساجد، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾. (الحج: من الآية ٤٠)

المعنى العام للآية الكريمة:

أ) تمت المواجهة بين الفئتين الكافرة والمؤمنة، وتوجه المؤمنون إلى الله تعالى يستغيثون به ويستنصرونه، فاستجاب الله دعاءهم بمشيئة الله وكان داود حينئذ جندياً من جنود الفئة المؤمنة التي اجتازت مع طالوت فبرز لجالوت وقتله بمقلاع وحجارة كانت معه وحصل بذلك الفتح والنصر، وأكرم الله تعالى بعد ذلك داود بكرامة النبوة والملك، وعلّمه العلوم النافعة المفيدة كصناعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا... ﴾.

ب) ثمّ بيّن سبحانه الحكمة من تشريع الجهاد وتكليف المؤمنين بقتال الكافرين منعاً لانتشار الفساد في الأرض فالله يدفع المفسدين بالصالحين والكافرين بالمؤمنين، فالجهاد ضروري لدرء الفساد وقمع المفسدين والله يلطف بالمؤمنين، ويُدافع عنهم وعن دينهم بما شرعه وبما قدره؛ قال تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ (٢٥١) ﴾.

ويستفاد من قصة بني إسرائيل اللطائف والعبر الآتية:

❖ الحث على النظر، والاعتبار؛ فإنَّ في هذه القصة عبراً لهذه الأمَّة؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ فالجهاد في سبيل الله يتطلَّب إعداداً نفسيّاً وتربويّاً وعلميّاً، وخبرةً وكفاءةٍ ومهارةً، وجرأةً وشجاعةً، وعزيمةً صادقةً، وإخلاصاً، وتضحيةً وتفانياً في سبيل المبدأ والعزَّة والكرامة، فهو لا يكون بالأماني والتعلُّلات، وإنّما بالبطولة ومضاء العزيمة وقوَّة الإرادة. ولم يكن لدى بني إسرائيل شيء من هذه المقومات لسببين جوهريَّين هما: خبث النفوس وعدم طهارتها وصدقها، وضعف الإيمان وحب الحياة بدون تضحيات وعناء، لذا تولّوا وأعرضوا عن المشاركة في القتال.

❖ إن أول من يتنبّه للخطر والضرر اللاحق بالأمة هم خواصُّها، وعلماؤها، وأهل الفضل فيها.

❖ فضيلة الجهاد في سبيل الله، وفوائده، وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين، وحفظ الأوطان، وحفظ الأبدان والأموال. وأن المجاهدين ولو شقَّت عليهم الأمور، فإن عواقبهم حميدة، كما أنَّ الناكلين ولو استراحوا قليلاً فإنهم سيتعبون طويلاً.

❖ لا ينضب الخير في الأمة، فإن تولى الأكثرون عن واجب الجهاد فإن الخير في القليل.

❖ إن الملك أو الحكم، بالكفاءة لا بالوراثة أو الغنى، وأن الكفاءة ترجع إلى أمرين:

أ) العلم الذي هو علم السياسة والتدبير.

ب) القوة التي ينفذ بها الحق.

- أن العزم على القتال والجهاد غير حقيقته. فقد يعزم الإنسان ولكن عند حضوره تنحل عزيمته ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: **"أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد"**. وكذلك: **"أسألك الرضا بعد القضاء"**؛ لأن الرضا بعد وقوع القضاء المكروه للنفوس هو الرضا الحقيقي.
- انسجام القصة مع مرحلة ما بعد الهجرة، والتي أنزلت فيها آيات السورة، إذ كان المؤمنون فئة قليلة مكلفة بمواجهة قوى الكفر والشرك المسيطرة على جميع الأقطار في العالم.
- أبرزت الآيات فضيلة الاستسلام لله تعالى والرضا بحكمه وشرعه.
- قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ ﴾ يقال: طعمت الشيء أي ذقته، وأطعمته الماء أي أذقته، ولم يقل ومن لم يشربه؛ لأن من عادة العرب إذا كرروا شيئاً أن يكرروه بلفظ آخر؛ ولغة القرآن أفصح اللغات. وقد استدل العلماء بهذا على القول بسد الذرائع؛ لأن أدنى الذوق يدخل في لفظ الطعم فإذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل إلى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم؛ ولهذه المبالغة لم يأت الكلام: {ومن لم يشربه فإنه مني}.
- دلت الآيات على كمال علمه تعالى، وأنه سبحانه يعلم ما يكون قبل أن يكون.

ثانيا: إثبات نبوة الرسول ﷺ لأن الآيات المتقدم ذكرها لا يعلمها إلا نبي مرسل: الآية /٢٥٢

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

تلك: الإشارة إلى ما ذُكِر؛ أو إلى القرآن كله. **نتلوها عليك**: نقرؤها عليك؛ والمراد تلاوة جبريل عليه السلام. **بالحق**: الحق في الأخبار: هو الصدق؛ وفي الأحكام: هو العدل؛ والباء إما للمصاحبة؛ أو لبيان ما جاءت به هذه الآيات؛ والمعنى أن هذه الآيات حق؛ وما جاءت به حق. **وإنك لمن المرسلين**: أكد الكلام بـ"إن"، واللام؛ لتحقيق رسالة النبي ﷺ ورداً لقول الكفار: لست مرسلاً.

المعنى العام للآية:

يبيّن تعالى أنَّ من جملة الأدلَّة على رسالة الرسول محمد ﷺ هذه القصة، حيث أخبر بها وحياً من الله ﷻ مطابقاً للواقع، فهذه الآيات حق، وما جاءت به حقّ، ورسول الله ﷺ حق، ورسالته خاتمة الرسالات.

من هداية الآية الكريمة:

١ – أن القرآن كله حق من الله تعالى، ونازل بالحق.

٢- إثبات رسالة النبي ﷺ ، وأن هناك رسلاً آخرين غير الرسول؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾.

ثالثا: التفاضل بين الرسل وسبب النزاع والاختلاف بين الناس: الآية / ٢٥٣/ من الجزء الثالث

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

المفردات اللغوية:

فضلنا: بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره. **منهم من كلم الله**: كموسى عليه السلام. **ورفع بعضهم درجات**: أي على بعض؛ فمحمد ﷺ له الوسيلة؛ وهي أعلى درجة في الجنة. **البينات**: الآيات الواضحات الدالات على رسالته، ويراد بها الإنجيل. **وأيدناه**: قويناه. **بروح القدس**: جبريل عليه السلام، أو ما معه من العلم المطهر الآتي من عند الله؛ والعلم أو الوحي يسمى روحاً **ولو شاء الله**: ولو شاء الله أن لا يقتتل الذين من بعدهم ما اقتتلوا؛ إما لاتفاقهم على الإيمان؛ وإما لاتفاقهم على المهادنة، وإن كفر بعضهم. **من بعدهم**: أي من بعد الرسل وهم الأمم التي أتت بعد الرسل. **فمنهم من آمن**: ثبت على إيمانه. **ومنهم من كفر**: كالنصارى بعد المسيح، واليهود بعد موسى. **ولكن الله يفعل ما يريد**: من توفيق من شاء، وخذلان من شاء.

المعنى العام للآية الكريمة:

دعوة الأنبياء واحدة، وأما الاختلاف والاقتتال الذي حدث بين النّاس فمنشؤه انحراف أكثرهم عن الصراط المستقيم، وعن إتباع منهج النبيين، فمنهم من آمن،

ومنهم من كفر، ووقع لأجل ذلك الاقتتال الذي هو موجب الاختلاف والتعادي، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، ولو شاء الله أيضاً لما وقع الاختلاف الموجب للاقتتال ولكنّ حكمته اقتضت جريان هذه الأمور، فالحوادث كلها بمشيئته سبحانه خيراً كانت أو شرّاً، إيماناً أو كفراً، والنزاع والاختلاف بين النّاس نابع من إرادتهم واختيارهم كما سبق به علمه، وتعلقت به إرادته جل جلاله، فلا مسؤولية بدون تكليف، ولا تكليف بدون اختيار وإرادة؛ قال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟... ﴾.

من هداية الآية الكريمة:

١- أن الرسل عليه السلام يتفاضلون؛ لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾.

٢- أن فضل الله يؤتيه من يشاء؛ حتى خواص عباده يفضل بعضهم على بعض. ويتفرع عليها فائدة أخرى: وهي أن أتباع الرسل أيضاً يتفاضلون.

٣- إثبات الكلام لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ .

٤- الرد على النصارى في زعمهم أن عيسى إله؛ لقوله تعالى:﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ أي قويناه؛ ولازم ذلك أنه يحتاج إلى تقوية؛ والذي يحتاج إلىّ تقوية لا يصلح أن يكون ربّاً، وإلهاً.

٥- بيان حكمة الله في انقسام الناس إلى مؤمن، وكافر؛ ولولا هذا ما استقام الجهاد، ولا حصل الامتحان.

الجزء الثالث من سورة البقرة

من الآية (٢٥٣) إلى الآية (٢٨٦)

من قوله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

الجزء الأول الجزء الثاني الجزء الثالث

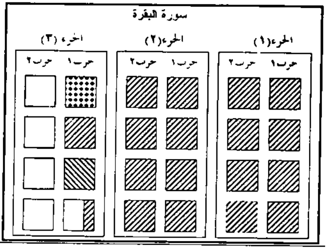

الجزء الثالث/ الحزب الأول/ الربع الأول

المعنى الأول الآيات ٢٥٤-٢٥٧

أولاً الأمر بالإنفاق في سبيل الخير

الآية / ٢٥٤/ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾.

—

ثانياً آية الكرسي آية / ٢٥٥/

قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

—

ثالثاً منع الإكراه على الدين، وولاية الله للمؤمنين وولاية الطاغوت للكافرين

الآيات ٢٥٦ – ٢٥٧

قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

المعنى الثاني الآيات ٢٥٨-٢٦٠

قصص و عبر

١- مناظرة إبراهيم عليه السلام للطاغوت النمرود الآية /٢٥٨/

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾

—

٢- دليلان عظيمان محسوسان في الدنيا والآخرة على إثبات البعث و الجزاء

الدليل الأول الحياة بعد الموت آية / ٢٥٩/

قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾

—

الدليل الثاني من علم اليقين إلى عين اليقين آية / ٢٦٠/ قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾

الجزء الثالث من سورة البقرة

الحزب الأول – الربع الأول

حسب القرآن: الآيات: ٢٥٣ – ٢٦٢

من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ... ﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى... ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٢٥٤– ٢٦٠

من قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ... ﴾.

إلى قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ... ﴾.

وجه الربط:

لمَّا دعا الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة إلى بذل النفس والجهاد في سبيله؛ بقوله تعالى:﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ ، وشفَّعه بالدعوة إلى الجهاد ببذل المال؛ بقوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً... ﴾ ، حثَّ هنا في هذه الآية على الإنفاق المطلوب في الإسلام، وعمّمه؛ ليكون في جميع طرق الخير؛ لذلك حذف المفعول والمتعلّق لقصد الانتقال إلى الأمر بالصدقات الواجبة وغيرها؛ ليدَّخر النّاس ثواب ذلك عند ربهم، وليُبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا.

المعاني الرئيسة:

تضمَّن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: الآيات:٢٥٤- ٢٥٧

أولاً: الأمر بالإنفاق في سبيل الخير: آية/ ٢٥٤

من قوله تعالى:﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ... ﴾.

المفردات اللغوية:

يوم: المراد به هنا يوم الحساب. **لا بيع فيه**: الكسب بأي نوع من أنواع المبادلة أو المعاوضة، والمراد به هنا لا فداء، فيتدارك المقصر تقصيره. **ولا خلة**: الخلة هي أعلى المحبة؛ أي ولا صداقة ولا مودة تنفع.

ولا شفاعة: هي الواسطة لدفع الضرر، أو جلب المنفعة؛ فنفى الله تعالى كل الوسائل التي يمكن أن ينتفع بها في هذا اليوم. **والكافرون هم الظالمون**: أي أن الكافرين بالله هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم.

المعنى الإجمالي:

أمر الله سبحانه في هذه الآية المؤمنين بإنفاق المال وبذله في طاعة الله، وفي جميع وجوه الخير، سواء أكان بطريق الزكاة المفروضة، أم بالصدقات والتطوعات المندوبة، فنكل ثوابه العظيم في الآخرة؛ لأن هذه النفقات مدخّرة عند الله في يوم لا تفيد فيه المعاوضات بالبيع ونحوه، ولا الصداقات، ولا الشفاعات.

وأما الذين خرجوا عمّا خلقهم الله له، واستعانوا بنعمه على الكفر والفسوق

والعصيان ووضعوا المال في غير موضعه فسمّاهم الله كافرين تهديداً وتغليظاً، وحَصَرَ الظلم المطلق فيهم؛ فقال تعالى:﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾.

مسائل:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية:

ظاهر هذه الآية أن الإنفاق مطلق في أي وجه من وجوه الخير؛ ولكن هذا الإطلاق مقيد في آيات أُخر، مثل قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ وعلى هذا فيكون إطلاق الآية هنا مقيداً بالآيات الأُخر التي تدل على أن الإنفاق المأمور به ما كان في سبيل الله -أي شرعه-

وظاهر الآية نفي الشفاعة مطلقاً؛ وحينئذ نحتاج إلى الجمع بين هذه الآية وبين النصوص الأخرى الدالة على إثبات الشفاعة في ذلك اليوم؛ فيقال: الجمع أن يحمل مطلق هذه الآية على المقيد بالنصوص الأخرى، ويقال؛ إن النصوص الأخرى دلت على أن هناك شفاعة؛ لكن لها ثلاثة شروط: رضى الله عن الشافع؛ وعن المشفوع له؛ وإذنه في الشفاعة. ا.هـ

لطيفة:

❖ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال:﴿ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ ولم يقل والظالمون هم الكافرون.

ثانياً: آية الكرسي: الآية/ ٢٥٥ /

قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ.. ﴾

توطئة:

هذه الآية الكريمة أعظم آية في كتاب الله، وإنَّ لها مكانة عظمى ومنزلة رفيعة؛ وذلك لأنها اشتملت على أشرف المذكورات وأفضل المعلومات. إنها تتضمن توحيد الله ﷻ وتعظيمه، وتمجيد صفاته، ولا مذكور ولا معلوم أعظم من رب العالمين سبحانه وبحمده. وهي ابتداء لآيات تقرير الوحدانية والبعث.

المفردات اللغوية:

الله لا إله إلا هو: "إله" بمعنى مألوه؛ و"المألوه" بمعنى المعبود حباً، وتعظيماً؛ أي لا معبود بحق إلا الله. **الحيّ:** ذو الحياة الكاملة؛ وكمال حياته تعالى من حيث الوجود والعدم؛ فهي أزلية أبدية ـ لم يزل، ولا يزال حيّاً؛ ومن حيث الكمال والنقص؛ فحياته كاملة من جميع أوصاف الكمال ـ فعلمه كامل، وسمعه كامل. وبصره، وسائر صفاته كاملة. **القيوم:** القائم على نفسه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه؛ والقائم على غيره فكل أحد محتاج إليه. **لا تأخذه سِنة ولا نوم:** أي لا يعتريه نعاس؛ وهو الفتور قبل النوم؛ ولا نوم. **يعلم ما بين أيديهم:** أي المستقبل. **وما خلفهم:** أي الماضي. **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء:** لها معنيان: الأول: لا يحيطون بشيء من علم نفسه؛ أي لا يعلمون عن الله تعالى من أسمائه، وصفاته، وأفعاله، إلا بما شاء أن يعلمهم إياه، فيعلمونه؛ والثاني: ولا يحيطون بشيء من

معلومه ـ أي مما يعلمه في السموات، والأرض ـ إلا بما شاء أن يعلمهم إياه، فيعلمونه. **وسع كرسيه**: أي شمل وأحاط؛ و"الكرسي" هو موضع قدمي الله ﷻ؛ وهو بين يدي العرش كالمقدمة له. **ولا يؤوده**: أي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السماوات و الأرض ومن فيهما. **وهو العلي العظيم**: أي ذو العلو المطلق وهو الارتفاع فوق كل شيء؛ و"العظيم" أي ذو العظمة في ذاته، وسلطانه، وصفاته.

تضمّنت آية الكرسي عشر جمل مستقلة، وممّا جاء فيها:

أولاً: قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: إنَّ الله ﷻ هو المتفرد لاستحقاق العبودية، فلا يُعبد أحد سواه كائناً من كان بأيِّ نوع من أنواع العبادات، وهذا هو الأصل الذي بعث الله تعالى جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام للدعوة إليه.

ثانياً: إنَّ الله ﷻ هو: ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ بالحياة الذاتية الكاملة الدائمة التي لم تأت من غيره وليس لها انقطاع ولا زوال لا قبل ولا بعد، وإن تفرّده ﷻ بهذه الحياة دون من سواه أحد الدلائل على تفرده باستحقاق الألوهية دون غيره، وهو سبحانه وتعالى ﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ القائم على نفسه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه؛ والقائم على غيره فما من شيء إلا وقيامه بأمره وتدبيره؛ وكل أحد محتاج إليه سبحانه وتعالى.

ثالثاً: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ أي: امتناع السِّنة والنوم عن الله ﷻ وذلك لكمال حياته، وقيوميته، بحيث لا يعتريهما أدنى نقص، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء ولا يغيب عنه شيء، وهذه الجملة من الصفات

المنفية؛ والايمان بالصفات المنفية يتضمن شيئين؛ أحدهما: إثبات الإيمان بانتفاء الصفة المذكورة؛ والثاني: إثبات كمال ضدها.

رابعاً: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بيان عموم ملك الله، أي: له وحده؛ فهو المالك لجميع الممالك، وهو الذي له صفات الملك والتصرف، ويتفرع على كون الملك لله ألّا نتصرف في ملكه إلّا بما يرضاه.

خامساً: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: ومن كمال سلطان الله جلَّ وعلا وهيبته وملكه ألّا يشفع عنده أحد؛ فلا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عند الله إلا بإذنه له في الشفاعة، فكلّ الشفعاء والوجهاء عبيد له مماليك. وفي هذا إبطال لحجة المشركين لعبادة غير الله تعالى للشفاعة عنده سبحانه وتعالى.

سادساً: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: فعلم الله تعالى يحيط بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها. وهذا يُبيِّن سبب حرمان الخلق من الشفاعة إلا بإذنه ﷻ؛ لأنه وحده تعالى عالم بأحوال الشافع، والمشفوع له.

سابعاً: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: فلا يحيط أحد شيئاً عن معلوماته ﷻ، وذاته، وصفاته، إلا ما أعلم الله تعالى به، وأن علم الخلق - كائناً من كان - ناقص.. ويدل هذا على تفرده سبحانه وتعالى بالعلم الكامل المحيط بكل الكائنات دون من سواه، وعلى تفرده بالألوهية والعبودية.

ثامناً: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: والكرسي هو موضع قدمي الله عزَّ وجلّ؛ وهو بين يدي العرش كالمقدمة له؛وهو أعظم المخلوقات بعد العرش؛ ويجب الإيمان بوجوده كما جاء في الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل.

تاسعاً: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ﴾: أي يحفظ الله السموات والأرض، ولا يشقُّ عليه ذلك. وهذه من الصفات المنفية التي نثبتها لله ﷻ؛ لبيان كمال ضدها كالعلم، والقدرة، والحياة، والرحمة، والحكمة والقوة.

عاشراً: إثبات علوِّ الله ﷻ المطلق لقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ في ذاته وصفاته، وهو: ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ ذو الجلال والكبرياء والقهر والقدرة والسلطان.

لطائف بلاغية في آية الكرسي:

❖ روعة استهلالها، فقد بدأت بداية هي خير ما قاله النبيون؛ (كلمة التوحيد) بعد اسمه ذي الجلال والإكرام، ثم إذا ختمت الآية وجدت عظمة الخاتمة؛ إذ العلو والعظمة: هما الصفتان المناسبتان لخالق السموات والأرض، ومالكهما.

❖ الانسجام المعجب بين الحروف؛ فأكثر الحروف فيها هو اللام ثم الميم ثم حروف المد وحروف الحلق؛ وهذه المذكورة هي أعذب الحروف مخارجاً؛ وأكثرها شيوعاً في الكلام الفصيح، أما الحروف ذات المخارج الضخمة كحروف الاستعلاء وهي: الخاء، والصاد، والضاد، والظاء، والقاف، والغين، والطاء، فقد وردت بعضها في الآية ولكن في كلمات قليلة، وقد انسجمت مع حروفها انسجاماً عجيباً حيث وقع الحرف منها بين حرفين كلاهما بعيد المخرج عن مخارج حروف الاستعلاء، مثل كلمة ﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ ﴿ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ﴿ حِفۡظُهُمَا ﴾ ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾

❖ بلاغة الإيجاز المعجز في كل مقطع من مقاطعها، حتى إن الكلمة الواحدة تحتاج إلى عدة صفحات لشرح مدلولها مثال ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾، ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ وهكذا في

جميع مقاطع الآية غاية في الإيجاز البليغ. ومن الإعجاز البلاغي أن اسميّ الله جل جلاله﴿ ٱلْعَلِىُّ ﴾ ﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾ معرفين والتعريف في مثل هذه العبارة يفيد الحصر، أو القصر؛ فيكون المعنى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي المتفرد بالعلو والعظمة، فالعلو والعظمة قصر عليه سبحانه لا عظيم ينهض لعظمته، ولا عالي يرقى لعلوه.

ثالثا- منع الإكراه على الدّين﴿٢٥٦﴾، وولاية الله للمؤمنين، وولاية الطاغوت للكافرين﴿٢٥٧﴾

قوله تعالى:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ... ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ... ﴾.

المفردات اللغوية:

لا إكراه في الدين: هذه الجملة نفي؛ لكن هي بمعنى النهي؛ أي لا جبر ولا إلجاء على الدخول في الدين. **قد تبين الرشد من الغي**: "تبيّن" هنا ضمنت معنى "تميَّز"؛ وكلما جاءت "من" بعد "تبيّن" فإنها مضمنة معنى التميز؛ أي تميّز هذا من هذا؛ و"**الرشد**"حسن المسلك، وحسن التصرف؛ ويقابل بـ "**الغي**" وهو سوء المسلك؛ والمراد به هنا الكفر؛ و"الرشد" هنا الإسلام؛ أي ظهر بالآيات البينات الواضحات أن الإيمان رشد؛ والرشد والرشاد: الهدى وكل خير، و الكفر غي: أي الضلال. **الطاغوت**: الشيطان أو الأصنام، مشتق من "الطغيان": وهو كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود، أو متبوع، أو مطاع، ويجوز تذكيره وتأنيثه و إفراده وجمعه، وينحدد المراد بحسب المعنى. **استمسك**: تمسك تمسكاً بالغاً **بالعروة**

الوثقى: بالعقد المحكم، والمقبض القوي؛ والعروة: من الدلو والكوز ونحوهما: المقبض الذي يُمسك به من يأخذهما، **والوثقى**: **مؤنث الأوثق**: وهو الحبل الوثيق المحكم. **لا انفصام لها**: لا انقطاع، ولا انفكاك لها.

الله ولي الذين آمنوا: **الولي**: الناصر والمعين؛ أي متوليهم؛ والمراد بذلك الولاية الخاصة؛ أي أن الله يتولى أمور المؤمنين بالرعاية و العناية و الهداية. **من الظلمات**: الكفر و الضلالات. **إلى النور**: إلى الإيمان.

المعنى الإجمالي:

هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي فإنه بَيِّن، واضح، جليٌّ دلائله وبراهينه، وهو دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفِطَرِ له لا يحتاج إلى الإكراه. فالذين آمنوا بالله وصدقوا إيمانهم بالقيام بواجبات الإيمان، يتولاهم ربهم بولايته الخاصّة، فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والإعراض، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة.

وأما الذين كفروا، فإنهم لمّا تولّوا غير وليّهم، ولاَّهم الله ما تولّوا لأنفسهم، وخذلهم، ووكلهم إلى رعاية من تولّاهم، ممن ليس عنده نفع ولا ضرّ

قال ابن سعدي رحمه الله في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هذه الآية مترتبة على الآية التي قبلها، فالسابقة هي الأساس، وهذه هي الثمرة.

لطائف من الآيات:

❖ قال ابن سعدي: في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ أن لا منافاة بين هذا المعنى، وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد؛ فإن الله تعالى

أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين. وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البرِّ والفاجر، وأنه من الفروض المستمرة، الجهاد القولي الفعلي. ا.هـ

- ❖ شبَّه الله ـ جلَّ في علاه ـ المؤمن الذي يستمسك بالإيمان على كل أحواله، ويسلم ولاء قلبه للإله العظيم الجبار، تمثل من يمسك بعروة وثقى لا تنفصم ولا تبت من حبلها الثابت، فهو دوماً في أمن مهما تهاوى من حوله أهل الضلالة.
- ❖ ختمت آية الإيمان والكفر بقوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾؛ لأن الإيمان: أقوال، وأعمال، ومعتقدات، والقول يتطلب السمع، وأمّا الأعمال والمعتقدات فتتطلب العلم بظاهر الأمور وباطنها.
- ❖ في الآيتين إعجاز بلاغي في غاية الجمال، فالرشد كناية عن الإيمان، والغي كناية عن الكفر، والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد المنجيَّة من كل شر.

قال الشيخ ابن عثيمين:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ إذا تأملت هذه الجملة، والتي قبلها تجد فرقاً بين التعبيرين في الترتيب؛ ففي الجملة الأولى قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأمور ثلاثة:

أحدها: أن هذا الاسم الكريم إذا ورد على القلب أولاً استبشر به.

ثانيها: التبرك بتقديم ذكر اسم الله عز وجل.

ثالثها: إظهار المنة على هؤلاء بأن الله هو الذي امتنَّ عليهم أولاً، فأخرجهم من الظلمات إلى النور؛ أما الجملة الثانية فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ ولو كانت الجملة على سياق الأولى لقال: "والطاغوت أولياء الذين كفروا"؛ ومن الحكمة في ذلك:

أولاً: ألا يكون الطاغوت في مقابلة اسم الله.

ثانياً: أنَّ الطاغوت آهون، وأحقر من أن يبدأ به، ويقدم.

ثالثاً: أنَّ البداءة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ أسرع إلى ذمهم مما لو تأخر ذكره.

المعنى الثاني: قصص وعبر : الآيات: ٢٥٨- ٢٦٠

تضمن هذا المقطع المعاني الرئيسة التالية :

١) مناظرة إبراهيم عليه السلام للطاغوت النمرود: آية /٢٥٨/

قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ... ﴾

وجه الربط:

لَمَّا ذُكِر في الآيات السابقة أنَّ الله تعالى يُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، ساق ثلاثة شواهد على ذلك هذا أوّها وأجمعها؛ لأنّه اشتمل على ضلال الكافر وهدى المؤمن، فكان هذا في قوّة المثال.

المفردات اللغوية:

ألم تر: الاستفهام للتقرير، والتعجيب. حاجّ: جادل، وناظر. في ربه: أي في وجوده، وفي ألوهيته.

أن آتاه الله الملك: أي لكونه أُعطي مُلكاً؛ و"ال" في قوله تعالى:﴿ ٱلْمُلْكَ ﴾ الظاهر أنها لاستغراق الكمال -أي ملكاً تامّاً لا ينازعه فيه أحد في مملكته. **فبهت**: تحير واندهش. **الظالمين**: لا يوفقهم للهداية بالنظر فيما يؤدي إلى الحق.

المعنى الإجمالي:

يخاطب الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ وكلّ مَن يتأتّى له الخطاب بأسلوب الاستفهام التعجبيّ، حيث أنَّ محاجَّة هذا الكافر في الله مِمَّا يدعو إلى التعجّب، والمعنى: ألم ينته إلى علمك مناظرة ذاك الطاغية المتجبّر لإبراهيم الخليل ﷺ في وجود الربّ سبحانه وألوهيّته، إذ أعطاه الله تعالى المُلك والسلطان، ودام ملكه مدَّة طويلة، ومَلَكَ أراضي واسعة ملكاً لا ينازعه فيه أحد، فاستطال والعياذ بالله، واستكبر، وعلا، وأنكر وجود العليّ الأعلى، فكان يحاجّ إبراهيم لطغيانه ويخاصم ويجادل.

ويبدو أنّ هذا الطاغية وجَّه إلى إبراهيم ﷺ سؤالاً، _كما يُعلم من سياق اللفظ _ بأن طلب دليلاً على وجود الله تعالى، أو كأنّه قال لإبراهيم مِن ربك؟ كما قال فرعون لموسى ﷺ:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه: ٤٩ ـ ٥٠)، وفي سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الشعراء:٢٣ ـ ٢٤).

فجاء برهان إبراهيم ﷺ على وجود الرب تبارك وتعالى بالإحياء والإماتة؛ أي الذي يجعل الجماد حيّاً؛ ويميت ما كان حيّاً، فكأنّما عليه السلام يقول له: هو الذي يوجِد، ويعدِم؛ ثم أتى بمثال الإحياء والإماتة التي لا يقدر عليها أحد؛ لكنّ هذا

المعاند المكابر ادّعى لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة؛ قالها تلبيساً؛ وذلك بالعفو عن المجرم الذي يستحق الموت بالقتل؛ وقتل مَن أراد قتله.

فلمّا رآه إبراهيم ﷺ مموِّهاً تمويهاً ربما راج على الهمج الرِّعاع، انتقل إلى أمر لا يمكن الجدال فيه، وواجهه بناموس من النواميس الكونية، والتي لا يستطيع أيّ إنسان مهما انطمست بصيرته أن يجحدها وينكرها فقال: ربي يأتي بالشمس من جهة الشرق، فأت بها أنت من جهة الغرب، فتحيَّر واندهش، ولم يحرَ جواباً. هكذا تمكّن إبراهيم عليه السلام، بمنطق الإيمان وقوّة حججه ووضوح براهينه، أن يحسم الأمر بحجة واحدة ملزمة قاطعة، وغُلب الكافر الجاحد، وصار مبهوتاً منقطعاً، بعد أن كان منتفشاً مستكبراً مغرورا.

وتلك سُنَّة الله تعالى أنّه لا يُلهم الظالمين حجة، ولا برهاناً، ولا يوفقهم، ولا يخرجهم من ظلمات كفرهم وظلمهم إلى نور الهداية، بل حجتهم داحضة عند ربهم.

من هداية الآيات:

١- بلاغة القرآن الكريم في عرض الأمور العجيبة معرض التقرير، والاستفهام؛ لأن "التقرير" يحمل المُخاطَبَ على الإقرار؛ و"الاستفهام" يثير اهتمام الإنسان؛ فجمع بين الاستفهام والتقرير.

٢- تدل الآية على إثبات المناظرة والمحاجة لإبطال الباطل، ولإحقاق الحق. وفيها إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة، والمحاجة؛ لأنها سُلَّم، ووسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

٣- أنّ النِّعم قد تكون سبباً للطغيان؛ لأنّ هذا الرجل ما طغى وأنكر الخالق إلّا لأن الله آتاه المُلك.

٤- أنَّ الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمّل وإعمال النظر فيما فيه النفع؛ إذ الذهن في شاغل عن ذلك بزهوّه وغروره.

٥- إثبات الأفعال الاختيارية لله ﷻ؛ لقوله تعالى:﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾.

٦- **قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى**: أنَّ من أخذ بالعدل كان حريّاً بالهداية؛ لمفهوم المخالفة في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ ؛ فإذا كان الظالم لا يهديه الله، فصاحب العدل حريّ بأن يهديه الله ﷻ؛ فإنّ الإنسان الذي يريد الحق، ويتّبع الحق _ والحق هو العدل _ غالباً يُهدى، ويوفّق للهداية؛ **ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية** في العقيدة الواسطية عبارة من أحسن العبارات؛ قال: "**من تدبَّر القرآن طالباً الهدى تبيّن له طريق الحق**"؛ وهذه كلمة مأخوذة من القرآن منطوقاً، ومفهوماً.

ب) دليلان عظيمان محسوسان في الدنيا قبل الآخرة على البعث والجزاء

الآيات: ٢٥٩ - ٢٦٠

قوله تعالى:﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا... ﴾ .

وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ... ﴾.

الدليل الأول: الحياة بعد الموت

قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا... ﴾ .

المفردات اللغوية:

أو كالذي مر على قرية: أي ألم تر إلى الذي مر على قرية. **خاوية**: ساقطة، أو خالية من السكان، و"العروش" السقوف. **أنى يحيي**: اسم استفهام للاستبعاد، وهو

استبعاد منه حسب تصوره أن الله تعالى يعيد إلى هذه القرية ما كان سابقاً. **بعد موتها**: خرابها. **فأماته الله**: أي قبض روحه. **ثم بعثه**: أحياه. **لم يتسنه**:لم يتغير مع طول الزمان. **وانظر إلى حمارك**: كيف هو، فرآه ميتاً تلوح عظامه ليس فيه لحم، ولا عصب، ولا جلد. **ولنجعلك**: فعلنا ذلك لتعلم ولنجعلك (لنصيرك) آية على البعث، أي علامة على قدرة الله. **ننشزها**: نركب بعضها على بعض؛ من النشَز؛ وهو الارتفاع؛ أي نعلي بعضها على بعض ثم نردها إلى مكانها من الجسد. **ثم نكسوها لحما**: أي نسترها باللحم، فنظر إليها وقد تركبت، وكسيت لحماً، ونفخ في الجسد الروح، وظهرت عليها علائم الحياة. **أعلم**: علم مشاهدة.

المعنى العام للآية الكريمة:

وهذا مثل آخر معطوف على الأوَّل؛ أي ألم تر إلى الذي مرَّ على قرية... وهو رجل ما من بني إسرائيل مرَّ على قرية خاوية من سكَّانها، متهدّمة جدرانها، ساقطة سقوف بنيانها، فاستبعد حسب تصوّره أنَّ الله سبحانه وتعالى يعيد هذه القرية بعد موتها، فقبض الله روحه مائة عامٍ، ثم أحياه وردَّه إلى الحياة، وسأله:كم لبثت من مدّة؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم؛ قيل: أنّه قال ذلك؛ لأنَّ الله تعالى أماته في أوَّل النهار، وأحياه في آخره، قال الله تعالى: بل لبثت مائة عام، وهي مدّة كافية لتبدُّل أحوال الناس، وحفظه الله طول هذه المدة من البلى والتفتُّت، وحفظ أيضاً طعامه وشرابه فلم يتغيّر ولم يتعفَّن، وأمره تعالى أن ينظر إليه، وأنّه لم تغيِّره السنون، ولم يتعفَّن ولم يُنتِن، وأمّا الحمار الذي كان معه وأماته الله كذلك، ولكنه لم يحفظه بعد الموت، فتفرَّقت أعضاؤه وبليت عظامه، فأمره الله تعالى أن ينظر إليه وهو متفتِّت متفرِّق، كبرهان محسوس على طول المدة التي مرَّت عليه، فيعرف قدرة الله تعالى

وفضله عليه، بحفظه وحفظ طعامه وشرابه، ليكون دليلاً معجزاً يدلّ على كمال قدرة الله تعالى، وأنّه وحده المحيي والمميت، وأنّه قادر على الإعادة بعد الموت والتّفرُّق.

ثمَّ أمره تعالى أن ينظر إلى عظام حماره التي بليت كيف يأتي العظم، ويركب على العظم الثاني في مكانه حتى صار الحمار عظاماً، ثم بعد ذلك كسا الله العظام لحماً بعد أن أنشز بعضها ببعض بالعصب، ثم سترها تعالى باللحم، وهو يشاهد ذلك بعينه، فاجتمع عنده آيتان من آيات الله؛ إبقاء ما يتغيّر على حاله – وهو طعامه، وشرابه؛ وإحياء ما كان ميتاً – وهو حماره، فلمَّا حصل لهذا الرجل ما حصل من آيات الله، اعترف بقدرة الله على كل شيء.

قال ابن سعدي: "وأما قول كثير من المفسرين إن هذا الرجل مؤمن، أو نبي من الأنبياء، إما عزير أو غيره، وأن قوله تعالى:﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يعني كيف تعمر هذه القرية بعد أن كانت خراباً، وأن الله أماته ليُرِيَه ما يعيد لهذه القرية من عمارتها بالخلق، وأنها عمرت في هذه المدة، وتراجع الناس إليها وصارت عامرة بعد أن كانت دامرة – فهذا لا يدل عليه اللفظ بل ينافيه، ولا يدل عليه المعنى – فأي آية وبرهان من رجوع البلدان الدامرة إلى العمارة وهذه لم تزل تُشاهد، تَعْمُر قرى ومساكن، وتخرب أخرى، وإنما الآية العظيمة في إحيائه بعد موته، وإحياء حماره، وإبقاء طعامه وشرابه لم يتعفن ولم يتغير". ا.هـ

ثم قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ صريح في أنّه لم يتبيّن له إلا بعد ما شاهد هذه الحال الدالة على كمال قدرته عياناً"

الدليل الثاني: من علم اليقين إلى عين اليقين

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ... ﴾.

المفردات اللغوية:

وإذ قال: "إذ" مفعول فعل محذوف؛ والتقدير: اذكر حين قال. **رب أرني كيف تحي الموتى**: أي يا ربّ اجعلني انظر وأرى بعيني كيف تحيي الموتى؛ والسؤال هنا عن الكيفية لا عن الإمكان؛ لأن إبراهيم لم يشكّ في إحياء الله الموتى قط، ولا في قدرة الله، وإنما طلب المعاينة لكيفية الإحياء؛ لأن النفوس تحب الإطلاع على المجهول ورؤية ما أخبرت به. **أولم تؤمن**: أي ألست قد آمنت بقدرتي على الإحياء، (وهذا الاستفهام للتقرير؛ وليس للإنكار ولا للنفي). **بلى**: حرف يجاب بها النفي المقرون بالاستفهام لإثباته؛ أي آمنت. **ولكن ليطمئن قلبي**: أي سألتك ليسكن قلبي بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال. **فصرهن إليك**: أملهن إليك ثم قطعهن، واخلط لحمهن وريشهن، ثم وزع أجزاءهن على مجموعة من الجبال. **ثم ادعهن**: نادهن إليك. **يأتينك سعيا**: مسرعات.

المعنى العام للآية الكريمة:

وهذا دليل ثالث يوجّهه تعالى إلى الرسول والمؤمنين، أقامه الله على يد إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ نادى ربَّه أن يُرِيَه كيف يحيي الموتى بعد أن أماتهم وصاروا تراباً وعظاماً، فسأله ربه وهو به عليم: ألست قد آمنت؛ فالاستفهام هنا للتقرير؛ وليس للإنكار، ولا للنفي؛ لتقرير إيمان إبراهيم ﷺ، فقال عليه السلام: بلى آمنت، ولكن ليزداد قلبي طمأنينة، وأترقّى من علم اليقين بذلك، إلى عين اليقين، فضرب الله له مثلاً بطيور أربعة، يملْهُنَّ ويقرِّبهنَّ إليه، ويتأمّل بهنَّ ليتعرَّف

أوصافهنّ، ثم يذبحهنّ، ويقطِّعهنّ أجزاءً، ثم يجعل على كل جبل جزءاً، ثم يدعهنَّ ليأتين، فلمَّا فعل ذلك ودعاهنَّ أقبلن إليه مسرعات طائرات، على أكمل ما يكون من الحياة، وتبيَّن لإبراهيم من هذه الآية كمال قدرة الله ﷻ لكمال عزته، وكمال حكمته.

لطائف من الآيات:

- ❖ بلاغة القرآن، حيث ينوع الأدلة، والبراهين على الأمور العظيمة.
- ❖ الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يهتم الإنسان بأعيان أصحاب القصة؛ إذ لو كان هذا من الأمور المهمة لكان الله يبين ذلك.
- ❖ أن الإنسان بالتدبر، والتأمل، والنظر يتبين له من آيات الله ما لا يتبين لو غفل.
- ❖ أنه لا حرج على الإنسان أن يطلب ما يزداد به يقينه.
- ❖ أن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في إحياء الله وإماتته، وإنما من قِبَل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال.
- ❖ أن عين اليقين أقوى من خبر اليقين؛ لأن إبراهيم عليه السلام عنده خبر اليقين بأن الله قادر؛ لكن يريد عين اليقين. وقد ذكر العلماء أن اليقين ثلاث درجات: علم؛ وعين؛ وحق؛ كلها موجودة في القرآن.
- ❖ أرشد قوله تعالى: {أولم تؤمن} إلى ما ينبغي للإنسان أن يقف عنده فلا يتعداه إلى ما ليس من شأنه. وفي هذا الإرشاد لخليل الرحمن تأديب للمؤمنين كافة، ومنع لهم عن شغل نفوسهم بما استأثر الله به.
- ❖ **قال ابن سعدي رحمه الله:** وخصّ الله الطيور بذلك لأن إحياءهن أكمل وأوضح من غيرهن.

❖ ذكر الله تعالى مثالاً واحداً في إثبات ربوبيته ﷻ؛ (مناظرة إبراهيم للنمرود) ومثالين في إثبات البعث؛ ذلك لأن منكري البعث أكثر من منكري الربوبية.

مقدمة بين يدي آيات الإنفاق في سورة البقرة

۞ مبادئ أساسية في الاقتصاد الإسلامي والمعاملات المالية:

إن **أول** وأهم أسس النظام الاقتصادي في الشريعة الإسلامية أنه **نظام تكافلي اجتماعي تعاوني**، فالواجب المفروض على أصحاب الأموال أن يخصصوا جزءاً من أموالهم للجانب الضعيف المحتاج في المجتمع، وهو أمر إلزامي في أعلى درجات الإلزام في الشريعة الإسلامية، فهو فرض لازم وركن أصيل من أركان الإسلام الكبرى.

ولذا شكلت آيات الإنفاق في القرآن الكريم أكثر من ثلث الجزء تقريبا أكثرها موجود في سورة البقرة، فإن موضوع الإنفاق من أطول موضوعات السورة بعد موضوع بني إسرائيل، وقد جاءت آيات الإنفاق مجتمعة في آخر السورة من **الآية/ ٢٦١- ٢٧٤/** وتمثل ثمن الجزء عدا الآيات المتفرقة في آخر السورة في الإنفاق أو الزكاة أو الصدقة فإنها من فروع الإنفاق. وكثرة هذه الآيات في هذا الموضوع دليل على أهميته والتأكيد عليه، **ومما يدل على ذلك: أن الله تعالى** قرنه بالإيمان بالغيب والصلاة في أول السورة فقال الله تعالى في وصف المتقين:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ فعطف الإنفاق على الصلاة وهي عماد الدين والفارقة بين الكفر والإيمان، فعطف الإنفاق عليها دليل على أن منزلة الإنفاق تصل إلى هذا المستوى من الأهمية، وكذا عطفه على الإيمان بالغيب الذي هو أساس الدين، وأساس قبول الأعمال عند الله دليل على أهمية الإنفاق، فالإيمان أساس

الدين، والصلاة عماده، والإنفاق صلة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإحسان الخلق يورث المحبة بينهم، والمودة التراحم، والتكافل الاجتماعي.

كما قال الشاعر:

النّاس للنّاس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خَدَم

ولمَّا كانت الشريعة الإسلامية شريعة رحمة وسماحة، والله سبحانه وتعالى يعلم شدّة حبّ الإنسان للمال، وأنّه شحيح به، ويشقّ عليه أن ينفق جزءاً منه على غيره، تلطَّف سبحانه في تشريع الإنفاق لطفاً كبيراً، وحثَّ عليه بأساليب رفيقة ورقيقة، تدلّ على رحمته تعالى ورأفته بعباده ولطفه بهم، وقد مرَّ معنا في السورة بعض هذه الأساليب، كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا... ﴾.

وها هي الآيات هنا تلتزم هذا الأسلوب اللطيف الرقيق، في تربية النفوس على البذل، وتخليصها من الشح الذي جُبلت عليه، بهذا المثل الرائع: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريقه الموصل إليه، فيدخل في هذا: إنفاقه في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد في سبيله، وفي تجهز المجاهدين وتجهيزهم، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين.

ويلي ذلك الإنفاق على المحتاجين، والفقراء والمساكين. وقد يجتمع الأمران، فيكون في النفقة دفع الحاجات، والإعانة على الخير والطاعات، فهذه النفقات مضاعفة.

❁ **هذا وقد** وردت آيات خمس في سورة البقرة تأمر بالزكاة؛ وآيات ست في ذكر الصدقة.

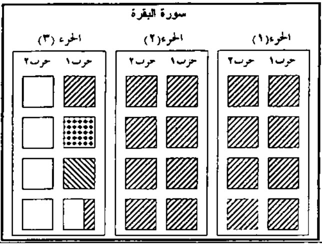

الجزءالثالث/الحزب الأول/ الربع الثاني/ الآيات: ٢٦١ – ٢٧٤

أولا: ثواب الإنفاق في سبيل الله، وآدابه، والقول المعروف خير من صدقة الأذى
الآيات. ٢٦١ – ٢٦٣
من قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾
إلى قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾

ثانيا: ثلاث أمثلة بديعية محسوسة: الآيات: ٢٦٤–٢٦٦
١– المثل الأول: دليل على بطلان أجر الإنفاق المصحوب بالمن والأذى، أو الرياء: الآية /٢٦٤/ قوله تعالى ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾
٢– المثل الثاني للمخلص في نفقته: الآية:/٢٦٥/
قوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾
٣– المثل الثالث: دليل على إبطال المعاصي للطاعات الآية/٢٦٦. قوله تعالى ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ ﴾.

ثالثا: الأموال الواجبة فيها الزكاة، والإنفاق من طيب الكسب، والتحذير من الشيطان، وبيان فضل الله وإحسانه على خلقه في الشؤون المادية والمعنوية
الآيات: ٢٦٧ – ٢٦٩
من قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ..﴾

رابعا: صدقة السر وصدقة العلن.
الآيتان. ٢٧٠–٢٧١
قوله تعالى.﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾.
وقوله تعالى. ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾

خامسا: أفضل مصارف الصدقات، وبيان فضيلة المنفقين وما لهم من الثواب الجزيل عند الله.
الآيات ٢٧٢ – ٢٧٤
من قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾
إلى قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾

الجزء الثالث – الحزب الأول – الربع الثاني

حسب القرآن: الآيات: ٢٦٣- ٢٧١

من قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ... ﴾.

حسب المعنى: الآيات:٢٦١- ٢٧٤

من قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ... ﴾.

المعاني الرئيسة:

تضمن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

أولاً: الآيات:٢٦١ – ٢٦٣

ثواب الإنفاق في سبيل الله:﴿٢٦١﴾، وآدابه:﴿٢٦٢﴾

والقول المعروف خير من صدقة الأذى:﴿٢٦٣﴾

من قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى... ﴾.

المفردات اللغوية:

مثل: يطلق المثل على الشبه؛ ويطلق على الصفة؛ فإن ذُكر مماثل، فالمراد به الشبه؛ وإلا فالمراد به الصفة، كما في هذه الآية؛ فالمراد به الشبه؛ يعني هؤلاء كشبه هذا

الشيء؛ والتقدير: مثل عمل الذين ينفقون أموالهم كمثل حبّة؛ أو يقدّر: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع حبّة أنبتت سبعة سنابل. **ينفقون أموالهم سبيل الله**: يبذلون أموالهم فيما يؤدي إلى مرضاته تعالى. **واسع**: ذو سعة في جميع صفاته. **عليم**: ذو علم وعلمه شامل لكل شيء جملة، وتفصيلاً، حاضراً، ومستقبلاً، وماضياً. **مَنّاً**: **المنّ**: أن يذكر المحسن إحسانه على المنفَق عليه، ويظهر تفضله عليه، فيقول: قد أحسنت إليه وجبرت حاله. **أذى**: **الأذى**: التطاول والتفاخر بالإنفاق. **لهم أجرهم**: ثواب إنفاقهم. **ولا خوف عليهم**: أي مما يستقبل. **ولا هم يحزنون**: أي على ما مضى ـ لكمال نعيمهم ـ. **قول معروف**: كلام حسن ورد جميل على السائل. **ومغفرة**: ستر وتجاوز لإلحاحه في السؤال و غيره. **خير**: أنفع وأكثر فائدة. **غني**: غني عن غيره؛ فهو غني بذاته عن جميع مخلوقاته. **حليم**: بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذي.

المعنى الإجمالي:

ها هي الآيات الكريمات تعود مرّة أخرى إلى التحريض والحثِّ على الإنفاق في سبيل الله بمثل يضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأنّ الحسنة تُضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فبيَّن تعالى أنَّ صفة المنفقين أموالهم في طاعة الله تعالى وابتغاء رضوانه وحسن مثوبته: كنشر العلم، والجهاد، وإعداد السلاح، والحج، كصفة حبة زرعت في أرض خصبة، فأنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبّة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يُضاعف إلى سبعمائة ضعف، وقد يُضاعف الله لمن يشاء إلى أكثر من ذلك، ويزيد ثوابه، بحسب ما تقتضيه حكمته، والله تعالى لا ينحصر فضله، ولا

يجدّ عطاؤه، ففضله واسع كثير، وعلمه شامل، فهو عليم بأحوال المنفقين ونيّاتهم، وعليم بمن يستحقّ هذه المضاعفة مِمَّن لا يستحقّها.

ولمّا بيَّن سبحانه فضل الإنفاق في وجوه الخير، ناسب أن يُبَيِّن أدب الإنفاق الذي يترتب عليه الثواب في الآخرة، بأن يكون خاليا من المنِّ؛ كأن يحاسبه على ما أعطاه ويُظهر تفضّله عليه، وأن يكون خالياً من الأذى أو الضرر، قولياً كان؛ بأن يعيّره بفقره، أو يكلّمه كلاماً قاسياً فيه إهانة وإذلالاً، أو فعليّاً؛ بأن يطلب عملا جزاء لصدقته، وكل ذلك محرم في الشريعة الإسلامية.

فهؤلاء الباذلون الذين لا يمتنون ولا يؤذون لهم ثواب كامل لا يُقْدَر قَدْرُه؛ لأنه من عند الله العظيم؛ وما كان من العظيم فهو عظيم، ولا ينالهم خوف في المستقبل، ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم في الدنيا؛ لأنهم صاروا إلى ما هو خير لهم منها.

ثمَّ أخبر تعالى أنّ الكلام الحسن، والرد الجميل على السائل، والستر لحال الفقير المحتاج، والتجاوز عمّا يقع منه من إلحاح في السؤال، أو جفاء في الطلب، كأن يقول أعطني حق الله الذي عندك أو نحو ذلك، وترك التشهير به، خير عند الله وأفضل من إعطائه ثم إيذائه أو تعييره بذلّ السؤال.

وكانت خاتمة هذه الآية الكريمة بالجمع بين اسمين عظيمين من أسمائه تبارك وتعالى: "الغِنى" و"الحِلْم"؛ لأنَّ الآية في سياق الإنفاق والصدقة، فبيَّن تعالى أن الصدقات لا تنفع الله؛ وإنّما تنفع من يتصدّق وأنَّ الله سبحانه وتعالى مستغن عن الخلق وعن صدقاتهم؛ لا يحتاج إلى أحد؛ وكل من في السموات والأرض فإنه

محتاج إليه تبارك وتعالى، وهو مع كمال غناه، وسعة عطاياه، يحلم عن المسيء كمن يمنّ أو يؤذي، ولا يعاجله بالعقوبة لعلّه يتوب ويرجع.

من هداية الآيات:

١- بيان فضل الإنفاق في سبيل الله، والتحريض والحث عليه.

٢- أنَّ الأعمال الصالحة ينمّيها الله ﷻ لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن زرعه في الأرض الطيبة.

٣- أنّ ثواب الله تعالى، وفضله أكثر من عمل العامل؛ لأنّه لو عومل العامل بالعدل لكانت الحسنة بمثلها؛ لكن الله يعامله بالفضل، والزيادة.

٤- الإشارة إلى الإخلاص لله؛ لقوله تعالى:﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بأن يكون إنفاق المنفق مراداً به وجه الله، ولا حظَّ للنفس فيه، فذلك هو أعلى درجات الإنفاق، وهو الموعود عليه بهذا الأجر الجزيل.

٥- جعل الله تعالى ثواب النفقة في سبيله أموراً ثلاثة: ضمن الله له الأجر، والأجر الجنة. ونفى عنه الخوف في المستقبل؛ أي: بعد موته. وأذهب عنه الحزن والأسف على ما سلف في الدنيا.

لطائف من الآيات:

❖ أنَّ القرآن الكريم على غاية ما يكون من البلاغة، والفصاحة: فها هي الآيات تصور لنا منظراً مدهشاً، منظر حبَّة في باطن الأرض، تتحول بقدرة الله ومشيئته إلى سبعمائة حبة متراكبة تركيباً عجيباً معجزاً في سبع سنابل، وفي الآية: اجتمعت الأجزاء المتفرقة وعادت إلى تلاحمها وتناسقها كما كانت،

وهنا الحبة الواحدة الضائعة في طيّات الثرى تتحول إلى سبعمائة في سبع سنابل محمولة على ساق بِنَبْتة واحدة، فسبحان الله وبحمده!! وقد ثبت لدى متخصصي الزراعة أن الحبة الواحدة من قمح أو أرز أو ذرة مثلاً لا تنبت سنبلة واحدة، بل أكثر، قد تصل إلى أربعين، أو ست وخمسين، أو سبعين، وأن السنبلة قد تشتمل على أكثر من مائة حبة، وقد أنبتت فعلاً مائة وسبع حبات.

- ❖ في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ... ﴾ ففي ضرب المثل بالحبة والسنبلة إشارة إلى أهمية الزراعة وفضلها فهي من أفضل المهن؛ لأن الناس يحتاجون إليها في غذائهم، وكسائهم، ونزهتهم بل وفي جميع شؤونهم. قال رسول الله ﷺ: **"ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"**
- ❖ الإنفاق في سبيل الله دون مَنّ ولا أذى سبب لرضوان الله، كما رضي الله ورسوله عن عثمان الذي جهز جيش العسرة.
- ❖ في قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى... ﴾ دليل على مبدأ مهمٍّ في الشريعة وهو: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"
- ❖ في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ دليل على تسلية الفقراء، وتعليق قلوبهم بحبل الرجاء بالله الغني الحليم، وتهديد الأغنياء وإنذارهم بأن لا يغتروا بحلم الله وإمهاله إياهم.

ثانياً: ثلاث أمثلة بديعية محسوسة

الآيات: ٢٦٤ ٢٦٦

من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ... ﴾.

وجه الربط:

لا زالت الآيات الكريمات تنفِّر من نفقة المنّ والأذى، وترغِّب في الإنفاق ابتغاء مرضات الله، خالصاً لوجهه سبحانه، وتحذِّر أشدَّ الحذر من النفقة رياء وسمعة، وللتأكيد على ذلك ضرب الله تعالى في هذه الآيات الكريمات ثلاثة أمثلة: **أولها:** للمرائي المنافق. **ثانيها:** مثل للمخلص في نفقته الذي ينفق ابتغاء مرضات الله ولم يتبع نفقته منّاً ولا أذى. **وثالثها:** لمن أتبع نفقته منّاً وأذى، أو أبطل طاعاته بالمعاصي.

المفردات اللغوية:

لا تبطلوا صدقاتكم: أي أجورها كإبطال نفقة المرائي للناس. **رئاء الناس:** مراءاة للناس وسُمعة، أي يفعل الخير مباهاة، أو لأجل أن يروه فيحمدوه. **صفوان:** حجر أملس. **وابل:** مطر شديد الوقع سريع التتابع. **صلداً:** صلباً أملس ليس عليه تراب أو غبار. **لا يقدرون:** استئناف كلام لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس. **مما كسبوا:** مما عملوا؛ أي لا يجدون له ثوابا في الآخرة. **وتثبيتاً من أنفسهم:** تحقيقاً للثواب، أو

تصديقاً يقيناً بثواب الإنفاق من عند أنفسهم. **بربوة**: مكان مرتفع من الأرض. **وابل**: مطر غزير. **أُكلها**: ثمرها. **ضعفين**: مثلي ما يثمر غيرها. **فطل**: مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، و المعنى: تثمر وتزكو، كَثُر المطر أم قل، فكذلك نفقات من ذكر، تزكو عند الله، كثرت أم قلت. **أيود**: أيحب، والهمزة للاستفهام الإنكاري والنفي، أي ما يود أحد ذلك. **وله ذرية ضعفاء**: أولاد صغار لا يقدرون على شيء. **إعصار**: ريح شديدة تستدير في الأرض بشدة، ثم ترتفع إلى الجو حاملة الغبار، كهيئة العمود وهي الزوبعة. **نار**: حرارة وسموم شديدة.

المعنى الإجمالي:

بعد أن رغَّب الله تعالى في الصدقات ونبَّه إلى ما يبطل أجرها وهو المنّ والأذى، أكَّد ذلك بخطاب المؤمنين بصفة الإيمان التي تدعو إلى التقيّد بالأمر الإلهي. فنهاهم وحرَّم عليهم المنَّ والأذى، كما يفعل ذلك المرائي الذي ينفق ماله رياء وسمعة، ويريد بها رضا الناس لا رضا الله تعالى، وليقال عنه: إنه كريم جواد، ونحو ذلك من مقاصد الدنيا الفانية، والذي دفعه إلى هذا ضعف إيمانه بالله، وقسوة قلبه وخلوه من الإيمان باليوم الآخر الذي يرقق القلب ويجعله يتفكر فيما بعد الموت.

ولكي يكون هذا المعنى المجرد أقرب للنفوس والعقول ضرب تعالى لذلك مثلاً بديعياً محسوساً، فمثل حال الذي يمنّ ويؤذي بنفقته، أو ينفق ماله رئاء الناس. كحال حجر أملس عليه تراب يخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، فإذا زرعه الزارع ونزل عليه مطر شديد، وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء وترك الحجر أملس لا شيء عليه فخاب أمل زارعه.

وكذلك أعمال المرائين وأمثالهم، تذهب وتضمحل عند الله، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس، ولكنهم لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوه عند الله؛ لأنّهم قصدوا مراءاة الناس؛ فأحبط الرياء أعمالهم؛ لأنَّ الله لا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصاً؛ وهو أغنى الأغنياء سبحانه عن الشرك؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: **"أنا أغنى الأغنياء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"**

ولَمَّا كان المنّ والأذى والرياء في الإنفاق من صفات المنافقين، والمنافق كافر، بيَّن تعالى أنّ الكافر لا يُوفَّق لقبول الحق، ولا يهتدي لما فيه خيره ورشاده ما دام على الكفر، وفي ذلك تحذير للمؤمنين أن يسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم فإنها باطلة خاسرة.

وفي مقابل المثل السابق ضرب تعالى مثلاً للمؤمن المخلص في إيمانه، الذي يبتغي في نفقته مرضاة الله وتزكية نفسه؛ كمثل بستان في موضع مرتفع متمتع بالشمس والهواء، أصابه مطر شديد فيثمر ضعفي غلته، وإذا نزل عليه مطر خفيف، (الطل) أو الندى، أثمر أيضاً لجودة تربته وكرم موقعه. فكذلك حال المؤمن فإن قلبه الذي غمره بالإيمان فرقَّقَه وأخْصَبه للخير، فجعله ينفق الخير ابتغاء رضا الله، إن أصابه خير كثير أنفق كثيراً، وإن أصابه قليل أنفق بقدر طاقته، فخيره دائم وبِرّه لا ينقطع، فهو محسن في كلا الحالين، ويجد ثمرة بذله على كل حال، فالله سبحانه وتعالى يزكي له نفسه، ويزيده إيمانا، ويبارك له في ماله ويضاعف له الأجر يوم القيامة. ثمَّ الخاتمة الرائعة للمثالين: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾؛ فيها وعد ووعيد، فالله مطلع على ما تضمره القلوب من الإخلاص، والرياء. فيجازي المخلص أحسن الجزاء، ويعاقب على الرياء أشد العقاب.

ومن أجل استئصال طبيعة المنّ والأذى في نفوس الناس، **والتنفير الشديد من** الرياء، **أضافت الآيات** الكريمات مثلاً آخر للذين يحرمون أنفسهم من ثواب أعمالهم، وهم أحوج ما يكونون إليه، فهو مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي وجه الله، فإذا كان يوم القيامة، وجدها مُحْبَطة متلاشية، فيتحسَّر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنات وأجمعها للثمار، فيها النخيل والأعناب، وتجري فيها الأنهار، فتسقيها، وقد علقَّ الآمال عليها، ورجى أن ينتفع بها مع صغاره، فبلغ الكبر، وله أولاد ضعاف، والجنة معاشهم، فأصابتها ريح السَّموم اللافحة بحرِّها أو بردها القارس، فأحرقتها وأبادت ثمرها.

وتتركنا الآية عند هذه الجملة القصيرة؛﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ لنتصور مدى الحسرة والأسف الذي يعصف بنفس صاحب الجنة. هذا حال من أنفق ماله رياء، أو بالمنِّ والأذى، لن يجد لعمله غير الحسرة والندامة، وهو في ذلك اليوم الرهيب في أشد الحاجة إلى نتيجة عمله، وثواب بذله؛ لأن إعصار الرياء، والمنّ والأذى بدَّد كلّ ما فعله من خير في الظاهر، وهو شرّ في الحقيقة والباطن.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: قال عمر بن الخطاب ﷺ يوماً لأصحاب رسول الله ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت؟: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: يا ابن أخي، قل، ولا تحقر نفسك، فقال: ضُربت مثلا بعمل، قال عمر: أي عمل؟

قال: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية، وتبيين ما فيها من المثل بعملٍ من أحسن العمل أولا...

ثم انعكس سيره فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه من الصلاح، واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيء، وخانه أحوج ما كان إليه.

وختمت **الآية** بخاتمه رائعة مؤثرة حيَّة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ فعقب الحق تعالى على المثل بقوله:﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ فضرب الأمثال أسلوب تربوي يساعد المخاطبين على فهم المعاني المجردة، وبمثل هذا البيان الجلّي الواضح يُبَيِّن الله لكم الآيات، ودلائل الشريعة، وأسرارها، وغاياتها، لتتفكروا فيها، وتتعظوا بما اشتملت عليه من الأمثال والمعاني والعبر، وتُنْزِلوها على المراد بها، كما قال سبحانه تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

قال ابن سعدي رحمه الله: وهذه الأمثال الثلاثة تنطبق على جميع العاملين، فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازين العادلة، والأمثال المطابقة.

من هداية الآيات:

١ – أنَّ من أتبع نفقته منّاً أو أذى بطل أجره؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾.

٢- أن المنّ والأذى كبيرة من الكبائر؛ وجه ذلك: ترتيب العقوبة على الذنب يجعله من كبائر الذنوب؛ وقد قال شيخ الإسلام في حدّ الكبيرة: (كل ذنب رُتِّب عليه عقوبة خاصة، كالبراءة منه، ونفي الإيمان، واللعنة، والغضب، والحدّ، وما أشبه ذلك)؛ وهذا فيه عقوبة خاصّة؛ وهي إبطال العمل؛ ودليل كونه من الكبائر ما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"**. والمنّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها. وقيل: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه؛ والأذى: السب والتشكي؛ وهو أعم من المنّ؛ لأن المنّ جزء من الأذى، لكنه نصّ عليه لكثرة وقوعه.

٣- تحريم مراءاة الناس بالعمل الصالح، وأنَّ الرياء من الشرك، وأنَّ مَن فعل ذلك ففي إيمانه بالله، واليوم الآخر نقص؛ لقوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾.

٤- أنَّ الرياء والمنَّ والأذى في الإنفاق من صفات الكفار، ولابدَّ للمؤمن أن يتجنَّبها؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾.

٥- بيان ما للنية من تأثير في قبول الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾.

٦- الحث على التفكر، وأنه غاية مقصودة؛ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ لأنّ التفكر يؤدي إلى نتائج طيّبة.

لطائف من الآيات:

❖ دلَّ تعليل الإنفاق بعلتين في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ..﴾ على أن نقصد بأعمالنا أمرين:

ابتغاء رضوان الله لذاته، تعبداً له.

وتزكية أنفسنا وتطهيرها من الشوائب التي تعوقها عن الكمال، كالبخل والمبالغة في حب المال، وتوطينها على البذل في سبيل الله.

❖ خصّ الله تعالى النخيل والأعناب بالذكر تغليباً لهما على غيرهما؛ لأن ثمرهما من أفضل الفواكه وأكثرها نفعاً، فيهما الغذاء والتَّفكه، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات.

ثالثاً: الآيات: ٢٦٧ – ٢٦٩

الأموال الواجبة فيها الزكاة، ووجوب الإنفاق من طيِّب الكسب: ﴿٢٦٧﴾، والتحذير من الشيطان، وبيان فضل الله وإحسانه على خلقه في الشؤون المادية والمعنوية: ﴿٢٦٨ - ٢٦٩﴾

من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ...﴾ .

إلى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

وجه الربط:

بيَّن الله تعالى في الآيات السابقة ما يجب أن يتَّصف به المُنْفِق عند الإنفاق من الإخلاص لله، وقصد تزكية النفس، والبعد عن الرياء، وما يجب أن يتحلَّى به بعد الإنفاق من البُعد عن المنِّ والأذى. ثمّ بيَّن الله تعالى هنا صفة المال المبذول: وهو أن يكون من طيِّب الأموال.

المفردات اللغوية:

من طيبات ما كسبتم: جياد وحسان ما كسبتموه بطريق الحلال، مفرده طيب أي جيد مستطاب، وضده الخبيث المستكره. **ومما أخرجنا لكم من الأرض**: أي ومن طيبات ما أنبتنا من الحبوب و الثمار. **ولا تيمموا**: تقصدوا. **الخبيث**: الرديء. **ولستم بآخذيه**: أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم. **إلا أن تغمضوا فيه**: بالتساهل وغض البصر، فكيف تؤدون منه حق الله؟! **غني**: عن نفقاتكم. **حميد**: مستحق للحمد على نعمه الكثيرة. **الشيطان يعدكم الفقر**: أي يخوفكم من الفقر إن تصدقتم، فتمسكون ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله، **والفقر**: سوء الحال وضيق ذات اليد. **ويأمركم بالفحشاء**: أي يغريكم بالبخل ومنع الزكاة؛ وإنما فسِّر بالبخل؛ لأن فحش كل شيء بحسب القرينة، والسياق؛ فقد يراد به الزنى، وقد يراد به اللواط، وقد يراد به ما يستفحش من الذنوب عموماً. **والله يعدكم مغفرة منه**: أي ستراً لذنوبكم إن تصدَّقتم. **وفضلاً**: رزقاً وخَلفاً منه؛ فالصدقة تزيد المال. **يؤتي الحكمة**: "الحكمة" من أحكم بمعنى أتقن؛ وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وتستلزم علماً، ورشداً، وقيل: المراد العلم النافع المؤدي إلى العمل، المؤثر في النفس، واختلف العلماء في الحكمة؛ والأقوال تشترك في أن

الحكمة: هي الفهم الصحيح والعلم النافع واتباع المعلوم المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة. **خيراً كثيراً**: لأن الحكمة أوصلته إلى السعادة الأبدية. **وما يذكّر**: يتعظ، وأصله يتذكر، فأدغم التاء في الذال. **أولو الألباب**: أصحاب العقول.

المعنى الإجمالي:

يأمر الله تعالى عباده منادياً إيَّاهم بصفة الإيمان ترغيباً وحثّاً، كأنما يقول لهم: يا مَن اتَّصفتم بالإيمان إنَّ من مقتضى إيمانكم أن تنفقوا النفقة الواجبة عليكم؛ من خيار المال الذي اكتسبتموه بعملكم، الذي أحلَّه الله لكم، سواء أكان نقوداً أم ماشية، أو غير ذلك من عروض التجارة والصناعة، وكذلك مِمَّا أخرج الله لكم من الثمار والحبوب والمعادن، والركاز؛ (وهو دفين الجاهلية)، ولا تقصدوا الخبيث الرديء من أموالكم، فتتصدّقون منه، وتحتفظون لأنفسكم بالمال الجيد، فإنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً.

ثمَّ تأديباً منه سبحانه وتعالى وتربية لعباده المؤمنين بيَّن لهم قباحة الصدقة من رديء المال؛ فكما أنَّكم لا ترضون بهذا الرديء لأنفسكم وتكرهون أخذه لو أعطيتموه في حقٍّ لكم إلَّا أن تغضّوا بصركم، وتتساهلون في قبوله، فكيف ترضونه لله تعالى؟!

ثمَّ أعلمهم سبحانه أنّه - وإن أمر عباده بالصدقة وبالطيب منها - فهو غنيٌّ عنها وعن نفقات المنفقين، وطاعات الطائعين، وغنيٌّ عن جميع المخلوقين، وإنّما أمرهم بها لمنفعتهم ومصلحتهم، ومحض فضله وكرمه عليهم، وأنَّه تعالى محمود بما له من إنعامٍ على سائر خلقه، فهو سبحانه الذي أعطى النّاس جميع الخيرات، ومع أنَّ

الخير كله منه وبيده فهو جَلَّ وعلا حامدٌ لعباده صدقاتهم وكأنها من جيوبهم ومن صنع أيديهم مع أنها كلها من عنده سبحانه.

ولمَّا رغّب تعالى في الإنفاق وختم آياته بما يقتضي الوعد من أصدق القائلين بالغنى والإثابة في الدارين أتبعه بها للعدوِّ الكاذب من ضدِّ ذلك، محذِّراً إياهم من عدوهم القديم الذي أقسم بعزة الله ليغوينهم، قال تعالى حكاية عنه:﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (صّ:٨٢ – ٨٣) فهو يوسوس للإنسان يخوِّفه من الفقر إذا تصدَّق وأنفق في سبيل الله، ويزيِّن له البخل، ويجعله يضنّ بماله ويمنع زكاته عن مستحقيها.

والله ﷻ في مقابلة إغراء الشيطان وأمره بالبخل، يعدكم على إنفاقكم في سبيله مغفرة لذنوبكم ستراً لها، وزيادة ونماءً لأموالكم تعويضاً وإخلافا عليكم أفضل ممَّا أنفقتم؛ فالصدقة تزيد المال؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الروم:٣٩) وقوله ﷺ: **"ما نقصت صدقة من مال"**، والله واسع الفضل، كثير الهبات، عليم بمن هو أهل فيوفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات.

قال ابن سعدي رحمه الله: فلـمّا حثَّهم على الإنفاق النافع، ونهى عن الإمساك الضار، بيَّن لهم أنّهم بين داعيين: داعي الرحمن، يدعوهم إلى الخير، ويعدهم عليه الخير، والفضل والثواب العاجل والآجل، وإخلاف ما أنفقوا. وداعي الشيطان الذي يحثهم على الإمساك ويخوفهم إن أنفقوا أن يفتقروا، فمن كان مجيباً لداعي

الرحمن، وأنفق مِمَّا رزقه الله، فليُبَشر بمغفرة الذنوب وحصول كل مطلوب، ومن كان مجيباً لداعي الشيطان فإنه إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، فليختر العبد أي الأمرين أليق به. ا.هـ

ولا يقتصر إحسانه وفضله سبحانه على الشؤون المادية، وإنّما يمتدّ أيضاً إلى الأمور المعنوية الرفيعة والخِصال الحميدة، فهو جلَّ ثناؤه يعطي الحكمة من يشاء من عباده، والحكمة هي: وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وتستلزم علماً، وفقهاً، ورشداً، فهي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول الرشيدة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجلّ الهبات.

ولَمَّا كان العقل آلة الحكمة: فمن تدبَّر القرآن وعرف ما فيه من الأحكام، وأدرك بسلامة عقله ما في الإنفاق من فوائد تعود على الأمة بالخير، وعلى المنفق بالثواب الجزيل، لم يتأثر بوساوس الشيطان، ولم يتردَّد في البذل والإنفاق في سبيل الله. عن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لا حَسَدَ إلّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلَّطه على هَلَكَته في الحقّ، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها**". ثم ذيَّل الله تعالى هذه الآية ببيان أنّه لا يتَّعظ بآيات الله، وما ينتفع بها إلّا أصحاب العقول الوافية، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه.

من هداية الآيات:

١- وجوب اختيار الطيب الجيد من مكاسب الأموال عند إنفاقها في سبيل الله، سواء أكانت من الزكاة الواجبة أم من الصدقة المندوبة؛ لأن القصد هو التقرب إلى الله تعالى، وادخار الثواب على فعل الخير، وذلك لا يتحقق إلّا بجياد الأموال وأطيبها.

٢- وجوب الزكاة في عروض التجارة المعدة للبيع والشراء، والنقدين، والخارج من الأرض: كالحبوب، والثمار، والمعادن، ودلَّت السنة على وجوب الزكاة في الركاز؛ وهو(دفين الجاهلية). ودلَّت السُّنَّة على أنّ الزكاة في الخارج من الأرض لا تجب إلّا في شيء معين جنساً، وقدراً؛ فلا تجب الزكاة في القليل؛ لقول النبي ﷺ: **"ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة"**؛ و"الوسق" هو الحِمل؛ ومقداره خمسة أوسق: ثلاثمائة صاع بالصاع النبوي. ولا تجب الزكاة إلّا فيما يُكال؛ وعليه فلا تجب الزكاة في الخضراوات مثل: التفاح، والبرتقال، والأترج، وشبهها.

٣- ولم يُبَيَّن في الآية مقدار الواجب إنفاقه من الكسب، والخارج من الأرض؛ ولكن السنة بينت أن مقدار الواجب فيما حصل من الكسب ربع العشر؛ ومقدار الواجب في الخارج من الأرض العشر فيما يُسقى بلا مؤونة؛ ونصفه فيما يُسقى بمؤونة.

٤- **قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله**: إذا أضيفت هذه الآية:﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ إلى حديث ابن عباس ﷺ حين بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن، وقال: **"إياك وكرائم أموالهم"** تَبَيَّن لك العدل في الشريعة الإسلامية؛ لأن

العامل على الزكاة لو قصد الكرائم من الأموال صار في هذا إجحاف على أهل الأموال؛ ولو قصد الرديء صار فيه إجحاف على أهل الزكاة؛ فصار الواجب وسطاً؛ لا نلزم صاحب المال بإخراج الأجود؛ ولا نمكنه من إخراج الأردأ؛ بل يخرج الوسط.

٥- **وقال الشيخ رحمه الله**: الإشارة إلى قاعدة إيمانية عامة؛ وهي قول الرسول ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**؛ ووجه الدلالة أن الله ﷻ قال: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ فالإنسان لا يرضى بهذا لنفسه فلماذا يرضاه لغيره؟!! لذا يجب على الإنسان أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به؛ ولهذا جاء في الحديث: **"من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر؛ وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه"**؛ ومع الأسف الشديد أن كثيراً من الناس اليوم لا يتعاملون فيما بينهم على هذا الوجه؛ كثير من الناس يرى أنَّ المكر غنيمة، وأن الكذب غنيمة.

٦- أن للشيطان تأثيراً على بني آدم إقداماً، أو إحجاماً؛ أما الإقدام: فيأمره بالمعاصي، وأما الإحجام: فيأمره بالبخل، ويعده الفقر لو أنفق، ولذا نجد أن أبواب التشاؤم لا يفتحها إلّا الشياطين.

لطائف:

❖ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ قدم الجار والمجرور في كلمة﴿ مِنْهُ ﴾ على كلمة ﴿ تُنفِقُونَ ﴾ لتفيد الحصر، فيكون المعنى: لا تقصدوا دواماً إلى النوع الرديء لا تنفقون إلا منه.

❖ في قوله تعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ **قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى**: ووجه المناسبة في ذكر "**الحميد**" بعد "**الغنيِّ**" أنَّ غناه ﷻ غِنىً يُحمد عليه؛ بخلاف غِنى المخلوق؛ فقد يُحمد عليه، وقد لا يُحمد؛ فلا يُحمد المخلوق على غِناه إذا كان بخيلاً؛ وإنما يُحمد إذا بذله؛ والله ﷻ غني حميد... **قال ابن سعدي رحمه الله تعالى**: ومع كمال غناه، وسعة عطاياه، فهو الحميد فيما يشرعه لعباده من الأحكام الموصلة لهم إلى دار السلام، وحميد الأفعال، التي لا تخرج عن الفضل، والعدل، والحكمة، وحميد الأوصاف؛ لأن أوصافه كلها محاسن وكمالات، لا يبلغ العباد كنهها، ولا يدركون وصفها.

❖ في قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾: بلاغة القرآن، حيث المقابلة الطباقية؛ فقدم تعالى وسوسة الشيطان على إيحاء الرحمن؛ لأن المرء إذا أراد الإنفاق هاجمته أولاً وساوس الشيطان تصور له الفقر وتأمره بالبخل ومنع الزكاة والصدقة، وهذا الشح يعتبر معصية لله ويُعد في الفواحش.

❖ يلاحظ أن الآيات التي تطالب بالإنفاق تختم عادة أو غالباً إمّا بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ أو بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾: وذلك يرشدنا إلى أن النفقة جزء مِمَّا أنعم الله به من رزق على العباد، وأنه

تعالى سيجزيه بها ويضاعفها له أضعافاً كثيرة، ويخلف المبذول على المنفق؛ لأنه واسع الفضل والرحمة والعطاء، ويرشدنا أيضاً إلى أن القصد هو اختبار الناس فهو لا يأمرهم بالصدقة حين العَوَز، وإنما حال السعة واليسر، فكل إنسان حسب طاقته وقدرته على الإنفاق، وهو سبحانه محمود على كل حال، وعلى جميع نعمه، ومقتضى الحمد والشكر تَذكُّر المحتاج ومواساة الفقير والمسكين.

❖ في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قال بعض الحكماء: من أُعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم؛ فإنما أعطي أفضلَ ما أعطي أصحاب الدنيا؛ لأن الله تعالى سمَّى الدنيا متاعاً قليلاً؛ فقال:﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (النساء: ٧٧) وسمَّى العلم والقرآن: ﴿ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

رابعاً: صدقة السر وصدقة العلن: الآيات:٢٧٠ - ٢٧١

من قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ... ﴾.

إلى قوله تعالى:﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ... ﴾.

وجه الربط:

بعد أن رغَّب الله تعالى في الإنفاق في سبيله، أخبر أنه مهما أنفق المنفقون أو تصدَّق المتصدِّقون أو نذر الناذرون، فإن الله يعلم ذلك. ثم بعد أن تهيأت نفس المؤمن للبذل راغبة في ثواب الله، ومعرضة عن وساوس الشيطان، لا تخشى من

البذل فقراً فكيف يكون إنفاقها؟.. أتعلنه فيكون في الإعلان تشجيع للخير وبث للأمل والتفاؤل في نفوس البائسين؟ أم تخفيه عن أعين الناس فيكون أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء؟..

المفردات اللغوية:

وما أنفقتم من نفقة: أديتم من زكاة أو صدقة. **أو نذرتم من نذر**: **النذر**: لغة: العزم على التزام شيء خاص، وشرعاً: التزام طاعة تقرباً إلى الله تعالى. **إن تبدوا الصدقات**: تظهروا الصدقات الفرائض أو التطوعات. **فنعما هي**: جملة إنشائية للمدح؛ **أصلها**: فنعم ما هي. **وإن تخفوها**: تتصدقوا سرّاً فهو خير لكم من إبدائها.

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى أنّه مهما أنفق الإنسان من نفقة، قليلة أو كثيرة، وما أوجب على نفسه من نذر، فإن الله يعلم ذلك، وهو مجازٍ عليه إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، وأنَّ المانعين الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم، ولم يتصدَّقوا، أو الذين نذروا ولم يوفوا بنذرهم فما لهم من أنصار يمنعونهم من عذابه تعالى وانتقامه.

ثم شرع تعالى ببيان كيفيَّة الإنفاق وأحسن طرق الأداء، فأخبر جلَّ ثناؤه أنَّ الصدقة إن أبداها المتصدّق إذا كان في إبدائها مصلحة ترجح على إخفائها _ مثل أن يكون إبداؤها سبباً لاقتداء الناس بعضهم ببعض، أو يكون في إبدائها دفع ملامة عن المتصدق، أو غير ذلك من المصالح _ فإبداؤها أفضل وإن أخفاها وسلَّمها للفقير في السرِّ فهو خير من إظهارها؛ بُعداً عن الرياء والسمعة؛ ودلالة على الإخلاص؛ ويؤيده حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله "ومنهم رجل

تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"؛ ولأن الإخفاء على الفقير إحسان آخر.

وبيَّن تعالى أنَّه من موجبات تكفير السيئات، بذل الصدقات؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، ويؤيِّد هذا قول النبي ﷺ **"الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.."**

وكانت خاتمة الآيات الكريمات خاتمة بليغة حيث الانسجام بين اسم الله الخبير وسياق الآيات﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾؛ لأن الخبير هو العالم بخفايا الأمور وبواطنها، فمهما أنفق المنفقون، أو نذر الناذرون، فإن الله يعلم ما صدرت عنه من نوايا صالحة، أو سيئة، فالآية تذكرنا أنه لا يخفى عليه ﷻ سرنا، وجهرنا، وأنه سيجازي كلًّا بعمله، بحسب حكمته.

من هداية الآيات:

١- أنَّه ينبغي للإنسان إذا أنفق نفقة أن يحتسب الأجر على الله؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾.

٢- عموم علم الله تعالى بكل ما ينفقه الإنسان، أو ينذره، من قليل أو كثير.

٣- أن الله سبحانه لا ينصر الظالم؛ لقوله تعالى:﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾.

٤- أنَّ إخفاء الصدقة أفضل من إبدائها؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص؛ وأستر للمتصدَّق عليه.

٥- **قال ابن سعدي رحمه الله تعالى:** فأما إذا صرفت في مشروع خيري لم يكن في الآية ما يدل على فضيلة إخفائها، بل هنا قواعد الشَّرع تدل على مراعاة

المصلحة، فربما كان الإظهار خيراً لحصول الأسوة والاقتداء وتنشيط النفوس على أعمال الخير. ا.هـ

٦- **وأكثر العلماء** على أنّ إبداء الصدقة الواجبة (الزكاة) خير من إسرارها، فإن الناس يحتاجون إلى مرشدين عمليين يتقدَّمون الصفوف ويفعلون الخير قدوة للناس، لا سيما في هذا الزمان.

٧- أن الصدقات يجتمع فيها الأمران: حصول الخير، وهو: كثرة الحسنات والثواب والأجر، ودفع الشر والبلاء الدنيوي والأخروي، بتكفير السيئات؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

٨- تحذير العبد من المخالفة؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٢٧١﴾﴾ فإنّ ذلك يستلزم خشيته ﷻ.

خامساً: افضل مصارف الصدقات الآيات:٢٧٢ – ٢٧٤

من قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ...﴾.

وجه الربط:

بعد أن حثَّت الآيات السابقة المؤمنين على الإخلاص في الإنفاق، وبيَّنت آثاره الطيبة في الدنيا والآخرة، شرعت ببيان مصارف الصدقات.

المفردات اللغوية:

ليس عليك هداهم: أي ليس عليك إدخال الناس في الإسلام، وإنما عليك البلاغ والإرشاد إلى الخير، والله هو الذي يهدي هداية التوفيق إلى الدخول في الإسلام. **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم**: أي: كل ما تبذلونه لوجه الله من عين، أو منفعة؛ فلأنفسكم، أي: لا ينتفع به غيركم. **يوفّ إليكم**: يصل إليكم جزاؤه غير منقوص. **وأنتم لا تظلمون**: لا تنقصون منه شيئاً، وهذه الجملة وجملة ﴿ يُوَفَّ ﴾ تأكيد للجملة الأولى: ﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾. **للذين أحصروا في سبيل الله**: منعوا وحبسوا من الخروج من ديارهم في طاعة الله، لجهاد، أو تعلم علم. **لا يستطيعون ضرباً**: سفراً وسيراً في الأرض للكسب. **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**: يظنهم الجاهل بأحوالهم أغنياء لإظهارهم العفة وترك السؤال. **تعرفهم بسيماهم**: تعرف أحوالهم بعلامتهم من التواضع، وأثر الجهد.

لا يسألون الناس إلحافاً: أي لا يسألون الناس أصلاً شيئاً، ولا يقع منهم إلحاف أي إلحاح؛ وهو أن يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه.

المعنى الإجمالي:

يخاطب الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ أن ليس عليك هداية الناس، وإنَّما عليك تبليغهم دعوة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ... ﴾ (المائدة:الآية٦٧) وقوله تعالى:﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الغاشية:٢١-٢٢)، وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على هدايتهم، فبيَّن له تعالى أنَّه ما عليه إلَّا هداية الإرشاد والبيان، وتبشير من أطاع بالجنة، وإنذار من عصى بالنار، وأمّا هداية الرشاد والتوفيق إلى الإسلام والخير والسعادة

فمردّها إلى الله، بما وضع في النفوس من العقول، وما أبانه لهم من سنن وأدلة ترشدهم إلى الدين الحق.

ثمَّ أكّد تعالى ما جاء في الآية السابقة من أنَّ منفعة الصدقة تعود على المنفق، فكل ما يبذله الإنسان من عينٍ، أو مال يثاب عليه، إن كان إنفاقه خالصاً لله، لا يبتغي بذلك إلَّا مرضات الله وثوابه، لا للرياء والسمعة وحب الظهور، ولا ليقال كريم جواد، سواء كانت نفقته تلك على المسلمين أو غير مسلمين.

وترغيباً من الله تعالى لعباده وحثّاً لهم على الإنفاق أكدَّ لهم مرَّة ثانية أنَّه لا يضيع عنده مثقال ذرَّة، بل إنَّه يجزي المنفق المحسن في نفقته الجزاء الأوفى، ولا ينقصه شيئاً من ثواب صدقته، ويضاعفها له أضعافاً كثيرة، كما مرَّ في آية السنابل السبع.

ثم بيّن سبحانه أفضل مصارف الصدقات، وأكثرها ثواباً، فإنَّ أحقّ الناس بالصدقة هم الفقراء الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، أو لطلب علم نافع تحتاج إليه الأمَّة، والاشتغال بإقامة شرع الله ودينه، لا يستطيعون الانتقال والسفر في الأرض للكسب والتجارة؛ إمَّا لانقطاعهم للعلم؛ أو لقلَّة ذات اليد؛ أو لعجزهم بسبب الجراحات التي أصابتهم أثناء الجهاد؛ أو لكبر وشيخوخة؛ ونحو ذلك من الضرورات، يظنُّهم الجاهل بأحوالهم أغنياء غير محتاجين؛ لعفتهم وشرف نفوسهم؛ كقول النبي ﷺ: **"ليس المسكين الذي يطوف على الناس تردّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يُغنيه، ولا يُفطن له فيُتصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس" (أخرجه البخاري)** إلَّا أنَّ ذوي الألباب والفراسة يعرفونهم بعلامات تدلّ عليهم، وهم مع هذا لا يسألون الناس مجرد سؤال فضلاً عن أن يلحُّوا ويُلحفوا.

إذاً ست صفات ذكرها الله تعالى لهم وهي:

الصفة الأولى: الفقر؛ لقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾.

الصفة الثانية: الإحصار في سبيل الله؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

الصفة الثالثة: العجز عن الكسب؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يتمكنون القيام بالسفر، وليس لهم إرادة في الاكتساب؛ للأسباب الآنف ذكرها.

الصفة الرابعة: التعفف؛ لقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ بسبب ترفعهم عمّا في أيدي الناس وإظهارهم الغنى ستراً لفقرهم وحاجتهم حتى إن الجاهل بحالهم يظنُّهم أغنياء.

الصفة الخامسة: القرائن المميزة لهم؛ لقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: علامتهم؛ حيث تُعرف حقيقة حاجتهم بما يُرى من أثر الجَهد والحاجة البادية عليهم.

الصفة السادسة: لا يسألون الناس بالكليّة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

فهؤلاء هم المستحقون حقاً للصدقة، وأفضل ما وضعت فيه النفقات لدفع حاجتهم، وإعانة لهم على مقصدهم، وشكراً لهم على ما اتصفوا به من الصبر والتوكل على الخالق لا الخلق.

وللمرة الرابعة أعاد تعالى وعده الكريم بالمجازاة على ما يُنفق في سبيله، حثّاً منه تعالى على الإنفاق والتصدَّق على الفقراء والمحاويج، وأنَّه ما من نفقة صغيرة ولا كبيرة إلا والله تعالى يثيب عليها أحسن الثواب، فليبشر المتصدّق وليطمئن.

وبعد أن بلغ القرآن غايته في تشويق المؤمن للإنفاق، وحثه على السخاء، وتخليص إنفاقه من شوائب المنّ والأذى والرياء، وعلَّمه كيف يُنفق، وكيف يضع النفقة في مواضعها، ورغَّبه في ذلك ترغيباً يجعله يُؤثر رضا الله ومغفرته وثوابه، والبر بإخوانه على كل ما في الحياة من لذة ومال وشهوة... لا جرم بعد ذلك أن تصبح نفس المؤمن متفتحة للخير من جميع أبوابه، مندفعة إلى الإيثار إلى منتهى غاياته، لا جرم أن تصبح نفسه مستعدة لأن تتلقى بكل رضا واطمئنان ومبادرة إلى الطاعة والتنفيذ بالإنفاق في طرق الإحسان وعلى المحاويج، حيثما كانوا، وفي كل الأوقات، والأحوال، لينالوا الثواب العظيم، فيظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، ويدفع عنهم الأحزان والمخاوف، فكانت خاتمة آيات الحثّ على الإنفاق خاتمة بديعة؛ ببيان فضيلة المنفقين، وما لهم عند الله تعالى من الثواب الجزيل.

من هداية الآيات:

١- الهداية منوطة بمشيئته تعالى، وهو أعلم حيث يجعل هدايته، وأنه ما على الرسول إلا تبليغ الدعوة، وحث النّاس على الخير، وزجرهم عن الشر؛ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

٢- أنَّ ثواب الإنفاق عائد على المنفق لا ينتفع به غيره في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

٣- جواز الصدقة على غير المسلمين مادام الإنسان يبتغي بنفقته رضوان الله تعالى؛ ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾، ويؤكد ذلك سبب نزول الآية ومضمونه: أن من أسلم من الصحابة كره أن يتصدق على قريبه المشرك رغبة منهم في أن يسلموا إذا احتاجوا.

قال القرطبي: قال علماؤنا: هذه الصدقة التي أبيحت لهم هي صدقة التطوع، وأما المفروضة فلا يجزئ دفعها للكافر، لقوله ﷺ: **"وأمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم"**

٤- أن النفقة المعتدّ بقبولها إنّما هي ما كان ابتغاء وجه الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾.

٥- قوله تعالى:﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ تأكيد من الله ﷻ بأن ثواب الإنفاق يعود إلى المنفق كاملاً، وقد جاء التأكيد بمؤكدين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ أي يصلكم ثوابه كاملاً غير منقوص في الآخرة.

الثاني: قوله تعالى:﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ أي لا تُبخسون منه شيئاً، ومنه قوله ﷺ: **"اللهم أعط منفقا خلفا"**

٦- لا يجوز لمن يستطيع الضرب في الأرض والتكسب، أن يدع العمل والاكتساب، ويسأل الناس.

٧- فضيلة التعفف؛ وهو ترك السؤال مع الاحتياج، وذم الإلحاح في الطلب من غير الله، أمّا الله ﷻ فإنه يحب الملحين في دعائه؛ لقوله تعالى:﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾.

٨- الإشارة إلى الفراسة، والفطنة؛ لقوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ فإن السيما هي العلامة التي لا يطلع عليها إلّا ذوو الفراسة.

لطائف من الآيات:

❖ يلاحظ عند متابعة آيات الإنفاق في سورة البقرة أنها جاءت في الترتيب متناسبة ومتدرجة في التوجيه والتعليم؛ **حيث بدأت بوصف المتقين بالإنفاق**؛كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾. **ثم بينت بعد ذلك وجوه الإنفاق**؛ كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ...﴾ . **ثم الأمر بالمسارعة إلى الإنفاق واغتنام الفرصة**؛ كما في قوله تعالى: ﴿ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ... ﴾ **ثم ضرب سبحانه مثالاً لمضاعفة أجر الإنفاق للترغيب فيه**، وحذّر من المن والأذى، مع ضرب الأمثلة للتأكيد والتحذير؛ فقال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ... ﴾.

❖ في الآيات حثٌّ وترغيب على الإنفاق تطهيراً للنفس من صفة البخل فإنه من المهلكات، كما قال ﷺ: "**ثلاث مهلكات**" وذكر منها الشُّح المطاع، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود النفس بذل المال؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾، والزكاة تطهّر صاحبها عن خبث البخل المهلك.

❖ شكر النعمة: فإن لله ﷻ على عبده نعمة في نفسه وماله، فالعبادات الدينية شكر لنعمة البدن، والعبادات المالية شكر لنعمة المال.

❖ في تقديم الليل على النهار، والسرّ على العلانية، إشارة إلى تفضيل صدقة السرّ على صدقة العلن.

❖ قال القرطبي: حكي أن بعض العلماء كان يصنع كثيراً من المعروف ثم يحلف أنه ما فعل مع أحد خيراً، فقيل له في ذلك، فيقول: إنما فعلت مع نفسي؛ ويتلو قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

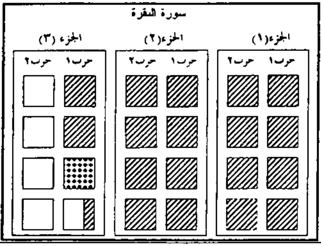

الجزء الثالث/الحزب الأول/ الربع الأول/ الآيات: ٢٧٥ – ٢٨٣

المعنى الأول. الربا وأضراره على الفرد والمجتمع: الآيات: ٢٧٥–٢٨١

أولاً: تحريم الربا، وعقوبة المرابين، وثواب المتصدقين، وجزاء الإيمان والعمل الصالح:

الآيات ٢٧٥ – ٢٧٧

من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾

ثانياً: من مقتضيات الإيمان تقوى الله وترك الربا، والمصر على الربا مُحارب لله ولرسوله، ومن تاب فليس له إلا رأس ماله

الآيات: ٢٧٩– ٢٧٨

قوله تعالى.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾. وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

ثالثاً: الأخلاق الإسلامية في المعاملات المالية.

الآية: /٢٨٠/

قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾

رابعاً: التحذير من أهوال يوم القيامة.

الآية /٢٨١/

قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾

تابع هيكلة سورة البقرة حسب المعنى/ الجزء الثالث/الحزب الأول/ الربع الثالث/

المعنى الثاني آية الدين، ومشروعية الرهن: الآيات: ٢٨٢ –٢٨٣

آية الدَّيْـــن

أولاً: التعامل بالدين، ومشروعية تأجيل الديون بآجال محددة، وتوثيقها بالكتابة: قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

ثانياً: التزام العدل، وبيان أحوال ناقصي الأهلية، وثبوت الولاية عليهم؛ لقوله تعالى:﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾

ثالثاً: الشهادة كوسيلة ثانية لتوثيق الديون والبيوع، ونصاب الشهادة، وتحريم امتناع الشاهد إذا دعي للشهادة، لقوله تعالى. ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾
وقوله تعالى:﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

رابعاً: فوائد توثيق الدين بالكتابة والإشهاد قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾.

خامساً: استثناء البيوع الحاضرة من الكتابة التي تدار بين بدلين يداً بيد من غير تأجيل، وندب الإشهاد على البيع؛ لقوله تعالى:﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾وقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾

سادساً: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام؛ لقوله تعالى.
﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾

خاتمة آية الدَّيْن:

وجوب تقوى الله في تنفيذ أحكامه، وامتنان الله عز وجل على عباده بالتعليم، وإثبات عموم علم الله، لقوله تعالى:
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

مشروعيَّــة الرَّهن

سابعاً: توثيق الحقوق بالرهن وهو ثالث أنواع التوثيق، لقوله تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾.

ثامناً: جواز التعامل بغير وثيقة ولا شهود؛ لقوله تعالى:﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾

تاسعاً: تحريم كتمان الشهادة؛ لقوله تعالى:﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾

خاتمة آيات المعاملات المالية:

ترغيب العباد على المعاملات الحسنة، وترهيبهم من المعاملات السيئة، لقوله تعالى. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

الجزء الثالث - الحزب الأول – الربع الثالث

حسب القرآن: الآيات:٢٧٢ - ٢٨٢

من قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ.. ﴾.

حسب المعنى: الآيات: ٢٧٥ - ٢٨٣

من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ... ﴾.

مقدمة وتوطئة بين يدي آيات الربا:

اقتصاد إسلامي لا ربوي:

قال الشيخ عبد الحميد طهماز في تفسيره لسورة البقرة: تبيَّن لنا من الآيات الكريمات السابقة أن المجتمع الإسلامي مجتمع متكامل متعاون، ومن الطبيعي في مثل هذا المجتمع أن يكون نظامه المالي نظاماً لا ربوياً؛ لأن النظام الربوي يقوم على استغلال حاجات المحتاجين؛ وهذا ينافي التكافل والتعاون الذي ظهر لنا من خلال الآيات، ولهذا حرّم الإسلام الربا وجعل أهم طرق الاكتساب المشروعة فيه تقوم على الجهد والضمان؛ فالزيادة المشروطة لرأس المال ولا يقابلها جهد ولا ضمان زيادة غير مشروعة في الإسلام، ولهذا اتجهت الآيات في خواتيم سورة البقرة تقرّر تحريم الربا مطلقاً، بجميع أنواعه وأشكاله.

وكما استهلّت الآيات الكريمات حديثها عن الإنفاق في سبيل الله، بالمثال المعجب المدهش، مثال السنابل السبع ذات السبعمائة حبّة، استهلّت بالمقابل حديثها عن الربا بهذا الوصف المُخيف المُرعب للمُرابين، وقد انتفخت بطونهم انتفاخاً كبيراً، حتى اختلّ توازنهم واضطربت أجسامهم، فأصبحوا يتصرّفون تصرف المصروعين المخبولين، والجزاء في الإسلام من جنس العمل.

فالرِبا هو الوجه الآخر المقابل للصدقة، الوجه الكالح الطالح، الصدقة عطاء وسماحة وطهارة وزكاة، وتعاون وتكافل، والرِبا شحٌّ وقذارة ودنس وأَثَرة وفرديّة، الصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا ردّ، والرِبا استرداد للدَّيْن ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه.

المعاني الرئيسة

تضمن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية:

المعنى الأول: الربا وأضراره على الفرد والمجتمع

الآيات: ٢٧٥- ٢٨١

من قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ... ﴾

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ... ﴾

أولاً: الآيات: ٢٧٥- ٢٧٧

وقد تضمن هذا المقطع المعاني الرئيسة التالية:

تحريم الربا، وعقوبة المرابين، وثواب المتصدقين ﴿٢٧٥- ٢٧٦﴾

وجزاء الإيمان والعمل الصالح ﴿٢٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

الذين يأكلون الربا: أي يأخذون؛ وعبر بالأكل عن الأخذ أو الانتفاع بالرِّبا؛ لأنه الغرض الأساسي منه، أي أن أغلب حالات الانتفاع هو الأكل. ويشمل ذلك الآخذ، والمعطي. **يتخبطه**: يصرعه. **المس**: الجنون والصرع. **موعظة**: وعظ وزجر. **فله ما سلف**: أي لا يسترد منه ما أخذه قبل النهي. **وأمره**: أي شأنه إلى الله تعالى في الآخرة. **ومن عاد**: إلى أكل الرِّبا بعد الموعظة. **يمحق الله الربا**: ينقصه ويذهب بركته. **ويربي الصدقات**: يزيدها، وينميها، ويضاعف ثوابها. **كفَّار**: عظيم الكفر. **أثيم**: آثم؛ أي بأكله الرِّبا، ومصر على الإثم ومبالغ فيه. **والله لا يحب**: إذا نفى الله المحبة فالمراد إثبات ضدها– وهي الكراهة.

المعنى الإجمالي:

لَمَّا ذكر الله تعالى، الأبرار المؤدّين النفقات، المُخرجين الزكوات، المُتفضِّلين بالبرّ والصدقات لذوي الحاجات، والقرابات، في جميع الأحوال، والأوقات، شرع في ذكر أكَلَة الربا، وأموال الناس بالباطل، فأخبر تعالى كيف أنّ آكلة الربا لا يقومون إلّا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له.

وقد اختلف المفسرون في هذا القيام، ومتى يكون؛ فقال جمهور المفسرين؛ وهو مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إنّهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلّا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس؛ فوصف حال المرابين يوم القيامة عندما يبعثون من قبورهم مخبلين كالمصروعين، أو كالمجانين، عقوبة لهم وتمقيتا عند جميع أهل المحشر. هذه العقوبة علامة لآكلة الربا؛ وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون؛ وقد عبر تعالى عن هذا بقوله جلَّ ثناؤه:﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ... ﴾.

والقول الثاني: إنهم لا يقومون عند التعامل بالربا إلّا كما يقوم المصروع؛ فهم – والعياذ بالله – لشدَّة شغفهم بالربا في الاضطراب والقلق والانهماك في الأعمال والدنيا كأنّما يتصرفون تصرّف المتخبط الذي لا يشعر؛ لأنهم سكارى بمحبة الربا، وسكارى بما يربحونه . وهم الخاسرون؛ فيكون القيام في الدنيا. وهذا قول كثير من المتأخرين؛ وقالوا: إن يوم القيامة هنا ليس له ذكر؛ ولكنّ الله شبّه حالهم حين طلبهم الربا بحال المصروع من سوء التصرف، وعلى كل فاختلافهم هذا كان

في معنى "القيام"، ومتى يكون، ولا مانع من الجمع بين المعنيين مادام لفظ الآية يحتملهما.

وقد جعل الله تعالى هذا العقاب جزاءً لهم على مراباتهم وجعلهم البيع والربا متشابهَيْن في الحِلّ؛ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ فهم تصوّروا باطلاً أنّ الربا مثل البيع؛ فكما أنّ البيع يؤدّي إلى الربح، وهو حلال، فكذلك الربا يؤدّي إلى الربح في نظرهم أيضاً، فردَّ الله سبحانه عليهم قياسهم الفاسد، وحَّرم ذلك عليهم؛ بقوله الحق:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾؛ فالحكم لله تعالى وحده، وهو الذي يُحِلُّ ويُحرِّم، وقد أحلَّ البيع إذ فيه معاوضة وسلعة، وحرَّم الربا إذ لا معاوضة فيه، والزيادة ليست في مقابلة شيء، فأخذها ظلم وأي ظلم، واستحلالها كفر وإثم، فمن بلغه تحريم الربا، بعد أن تعامل به، فانتهى وكفَّ عمّا كان يفعله، وتاب إلى الله، خوفاً منه، وامتثالاً لأمره، فله ما سلف أخذه من الربا في الجاهلية، وشأنه إلى الله ﷻ في الآخرة، ومن رجع إلى الربا بعد أن أتته الموعظة فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، واستحقَّ أن يكون من أهل النار الملازمين لها، الماكثين فيها مكثاً الله أعلم به، وفي هذا يقول جلَّ ثناؤه: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾.

ثمَّ حذَّر الله تعالى المرابين الذين لا ينتهون عن التعامل بالربا بأنّه سبحانه بعدله يمحق الربا؛ أي ينقصه ويهلكه، أو يذهب بركته، فيكون إزالة الله سبحانه للمال الربويّ إمَّا إزالة حسيّةً؛ بأن يسلط على مال المرابي ما يتلفه، أو معنويّةً؛ بأن ينزع

منه البركة. وفي مقابلة ذلك فالصدقة تزيد؛ فالله تعالى ينميها في الدنيا بالبركة؛ كما بيَّن ذلك حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين، أنّ رسول الله ﷺ قال: **"من تصدَّق بعِدْل تمرة من كسب طيِّب، ولا يقبل الله تعالى إلّا طيِّباً، فإنَّ الله تعالى يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فِلوه"**، وفي الآخرة يكثر ثوابها بالتضعيف، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ فقال الحقّ ﷻ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾.

وختم سبحانه **الآيات** الكريمات بالتشديد والتغليظ العظيم على من أربى؛ لأنه كفر نعمة الله وجحد منّة ربه؛ وأثم بإصراره على معاصيه؛ واتَّصف بخلال أهل الكفر؛ فاستحقَّ بذلك كراهة الله له؛ قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾.

ثم قارن الله تعالى _ كما هو شأن القرآن _ فعل الكفَّار الآثمين بفعل المؤمنين الصالحين، ليظهر الفرق واضحاً جليَّاً بين الفريقين. فقال تعالى مادحاً المؤمنين الذين آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وصدَّقت أعمالهم إيمانهم فانقادوا لشرع الله، وعملوا الأعمال الصالحات المبنيَّة على الإخلاص لله تعالى، ومتابعة رسوله الكريم ﷺ ، وأقاموا الصلاة التي تذكِّر المؤمن بربِّه وتقرِّبه إليه، وآتوا الزكاة التي تساهم في تخفيف الفقر ومحبة الناس لبعضهم، لهم ثواب كامل مُدَّخر عند ربهم الذي تعهَّدهم بالرعاية في شؤونهم، ولا يخافون مما هو آت، ولا يحزنون على ما فات. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى:

"أكبر الأسباب لاجتناب ما حرَّم الله تعالى من المكاسب الربوية تكميل الإيمان وحقوقه، خصوصاً إقامة الصلاة، وإيتاء والزكاة؛ فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة إحسان إلى الخلق ينافي تعاطي الربا الذي هو ظلم لهم وإساءة عليهم" ا.هـ.

وبما أنّ الشيء بالشيء يُذكر، وقد مرَّ معنا في هذه السورة الكريمة من قبل مراحل تحريم الخمر، فناسب أن يُذكر مراحل تحريم الربا في القرآن: **فقد حرَّم الله تعالى الربا في القرآن الكريم كتحريم الخمر في أربعة مواضع**، وسار التحريم في مراحل أربع، الموضع الأول منها مكيّ، والباقي مدني:

المرحلة الأولى: ففي مكة أنزل الله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٣٩)، وهذا يقابل آية الخمر المكيّة: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (النحل:٦٧)، وفي كلا الآيتين تمهيد للتحريم وتعريض به وإيماء إلى ضرورة تجنُّبه.

المرحلة الثانية: ثم قصَّ علينا القرآن في السور المدنيّة سيرة اليهود الذين حرَّم الله عليهم الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم؛ فقال تعالى:﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (النساء:١٦١)، وهذا نظير المرحلة الثانية في تحريم الخمر بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة:٢١٩)، وكلا الآيتين إنذار بالتحريم، وتعريض به، وإيذان بعقوبة المخالف.

المرحلة الثالثة: ثم نهى تعالى عن الربا الفاحش الذي يتزايد حتى يصير أضعافاً مضاعفة، وهو ما كان في الجاهلية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ﴾ (آل عمران: ١٣٠)، وهذا يشابه المرحلة الثالثة من مراحل تحريم الخمر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء: ٤٣)، فكلا الآيتين نهي جزئي صريح، إلّا أنّ آية الربا نهي عن صورة فاحشة من صور الربا وهو ربا الجاهلية، وآية الخمر نهي جزئي عن تناول المسكر وقت إرادة الصلاة.

المرحلة الرابعة: ثم جاء التحريم القاطع لكلٍّ من الربا والخمر، أمّا الربا فقد نهى الله عن كلّ ما يزيد عن رأس مال المدين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧٨)، وأمّا الخمر فقد أمر باجتنابه في كل الأحوال؛ فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (المائدة: ٩٠).

وقد تضمّنت الآيات الكريمات الأحكام الآتية:

أولاً: الوعيد الشديد لكل من يتعامل بالربا، حيث شبّه آكله بمن يتخبطه الشيطان من المس.

ثانياً: إباحة البيوع؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾، والبيع دفع عوضٍ وأخذ مُعَوَّضٍ، وهو يقتضي بائعاً وهو المالك أو من ينزّل منزلته، ومبتاعاً وهو الذي يبذل الثمن، ومبيعاً وهو الذي يبذل في مقابله الثمن.

ثالثاً: تحريم الربا؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾، والربا في اللغة: الزيادة المطلقة، يقال ربا الشيء يربو إذا زاد.

وفي الشرع: فضل مال بدون عوض في معاوضة مال بمال. والربا نوعان: ربا النسيئة، وربا الفضل.

وربا النسيئة: هو الزيادة الفعلية في أحد العوضين بسبب الأَجَل، أو تأخير تسليم أحد العوضين لأَجَل بدون زيادة، ويكون إمّا في القرض، أو في البيع.

وصورته في القرض: أن يتمّ إقراض قدر معيّن من المال لزمن محدود كسنة أو شهر، مع اشتراط زيادة عند الوفاء بسبب امتداد الأجَل. وهذا هو الذي كان متعارفاً في الجاهلية بين العرب، لا يعرفون غيره، فكانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيّناً، فإذا حلَّ أجَل الدَّيْن طولب المدين بكلِّ الدَّيْن، فإذا تعذَّر الأداء زادوا في الحقّ والأجَل، قائلين: إمّا أن تقضي أو تُرْبي، أي تزيد الدَّيْن مع زيادة الأجَل، فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطالب عليه. وهذا هو المستعمل الآن في المصارف المالية، وهو الذي نصَّ القرآن الكريم على تحريمه، وقد اتَّفق العلماء على أنّه محرَّم، وأنّه من الكبائر، ومن السبع الموبقات، وأنَّ التحريم لا يقتصر على آخذ الربا، وإنما يشمل الجميع؛ لقوله ﷺ: **"آكل الربا ومُوكله وكاتبه وشاهده ملعون على لسان محمد ﷺ"**

وأمّا ربا النسيئة في البيوع: فمثاله: بيع رِطل من القمح برِطل ونصف يدفع للبائع بعد شهرين، أو بيع صاع من القمح بصاعين من الشعير يدفعان له بعد ثلاثة أشهر، فهو حرام بسبب الزيادة الواضحة، وقد يكون بدون زيادة، وهو حرام أيضاً كبيع رِطلٍ من التمر ناجز تسليمه برِطل آخر من التمر مؤجّل التسليم، ولا

يلجأ لهذا البيع عادة إلّا بسبب كون الرِّطْل الحالي أكثر قيمة في الواقع من المؤخر تسليمه؛ لأن المعيَّن خير من الدَّيْن في الذِّمة، والمعجَّل أكثر قيمة من المؤجَّل. وهذا النوع حرام لقوله ﷺ فيما يرويه الشيخان من حديث أسامة ﷺ: **"لا ربا إلّا في النسيئة"**، والمقصود بهذا الحديث بيان الربا الأشدّ خطورةً، الأكثر وقوعاً، أو أنه محمول على حالة التفاضل بين جنسين مختلفين كبيع رِطل من القمح برطلين من الشعير إلى أجل، فإنّ النسيئة في ذلك حرام، وأمّا التفاضل في الحال فليس حراماً.

وربا الفضل في البيوع: هو أن يباع مال مخصوص مع زيادة أحد العوضين على الآخر، كبيع رِطل من القمح أو العسل أو التمر برطلين، وبيع درهم بدرهمين. وهو حرام للحديث الصحيح الذي رواه أبو سعيد الخدري وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **" الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأجناس، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد"** أي مقابضة. ولا يقتصر تحريم الربا على هذه الأصناف الستة، بل يقاس عليها ما في معناها؛ لأن النصّ مُعلل بعلة مفهومة منه، فتتعدّى الحرمة إلى كل ما توجد فيه العلة؛ إذ لا تعقل التفرقة بين متماثلين، وإنما نصّ الحديث على أصول الأشياء في عصر النبوة.

وقد يكون ربا الفضل في القرض: وهو الزيادة المشروطة للدَّائن بغير مقابل، كأن أقرض خالد عليّاً مائة دينار على أن يدفع له في العام القادم مائة وعشرة.

والربا محرم بنوعيه؛ لأن الإسلام دين الجهد والعمل، فلا يجيز كسباً بغير عمل، ويرغِّب في الصدقة والقرض الحسن، ويحرِّم استغلال حاجة الضعيف، ويحظر كل ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء والمنازعات، ويستأصل الحقد والحسد والجشع

من النفوس، ويوجب أخذ المال من طريق مشروع حلال لا ظلم فيه ويكره تكديس الثروة في أيدي فئة قليلة من الناس تتحكم في مصائر الآخرين وأقواتهم وتتلاعب باقتصاديات الدولة والأُمَّة.

ومن صور **الربا** المحرَّم الصلح على خمسمائة حالَّة مثلاً مع من عليه ألف مؤجَّلة، فإن هذا في معنى ربا الجاهلية الذي كان قرضاً مؤجَّلاً بزيادة مشروطة، فكانت الزيادة عوضاً عن الأجل، وفي مسألة الصلح انتفع المدين بباقي الدَّيْن مقابل إسقاط الأجل، فيصبح منتفعاً بزيادة (فضل) من المال بدون عوض مالي.

تنبيه:

يلاحظ أن الجودة والصنعة في الأموال الربوية ملغاة، فجيِّدها ورديئها سواء، سدّاً للذرائع، ولا ينظر إلى الصنعة، فالدينار الذهبي المسكوك والدرهم الفضيّ المسكوك والذهب والفضة غير المسكوكين (التبر) سواء، وكذا الذهب أو الفضة غير المصوغ والمصوغ حليّاً سواء أيضاً، وبناء عليه يجب بيع الشيء بجنسه بوزن مساو له، وإن اختلفا في الصياغة وعدمها، ويصح بيع الذهب أو الفضة بالنقود الورقية الحالية مع التفاضل، لاختلاف الجنس، بشرط التقابض في مجلس العقد لكونهما نقدين، سدّاً للذرائع، وبسبب تفاوت سعر الذهب والفضة ارتفاعاً وانخفاضاً بين وقت وآخر، فما يحدث في أسواق الصاغة من بيع وشراء كيلو ذهب مثلاً أو سبيكة بوزن معين وبسعر معين دون قبض المبيع ودفع الثمن نقداً لا يجوز شرعاً، درءاً للمنازعات.

لطائف:

❖ في تصوير آكلي الربا بصورة المجانين الذين تتخبطهم الشياطين فيترنحون ويصرعون، هي أقصى ما تحتمله ألفاظ اللغة ومعانيها للتنفير من هذا الداء الاجتماعي الوبيل، وهذه الصورة المروعة فيها إشارة بارعة لصورة المرابي في حياته الدنيا، وما يؤز نفسه من حسابات معلقة، تروعه وتجعله شارد اللب منقلب العينين، لقد كان في دنياه مصاباً بصرع المال فأصابه الله في محشره بصرع الذهول والأهوال.

❖ في قوله تعالى:﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ استعارة، فالربا يغلب أن يكون في مال لا يؤكل؛ لكن المال مصيره أو معظمه للأكل.

❖ آكلو الربا في كل زمان يؤتون جدلاً، فقد جادلوا من أيام النبي ﷺ مدعين أن البيع مثل الربا، وفي هذه الأيام تجد من يتعامل بالربا يصك سمعك ببراهين شيطانية يبررون بها رباهم وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ . **(الأنعام: الآية:١٢١)**

❖ قوله تعالى:﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ له مصداق مما تعانيه الدول الرأسمالية الربوية التي دخل الربا كل استثماراتها حتى لقد تحقق قول رسول الله ﷺ: **"يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا ومن لم يأكل أصابه من غباره"** وعلى الرغم من الحضارة الزائفة في البلاد الربوية، فإن أمنها مروّع، وقد شاع في أهلها الانتحار والشذوذ والهروب من الحياة، وأحياناً الجنون.

❖ يفهم من الآية أن الله يحب من كان شكورا على النعماء، تائباً من الذنوب.

❖ من الإشارات البلاغية التي وردت في الآيات: تكرار كلمة الربا ثلاث مرات في الآية الأولى؛ وذلك تعميقاً للصورة خصوصاً وأن الأسلوب تربوي تعليمي، ثم إن بين كلمتي ﴿ يَمْحَقُ ﴾ ﴿ وَيُرْبِى ﴾ طباقاً قصد به الترغيب والترهيب معاً.

❖ جاء قوله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ؛ ليوازن بين أمن هؤلاء وسعادتهم، وبين شقاء أولئك واضطرابهم، ثم ليبين أن الأصل في المعاملات الإنسانية يجب أن يقوم على الزكاة والإحسان لا على الربا والاستغلال والابتزاز.

ثانياً: الآيات: ٢٧٨ – ٢٧٩

من مقتضيات الإيمان تقوى الله وترك الربا، فمن أصرّ على الربا فإنّه محارب لله ولرسوله، ومن تاب فليس له إلّا رأس ماله

قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

وذروا: اتركوا. **فأذنوا**: اعلموا، من أذن بالشيء: علم به. **وإن تبتم**: رجعتم عنه. **فلكم رؤوس**: أصول أموالكم. **لا تَظلمون**: لا تأخذون الزيادة من الغريم. **لا تُظلمون**: بنقص شيء من رؤوس أموالكم.

المعنى الإجمالي:

بعد هذه المقارنة بين جزاءيْ أَكَلَة الربا والمؤمنين العاملين الصالحات، جاء الأمر الصريح القاطع بترك ما بقي من معاملات الربا التي كانوا يتعاطونها قبل ذلك، مصدِّرا سبحانه وتعالى خطابه بالنداء بصفة الإيمان؛ تنبيهاً لهم، ولفتاً لأنظارهم إلى أهمية ما سيأمرهم به؛ أي يا من اتَّصفتم بالإيمان المتنافي مع كلِ حرام، إن كنتم مؤمنين حقّاً، صادقين في إيمانكم، قوا أنفسكم عقاب ربكم، واتركوا ما بقي لكم من الربا فوراً، وإياكم والتعامل به من جديد، فإن لم تفعلوا ما أُمِرْتُم به فاعلموا واستيقنوا أنّكم محاربون لله ولرسوله، أعداءً خارجون عن شريعته، وإن رجعتم عن الربا امتثالاً لأمر الله، فلكم الحق بالمطالبة برؤوس أموالكم فقط، ثم علَّل سبحانه هذا الحكم بأنكم لا تَظْلِمون أحداً بأخذ أي زيادة، ولا تُظْلَمون بنقص شيءٍ من أموالكم.

من هداية الآيات:

١- وجوب تقوى الله بترك الربا _ وإن كان قد تمَّ العقد عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾. **ويتفرَّع على هذه الفائدة:** تحريم أخذ ما يسمَّى بالفوائد من البنوك.

٢- أن ممارسة الربا تنافي الإيمان؛ لقوله تعالى:﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ ؛ ومذهب أهل السنة والجماعة أنه مؤمن ناقص الإيمان؛ لكنه يُخشى عليه من الكفر لاسيما آكل الربا؛ لأنه غُذِّي بحرام.

٣- رحمة الله سبحانه بعباده، حيث حرّم عليهم ما يتضمّن الظلم، وأكّد هذا التحريم، وأنزل القرآن فيه بلفظ يحمل على ترك هذا المحرم؛ لقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ؛ والحكم: ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾.

٤- أنَّ المصرَّ عليه معلن الحرب على الله ورسوله وبيان عِظَم الربا لعظم عقوبة فاعله، وإنما كان بهذه المثابة ردعاً لمتعاطيه عن الاستمرار فيه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنه جاء في الوعيد على الربا ما لم يأت على ذنب دون الشرك؛ ولهذا جاء في الحديث الذي طرقه متعددة: " **إن الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن يأتي الرجل أمه**"؛ وهذا كلٌّ يستبشعه؛ فالربا ليس بالأمر الهيِّن؛ والمؤمن ترتعد فرائصه إذا سمع مثل هذه الآية.

٥- أن يجب على كل من تاب إلى الله تعالى من الربا ألا يأخذ شيئاً مما استفاده منه، لأي غرض كان؛ سواء أخذه ليتصدَّق به، أو ليصرفه في وجوه البر تخلَّصاً منه، أو لغير ذلك؛ لأن الله تعالى أمر بتركه؛ ولو كان هناك طريق يمكن صرفه فيه لبيّنه عزَّ وجلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾.

٦- دلت الآية أنه لا يجوز للمستقرض أو المدين أن يرد أقل مما أخذ، وإن فعل ذلك فهو ظالم، فإذا كان المدين قادراً على الوفاء ولم يؤدِّ ما عليه يعدُّ ظالماً، ويجبر على الوفاء شرعاً، وإن أصرَّ على المماطلة عوقب بالسجن، وللقاضي أن يبيع أمواله لوفاء دينه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ ، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**مَطل الغني ظلم**"

٧- الردّ على الذين يستحلون قليل الربا، أو الذين يستحلونه إذا كان في قرض للاستهلاك، فكل صور الربا حرام. وقد نادى النبي ﷺ بتحريمه على

الإطلاق في خطبة حجة الوداع عندما قال فيها: **"ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أضعه ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله"**

٨- مراعاة العدل في معاملة الناس بعضهم مع بعض؛﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

٩- الإشارة إلى الحكمة من تحريم الربا _ وهي الظلم؛ لقوله تعالى:﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

لطائف:

❖ خطاب الآية بصيغة الجمع يدل على المسؤولية الجماعية للمجتمعات التي ينتشر فيها التعامل بالربا.

❖ إن أسلوب التخويف في التهديد والوعيد الذي لم تستعمله الآيات إلا مع أكلة الربا، يدل على خطورة الربا أولاً، وعلى شدة وقسوة وتحجر نفس المرابين ثانياً، فلا ينقادون ويستسلمون لأحكام دين الله تعالى إلا بعد إعلان الحرب عليهم من الله تعالى، ومن رسوله ﷺ.

❖ يلاحظ في ألفاظ الآيات تنوعاً في الأساليب، فمنها الجزل المفخم الذي تقشعر له القلوب، ومنه الرحيم العذب الذي تلين معه القلوب وتنعطف، وصدق الله إذ يصف القرآن بقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ... ﴾.

ثالثاً: الأخلاق الإسلامية في المعاملات المالية

الآية/ ٢٨٠/

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾.

المفردات اللغوية:

وإن كان ذو عسرة: أي إن وجد غريم صاحب إعسار، بفقد المال، أو كساد المتاع. **فنظرة:** أي فله نظرة، أي فعليكم تأخيره وانتظاره. **ميسرة:** وقت اليسر و الرَّخاء. **وأن تصدقوا:** على المعسر بالإبراء. **إن كنتم تعلمون:** إن كنتم من ذوي العلم فافعلوا ـ أي تصدقوا.

المعنى الإجمالي:

ولمَّا كان الناس منقسمين إلى موسر ومعسر، وكان حكم الموسر بيِّناً، ذكر تعالى حكم المعسر، فأمر سبحانه إن وُجِد مدين لكم في حالة إعسار لا يستطيع سداد دينه في الأجل المحدّد فالواجب إمهاله وانتظاره إلى زمن اليسار والرخاء، حتى يتمكن من أداء الدين. والميسرة: تأخير الدين إلى زمن اليسار، وهو ضد الإعسار.

ثم ارتفعت الآيات بالإنسان المسلم إلى أفق خلقي كريم أسمى من الأول بإبراء المعسر عن بعض ماله أو كله؛ فقال تعالى حاثّاً عباده على التصدّق على الفقير بإسقاط الدَّين عنه، أو بعضه؛ قال تعالى: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ لأن هذا الإبراء خير لهم من الإنظار والإمهال، وأكثر ثواباً عند الله تعالى؛ فإن كنتم تعلمون ما أعد الله للمتجاوز عن المعسر فافعلوا ما وعظكم الله به.

ورد في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: "**حوسب ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله عز وجل: " نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**". وكان ﷺ يقول: "**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**". وقال: "**من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله**"

تنبيهات:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ جملة شرطية مستقلة يراد بها الحث على العلم؛ ومعنى "مستقلة" أي أنها لا توصل بما قبلها؛ لأنها لو وصلت بها قبلها لأوهم معنىً فاسداً: أوهم أن التصدق خير لنا إن كنا نعلم؛ فإن لم نكن نعلم فليس خيراً لنا؛ ولا شكَّ أنَّ هذا معنىً فاسد لا يراد بالآية؛ لكن المعنى: إن كنتم من ذوي العلم فافعلوا _ أي فتصدقوا.

في قوله تعالى:﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال رحمه الله من فوائد هذه الآية: فضيلة الإبراء من الدَّين، وأنَّه صدقة؛ والإبراء سُنة؛ والإنظار واجب؛ وهنا السُّنة أفضل من الواجب بنصّ القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ووجه ذلك أن الواجب ينتظم في السُّنة؛ لأنّ إبراء المُعسر من الدَّين إنظار، وزيادة؛ وعلى هذا فيبطل إلغاز من ألغز بهذه المسألة، وقال: "لنا سنة أفضل من الواجب"، ومثل ذلك قول بعضهم في الوضوء ثلاثاً: " إنه أفضل من الوضوء واحدة مع أنَّ الواحدة واجب، والثلاث سُنة"؛ فيُلْغِز بذلك، ويقول: "هنا سُنة أفضل من

واجب"؛ فيقال له: هذا إلغاز باطل؛ لأن هذه السُنة مشتملة على الواجب؛ فهي واجب، وزيادة؛ وصدق الله، حيث قال في الحديث القدسي: **"ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه"**؛ وهذا الحديث يُبطل مثل هذه الألغاز التافهة.

وقال رحمه الله: هل يستفاد من الآية الكريمة: أنّ إبراء الغريم يجزئ من الزكاة: فلو أنّ إنساناً أبرأ فقيراً، ثم قال: أبرأته عن زكاتي؛ لأنّ الله سمَّى الزكاة صدقة؛ فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ...﴾؟ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا يجزئ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ ؛ وجعْل الدَّين زكاة للعين هذا من تيمم الخبيث لإخراجه عن الطيب؛ والمراد بالخبيث هنا الرديء _ وليس الحرام؛ لأن العين مُلك قائم بيد المالك يتصرف فيه كيف يشاء؛ والدَّين الذي على مُعسر مال تالف؛ لأنّ الأصل فيه بقاء الإعسار؛ وحينئذ يكون هذا الدَّين بمنزلة المال التالف؛ فلا يصح أن يُجعل هذا المال التالف زكاة عن العين.

من هداية الآية:

١- وجوب إنظار المعسر حتى يوسر؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. **قال الشيخ عبد الحميد طهماز**: ولا يجوز في هذه الحالة لأصحاب الأموال أن يطالبوا المَدين بفوائد ربوية تقابل إمهاله وإنظاره، وهو ما تفعله الدول الغنية في العصر الحاضر مع الدول الفقيرة المستقرضة، إنهم باسم المساعدات الاقتصادية الربوية، التي يقدمونها للشعوب الفقيرة، يمتصون خيرات وجهد

هذه الشعوب الضعيفة، فيزداد الفقراء فقراً وضنكاً، ويزداد الأغنياء جشعاً وشرهاً وسرفاً وترفاً.

٢- أن الحكم يدور مع علته وجوداً، وعدماً؛ لأنه لما كان وجوب الإنظار معلّلاً بالإعسار صار مستمرّاً إلى أن تزول العلّة _ وهي العسرة _ حتى تجوز مطالبته.

٣- **قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله**: ولو أن الناس مشوا على تقوى الله تعالى في هذا الباب لسلمت أحوال الناس من المشاكل؛ لكن نجد الغني يماطل؛ ونجد أولئك القوم الأشحاء ذوي الطمع لا يُنظرون المعسر، ولا يرحمونه؛ يقول له: أعطني؛ وإلا فالحبس؛ ويحبس فعلاً _ وإن كان لا يجوز حبسه إذا تيقّنّا أنه معسر، ولا مطالبته، ولا طلب الدَّين.

لطيفة:

قال الشيخ عبد الحميد طهماز: الأخلاق في الشريعة الإسلامية لا تنفصل عن الأحكام، ولو كانت في المعاملات المالية. وإنظار المُعسر خلق كريم ألزم الله تعالى به أصحاب الأموال الدائنين في هذه الآية الكريمة، وهو مظهر من مظاهر التعاون في المجتمع الإسلامي، القائم _ كما مرَّ _ على التكافل والتعاون.

رابعاً: التحذير من أهوال يوم القيامة:

الآية /٢٨١/

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾.

المعنى الإجمالي:

وحتى تتمكن هذه الأخلاق الكريمة في نفوس المؤمنين، حرصت الآيات على ربط الأحكام الشرعية العملية بالتقوى كما مرَّ سابقاً؛ فتتوجه الآيات الكريمات إليهم تعظهم موعظة بالغة، إذا وعاها المؤمن هانت عليه الدنيا ومطامعها وسامح بالنفس والمال، وتذكرهم بمسؤوليتهم الكبرى أمام الله تعالى يوم القيامة، فالحساب أمام الله تعالى أمر حتمي، يجازى كل امرئ بما عمل من خير أو شرّ، دون بخس أو ظلم أو نقصان، فليحذر المؤمن عقوبة ربّه، وليتق الله بامتثال الأوامر الإلهية، واجتناب النواهي ومن أخطرها الربا، فمن اتقى وحذر العقوبة لقي خيراً، ونال سعادة دائمة في جنان الخلد الباقية..

والجدير بالذكر أن هذه الآية هي آخر آيات القرآن الكريم نزولاً على النبي ﷺ. بها خُتم الوحي وانقطعت النبوة. قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ... ﴾ ثم ساق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية أنزلت على النبيﷺ آية الربا.

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: وجاء عنه من وجه آخر: آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ... ﴾ أخرجه الطبري من طرق عنه.

وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا، إذ هي معطوفة عليهنّ، "والله أعلم"

من هداية الآيات:

١- وجوب ذكر يوم القيامة، واتقاء ذلك اليوم، بفعل الأوامر، واجتناب النواهي.

٢- أن مرجع الخلائق كلها إلى الله حكماً، وتقديراً، وجزاءً؛ لقوله تعالى: ﴿ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

٣- إثبات قدرة الله تعالى؛ وذلك بالبعث؛ فإنه سبحانه يبعث الخلائق بعد أن كانوا رميماً، وتراباً.

٤- أن الإنسان لا يوفَّى يوم القيامة إلّا عمله؛ لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾.

المعنى الثاني: آية الدين: ﴿٢٨٢﴾، وجواز الرهن: ﴿٢٨٣﴾

من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ... وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ...وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾

توطئة: هذه الآية الكريمة أطول آية في كتاب الله؛ وهي في المعاملات بين الخلق.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى: احتوت هذه الآيات على إرشاد الباري ﷻ عباده في معاملاتهم، إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا

تقترح العقلاء أعلى ولا أكمل منها.

وقال الشيخ الدكتور محمد محمود حجازي في تفسيره المسمَّى التفسير الواضح عندما ذكر المناسبة بين الآيات السابقة وهذه الآية: والدِّين قد أمرنا ببذل المال حيث ينبغي البذل، وبترك الزيادة في المال إذا كان فيه ربا، ثم أمرنا هنا بحفظ المال وتوثيقه في البيع والشراء والقرض والتجارة، **ومن هنا نعلم أنَّ الإسلام دين ودولة، وحكم وحكمة**؛ فبينا هو يهدينا إلى الإنفاق، يُحرِّم علينا الربا، ثم يرشدنا في البيع والشراء حتى لا يضيع مال، ولا يحصل شقاق ونزاع. **ولا غرابة إنّه صراط العزيز الحكيم.**

وليس ديننا دين رهبنة وفقر، وقناعة وذلّ، بل هو دين علم وعمل، وجَدٍّ واجتهاد، وغِنىً وعزَّة، حتى يتحقَّق قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴾ (البقرة:الآية١٤٣). فقانون الإسلام أن تجمع المال وتنمّيه، ولكن من طريق الحلال، وتحافظ عليه وتستوثق له بالكتابة والشهود، ولعلَّ هذا هو السرّ في طول الآية، ووضوحها، وتكرار أحكامها، حتى يفهم أحكامها العامَّة والخاصَّة. والله أعلم. ا.هـ

وقال الدكتور وهبة الزحيلي: وكون هذه الآية أطول آية في القرآن الكريم دليل على أن المال في ذاته ليس مبغوضاً عند الله تعالى، وعلى أن الإسلام معنيٌّ باقتصاديات الأُمّة، وأنه دين ودولة وحياة ونظام مجتمع، وليس دين رهبنة وفقر، وانعزال عن الحياة، فتنظيم التعامل بين الناس، وتبيان طريق حفظ الحقوق، وتعاطي التجارة وتنمية المال، يدل كل ذلك على أنَّ الإسلام دين عمل وجهد

وكفاح، وحرص على الكسب والربح من أوجه الحلال، روى أحمد والطبراني من حديث عمرو بن العاص: **"نِعِمَّا المال الصالح للمرء الصالح"**

وأمَّا ذمّ الدنيا أو المال في بعض الآيات والأحاديث: فإنّما هو عند نسيان الآخرة، واستعباد المال صاحبه، فيبخل في إنفاقه، ولا يبالي في جمعه من طريق حلال أو حرام؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ **(التغابن:١٥)**. وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم" ا.هـ**

وجه الربط: بين آيات الربا وآية الدين:

لمَّا ذكر الله تعالى الإنفاق وجزاءه الطيب، والربا وقباحته وخطره، أعقبه بذكر القرض الحسن بلا فائدة، والتعامل بالدين المؤجل، وطريق توثيقه وحفظه بالكتابة والشهادة والرهن، ففي الصدقة والقرض الحسن تراحم وتعاون، وفي الربا كامل القسوة والطغيان، وفي أحكام التعامل بالدَّيْن المؤجل والتجارة الحاضرة غاية الحكمة والمصلحة والعدل؛ إذ من يُؤمر بالإنفاق والقرض، ويُنهى عن التعامل بالربا لا بد له من تنمية ماله بالتجارة، وحفظ حقه من الضياع.

إذاً مناسبة الآية لما قبلها: بيان حالة المداينة الواقعة في المعاوضات الجارية بين الناس، ببيع السلع بالدَّين المؤجَّل، بطريقة تحفظ الأموال وتصونها عن الضياع، بعد بيان حكم التعامل بالربا ومنعه، وبيان أنواع القروض المباحة، بعد بيان أنواع القروض المحرمة.

أو أنَّ المراد بيان كيفية حفظ المال الحلال، بعد بيان الإنفاق في سبيل الله وتحريم الربا، اللَّذَين يترتَّب عليهما نقص المال إمَّا حالاً أو مآلاً. وكلاهما تحتمله الآيات. والله تعالى أعلم.

وقد تضمّنت الآيات الأحكام الآتية:

أولاً: التعامل بالدين، ومشروعية تأجيل الديون بآجال محددة، وتوثيقها بالكتابة

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ... ﴾.

المفردات اللغوية:

تداينتم بدين: داين بعضكم بعضاً؛ أي تعاملتم بدين مؤجل، و"**الدين**": هو المال الذي يثبت في الذمة من ثمن بيع، أو أجرة، أو صداق، أو قرض، أو غير ذلك. **إلى أجل مسمى**: الأجل: هو الوقت المحدد لانتهاء شيء، والمسمى: الموعد المعلوم أو المحدود بالأيام أو الشهور أو السنين، ويشمل (الدين المؤجل) وهو: بيع الأعيان إلى أجل، والسَلَم: السلف، والقرض. **فاكتبوه**: أي اكتبوا الدَّين استيثاقاً له، ودفعاً للنزاع.

معنى الآية الكريمة:

يخاطب الله ﷻ المؤمنين، منادياً إياهم بصفة الإيمان، أنّه من مقتضى إيمانكم أنّكم إذا داين بعضكم بعضاً إلى مدَّة معلومة محدودة فاكتبوا هذا الدَّين ليكون ذلك أحفظ لمقداره وميقاته.

وحقيقة الدَّين: عبارة عن كل معاملة، كان أحد العوضين فيها نقداً، والآخر في الذمة نسيئة؛ (مؤجلاً) فإن العين عند العرب ما كان حاضراً، والدَّين ما كان غائباً. **وبعبارة أخرى**:كل ما ثبت في الذمة من ثمن بيع، أو أجرة، أو قرض، أو صداق.

وتشمل الآية كلا من بيع:

أ) العين بالدَّين؛ كبيع كتاب حاضر بثمن مؤجل.

ب) قرض مبلغ من المال وهو ما يسمى بالسلف.

ج) بيع الدَّين بالعين: وهو السَّلَم: والسَّلَم هو - بيع آجل بعاجل - كبيع سلعة مؤجلة إلى أجل مسمى، مع بيان الجنس، والنوع، والقدر، بثمن معجل.

والدَّين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: دَيْن مؤجَّل بأجلٍ مسمًّى؛ كأن يذكر الشهر أو السنة التي سيتمّ فيها السداد.

القسم الثاني: دَيْن غير مؤجَّل؛ مثل أن يشتري إنسان سلعة، ولا يدفع ثمنها، ولا يُعيِّنه للبائع؛ فهذا دَيْن غير مؤجَّل؛ وفي هذه الحالة للبائع أن يطالب المدين بمجرَّد انتهاء العقد. فهذه ديون جائزة.

القسم الثالث: دَّين المؤجَّل بأجل مجهول؛ مثل أن يشتري إنسان سلعة: ويقول للبائع: اشتريت هذه السلعة إلى قدوم زيد، وقدومه مجهول؛ فهذا غير جائز؛ لأنّ فيه غرراً؛ وقد قال النبي ﷺ: "**من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم إلى أجل معلوم**". وهذا الدَّين لا يكتب؛ لأنه عقد فاسد.

وقد دلَّت الآية الكريمة على ما يلي:

١ - جواز الدَّين، ومنه السَّلَم؛ وهو تعجيل الثمن، وتأخير المثمن. وعند الفقهاء: هو أن يُسلم الرجل إلى صاحبه في طعام معلوم موصوف من أرض طعام أرض عامة لا يخطئ مثلها، بكيل معلوم، إلى أجل معلوم، بدنانير أو دراهم معلومة، يدفع ثمن ما أسلم منه قبل أن يفترق العاقدان من مقامهما الذي تبايعا فيه، وسمَّيا

المكان الذي يُقبَض فيه الطعام. وهو من البيوع المستثناة من نهيه ﷺ بيع ما ليس عندك. وأرخص فيه النبي ﷺ لحاجة الناس إليه. **وسمى الفقهاء** بيع السَّلَم بيع المحاويج أو بيع المفاليس.

٢- وجوب كتابة الدَّين في جميع المداينات؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُ﴾.

إذا كان الأجل مجهولاً فإنه لا يحلّ؛ لأنه غرر فيدخل في الميسر.

مسألة:

اختلف العلماء في كتابة الدَّين أهي واجبة أم مندوبة؟

ذهب الجمهور إلى عدم وجوب كتابة الدَّين المؤجَّل؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ وقالوا الأمر بالكتابة للندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب. **ورجَّح الشنقيطي** رحمه الله في أضواء البيان قول الجمهور فقال: ظاهر هذه الآية الكريمة أن كتابة الدَّين واجبة؛ لأن الأمر من الله يدل على الوجوب، ولكنه أشار إلى أنه أمر إرشاد لا إيجاب؛ لقوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ ﴾ ؛ لأن الرهن لا يجب إجماعاً وهو بدل من الكتابة عند تعذرها في الآية؛ فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجبا. وصرح بعدم الوجوب: ﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ...﴾. **وقال القرطبي**: قال بعضهم: إن أشهدت فحزم، وإن ائتمنت ففي حلٍّ وسعة. **واختار ابن جرير الطبري**:إن كتابة الدَّين واجب فرض بهذه الآية بيعاً كان أو قرضاً؛ لئلا يقع فيه نسيان أو جحود. **وقال ابن سعدي**:الأمر بكتابة الديون قد يجب إذا وجب حفظ الحق، كالذي للعبد عليه ولاية، وكأموال اليتامى، والوكلاء، والأمناء. وقد يقارب الوجوب،

كما إذا كان الحق متمحضاً للعبد، فقد يقوى الاستحباب بحسب الأحوال المقتضية ذلك.

ثانياً: التزام العدل. وبيان أحوال ناقصي الأهلية. وثبوت الولاية عليهم

قوله تعالى: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ .

المفردات اللغوية:

وليكتب بينكم كاتب: أي ليكتب العقد بين الدائن والمدين أيُّ كاتب. **بالعدل**: بالحق من غير ميل إلى أحدهما، ولا زيادة أو نقص في المال، والأجل. **ولا يأب**: أي لا يمتنع. **كما علمه الله**: يحتمل أن تكون الكاف للتشبيه؛ فالمعنى حينئذ: أن يكتب كتابة حسب علمه بحيث تكون مستوفية لما ينبغي أن تكون عليه؛ ويحتمل أن تكون الكاف للتعليل؛ فالمعنى: أنه لما علمه الله فليشكر نعمته عليه، ولا يمتنع من الكتابة. **وليملل**: أي يملي؛ وهما لغتان فصيحتان؛ فـ "الإملال" و "الإملاء" بمعنى واحد. **الذي عليه الحق**: أي الدين، والمراد به هنا المدين، لأنه المشهود عليه، فيقر بكامل الحق، وليعلم ما عليه. **وليتق الله ربه**:أي على المملي أن يتق الله في إملائه. **ولا يبخس**: لا ينقص من الحق شيئاً. **فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً**: أي لا يحسن التصرف. **أو ضعيفاً**: عن الإملاء لضعف في جسمه، أوفي عقله؛ لصغر بأن كان صبياً، أو شيخاً هرماً. **أو لا يستطيع أن يمل هو**: بأن كان جاهلاً أو أخرس أو نحو ذلك. **فليملل وليه بالعدل**: متولي أمره من والد، ووصي، وقيِّم.

معنى الآية الكريمة:

أمر الله تعالى المتداينين بأن يوسِّطوا كاتباً يكتب بينهم، وبيَّن تعالى صفة هذا الكاتب؛ وهي: الفقه في شرع الله، والأمانة، والاستقامة، وعدم الجَوْر، فلا يميل لأحد الجانبين؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾، ثمَّ أوصى سبحانه الكاتب، ونهاه عن الإباء: فلا يمتنع أحد من الكُتَّاب عن كتابة وثيقة الدَّين، ما دام يمكنه ذلك، على الطريقة التي علَّمه الله في كتابة الوثائق، بحيث تكون مستوفية لما ينبغي أن تكون عليه، وأن من تمام الكتابة والعدل فيها أن يحسن الكاتب الإنشاء، والخطّ، والألفاظ المعتبرة في كل معاملة بحسبها. هذا المعنى على القول بأنَّ الكاف في قوله تعالى: ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ﴾ للتشبيه. **ويحتمل أن تكون** الكاف للتعليل؛ فيكون المعنى: أن الكتابة من نعم الله على العباد، وأن من علّمه الله الكتابة فقد تفضّل عليه بفضلٍ عظيم، فمن تمام شكره لنعمة الله ﷻ أن يقضيَ بكتابته حاجات العباد، ولا يمتنع من الكتابة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾.

ثمّ قال تعالى: ﴿ فَلْيَكْتُبْ ﴾ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قال بعض العلماء: إنها من التوكيد؛ لأن النهي عن إباء الكتابة يستلزم الأمر بالكتابة؛ فهي توكيد معنوي؛ وقيل: بل هي تأسيس تفيد الأمر بالمبادرة إلى الكتابة، أو هي تأسيس توطئة لما بعدها؛ والقاعدة: أنه إذا احتمل أن يكون الكلام توكيداً، أو تأسيساً، حمل على التأسيس؛ لأنه فيه زيادة معنى؛ وبناءً على هذه القاعدة يكون القول بأنها تأسيس أرجح؛ فأمر الله تعالى الكاتب أن يكتب، وليكن المُمْلِي مَن عليه الحق؛ لأنه بالإملاء يُقرُّ على نفسه بالحق، وأمر الله تعالى المملي أن يتقيَ عذاب

الله بأن يقول الصدق، ونهاه أن يُنْقِص من الحق الواجب عليه شيئاً لا في كمِّيَّته، ولا كيفيَّته، ولا نوعه؛ قال تعالى: ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾.

ثم أوضح تعالى أحوال ناقصي الأهليَّة، فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً مبذِّراً للمال مُفسداً له، لا يُحسن التصرّف فيه، أو كان ضعيفاً في جسمه؛ لصغرٍ في سنِّه، أو ضعيفاً في عقله؛ كالمجنون، والهَرِم، أو كان عاجزاً عن الإملاء لكونه أخرس أو عييّ أو غيره، فعلى وليّه الذي يتولّى أموره من أب، أو جدٍّ، أو أمٍّ، أو غيرهم كالوكيل أو القيِّم، أن يملي الحقّ على الكاتب بالصدق بلا زيادة ولا نقصان.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١ – أنّه لا بُدَّ أن يكون الكاتب عارفاً بالعدل، معروفاً به؛ لأنه إذا لم يكن عارفاً بالعدل لم يتمكن منه؛ وإذا لم يكن معتبراً عدلاً عند الناس لم تكن كتابته معتبرة، ولا يحصل بها المقصود، الذي هو حفظ الحقوق.

٢ – أنّ من تمام الكتابة أن يكون الكاتب محسناً للكتابة في أسلوبه، وحروفه، عالماً بالأحكام الشرعيّة والشروط المرعيّة عرفاً ونظاماً. وللعرف في هذا المقام اعتبار عظيم.

٣– وقدَّم سبحانه العدالة على العلم؛ لأنها أهم من العلم، فالعادل يمكنه تعلُّم ما تتطلبه كتابة الوثائق، وأمّا العالم غير العادل فلا يهديه علمه للعدالة، وإنما يُفسد ولا يُصلح.

٤– أن الكتابة من نعم الله تعالى على العباد، التي لا تستقيم أمورهم الدينية ولا الدنيوية إلا بها، وأن من علمه الله الكتابة فقد تفضَّل عليه بفضل عظيم، فمن تمام

شكره لنعمة الله أن يقضي بكتابته حاجات العباد، ولا يمتنع عن الكتابة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

٥- أنَّ الذي يكتبه الكاتب هو اعتراف مَن عليه الحق إذا كان يُحسن التعبير عن الحق الذي عليه، وعلى هذا، فإن الاعتراف من أعظم الطرق التي تثبت بها الحقوق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾.

٦- تحريم امتناع الكاتب أن يكتب كما علَّمه الله، إن توقَّف ثبوت الحق على الكتابة، وإلا لم تجب.

٧- ثبوت الولاية على القاصرين من السفهاء، والصغار، والمجانين، ونحوهم.

٨- أن من أمنته في معاملة؛ وفوضته فيها؛ فقوله في ذلك مقبول، وهو نائب منابك.

٩- أنه يجب على الذي عليه الحق – إذا أملى على الكاتب – أن يتقي الله؛ ولا يبخس الحق الذي عليه؛ فلا ينقصه في قدره؛ ولا في وصفه، ولا في شروطه أو قيد من قيوده، فإن لم يفعل ذلك؛ فهو من المطففين الباخسين.

١٠- وجوب الاعتراف بالحقوق الخفيَّة؛ وأنّ ذلك من أعظم خصال التقوى؛ كما أنَّ ترك الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

ثالثاً: الشهادة كوسيلة ثانية لتوثيق الديون والبيوع، ونصاب الشهادة، وتحريم امتناع الشاهد إذا دعي للشهادة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾.

المفردات اللغوية:

واستشهدوا: اطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان. **ممن ترضون من الشهداء:** لدينه، وعدالته. **أن تضل:** أن تنسى أو تخطئ إحداهما، فتذكِّرها الأخرى. **ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا:** أي لا يمتنع الشهداء إذا ما دعوا لتحمل الشهادة وأدائها.

معنى الآية الكريمة:

ثم جاء دور الإثبات، فأضافت الآية إلى توثيق الحق بالكتابة وسيلة ثانية للتوثيق، وهي الشهادة؛ فأرشد تعالى المتداينين أن يطلبوا شهادة شاهدين، ثمَّ بيَّن تعالى نصاب هذه الشهادة: بأن يكون الشهود إمَّا رجلين، أو رجلاً وامرأتين، من المسلمين؛ لقوله تعالى:﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ فلا تُقبل شهادة الكافر على المسلم، وأن يكون هؤلاء الشهود ممن عرف عند الناس أنهم مرضيون؛ أي ممن يوثق بدينهم وعدالتهم، ثم بيَّن تعالى الحكمة من جعل شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجُل الواحد في المعاملات الماليَّة، وهو التذكير فقال تعالى:﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ ؛ وذلك صوناً لحكم الشهادة؛ لعدم ضبط المرأة، وضعف ذاكرتها غالباً، فإن نسيت إحداهما فتذكِّرها الأخرى.

ثم نبَّه تعالى إلى قضية مهمة، وهي الإدلاء بالشهادة، فأوصى تعالى الشهود، ونهاهم عن الإباء عن الشهادة أو التقاعس في أدائها وتحمّلها، كما نهى الكاتب عن الامتناع عن الكتابة، فلا يجوز للشهود الامتناع عن تحمّل الشهادة، إذ بالشهادة تثبت الحقوق ويمنع الجور والظلم والتسلط على الضعفاء.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١– طلب الإشهاد على الحق؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾.

٢– اشتراط الإسلام والحرية في الشهود؛ لقوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾، وأما العدالة في الشهود فاشترطوها بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ **(الطلاق:٢)**؛ فيحمل المطلق على المقيد، فلا تقبل شهادة الكافر على المسلم، وتقبل شهادة الكافر على الكافر فقط.

٣– إذا تعسر وجود رجلين، أو تعذر، فرجل وامرأتان. وأنَّ شهادة المرأتين قائمة مقام الرجل الواحد في الحقوق الدنيوية، أما في الأمور الدينية – كالرواية والفتوى – فإن المرأة تقوم مقام الرجل، والفرق ظاهر بين البابين؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾.

٤– ثبت في السنة أن الرسول ﷺ قضى بالشاهد الواحد مع اليمين، والآية ليس فيها إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين. والجمع بينهما أن الآية الكريمة فيها إرشاد الباري عباده إلى حفظ حقوقهم؛ ولهذا أتى فيها بأكمل الطرق، وأقواها، وليس فيها ما ينافي ما ذكره النبي ﷺ من الحكم بالشاهد واليمين.

٥– أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم ويقين لا عن شك، فإذا نسي الشاهد ثم ذكر من دون تذكير لا يضر، لأن الشهادة مدارها على العلم واليقين، ومتى صار

عند الشاهد ريب في شهادته – ولو غلب على ظنه – لم يحل له أن يشهد إلا بما يعلم.

٦- بلاغة القرآن، حيث أظهر في موضع الإضمار؛ في قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ لئلّا يكون المعنى قاصراً على واحدة هي الناسية؛ والأخرى تذكرها.

٧- تحريم امتناع الشاهد إذا دعي للشهادة؛ لأن القيام بالشهادة من أفضل الأعمال الصالحة، كما أمر الله بها، وأخبر عن نفعها ومصالحها.

٨- قوله تعالى:﴿ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ دلَّ على أن الشهود هم الذين يمشون إلى الحاكم للشهادة، وأنّ مَن لم يُدع ليس عليه أن يشهد، ولكن ورد في السنة الترغيب في أداء الشهادة ولو لم يُدع إليها المسلم.

رابعاً: فوائد توثيق الدين بالكتابة، والإشهاد

﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾.

المفردات اللغوية:

ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله: أي لا تملوا وتضجروا من أن تكتبوا الدَّين صغيراً كان أو كبيراً وقت حلول أجله. **ذلكم**: المشار إليه كل ما سبق من الأحكام. **أقسط**: أعدل. **وأقوم للشهادة**: أي أعون على إقامتها وأثبت لها؛ لأنه يذكّرها. **وأدنى ألا ترتابوا**: أي أقرب إلى ألا تشكُّوا في قَدر الدين، وأجله.

معنى الآية الكريمة:

ثم بيَّن الله تعالى فوائد توثيق الدَّين بالكتابة، حيث يوصي المتعاملين به، أن يستمروا على ذلك، وينهى عن الملل أو الضجر من كتابة الدَّين سواء كان صغيراً، أو كبيراً، وبيان أجله، قطعاً للنزاع والشقاق، وحفظاً لأصل الحق، وذكر تعالى الحكمة من الأوامر والنواهي المتقدمة، وأنَّ ما ذُكِر من الأحكام والتوجيهات الإلهية التي أمر الله بها من الكتابة والإشهاد فيه ثلاثة فوائد:

الأولى: ﴿ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أعدل عنده لما فيه من حفظ الحق لمن هو له، أو عليه.

الثانية: ﴿ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: أثبت للشهادة، وأعون على أدائها بشكل صحيح.

الثالثة: ﴿ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ﴾ أي: أقرب لعدم الارتياب والشك في مقدار الحق والأجل والشاهد.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١ – النهي عن السأم في كتابة الدَّين، والظاهر أنّ النهي هنا للكراهة.

٢ – أنّه ينبغي للإنسان أن يتجنَّب كل ما يكون له فيه ارتياب، وشك.

خامساً: استثناء البيوع الحاضرة من الكتابة، التي تدار بين بدلين يداً بيد، من غير تأجيل، وندب الإشهاد على البيع.

قوله تعالى:﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾.

المفردات اللغوية:

تجارة حاضرة تديرونها بينكم: "التجارة" هي كل صفقة يراد بها الربح؛ فتشمل البيع، والشراء، وعقود الإجارات؛ ولهذا سمى الله تعالى الإيمان، والجهاد في سبيله تجارة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ ﴾ (الصف:١٠)؛ أي تتعاطونها بينكم بحيث يأخذ هذا سلعته، والآخر يأخذ الثمن، والمراد تتعاملون بها يداً بيد.

معنى الآية الكريمة:

ثم خفَّف الله تعالى من قيد المطالبة بالكتابة أخذاً بما تقتضيه ظروف التجارة من حرية وحركة وسرعة، فأبان أن الكتابة مطلوبة إلّا إذا تمّت مبادلة العوضين في التجارة وقبضهما في الحال، يداً بيدٍ، فلا داعي للكتابة، ولا حرج ولا إثم في تركها حينئذ، إذ لا يترتّب عليها شيء من التنازع والتخاصم؛ فقال تعالى:

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَا﴾.

وإذ لا بأس من عدم الكتابة في التجارة الحاضرة، أو التعامل يداً بيدٍ، فيُطلب الإشهاد على التبايع؛ لأنّه أحفظ للحق، وأنفى لأسباب الاختلاف والخداع والتنازع؛ قال تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١- أن التجارة نوعان: تجارة حاضرة، وتجارة غير حاضرة؛ فأما الحاضرة فهي التي تدار بين الناس بدون أجل؛ وأما غير الحاضرة فهي التي تكون بأجل، أو على مسمّى موصوف غير حاضر.

٢- أنه لا يجب كتابة التجارة الحاضرة المُدارة _ ولو كان ثمنها غير منقود؛ بخلاف ما إذا تداين بدين إلى أجل مسمى؛ فإنه تجب كتابة الدَّين على ما سبق من الخلاف في ذلك.

٣- الأمر بالإشهاد عند التبايع؛ وهل الأمر للوجوب؛ أو الاستحباب؛ أو للإرشاد؟ فيه خلاف؛ والراجح أنه ليس للوجوب؛ لأنّ النبي ﷺ اشترى، ولم يُشهِد؛ والأصل عدم الخصوصية؛ ولأنّ إيجابه فيه شيء من الحرج، والمشقة؛ لكثرة تداول التجارة؛ إلّا أن يكون التصرف للغير، كالوكيل، والوليِّ؛ فربما يقال بوجوب الإشهاد في المعاملات والمبايعات الخطيرة.

سادساً: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٢٨٢)﴾

المفردات اللغوية:

ولا يضار كاتب ولا شهيد: نهي عن وقوع الضرر من الجانبين. **وإن تفعلوا:** ما نهيتم عنه. **فإنه فسوق بكم:** خروج عن طاعة الله إلى معصيته. **ويعلمكم الله:** مصالح أموركم.

معنى الآية الكريمة:

لا زالت الآية الكريمة تبيِّن وتوضِّح للناس ما يجب عليهم حال تعاملاتهم وتجاراتهم، وهنا تبيِّن تحريم مضارَّة الكاتب، أو الشهيد، فالمبدأ الواجب اتباعه في علاقة الكاتب والشاهد بالمتعاملِيْن هو عدم المضارَّة، سواء وقع الإضرار منهما، أو عليهما؛ لأنَّ النهي عن المضارّة في الآية تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدراً للإضرار؛ وعلى هذا تكون كلمة (يضار) مأخوذة من الإضرار؛ فتكون مبنية للفاعل؛ وأصلها(يضارِرَ) بكسر الراء، ثم وقع الإدغام، وفتحت الراء في الجزم لخفة الفتحة؛ والمعنى أنه لا يجوز لهما إلحاق ضرر بأحد المتعامِلَيْن أو كليهما؛ بكتابةِ الكاتب مالم يُمْلَ عليه بزيادة أو نقص أو تحريف، أو زيادة الشاهد في شهادته، أو نقصه منها، أو تحريفها، أو ترك الإجابة عما يطلب منهما من توضيح بعض الأمور الغامضة.

ويحتمل أن تكون مبنية للمفعول؛ فيكون أصلها (يضارَرَ) كقراءة ابن مسعود بفتح الراء الأولى؛ والمعنى لا يحل الإضرار بالكاتب، ولا بالشاهد؛ بأن يُدْعَيَا في وقت أو حالة تضرهما، أو يُقهرا على الانحراف في الكتابة والشهادة. ثم بينَّ تعالى أنَّ من يُضارّ فإنه خروج منه عن طاعة الله، وإثم لاحق به.

قال القرطبي: قال النحاس: ورأيت أبا إسحاق يميل إلى هذا القول؛ قال: لأن بعده قوله تعالى:﴿ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ ﴾ فالأولى أن تكون من شهد بغير الحق، أو حرف في الكتابة، أن يقال له: فاسق، فهو أولى بهذا ممن سأل شاهدا أن يشهد وهو مشغول. والله أعلم.

وكانت الخاتمة بهذه الموعظة الحسنة بتذكير الله تعالى عباده المؤمنين بالقاعدة العتيدة العامة إثر الأمر والنهي. وهي وجوب تقوى الله في تنفيذ أحكامه

الشرعية؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ وذلك بامتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه؛ والمعنى: فاتقوا الله في جميع ما أمركم به وما نهاكم عنه، ومن جملة ذلك: ما حذّركم منه من الضرار، وهو سبحانه صاحب المنِّ على عباده بتعليمهم ما فيه صلاح دنياهم، وحفظ أموالهم، كما يعلّمهم ما يصلح به أمر دينهم، قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فهو العليم بكل شيء، لا يخفى عليه حال أحد عن عباده ظاهرهم وباطنهم، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم دقيق شامل بما يدرأ المفاسد ويجلب المصالح، وشرعه كله حكمة وعدل، فله الحمد سبحانه القائل: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾.

تنبيه:

قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الواو هنا للاستئناف؛ ولا يصح أن تكون معطوفة على ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ لأن تعليم الله لنا حاصل مع التقوى، وعدمها_ وإن كان العلم يزداد بتقوى الله، لكن هذا يؤخذ من أدلة أخرى منها قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال:الآية٢٩) أي: علماً تفرِّقون به بين الحقائق، والحق والباطل.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١- تحريم مُضارَّة الكاتب، أو الشهيد: سواء وقع الإضرار منهما، أو عليهما؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ وأنّ المضارَّة فسوق بالإنسان. والفسوق هو: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وهو يزيد وينقص، ويتبعّض؛ ولهذا لم يقل: "أنتم فسّاق" أو "فاسقون"؛ بل قال: ﴿ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ فبقدر خروج العبد عن طاعة ربه فإنه يحصل به من الفسوق بحسب ذلك.

٢- امتنان الله تعالى على عباده بالتعليم، وأنّ الأصل في الإنسان الجهل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾. (النحل:٧٨)

٣- أن الدِّين الإسلامي شامل للأحكام المتعلقة بعبادة الله، والمتعلقة بمعاملة عباد الله ﷻ؛ لأنه بعد أن ذكر الله تعالى هذه التوجيهات؛ قال سبحانه: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيكون في ذلك إبطال لزعم من زعم أن الدين الإسلامي في إصلاح ما بين العبد وبين ربه؛ ولا علاقة له بالمعاملة بين الناس.

٤- إثبات عموم علم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾.

سابعاً: توثيق الحقوق بالرهن:

الآية: /٢٨٣/

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ... ﴾.

تنبيه: عند هذه الآية الكريمة يدخل ثلاثة أرباع الحزب الأول من الجزء الثالث حسب القرآن.

المفردات اللغوية:

وإن كنتم على سفر: أي مسافرين وتداينتم، وبينت السنة جواز الرهن ووجود الكاتب في الحضر، وذكرت في حالة السفر؛ لأن التوثيق فيه أشد. **فرهان مقبوضة**: تستوثقون بها، ودل قوله: مقبوضة على اشتراط القبض في الرهن، والاكتفاء بقبض المرهون من المرتهن أو وكيله.

معنى الآية الكريمة:

ثم انتقل البيان إلى تشريع حكم يتناسب مع السفر، والتقدير: هذا إن كنتم حضوراً يسهل عليكم إحضار الكاتب والشاهد، وأمّا إن كنتم على سفر يعوز مثله إحضار كاتب، وتداينتم بدَيْنٍ إلى أجل مسمًّى، فيغنيكم عن الكَتْبِ رهن يكون بدلاً عنه، حتى يؤدّى ما عليكم من حق. وهذه هي الوسيلة الثالثة لتوثيق الحقوق، وهي الرهن.

و"الرِّهان" و"الرُّهُن": جمع رهْن؛ و"الرهن" **في اللغة** الحبس؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المدثر:٣٨) أي: محبوسة بما عملت. والمرهون محبوس بيد الدَّائن إلى أن يستوفي دينه.

وأمّا في اصطلاح الفقهاء: توثقة دَين بعين، يمكن استيفاؤه منها أو من ثمنها. وقيل: احتباس العين وثيقةً بالحقِّ ليُسْتوفى الحقُّ من ثمنها أو من ثمن منافعها عند تعذُّر أخذه من الغريم، مثل ذلك: زيد مدين لعمرو بعشرة آلاف درهم، فأرهنه سيارة تساوي عشرة آلاف درهم؛ هنا يمكن استيفاء الدَّين كله من كل الرهن؛ **لأن الدَّيْن مساويٌ للرهن.**

وقد يكون الرهن أكثر من الدَّين، مثل ذلك: زيد مدين لعمرو بعشرة آلاف درهم، فأرهنه سيارة تساوي عشرين ألف درهم؛ هنا يمكن استيفاء الدَّين من بعضه.

وقد يكون الدّين أكثر من الرهن، مثل ذلك: زيد مدين لعمرو بعشرين ألف درهم؛ فأرهنه سيارة تساوي عشرة آلاف درهم؛ فهنا يمكن استيفاء بعضه منها.

وأركان الرهن أربعة:

١ – راهن ٢ – ومرتهن ٣ – ورهن ٤ – ومرهون به؛ فالرهن: العين؛ والراهن: معطي الرهن؛ والمرتهن: آخذ الرهن؛ والمرهون به: الدَّين.

والرهن ثابت في السفر بنصِّ القرآن، وفي الحضر بالسُّنة، ففي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: "أنّ النبي ﷺ رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعاً من شعير أخذه لأهله ومات عنه"

ثمَّ وصف الله الرهان بأنَّها مقبوضة؛ ولم يبيِّن سبحانه وتعالى كيفيَّة القبض؛ فيرجع في ذلك إلى العرف. واستدلَّ بعض العلماء بهذه الآية على لزوم القبض في الرهن؛ وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن قبض الرهن شرط لصحته؛ لأن الله ﷻ جعل القبض وصفاً في الرهن؛ والوصف لازم للموصوف.

والقول الثاني: أن القبض شرط للزوم الرهن _ لا لصحته؛ وعلى هذا القول يكون الرهن صحيحاً _ وإن لم يُقبَض _ لكنه ليس بلازم؛ فللراهن أن يتصرّف فيه بما شاء.

والقول الثالث وهو القول الراجح: أن قبض الرهن _ ليس بشرط لا للصحة، ولا للزوم؛ وإنما ذكر الله ﷻ القبض في هذه الحال؛ لأنَّ التوثق التام لا يحصل إلا به لكون المُتعاقِدَيْن في سفر؛ وليس ثمة كاتب، فلا يحصل تمام التوثقة بالرهن إلَّا بقبضه؛ وعليه فالرهن لازم صحيح بمجرد عقده _ وان لم يُقبَض؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ (المائدة:الآية/ ١)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء:الآية/ ٣٤)، وعلى هذا

القول عمل الناس: فيكون الرجل راهناً بيته وهو ساكن فيه، أو راهناً سيارته وهو يستعملها؛ ولا تستقيم حال الناس إلا بذلك.

وفي الرهن فوائد ومصالح للعباد منها: حفظ مال المرتهن من الضياع، ومن جهة الراهن الاستعجال في بذل الدين حتى يسترد رهنه.

وقد دلت الآية الكريمة على ما يلي:

١- مشروعية الرهن الذي يكفل للعبد حصوله على حقه، سواء عامل بَرّاً أو فاجراً، أميناً أو خائناً.

٢- أن تمام الوثيقة في الرهن أن يكون مقبوضاً. ولا يدل ذلك على أنّه لا يصح الرهن إلّا بالقبض، بل التقييد بكون الرهن مقبوضاً يدل على أنه قد يكون مقبوضاً، تحصل به الثقة التامة، وقد لا يكون مقبوضاً، فيكون ناقصاً.

٣- إذا اختلف الراهن والمرتهن في مقدار الدين الذي به الرهن، فالقول قول المرتهن، صاحب الحق؛ لأن الله جعل الرهن وثيقة به.

٤- أن كل ما يجوز بيعه يجوز رهنه. ويستثنى من هذه القاعدة أمراً واحداً (الثمرة، والزرع الأخضر قبل بدو صلاحه، مع أنه لا يصح بيعه)؛ لأنَّ النهي عن البيع لعدم الأمن من العاهة، أما برهنه، فيقدَّر تلفه ولا يفوت حق المرتهن من دينه لتعلقه بذمة الراهن.

٥- لا يجوز غَلَق الرهن: وهو أنَّ الراهن إذا لم يؤدِّ ما عليه في الوقت المعيَّن، ملك المرتهن الرهن، وكان هذا من فعل الجاهلية فأبطله النبي ﷺ بقوله: **"لا يَغْلَقُ الرهن من صاحبه، له غُنْمه، وعليه غُرْمه"**. قال الجمهور: منفعة الرهن للراهن، ونفقته عليه، والمرتهن لا ينتفع بشيء من الرهن خلا الإحفاظ للوثيقة، فإذا آجر

المرتهن المرهون بإذن الراهن أو آجره الراهن بإذن المرتهن، فقد خرج من الرهن ولا يعود.

وأجاز البعض انتفاع المرتهن بالرهن مقابل نفقته إذا كان المرهون دابَّة تُركب، أو شاة تُحلب، أو داراً تُسكن، فعلى المرتهن النفقة علف الدابة، والشاة مقابل الركوب واللبن، وإن سكن الدار دفع أجرتها؛ لقوله ﷺ: **" الظهر يركب بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدرّ يشرب بنفقته إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة"** (**رواه البخاري رحمه الله عن أبي هريرة** ﷺ).

ثامناً: جواز التعامل بغير وثيقة ولا شهود.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾.

المفردات اللغوية:

فإن أمن بعضكم بعضاً: أي أمن الدائن المدين على حقه، فلم يرتهن أو لم يكتب الدين. **فليؤد الذي اؤتمن:** أي المدين. **أمانته:** دينه. **وليتق الله ربه:** في أدائه.

معنى الآية الكريمة:

ثم بيَّن تعالى أنَّ وسائل التوثيق هذه، التي شرعها لنا في المعاملات المالية الجارية بيننا، ليست لازمة واجبة، فعندما تشيع الثقة بين المتعاملين لا بأس أن يتبايعوا ويتعاملوا بالدَّيْن، بدون كتابة ولا إشهاد ولا رهن، فإن أَمِن كل من المتدايِنَيْنِ الآخر، ووثق بعضهم بأمانة بعض، وبأنّه لا يجحد الحق ولا ينكره،لم يجب رهن، ولا إشهاد، ولا كتابة. **قال الشافعي رحمه الله:** البيوع ثلاثة: بيع بكتاب وشهود، وبيع برهان، وبيع بأمانة، وقرأ هذه الآية. ولهذا قال كثير من العلماء: إن هذه الآية

ناسخة لما سبق في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ والصحيح أنها ليست ناسخة؛ بل مخصِّصة لما سبق.

وعلى المَدين أن يكون عند حُسن ظنِّ الدائن الذي وثق به، وعليه أن يؤدي الحق الذي اؤتمن عليه كاملاً، وليتق الله ربَّه في رعاية حقوق الأمانة، وعدم خيانتها ولا جحودها ولا التأخر في دفعها، فالله يعلم السرّ وأخفى، وهو الشاهد والرقيب عليه، وهو خير الشاهدين، وهو أولى أن يُتَّقى؛ قال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ وسُمِّي الدَّيْن أمانة لائتمان المدين عليه بترك الارتهان عليه.

وقد دلَّت الآية الكريمة على ما يلي:

١ – جواز ترك الكتابة، والإشهاد، وأخذ الرهن، إن حصل الأمن من سداد الـدَّين وعدم الخوف منه.

٢– وجوب أداء الأمانة على من اؤتمن، وإذا وجب أداء الأمانة حرمت الخيانة.

٣– أنه لو تلفت العين بيد الأمين فإنه لا ضمان عليه ما لم يتعدَّ، أو يُفرِّط؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ فسمَّاها الله تعالى أمانة؛ والأمين يده غير متعدية؛ فلا يضمن إلَّا إذا حصل تعدٍّ، أو تفريط.

٤– جمع سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ بين مقام الألوهية، ومقام الربوبية، وذلك للمبالغة في التحذير من الخيانة التي تغضب الإله المعبود بحق، وربه الذي يربيه ويلي شؤونه، ويدبِّر مصالحه.

تاسعاً: تحريم كتمان الشهادة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾.

المفردات اللغوية:

ولا تكتموا الشهادة: إذا دعيتم لأدائها. **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه:** أي من يخفيها أصلاً، أو وصفاً، فقد وقع قلبه في الإثم.

معنى الآية الكريمة:

ثم أكد سبحانه النهي السابق عن الإباء عن أداء الشهادة، بوصاية ثانية للشهداء تجمع الشهادات في جميع الأحوال؛ فإنه سبحانه أمر أن يكتب الشاهد بالعدل، ثم نهى عن الامتناع من الكتابة بين المتداينين، وأعقب ذلك بالنهي عن كتمان الشهادة كلها؛ فكان هذا النهي _ بعمومه _ بمنزلة التذييل لأحكام الشهادة في الدَّيْن؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ أي: لا تخفوها.

وإذ قد علمنا _ آنفاً _ أنّ الله أنبأنا بأنّ مراده إقامة الشهادة على وجهها بقوله تعالى: ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ ، وأنّه حرَّض الشاهد على الحضور للإشهاد إذا طُلب بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ ، فعُلِم من ذلك كله الاهتمام بإظهار الشهادة إظهاراً للحق، ويؤيِّد هذا المعنى قول النبي ﷺ : **" ألا أخبركم بخير الشهداء، الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها"**

ثم أتبع سبحانه وتعالى تحريم كتمان الشهادة التهديدَ والتحذيرَ، فمن أخفى الشهادة وأنكرها، أو زاد فيها، أو أنقص، فقد وقع قلبه في الإثم؛ وإنّما أضاف الإثم إلى القلب؛ لأنَّ الشهادة أمر خفيّ؛ وخصَّه بالذكر؛ إذ الكتم من أفعاله؛ وإذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كله؛ كما قال ﷺ: **" ألا وإن في الجسد**

صلحت صلح الجسد كله" فعبر بالبعض عن الجملة؛ يقال: (إثم القلب سبب مسخه) والله تعالى إذا مسخ قلبا جعله منافقا وطبع عليه، نعوذ بالله منه.

وكل ما سبق من أعمال كأداء الشهادة، والأمانة، أو كتمها، وكل ما يعمله الإنسان من خير أو شر في القلب، أو في الجوارح، فالله تعالى به عليم وبصير، ويجازي عليه؛ ولهذا ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ترهيباً وتحذيراً للعباد من المعاملات السيئة، وترغيباً لهم على المعاملات الحسنة.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١- تحريم كتم الشهادة سواء كان في أصلها، بأن تُنكر الشهادة رأساً، أو وصفها؛ بأن يزيد فيها، أو ينقص، وسواء كان الحامل لها القرابة، والغنى، أو البعد، والفقر؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء:١٣٥)

٢- أنَّ كتم الشهادة من الكبائر، لوجود العقوبة الخاصة بها ــ وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ ﴾.

٣- التحذير من المخالفة بكون الله سبحانه وتعالى عالماً بما نعمل؛ ووجه التحذير: تقديم المعمول.

٤- الرد على غلاة القدرية الذين يقولون: إن الله لا يعلم بأفعال العباد إلّا إذا وقعت؛ فإن قوله تعالى: ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ يتضمَّن ما قد عملناه بالفعل، وما سنعمله.

وقفة خاتمة في المعاملات المالية:

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

أولاً: اعلم أن الذي أمر الله تعالى به من الشهادة والكتابة لمراعاة صلاح ذات البين ونفي التنازع المؤدي إلى فساد ذات البين؛ لئلا يسوِّل له الشيطان بجحود الحق وتجاوز ما حدَّ له الشرع، أو ترك الاختصار على المقدار المستحق؛ ولأجله حرم الشرع البياعات المجهولة التي اعتيادها يؤدي إلى الاختلاف وفساد ذات البين وإيقاع التغابن والتباين، فمن ذلك: ما حرَّمه الله تعالى من الميسر والقمار وشرب الخمر بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ **(المائدة:٩١)** فمن تأدَّب بأدب الله في أوامره، وزواجره، حاز صلاح الدنيا والدِّين؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ **(النساء:٦٦)**

ثانياً: أن الرسول ﷺ كان يتعوذ: **"من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال"**. وكان يتعوذ: **"من المأثم و المغرم"** وهو الدَّين فقيل له: يا رسول الله ما أكثر ما تتعوذ من المغرم؟ فقال: **"إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف"**

ثالثاً: لَّما أمر الله تعالى بالكَتْبِ، والإشهاد، وأخذ الرهان، كان ذلك نصاً قاطعاً على مراعاة حفظ الأموال وتنميتها، وردّاً على الجهلة والمتصوفة ورعاعها الذين لا يرون ذلك، فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم؛ ثم إذا احتاج وافتقر فهو إما أن يتعرض لِمِنَنِ الإخوان، أو صدقاتهم، أو أن يأخذ من أرباب الدنيا وظَلَمَتِهم، وهذا الفعل مذموم منهي عنه.

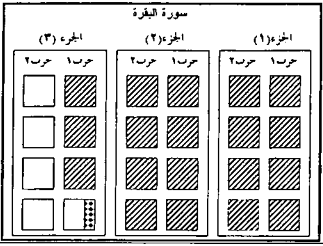

الربع الرابع: الآيات: ٢٨٤– ٢٨٦ من البقرة – ١٣ من آل عمران

خواتيم سورة البقرة: الآيات: ٢٨٤ – ٢٨٦

أ) إحاطة علم الله ﷻ ، وتمام ملكه، وقدرته الآية: /٢٨٤/

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ب) المؤمنون ودعاؤهم: الآيتان: ٢٨٥ – ٢٨٦

وفي هذه الآيات كان مسك الختام بإبداء ما تفضل الله ﷻ على هذه الأمة من التكاليف السمحة التي لا ضيق فيها ولا حرج، وبيان إيمان الرسول محمد ﷺ وأمته بأصول الدين العظيمة وبيان روعة تضرعهم ودعائهم لربهم جل جلاله.

قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ . . ﴾ وقوله تعالى:﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ..﴾

الجزء الثالث - الحزب الأول – الربع الرابع

حسب القرآن: الآيات/ ٢٨٣/ من سورة البقرة. إلى الآية: / ١٤/ من سورة آل عمران.

من قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ...﴾

إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ...﴾.

حسب المعنى: الآيات/ ٢٨٤/ من سورة البقرة إلى الآية/ ١٣/ من سورة آل عمران.

من قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ...﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ... ﴾.

خواتيم البقرة:

الآيات:٢٨٤ - ٢٨٦

وجه الربط:

لمّا ختم الله سبحانه وتعالى الآيتين السابقتين بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ الآية/ ٢٨٢/ وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ الآية/ ٢٨٣/ ذكر عقيبه ما يجري مجرى الدليل العقلي؛ فقال سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾

تضمَّن هذا المقطع المعاني التالية:

١) إحاطة علم الله تعالى، وتمام ملكه، وقدرته: الآية/ ٢٨٤

قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾.

سبب نزول الآية:

جاء في صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ: [لمّا نزل على رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ اشتد ذلك على الصحابة، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها؛ قال رسول الله ﷺ : "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا! بل قولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ ، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؛ فلمّا اقترأها القوم ذَلّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ ؛ فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله ﷻ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال تعالى: "نعم"؛ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال تعالى: "نعم"؛ ﴿ رَبَّنَا

وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ قال تعالى: "نعم"؛ ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ قال تعالى: "نعم"].

المعنى الإجمالي:

يخبر الله جلَّ في علاه بعموم ملكه لأهل السموات والأرض، وإحاطة علمه بما أبداه العباد وما أخفوه في أنفسهم، وأنهم محاسبون به.

ومعنى لله ما في السموات وما في الأرض أي: أنَّ كلَّ شيء في السموات أو في الأرض فهو لله خلقاً، وملكاً، وتدبيراً؛ ومن ملك شيئاً وخلقه، فلا بد من أن يعلمه، وكذلك من ملك شيئاً فله حسابه على أفعاله الظاهرة والباطنة، وله الإرادة المطلقة في العفو عمّن شاء ممّن أخطأ، وعقاب من شاء، وأنَّ علمه محيط واسع، وأنَّ من له الملك التام، والعلم الشامل الواسع، والمشيئة المطلقة فلا بدَّ أن تكون له القدرة؛ فالله ﷻ ما كان ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، يوجد المعدوم، ويعدم الموجود.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١ – بيان عموم ملك الله جلَّ في علاه، وأنّه هو القائم عليها يدبرها كما يشاء؛ لأنها ملكه.

٢ – تفيد الآية عموم علم الله ﷻ وسعته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾؛ ولا محاسبة إلّا من بعد علم.

٣- تحذير العبد من أن يخفي في قلبه ما لا يرضاه الله ﷻ؛ لأنَّ الإنسان إذا علم بأنَّ الله عالم بما يبدي وبما يخفي فسوف يراقب الله ﷻ خوفاً من أن يحاسَب على ما أخفاه كما يحاسَب على ما أبداه.

٤- إثبات أنَّ العبد يحاسب على ما في نفسه؛ وظاهره العموم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ولهذا استدلَّ بعض أهل العلم بهذه الآية على أنَّ كسب القلب وعمله محاسب عليه العبد، ظهر أثره على الجوارح أم لم يظهر، قالوا: وهي كقوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: هذه الآية لا تنافي الأحاديث الواردة في العفو، عمّا حدّث به العبد نفسه، مالم يعمل أو يتكلم.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ولكن جاءت النصوص الأخرى بالتفصيل في ذلك على النحو التالي:

الأول: أن يكون ما يطرأ على النفس وساوس لا قرار لها، ولا ركون إليها؛ فهذه لا تضرّ؛ بل هي دليل على كمال الإيمان؛ لأن الشيطان إذا رأى من قلب الإنسان إيماناً ويقيناً حاول أن يفسد ذلك عليه؛ ولهذا لما شكا الصحابة إلى رسول الله ﷺ ما يجدونه في أنفسهم من هذا قال: **"وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم؛ قال: ذاك صريح الإيمان"**. وفي حديث آخر: **"الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة"**

الثاني: أن يهمَّ بالشيء المحرَّم، أو يعزم عليه، ثم يتركه؛ وهذا أنواع:

النوع الأول: أن يتركه لله؛ فيثاب على ذلك؛ كما جاءت به السُّنَّة فيمن همَّ بسيِّئة فلم يعملها أنها تكتب حسنةً كاملةً؛ قال الله تعالى: **"لأنه تركها من جرَّائي"**، أي من أجلي. **(أخرجه مسلم)**

النوع الثاني: أن يهمّ بها، ثم يتركها عزوفاً عنها؛ فهذا لا له ولا عليه؛ لقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات؛ وإنَّما لكل امرئ ما نوى"

النوع الثالث:أن يتمنَّاها، ويحرص عليها؛ ولكن لا يعمل الأسباب التي يحصِّلها بها؛ فهذا يعاقب على نيَّته دون العقاب الكامل، كما جاء في الحديث في فقير تمنَّى أن يكون له مثل مال غنيّ في غير مرضاة الله؛ فقال النبي ﷺ : "فهو بنيَّته؛ فهما في الوزر سواء".أخرجه أحمد والترمذي، وقال الألباني: (صحيح).

النوع الرابع: أن يعزم على فعل المعصية، ويعمل الأسباب التي يوصل إليها؛ ولكن يعجز عنها؛ فعليه إثم فاعلها؛ لقول النبي ﷺ: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه". (أخرجه البخاري ومسلم).

٥- أن الله لم يصرح بالمعاقبة؛ ولا يلزم من المحاسبة المؤاخذة؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ ويؤيّده ما ثبت في الصحيحين: أنّ الله ﷻ يخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، ويقول: "عملت كذا في يوم كذا" حتى يُقرَّ؛ فإذا رأى أنه قد هلك يقول الله ﷻ: "قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم"

٦- سعة علم الله ﷻ، ومن أسمائه سبحانه وبحمده: "الواسع" أي ذو السعة في جميع الصفات.

٧- إثبات المشيئة لله ﷻ؛ لقوله تعالى:﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ ومشيئته مقرونة بالحكمة.

٨- إثبات القدرة لله ﷻ وعمومها في كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾.

مسألة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

فإن قيل لماذا ختمت الآية بالقدرة من بعد قوله تعالى: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ ولم يختمها بالرحمة، ولا بالعقوبة؟ فالجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن المحاسبة تكون بعد البعث؛ والبعث يدل على القدرة؛ كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وجه آخر: لو ختمت الآية بما يقتضي الرحمة وفيها التعذيب لم يكن هناك تناسب؛ ولو ختمت بما يقتضي التعذيب وفيها مغفرة لم يكن هناك تناسب؛ والقدرة تناسب الأمرين: تناسب المغفرة، وتناسب التعذيب؛ لأن المغفرة، والتعذيب كلٌّ لا يكون إلا بقدرة الله ﷻ . ا.هـ

لطائف:

❖ بيّنت الآية كمال ملك الله ﷻ، وكمال علمه، وإحاطته، وكمال قدرته، وقهره، ولا كمال أعلى وأعظم من حصول الكمال في هذه الصفات؛ لأنّه لو تأمّل العبد في هذا الملك الواسع العظيم، وأنّه مَن يدبّر بانتظام لا مثيل له علم بأنَّ الذي يدبِّره كامل الصفات، والموصوف بهذه الكمالات يجب على كل عاقل أن يكون عبداً منقاداً له، خاضعاً لأوامره، ونواهيه محترزاً عن سخطه.

❖ في تقديم المغفرة على التعذيب إشعار بسبق رحمة الله تعالى على غضبه.

ب) المؤمنون ودعاؤهم:

الآيات: ٢٨٥ – ٢٨٦

من قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ... ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.... أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

وجه الربط:

ذكرنا أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ فإنَّه لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، واضطربت لها نفوس المؤمنين، وخافوا من محاسبة الله لهم على ما يخفونه في أنفسهم من الوساوس والخطرات، فأمرهم الرسول الكريم ﷺ بالرضا بحكم الله تعالى، والتسليم به، فلمَّا فعلوا أنزل الله هذه الآية.

قال البقاعي في نظم الدُّرر: "وأمَّا مناسبتها لأول السورة ردًّا للمقطع على المطلع فهو: أنَّه لَّما ابتدأ ﷻ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذي لا ريب فيه على الوجه الذي تقدَّم ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به في أولها على وجه يتَّصل بما قبله من الأوامر والنواهي والاتِّصاف بأوصاف الكمال أشدَّ اتِّصال، وجعل رأسهم الرسول أفضل الصلاة وأزكى السلام تعظيماً للمدح وترغيباً في ذلك الوصف، فأخبر تعالى بإيمانهم بما أنزل إليه بخصوصه، وبجميع

الكتب، وجميع الرسل، وبقولهم الدَّال على كمال الرغبة، وغاية الضراعة والخضوع" ا.هـ

ورد في هذه الآيات الكريمات نصوص تدل على فضلها العظيم؛ منها:

- أنها من كنز تحت العرش؛ لقوله ﷺ: **"أوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهنَّ نبيّ قبلي"**
- أنها فتحت لها أبواب السماء عند نزولها. عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم،لم يُفتح قطّ إلّا اليوم، فنزل منه مَلَك، فقال: هذا ملَك نزل إلى الأرض،لم ينزل قطّ إلّا اليوم. فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما،لم يؤتهما نبيّ قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته.
- أنها لم يعطها أحد من الأنبياء قبل رسول الله ﷺ؛ لقوله ﷺ: **"أوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهنَّ نبيّ قبلي"**
- أن من قرأهما في ليلة كفتاه. روى البخاري، ومسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين) عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: **"من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"**؛ قال ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح أي: أجزأتاه عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل: معناه كفتاه كل سوء، وقيل: دفعتا عنه شرَّ الإنس والجنّ، وقيل: من الآفات، ويحتمل الجميع.

المعنى الإجمالي:

كانت هذه الآيات الكريمات مسك الختام بتفضل الله على هذه الأمة من التكاليف السمحة السهلة التي لا ضيق ولا حرج فيها، وبيان إيمان الرسول محمد ﷺ وأمته بأصول الدين العظيمة، وبيان روعة تضرعهم ودعائهم لربهم جلَّ في علاه. فأخبر تعالى أنَّ الرسول محمد ﷺ آمن بالذي أُنزل إليه من ربِّه؛ والذي أنزل إلى الرسول ﷺ بيَّنه سبحانه في قوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ (النساء:الآية١١٣)؛ فهو القرآن؛ والسُّنَّة؛ فقد آمن الرسول ﷺ بأنَّ ما أوحيَ إليه من القرآن والسُّنَّة من عند الله تعالى أنزله إليه ليبلِّغه إلى الناس، وكان ﷺ أشد الناس تصديقاً بما أُنزل إليه، وأقواهم إيماناً، وأعظمهم تعبُّداً لله ﷻ، ولهذا استحقَّ هذا الشرف العظيم؛ وهو ربوبيَّة خاصة الخاصة له؛ قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾.

ثمَّ عطف سبحانه بذكر إيمان المؤمنين ثناءً عليهم؛ فقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ؛ فهم كذلك آمنوا برسولهم محمد ﷺ؛ وبما أُنزل إليه من ربِّه من القرآن؛ والسُّنَّة.

ولمَّا أجمل فصَّل سبحانه فقال: ﴿ كُلٌّ ﴾ فالجميع أقرُّوا إقراراً جازماً، وأذعنوا؛ فالمؤمنون يؤمنون بالله ﷻ، بوجوده، وربوبيَّته، وألوهيَّته، وأسمائه، وصفاته، كما أنهم يؤمنون بالملائكة الذين خلقهم الله تعالى من نور، وأعطاهم قوة، وقدرة على تنفيذ ما يريد منهم، ويصدِّقون بجميع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الحق ﷻ إلى عباده، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم سيّدنا محمد ﷺ، والكتب المنزَّلة من الله تعالى على عباده المرسلين لهداية البشر.

وبعد أن وصف الله تعالى المؤمنين هذا الوصف الجامع بقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ انتقل الخطاب في الآيات الكريمات من الغَيْبَة إلى التكلُّم؛ فقال تعالى عنهم: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ ليتنبَّه القارئ؛ ويعلم أنَّ هؤلاء المؤمنين الشرفاء لا يفرِّقون بقلوبهم، وألسنتهم بين أحد من الرسل. بل يؤمنون بهؤلاء الرسل الكرام أجمعين، وأنّهم صادقون في رسالتهم، فهم لا يفرِّقون بين رسول، ورسول، ولم يصنعوا صنيع مَن آمن ببعض، وكفر ببعض، بل الجميع عندهم مرسلون بالحق من ربهم ﷻ.

ثم عاد السياق ليتحدَّث عن استجابة المؤمنين لربِّهم، فأخبر تعالى عنهم أنهم أضافوا إلى إيمانهم وتصديقهم، إعلانهم الانقياد والإذعان لدينه سبحانه وشريعته، فقالوا:﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا... ﴾ أي: سمعنا ما أمرتنا به، أو نهيتنا عنه، فنسألك يا ربنا غفرانك، فنحن مفتقرون إلى رحمتك وإحسانك، وإنَّ مرجعنا في أمور دنيانا، إلى تدبيرك وحِكمتك، وإليك المآب والمرجع في الآخرة يوم القيامة. فهم يطلبون بعد الإيمان، والعمل: المغفرة، والرحمة، واللطف، ويُقرُّون بالبعث، والجزاء، إقرار المؤمن الخائف، الوجِل، المُشفق.

ولَمَّا كان قولهم: ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ سبباً لاستجابة الله ﷻ لدعائهم على لسان نبيِّه؛ بقوله تبارك وتعالى: "نعم، قد فعلت"، بيَّن الله تعالى ثمرة الإيمان، والتسليم، والطاعة؛ بقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ فأعلمهم جلَّ في علاه بأنَّه لا يكلِّف أحداً فوق طاقته، وهذا من رحمته سبحانه ولطفه ورأفته

بعباده؛ فالإنسان يستطيع أن يقوم بها كُلِّف به، وهو مبدأ أساسيّ من مبادئ التكليف في الشريعة الإسلاميّة؛ فالتكليف فيها منوط بالوسع لا بالطاقة، وهي أعلى ما يستطيع الإنسان القيام به.

قال القرطبي رحمه الله:

"مدحهم الله وأثنى عليهم في هذه الآية، ورفع المشقة في أمر الخواطر عنهم، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى، كما جرى لبني إسرائيل ضد ذلك من ذمّهم وتحميلهم المشقات، من الذِّلة، والمسكنة، والمهانة، إذ قالوا: سمعنا وعصينا، وهذه ثمرة العصيان والتمرُّد على الله تعالى، أعاذنا الله من نقمه بمنِّه وكرمه" ا.هـ

وللنفس الإنسانية من الأعمال التي تدخل تحت التكليف المحتمل غير الشاق ما كسبت من خير وما اكتسبت من شرّ، ولها الثواب على الخير، وعليها العقاب على الشرّ؛ قال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾.

ثمَّ أرشد تعالى عباده إلى هذا الدعاء، وعلَّمهم كيف يلجؤون إليه ضارعين، فما أعظم رحمته ﷻ بعباده!! علَّمهم كيف يسألونه، وجعلهم يقفون على أبواب فضله ورحمته، ليتفضَّل عليهم بفيوضات إحسانه وكرمه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ أي يا ربنا لا تعاقبنا إن صدر مِنَّا بحكم ضعفنا وقصورنا، في حال السهو والخطأ والجهل، شيئاً من المخالفة والعصيان، وقد فعل سبحانه ذلك كما مرَّ معنا في الحديث الشريف، وقرَّره سبحانه وتعالى في عدد من الآيات الكريمات: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾. (الأحزاب: من الآية٥) ثمّ سألوه ﷻ بربوبيّته لهم،

وكرَّروا النداء تبرُّكاً بهذا الاسم الكريم، وتذلُّلاً وتعطُّفاً على الله ﷻ؛ لأن هذا من أسباب إجابة الدعاء؛ فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ ؛ أي لا تكلِّفنا بالأعمال الشاقَّة، والأحكام الشرعية الثقيلة التي نعجز عنها، كما فعلت مع مَن قبلَنا من الأمم؛ مثل أمر بني إسرائيل بالتيه أربعين سنة، وبصفات البقرة النادرة التي أمروا بذبحها، وكقتل النفس في التوبة، وكأغلال النصارى، وغيرهم، ونحو ذلك، وكل ذلك تأديباً لهم على مخالفات. وقد فعل سبحانه ذلك، فجاءت أحكام الشريعة الإسلامية سهلة مُيسَّرة، لا حرج فيها.

ثمَّ علَّمنا أن ندعوه بألَّا يحمِّلنا عقوبات لا طاقة لنا بها، وأن لا يبتلينا بمصائب كونية شديدة أو مِحن عظيمة بسبب معاصينا؛ قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ . وقيل: هذه الآية دعاء بمعافاتهم من التكاليف الشديدة، والتي قبلها دعاء بمعافاتهم من العقوبات التي عوقبت بها الأمم. "والله تعالى أعلم"

ثم كانت خاتمة الدعاء الرائعة: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾ ؛ أي: اصفِحْ عمَّا قصَّرنا فيه من الواجبات؛ وتَجاوز عمَّا اقترفناه من السيِّئات؛ وتَفضَّلْ علينا بالرحمة حتى لا نقع في فعل محظور، أو في تهاونٍ في مأمور.

ولمَّا كان من أسباب إجابة الدعاء التوسل إلى الله تعالى بما يقتضي الإجابة، علَّمهم تعالى أن يقولوا: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾ وكأنَّ المعنى لأنك أنت يا ربنا مولانا، ومن شأن المولى الرفق بالمملوك؛ وكذلك ليكون هذا القول: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ كالمقدِّمة للدعوة اللاحقة:

﴿ فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ أي: ها نحن قد دعوناك، ورجونا منك؛ لأنَّك أنت يا الله متولِّي أمورنا، وناصرنا؛ فبولايتك الخاصة لنا انصرنا على الكافرين؛ فلا حول لنا ولا قوة لنا إلّا بك؛ ولا نصر إلا بتأييدك ومعونتك. اللهم آمين يا رب العالمين.

وقد دلّت الآية الكريمة على ما يلي:

١- أنّه كلما كان الإنسان أقوى إيماناً بالرسول ﷺ كان أشدّ اتِّباعاً له؛ وجهه أنه تعالى قال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ يعني والمؤمنون آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ من ربه؛ وعليه فكل من كان أقوى إيماناً كان أشد اتباعاً.

أنَّ من صفات المؤمنين السمع، والطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يسمع، ولا يُطيع؛ بل هو معرض؛ لم يرفع لأمر الله ورسوله رأساً.

القسم الثاني: من يسمع، ولا يطيع؛ بل هو مستكبر؛ اتَّخذ آيات الله هزواً، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٧﴾ ﴾ (لقمان:٧)، وكقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ (البقرة: من الآية٩٣) وهذا أعظم جرماً من الأول.

القسم الثالث: من يسمع، ويطيع؛ وهؤلاء هم المؤمنون الذين قالوا سمعنا وأطعنا، وقال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: من الآية٧١).

٣- بيان رحمة الله ﷻ بعباده، حيث لا يكلفهم إلّا ما استطاعوه. ويتفرَّع على هذه الفائدة: إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم؛ وهي أنّه:

لا واجب مع العجز؛ لكن إن كان الواجب المعجوز عنه له بدل وجب الانتقال إلى بدله؛ فإن لم يكن له بدل سقط؛ وإن عجز عن بدله سقط؛ مثال ذلك: إذا عجز عن الطهارة بالماء سقط عنه وجوب التطهر بالماء؛ لكن ينتقل إلى التيمم؛ فإن عجز سقط التيمم أيضاً _ مثال ذلك: شخص محبوس مكبل لا يستطيع أن يتوضّأ، ولا أن يتيمَّم: فإنه يصلي بلا وضوء ولا تيمَّم؛ مثال آخر: رجل جامع زوجته في نهار رمضان: فعليه أن يعتق رقبة؛ فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين؛ فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكيناً؛ فإن لم يجد فلا شيء عليه.

ولا محرم مع الضرورة: رجل اضطر إلى أكل الميتة بحيث لا يجد ما يسدُّ رمقه غيرها: فإنه يحِلُّ له أكلها؛ وهل له أن يشبع؛ أو يقتصر على ما تبْقى به حياته؟

والجواب: إن كان يرجو أن يجد حلالاً عن قرب فيجب أن يقتصر على ما يسدّ رمقه؛ وإن كان لا يرجو ذلك فله أن يشبع، وأن يتزوَّد منها خشية أن لا يجد حلالاً عن قرب.

يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ يُسر الدين الإسلامي، حيث أخذ الفقهاء منها القواعد التالية:

قاعدة التيسير، ونفي الحرج في أمور الدين كلها.

وكذلك قاعدة العفو ورفع المؤاخذة بالنسيان، والجهل؛ لقوله تعالى: **"قد فعلت"**؛ وهذا في العبادات، وفي حقوق الله تعالى، وأمَّا وجوب ضمان المتلفات

خطأ أو نسياناً، في النفوس والأموال، فإنه مرتَّب على الإتلاف بغير حق، وذلك شامل لحالة الخطأ والنسيان والعمد.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ولا يلزم من رفع المؤاخذة سقوط الطلب؛ فمن ترك الواجب نسياناً، أو جهلاً، وجب عليه قضاؤه، ولم يسقط الطلب به؛ ولهذا قال النبي ﷺ: "**من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها**"؛ ولمَّا صلّى الرجل الذي لا يطمئن في صلاته قال له ﷺ "**ارجع فصل؛ فإنك لم تصل**"؛ ولم يعذره بالجهل مع أنه لا يحسن غير هذا؛ إذاً فعدم المؤاخذة بالنسيان، والجهل لا يسقط الطلب؛ وهذا في المأمورات ظاهر؛ أما المنهيات فإنَّ مَن فعلها جاهلاً، أو ناسياً فلا إثم عليه؛ لقول النبي ﷺ : "**من نسي وهو صائم فأكل، أو شرب، فليتم صومه**"؛ وكذلك لو أكل وهو صائم جاهلاً فإن صومه صحيح سواء كان جاهلاً بالحكم، أو بالوقت؛ لأن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: "**أفطرنا على عهد رسول الله ﷺ يومَ غَيم، ثم طلعت الشمس**"؛ ولم يؤمروا بالقضاء؛ ولكن لو فعل المُحرَّم عالماً بتحريمه جاهلاً ما يترتب على فعله؛ مثل أن يجامع الصائم في نهار رمضان وهو يجب عليه الصوم عالماً بالتحريم _ لكن لا يعلم أن عليه الكفَّارة: فإنه آثم، وتجب عليه الكفَّارة؛ لِما في حديث أبي هريرة ﷺ **أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله، هلكت، قال: ما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم"**؛ فألزمه النبي ﷺ بالكفارة؛ لأنه كان عالماً بالحكم بدليل قوله: "**هلكت**"

فإن قال قائل: "قد ذكرتم أن المأمور لا يسقط بالجهل والنسيان"، فما الفائدة من عذره بالجهل؟

فالجواب: أن الفائدة عدم المؤاخذة؛ لأنه لو فعل المأمور على وجه محرَّم يعلم به لكان آثماً؛ لأنَّه كالمستهزئ بالله ﷻ وآياته، حيث يعلم أن هذا محرم، فيتقرَّب به إلى الله.

٤- أن الأعمال الصالحة كسب؛ وأنَّ الأعمال السيئة غُرم؛ لقوله تعالى: ﴿ لَهَا ﴾، ومن قوله تعالى: ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾؛ "على" ظاهرة في أنها غُرم؛ واللام ظاهرة في أنها كسب.

٥- أنه ينبغي للإنسان أن يتوسَّل في الدعاء بالوصف المناسب، مثل الربوبية _ التي بها الخلق، والتدبير؛ ولهذا كان أكثر الأدعية في القرآن الكريم مصدرة بوصف الربوبية.

٦ – امتنان الله تعالى على هذه الأمَّة برفع الآصار التي حملها مَن قبلنا.

٧- أنَّه ينبغي للإنسان سؤال الله سبحانه العافية، فلا يُحمِّله ما لا طاقة به؛ وفي هذا ردّ على الصوفية الذين قالوا: نحن لا نسأل الله تعالى أن يقينا ما يشقّ علينا؛ لأننا عبيده؛ وإذا حصل لنا ما يشقّ فإننا نصبر عليه لنكسب أجراً.

أنّه ينبغي للإنسان سؤال الله العفو؛ لأنه لا يخلو من تقصير في المأمورات؛ فيسأل الله العفو عن تقصيره؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا ﴾ وسؤال الله المغفرة من ذنوبه التي فعلها لقوله تعالى: ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾؛ لأن الإنسان إن لم يُغفر له تراكمت عليه الذنوب، ورانت على قلبه، وربما توبقه، وتهلكه.

٨- أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله أن يرحمه في مستقبل أمره؛ فيعفو عما مضى، ويغفر؛ ويرحم في المستقبل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱرْحَمْنَآ ﴾ وبهذا يُعرف اختلاف هذه

الكلمات الثلاث: طلب العفو عن التفريط في الطاعات؛ والاستغفار عن فعل المحرمات؛ والرحمة فيما يستقبله الإنسان من زمنه _ أن يرحمه الله، ويوفقه لما فيه مصلحته.

٩- أنَّ المؤمن لا وليَّ له إلَّا ربه؛ لقوله تعالى: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ وولاية الله نوعان: خاصة وهي للمؤمنين، وعامَّة؛ وهي لكل أحد؛ لأن الله تعالى هو الذي يتولى جميع أمور الخلق.

١٠- أنه يجب على الإنسان اللجوء إلى الله في النصرة على الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾. والنصر على الكافرين يكون بأمرين: بالحجة، والبيان؛ وكذلك بالسيف، والسلاح؛ وأما السيف، والسلاح فظاهر؛ وأما الحجة والبيان فقد يجتمع كافر، ومسلم، ويتناظران في أمر من أمور العقيدة فإن لم ينصر الله المسلم خُذل، وكان في ذلك خُذلان له، وللدين الذي هو عليه؛ وهذا النوع من النصر يتعين في المنافقين؛ لأن المنافق لا يُجاهد في السلاح؛ لأنه يُظهر أنه من المسلمين.

لطائف من الآيات:

- ❖ في قرن المؤمنين بالرسول ﷺ، والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد شرف عظيم للمؤمنين. قال البقاعي رحمه الله تعالى في نظم الدّرر: قال الحرالي: قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ ﴾ فجمعهم في كليّة كأنَّ قلوبهم قلب واحد لم يختلفوا؛ لأنَّ القبول واحد، والردّ يقع مختلفاً.

❖ يلاحظ ترتيب الدعاء في الآية على الأخف فالأخف على سبيل التعلِّي؛ فعدم حمل الإصر: (الحرج، والحمل الثقيل) يستوجب المغفرة، وعدم تحميل ما لا يطاق، يتطلب الرحمة.

تمَّ تقسيم وتفسير "سورة البقرة" بتوفيق من الله جلَّ ثناؤه، وفضله، ومنته، فله الحمد والثناء الحسن الجميل. وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

الفهرس

المقدمة - - ٥

الجزء الأول - الحزب الأول - الربع الأول - ٢١

الآيات: ١- ٢٥ - ٢١

المعاني الرئيسة ---------- ٢١

المعنى الأول: الآيات: ١- ٢٠ ---------- ٢١

أولاً: هداية الكتاب، وبيان صفات المؤمنين: الآيات. ١- ٥ ---------- ٢١

المفردات اللغوية ---------- ٢١

المعنى الإجمالي ---------- ٢٣

ثانياً: صفات الكافرين وجزاؤهم ---------- ٢٦

المفردات اللغوية ---------- ٢٦

المعنى الإجمالي ---------- ٢٦

من هداية الآيات ---------- ٢٧

صفات المنافقين ﴿٨-١٦﴾، وضرب أمثلة لهم ﴿١٧-٢٠﴾ ---------- ٢٧

وجه الربط ---------- ٢٧

صفات المنافقين ---------- ٢٨

المفردات اللعوية ---------- ٢٨

المعنى الإجمالي ---------- ٢٩

ضرب الأمثلة لصنفين من المنافقين ---------- ٣٢

المفردات اللغويه ---------- ٣٢

المعنى الإجمالي ---------- ٣٢

المعنى الثاني: الآيات: ٢١-٢٥ ---------- ٣٥

وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، والأدلة على وحدانيته ﴿٢١-٢٢﴾، وتحدي العرب بالقرآن، ---------- ٣٥

وجه الربط ---------- ٣٥
المفردات اللغوية ---------- ٣٥
المعنى الإجمالي ---------- ٣٧
من هداية الآيات ---------- ٣٩

الجزء الأول - الحزب الأول – الربع الثاني - ٤٣

وجه الربط ---------- ٤٣
المعاني الرئيسة ---------- ٤٤
المعنى الأول: الآيات: ٢٦ - ٢٩ ---------- ٤٤
صرب الأمثال للنّاس في القرآن ---------- ٤٤
المفردات اللغوية ---------- ٤٤
المعنى الإجمالي ---------- ٤٥
من هداية الآيات ---------- ٤٦
ب) الآيات: ٢٨ - ٢٩ ---------- ٤٧
إفراد الله ﷻ بالخلق والبعث، وتوطئة لإعمار الأرض ---------- ٤٧
المصردات اللغوية ---------- ٤٧
المعنى الإجمالي ---------- ٤٨
فائدة ---------- ٤٨

المعنى الثاني: الآيات: ٣٠ - ٣٩ ---------- ٤٩
أ) خلق آدم واستخلافه في الأرض: الآيات: ٣٠ - ٣٤ ---------- ٤٩
وجه الربط ---------- ٤٩
المفردات اللغويه ---------- ٥٠
المعنى الإجمالي ---------- ٥٠
من هداية الآيات ---------- ٥١
ب): الآيات: ٣٥ - ٣٩ ---------- ٥٢
سكنى الجنة، المعصية، والهبوط إلى الأرض ﴿٣٥-٣٦﴾ التوبة: ﴿٣٧﴾ ---------- ٥٢

المفردات اللغوية ---------- ٥٢
وقد تضمَّنت الآيات الكريمات المعاني الرئيسة الآتية ---------- ٥٣
من هداية الآيات---------- ٥٣

الجزء الأول - الحزب الأول – الربع الثالث - ٥٧

ملاحظة---------- ٥٧
وجه الربط ---------- ٥٧
المعاني الرئيسة ---------- ٥٨
المعنى الأول: الآيات: ٤٠- ٤٨---------- ٥٨
جملة من الأوامر لبني إسرائيل ---------- ٥٨
المفردات اللغوية ---------- ٥٨
المعنى الإجمالي ---------- ٥٩
من هداية الآيات---------- ٦١
المعنى الثاني: الآيات: ٤٩ - ٦٠ ---------- ٦٢
النعم العشر التي أنعم الله بها على بني إسرائيل---------- ٦٢
المفردات اللغويه ---------- ٦٢
المعنى الإجمالي ---------- ٦٤
من هداية الآيات---------- ٦٧

الجزء الأول - الحزب الأول - الربع الرابع ٧١

المعاني الرئيسة ---------- ٧١
أ) الآية: /٦١/ ---------- ٧١
دناءة همّة بني إسرائيل، واستبدالهم الأدنى بالأعلى، وأسباب استحقاقهم الذلة والغضب ---------- ٧١
المفردات اللغوية ---------- ٧١

المعنى الإجمالي ---------- ٧٢
من هداية الآية ---------- ٧٤
ب) الآية: /٦٢/ ---------- ٧٤
كمال عدل الله تعالى في إثابة المؤمنين من جميع الأمم ---------- ٧٤
وجه الربط ---------- ٧٤
المفردات اللغوية ---------- ٧٤
المعنى الإجمالي ---------- ٧٥
من هداية الآية ---------- ٧٥
ج) الآيات: ٦٣ - ٦٦ ---------- ٧٦
ميثاق بني إسرائيل وتوليهم عن القيام به، وجزاء الله لهم ---------- ٧٦
المفردات اللغوية ---------- ٧٦
المعنى الإجمالي ---------- ٧٧
من هداية الآيات ---------- ٧٨
مقدمة بين يدي القصص والأحاديث الإسرائيلية ---------- ٨٠
المعنى الثاني: الآيات: ٦٧ — ٧٤ ---------- ٨١
قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمرهم الله بذبحها ---------- ٨١
وجه الربط ---------- ٨١
المفردات اللغوية ---------- ٨٢
المعنى الإجمالي ---------- ٨٣
من هداية الآيات ---------- ٨٥
الجزء الأول - الحزب الثاني - الربع الأول - ٨٩
المعاني الرئيسة ---------- ٨٩

المعنى الأول: الآيات: ٧٥ – ٨٢ ---------- ٨٩
أ) الآيات: ٧٥ – ٧٩ ---------- ٨٩
استبعاد إيمان اليهود ---------- ٨٩
المفردات اللغوية ---------- ٨٩
المعنى الإجمالي ---------- ٩٠
من هداية الآيات ---------- ٩٢
ب) الآيات: ٨٠ – ٨٢ ---------- ٩٦
أماني اليهود الخادعة، والردّ عليهم ---------- ٩٦
المفردات اللغوية ---------- ٩٦
المعنى الإجمالي ---------- ٩٦
من هداية الآيات ---------- ٩٨
المعنى الثاني: الآيات: ٨٣ – ٨٦ ---------- ٩٩
أ) الميثاق العام: الآية/٨٣/ ---------- ١٠٠
المفردات اللغوية ---------- ١٠٠
المعنى الإجمالي ---------- ١٠١
من هداية الآيات ---------- ١٠٣
ب) الآيات: ٨٤– ٨٦ ---------- ١٠٤
ميثاق الله ﷻ على بني إسرائيل:(الميثاق الخاص) ---------- ١٠٤
المفردات اللغوية ---------- ١٠٤
المعنى الإجمالي ---------- ١٠٤
من هداية الآيات ---------- ١٠٥
مسألة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ---------- ١٠٦
الجزء الأول – الحزب الثاني – الربع الثاني ١٠٩
المعاني الرئيسة ---------- ١٠٩
أولا: الآيات: ٨٧ – ٩٦ ---------- ١٠٩

أ) الآيات: ٨٧- ٨٨ ---------- ١٠٩
تكذيب الرسل وقتلهم ---------- ١٠٩
المفردات اللغوية ---------- ١١٠
المعنى الإجمالي ---------- ١١٠
من هداية الآيات ---------- ١١١
ب) الآيات: ٨٩ . ٩٠ . ٩١ ---------- ١١١
التعصب، والحسد ---------- ١١١
المفردات اللغوية ---------- ١١٢
المعنى الإجمالي ---------- ١١٢
من هداية الآيات ---------- ١١٣
ج) الآيات: ٩٢- ٩٣ ---------- ١١٤
تكذيب ادعائهم الإيمان بالتوراة ---------- ١١٤
المفردات اللغوية ---------- ١١٥
المعنى الإجمالي ---------- ١١٥
من هداية الآيات ---------- ١١٦
د) الآيات: ٩٤ - ٩٦ ---------- ١١٧
حجة الله لنبيه بمباهلة اليهود لبيان كذبهم، وفضح أحبارهم وعلماءهم ---------- ١١٧
المفردات اللغوية ---------- ١١٧
المعنى الإجمالي ---------- ١١٨
من هداية الآيات ---------- ١١٨
ثانيا: الآيات: ٩٧- ٩٨ ---------- ١١٩
موقف اليهود من الملائكة ---------- ١١٩
المفردات اللغوية ---------- ١١٩
المعنى الإجمالي ---------- ١١٩
من هداية الآيات ---------- ١٢٠
ثالثاً: الآيات: ٩٩- ١٠١ ---------- ١٢١

موقف اليهود من القرآن ﴿٩٩﴾ ودأبهم على نقض العهود ﴿١٠٠﴾ ---------- ١٢١

المفردات اللغوية ---------- ١٢١

المعنى الإجمالي ---------- ١٢١

من هداية الآيات ---------- ١٢٢

رابعا: الآيات: ١٠٢ - ١٠٣ ---------- ١٢٣

اشتغال اليهود بالسحر واتباعهم الشياطين ---------- ١٢٣

وجه الربط ---------- ١٢٣

المفردات اللغوية ---------- ١٢٣

المعنى الإجمالي ---------- ١٢٤

من هداية الآيات ---------- ١٢٦

خامساً: تاديب وتحذير الآيات: ١٠٤ - ١٠٥ ---------- ١٢٨

المفردات اللغوية ---------- ١٢٨

المعنى الإجمالي ---------- ١٢٨

من هداية الآيات ---------- ١٣٠

الجزء الأول - الحزب الثاني - الربع الثالث ١٣٥

توطئة ---------- ١٣٥

المعنى الأول: الآيات: ١٠٦ - ١١٣ ---------- ١٣٧

أ) الآيات: ١٠٦ - ١٠٧ ---------- ١٣٧

التدرُّج في التشريع، وثبوت النسخ في آيات الله ﷻ وأحكامه الشرعيّة ---------- ١٣٧

المفردات اللغوية ---------- ١٣٧

المعنى الإجمالي ---------- ١٣٨

من هداية الآيات ---------- ١٣٩

ب) إنكار وتحذير: الآية:/ ١٠٨ / ---------- ١٣٩

المفردات اللغوية ---------- ١٣٩

المعنى الإجمالي ---------- ١٤٠

من هداية الآية -- ١٤٠
ج) الآيات: ١٠٩- ١١٠ -- ١٤١
بيان ما عليه أهل الكتاب من الحسد العظيم لهذه الأمّة، وكيفيّة الردّ عليهم ---------- ١٤١
المفردات اللغوية -- ١٤١
المعنى الإجمالي -- ١٤١
من هداية الآية -- ١٤٢
د) الآيات ١١١، ١١٣ -- ١٤٤
أماني أهل الكتاب الباطلة، وتناقضاتهم، وتعاديهم ------------------------- ١٤٤
المفردات اللغوية -- ١٤٤
المعنى الإجمالي -- ١٤٥
من هداية الآيات --- ١٤٧

المعنى الثاني: الآيات: ١١٤- ١١٨ ----------------------------------- *١٤٨*
ظلم منع الصلاة في المساجد أو السعي في خرابها. وعموم ملك الله تعالى خلقاً وتقديراً-- ١٤٨
المفردات اللغوية -- ١٤٨
المعنى الإجمالي -- ١٤٩
من هداية الآيات --- ١٥٠
ب) الآيات: ١١٦- ١١٧ -- ١٥١
تنزيه الله سبحانه وتعالى --- ١٥١
المفردات اللغوية -- ١٥١
من هداية الآيات --- ١٥٢
ج) الآية: / ١١٨/ --- ١٥٣
عود على بدء: -- ١٥٣
المفردات اللغوية -- ١٥٣
المعنى الإجمالي -- ١٥٣
من هداية الآيات --- ١٥٤

المعنى الثالث: الآيات: ١١٩- ١٢٣ ----------------------------------- *١٥٤*

المعاني الرئيسة ---------- *١٥٤*
أ) الآيات: ١١٩ – ١٢٠ ---------- ١٥٤
تثبيت ومواساة، وتحذير ونهي ---------- ١٥٤
المفردات اللغوية ---------- ١٥٥
المعنى الإجمالي ---------- ١٥٥
من هداية الآيات ---------- ١٥٦
فائدة ---------- ١٥٧
ب) الآية: /١٢١/ السعداء والأشقياء: ---------- ١٥٨
المفردات اللغوية ---------- ١٥٨
المعنى الإجمالي ---------- ١٥٨
من هداية الآيات ---------- ١٥٩
ج) الآيات: ١٢٢ – ١٢٣ ---------- ١٥٩
تذكير بالنعمة، وتخويف بالآخرة ---------- ١٥٩
المفردات اللغوية ---------- ١٥٩
المعنى الإجمالي ---------- ١٥٩

الجزء الأول – الحزب الثاني – الربع الرابع ١٦٣

المعاني الرئيسة ---------- *١٦٣*
المعنى الأول: الآية: ١٢٤ – ١٢٩ ---------- *١٦٣*
أ) إبراهيم عليه السلام، والاحتبار ومقام الإمامة ﴿١٢٤﴾ ---------- ١٦٣
المفردات اللغويه ---------- ١٦٣
المعنى العام للآية الكريمة ---------- ١٦٤
ب) الآيات: ١٢٥ – ١٢٩ ---------- ١٦٥
البيت الحرام: حصائصه وفضله، وبناؤه ﴿١٢٥–١٢٦– ١٢٧﴾ ---------- ١٦٥
المفردات اللعوية ---------- ١٦٥
تضمَّنت الآيات الكريمات المعاني الرئيسة الآتية ---------- ١٦٧

من هداية الآيات ---------- ١٦٨
المعنى الثاني: الآيات: ١٣٠ - ١٤١ ---------- *١٧١*
وجه الربط ---------- ١٧١
المعاني الرئيسة ---------- *١٧١*
أ) ملّة التوحيد، ووصيّة الأنبياء بها: الآيات: ١٣٠ - ١٣٤ ---------- ١٧١
المفردات اللغوية ---------- ١٧٢
المعنى الإجمالي ---------- ١٧٢
من هداية الآيات ---------- ١٧٤
ب) الآيات ١٣٥ - ١٣٨ ---------- ١٧٥
وجوب اتباع ملة الإسلام؛ لأنها ملّة جميع الأنبياء، وهي صبغة الله تعالى ---------- ١٧٥
المفردات اللغوية ---------- ١٧٥
المعنى الإجمالي ---------- ١٧٦
من هداية الآيات ---------- ١٧٧
ج) الآيات: ١٣٩ - ١٤١ ---------- ١٧٩
المحاجّة، والبراءة من أعمال أهل الكتاب، وبيان ظلمهم ---------- ١٧٩
المفردات اللغوية ---------- ١٧٩
المعنى الإجمالي ---------- ١٨٠
من هداية الآيات ---------- ١٨١

الجزء الثاني من سورة البقرة - **١٨٧**

الحزب الأول - الربع الأول: الآيات: ١٤٢ - ١٥٧ - **١٨٧**
وجه الربط ---------- *١٨٧*
المعنى الأول. الآيات: ١٤٢ - ١٥٢ ---------- *١٨٧*
أولاً: التمهيد لتحويل القبلة: الآيات ١٤٢ - ١٤٣ ---------- *١٨٧*
المفردات اللغوية ---------- ١٨٧

المعنى الإجمالي ---------- ١٨٨
من هداية الآيات ---------- ١٩٢

ثانياً: الآيات: ١٤٤- ١٥٢ ---------- ١٩٤
وجه الربط ---------- ١٩٤
المفردات اللغوية ---------- ١٩٥
المعنى الإجمالي ---------- ١٩٥
من هداية الآيات ---------- ١٩٨

ب) التنافس المحمود: الآية: /١٤٨ ---------- ١٩٨
المفردات اللغوية ---------- ١٩٨
المعنى العام للآية الكريمة ---------- ١٩٩

ج) الآيات: ١٤٩- ١٥٢ ---------- ٢٠٠
المفردات اللغوية ---------- ٢٠٠
المعنى الإجمالي ---------- ٢٠١
من هداية الآيات ---------- ٢٠٤
لطائف ---------- ٢٠٤

المعنى الثاني: الصبر على البلاء: الآيات: ١٥٣- ١٥٧ ---------- ٢٠٥
وجه الربط ---------- ٢٠٥
المفردات اللغوية ---------- ٢٠٥
المعنى الإجمالي ---------- ٢٠٥
من هداية الآيات ---------- ٢٠٧

الجزء الثاني - الحزب الأول- الربع الثاني - ٢١١
وجه الربط ---------- ٢١١
المعنى الأول: السعي بين الصفا والمروة:آية /١٥٨/ ---------- ٢١١
كلمة في السياق ---------- ٢١٢

المفردات اللغويه ---------- ٢١٢
المعنى الإجمالي ---------- ٢١٣
من هداية الآية ---------- ٢١٤

المعنى الثاني: جزاء كتمان ما أنزل الله: الآيات: ١٥٩ - ١٦٢ ---------- ٢١٦
المفردات اللغوية ---------- ٢١٦
المعنى الإجمالي ---------- ٢١٦
من هداية الآيات ---------- ٢١٨

المعنى الثالث: الآيات:١٦٣ - ١٧٦ ---------- ٢١٩

أولاً: وحدانية الله ورحمته ومظاهر قدرته: الآيات:١٦٣ - ١٦٤ ---------- ٢١٩
وجه الربط ---------- ٢١٩
المفردات اللغوية ---------- ٢٢٠
المعنى الإجمالي ---------- ٢٢٠
لطائف من الآيتين ---------- ٢٢٣

ثانياً: براءة وحسرة: الآيات:١٦٥ - ١٦٧ ---------- ٢٢٥
وجه الربط ---------- ٢٢٥
المفردات اللغوية ---------- ٢٢٥
المعنى الإجمالي ---------- ٢٢٦
من هداية الآيات ---------- ٢٢٧

ثالثا: حِلُّ الطيبات ومنشأ تحريم المحرمات، وتحريم التقليد الأعمى ---------- ٢٢٨
المفردات اللغوية ---------- ٢٢٩
المعنى الإجمالي ---------- ٢٢٩

رابعاً: العبادة والشكر ---------- ٢٣٣
كلمة في السياق ---------- ٢٣٣
المفردات اللغوية ---------- ٢٣٣
المعنى الإجمالي ---------- ٢٣٤

من هداية الآيات ---------- ٢٣٥

خامساً: عود على بدء: كتمان أهل الكتاب ما أنزل الله ---------- ٢٣٥

المفردات اللغوية ---------- ٢٣٥

المعنى الإجمالي ---------- ٢٣٦

من هداية الآيات ---------- ٢٣٧

الجزء الثاني - الحزب الأول - الربع الثالث ٢٤١

وجه الربط ---------- ٢٤١

المعاني الرئيسه ---------- ٢٤١

المعنى الأول: خصال البر المكمّلة لإيمان الصادقين المتقين. آية: /١٧٧/ ---------- ٢٤١

المفردات اللغوية ---------- ٢٤١

لطائف ---------- ٢٤٣

من هداية الآيات ---------- ٢٤٤

المعنى الثاني: تشريع القصاص ---------- ٢٤٥

وجه الربط ---------- ٢٤٥

المفردات اللغوية ---------- ٢٤٥

المعنى الإجمالي ---------- ٢٤٦

من هداية الآيات ---------- ٢٤٨

لطائف ---------- ٢٥٠

المعنى الثالث: تشريع الوصية: الآيات: ١٨٠ - ١٨٢ ---------- ٢٥١

وجه الربط ---------- ٢٥١

المفردات اللغوية ---------- ٢٥٢

المعنى الإجمالي ---------- ٢٥٢

من هداية الآيات ---------- ٢٥٤

المعنى الرابع: تشريع الصيام: الآيات: ١٨٣ - ١٨٧ ---------- ٢٥٦

أ) فرض الصيام، ونزول القرآن في رمضان: الآيات: ١٨٣– ١٨٥ ---------- ٢٥٦
المفردات اللغوية ---------- ٢٥٦
المعنى الإجمالي ---------- ٢٥٨
من هداية الآيات---------- ٢٦١
ب) الصيام والدعاء: الآية: /١٨٦/ ---------- ٢٦٣
المفردات اللغوية ---------- ٢٦٣
المعنى العام للآية الكريمة---------- ٢٦٣
من هداية الآيات---------- ٢٦٤
ج) تخفيف وتيسير في أحكام الصيام، والصيام والاعتكاف: الآية: /١٨٧/ ---------- ٢٦٤
المفردات اللغوية ---------- ٢٦٤
المعنى الإجمالي ---------- ٢٦٥
من هداية الآيات---------- ٢٦٧

المعنى الخامس: تحريم أكل المال بالباطل: الآية /١٨٨/ ---------- ٢٦٨
المفردات اللغوية ---------- ٢٦٨
وجه الربط---------- ٢٦٩
المعنى الإجمالي ---------- ٢٦٩
من هداية الآيات---------- ٢٧٠
لطائف ---------- ٢٧١

الجزء الثاني – الحزب الأول– الربع الرابع – ٢٧٥

وجه الربط---------- ٢٧٥
المعاني الرئيسة ---------- ٢٧٥
أولاً: الأهلة والمواقيت الشرعية. الآية: /١٨٩/ ---------- ٢٧٥
المفردات اللغوية ---------- ٢٧٥
المعنى الإجمالي ---------- ٢٧٦
من هداية الآيات---------- ٢٧٧

ثانياً: تشريع الجهاد، وتحريم العدوان: الآيات: ١٩٠- ١٩٥ ---------- ٢٧٨
وجه الربط ---------- ٢٧٨
المفردات اللغوية ---------- ٢٧٨
المعنى الإجمالي ---------- ٢٧٩
من هداية الآيات ---------- ٢٨٣
ثالثاً: الآيات: ١٩٦- ٢٠٣ ---------- ٢٨٦
أ) الآية: / ١٩٦/ ---------- ٢٨٧
المفردات اللغوية ---------- ٢٨٧
وتضمنت الآية الكريمة ما يلي ---------- ٢٨٨
مسائل في الحج والعمرة مستنبطة من الآية: / ١٩٦/ ---------- ٢٨٩
فوائد ---------- ٢٩١
ب) الآيات: ١٩٧ . ٢٠٢ ---------- ٢٩٢
أحكام الحج ---------- ٢٩٢
وجه الربط ---------- ٢٩٢
المفردات اللغوية ---------- ٢٩٣
وتضمنت الآيات الكريمات ما يلي ---------- ٢٩٤
فوائد ---------- ٢٩٥
ج) الآية: / ٢٠٣ / ---------- ٢٩٦
المفردات اللغوية ---------- ٢٩٦
وتضمنت الآية الكريمة ما يلي ---------- ٢٩٦
فوائد ---------- ٢٩٧
الجزء الثاني – الحزب الثاني - الربع الأول - ٣٠١
المعاني الرئيسة ---------- ٣٠١
المعنى الأول: الآيات: ٢٠٤ - ٢١٠ ---------- ٣٠١
أولاً: صنفان من الناس منافق ومؤمن: الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٧ ---------- ٣٠١

وجه الربط ---------- ٣٠١
المفردات اللعوية ---------- ٣٠٢
المعنى الإجمالي ---------- ٣٠٣
من هداية الآيات ---------- ٣٠٤
لطائف ---------- ٣٠٥
ثانياً: الآيات: ٢٠٨ - ٢١٠ ---------- ٢٠٧
وجه الربط ---------- ٣٠٧
المفردات اللغوية ---------- ١٠٧
وقد تصمنت الآيات الكريمات ما يلي ---------- ٣٠٨
من هداية الآيات ---------- ٣١٠
المعنى الثاني: الآيات: ٢١١ - ٢١٤ ---------- ٣١١
وجه الربط ---------- ٣١١
تضمَّنت الآيات الكريمات ما يلي ---------- ٣١٢
أ) إخبار ووعيد: الآية: /٢١١/ ---------- ٣١٢
المفردات اللغوية ---------- ٣١٢
المعنى العام للآية ---------- ٣١٢
من هداية الآية ---------- ٣١٢
ب) نعي وتسلية: الآية: /٢١٢/ ---------- ٣١٣
المفردات اللغوية ---------- ٣١٣
المعنى العام للآية الكريمة ---------- ٣١٣
من هداية الآية ---------- ٣١٤
ج) رأفة ورحمة: الآية: /٢١٣/ ---------- ٣١٥
المفردات اللغوية ---------- ٣١٥
المعنى العام للآية الكريمة ---------- ٣١٦
من هداية الآية ---------- ٣١٧
د) تمحيص وابتلاء: آية /٢١٤/ ---------- ٣١٨

المفردات اللغوية -- ٣١٨
المعنى العام للآية الكريمة-- ٣١٩
من هداية الآية -- ٣١٩
المعنى الثالث: أحكام وتشريع: الآيات: ٢١٥ - ٢٢١ ------------------------------ ٣٢٠
أ)- الأحكام التشريعية في وجوه إنفاق المال وبيان مصارف صدقة التطوع: الآية /٢١٥/ -- ٣٢٠
المفردات اللغوية -- ٣٢٠
المعنى الإجمالي -- ٣٢١
من هداية الآية -- ٣٢١
الأحكام التشريعية في الجهاد وأحكام القتال في الأشهر الحرم:------------------------ ٣٢٢
المفردات اللغوية -- ٣٢٢
المعنى الإجمالي -- ٣٢٣
من هداية الآيات-- ٣٢٥
لطائف -- ٣٢٧
ج) الآية:/٢١٩/ -- ٣٢٨
المفردات اللغوية -- ٣٢٨
المعنى العام للآية الكريمة-- ٣٢٨
من هداية الآية -- ٣٣٠
د) الآية:/٢٢٠/-- ٣٣١
المفردات اللغوية -- ٣٣١
المعنى الإجمالي -- ٣٣١
من هداية الآية -- ٣٣٢
هـ) الآية/٢٢١/ -- ٣٣٣
المفردات اللغوية -- ٣٣٣
المعنى الإجمالي -- ٣٣٤
من هداية الآيات-- ٣٣٥
فائدة: قال ابن سعدي -- ٣٣٥

هيكلة سورة البقرة حسب المعنى/ الجزء الثاني/ الحزب الثاني/ (تابع الربع الثاني والثالث) - ٣٣٩
الجزء الثاني - الحزب الثاني- الربع الثاني والثالث حسب المعنى ---------- ٣٣٩
المعاني الرئيسه ---------- ٣٤٠
الأحكام التشريعية داخل الأسرة، وهي على النحو التالي ---------- ٣٤٠
أولاً: الحيض وأحكامه: الآيات ٢٢٢ - ٢٢٣ ---------- ٣٤٠
توطئة ---------- ٣٤٠
المفردات اللغوية ---------- ٣٤٠
المعنى الإجمالي ---------- ٣٤١
أحكام من الآيات ---------- ٣٤٢
من هداية الآيات ---------- ٣٤٣
مسائل في الحيض ---------- ٣٤٤
لطائف ووقفات مع آيات الحيض ---------- ٣٤٥
ثانياً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة: ---------- ٣٤٧
وجه الربط ---------- ٣٤٧
أ) اليمين اللغو، واليمين المنعقدة: الآيات: ٢٢٤ - ٢٢٥ ---------- ٣٤٨
المفردات اللغوية ---------- ٣٤٨
المعنى الإجمالي ---------- ٣٤٩
ب- يمين الإيلاء وحكمه: الآيات:٢٢٦، ٢٢٧ ---------- ٣٥٠
المفردات اللغوية ---------- ٣٥١
المعنى الإجمالي ---------- ٣٥١
احكام من الآيات ---------- ٣٥١
من هداية الآية ---------- ٣٥٢
ج- يمين الطلاق وأحكامه: الآيات /٢٢٨- ٢٣٢ / ---------- ٣٥٣
الحكم الأول من أحكام الطلاق ---------- ٣٥٤
المفردات اللغوية ---------- ٣٥٤
المعنى العام للآية الكريمة ---------- ٣٥٥

الأحكام المستنبطة من الآية ---------- ٣٥٦
الحكم الثاني من أحكام الطلاق ---------- ٣٥٩
المفردات اللغوية ---------- ٣٥٩
المعنى الإجمالي ---------- ٣٦٠
أحكام من الآيات: ---------- ٣٦١
من هداية الآيات ---------- ٣٦٣
لطائف ---------- ٣٦٤
الحكم الثالث من أحكام الطلاق ---------- ٣٦٤
المفردات اللغوية ---------- ٣٦٤
المعنى الإجمالي ---------- ٣٦٥
الأحكام المستنبطة من الآية ---------- ٣٦٦
من هداية الآيات ---------- ٣٦٦
الحكم الرابع من أحكام الطلاق: ---------- ٣٦٨
المفردات اللغوية ---------- ٣٦٨
المعنى الإجمالي ---------- ٣٦٨
أحكام من الآية ---------- ٣٦٩
من هداية الآية ---------- ٣٧٠
ثالثاً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة: ---------- ٣٧١
المفردات اللغوية ---------- ٣٧١
الأحكام المستنبطة من الآية الكريمة ---------- ٣٧٢
لطائف من الآية /٢٣٣/ ---------- ٣٧٤
رابعاً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة: ---------- ٣٧٥
المفردات اللغوية ---------- ٣٧٥
المعنى الإجمالي ---------- ٣٧٦
احكام من الآيات ---------- ٣٧٧
خامساً: من الأحكام التشريعية داخل الأسرة المسلمة: ---------- ٣٧٩

المناسبة ---------- ٣٧٩
المفردات اللغوية ---------- ٣٨٠
المعنى الإجمالي ---------- ٣٨١
أحكام من الآيات ---------- ٣٨٢
مسألة ---------- ٣٨٢

وعلى هذا تكون المطلقات أربع على النحو التالي ---------- ٣٨٤
مسائل ---------- ٣٨٤
المناسبة ---------- ٣٨٥
المفردات اللغويه ---------- ٣٨٦
المعنى الإجمالي ---------- ٣٨٧
أحكام من الآيات ---------- ٣٨٧
لطائف من الآيات ---------- ٣٨٨

سابعاً: عود على ما سلف من الأحكام التشريعية للمتوفى عنها زوجها، ومتعة كل مطلقة -- ٣٨٩
المفردات اللغوية ---------- ٣٨٩
المعنى الإجمالي ---------- ٣٩٠
أحكام من الآيات ---------- ٣٩١

الجزء الثاني - الحزب الثاني - الربع الرابع ---------- ٣٩٥
وجه الربط ---------- ٣٩٥

المعنى الأول: الآيات: ٢٤٣ - ٢٤٥ ---------- ٣٩٥
أولا: قصة الملأ الذين فرُّوا من الموت: الآية: /٢٤٣/ ---------- ٣٩٦
المفردات اللغوية ---------- ٣٩٦
المعنى الإجمالي ---------- ٣٩٦
من هداية الآيات ---------- ٣٩٧
لطائف ---------- ٣٩٨
ثانيا: الحثُّ على الجهاد والإنفاق في سبيله: الآيات: ٢٤٤- ٢٤٥ ---------- ٣٩٩
المفردات اللغوية ---------- ٣٩٩

المعنى الإجمالي -- ٣٩٩
من هداية الآيات-- ٤٠٠
لطائف -- ٤٠١

المعنى الثاني -- ٤٠٢
أولاً: قصَّة الملأ من بني إسرائيل مع نبيِّ الله طالوت: الآيات: ٢٤٦ - ٢٥٢ ---------------- ٤٠٢
وجه الربط-- ٤٠٢
١- توطئة لقصة طالوت وجالوت وداود: الآية / ٢٤٦/ ---------------------------- ٤٠٢
المفردات اللغوية -- ٤٠٢
المعنى العام للآية الكريمه-- ٤٠٣
٢- تعيين طالوت ملكاً لبني إسرائيل، وأسباب تعيينه، وإثبات ملكه بآية حسيَّة: --------- ٤٠٤
المفردات اللغوية -- ٤٠٤
المعنى العام للآيات الكريمات-- ٤٠٥
الاختبار. الآية /٢٤٩/ -- ٤٠٦
المفردات اللغوية -- ٤٠٦
المعنى العام للآية الكريمة-- ٤٠٧
المعركة: الآيات:٢٥٠- ٢٥١ -- ٤٠٧
المفردات اللغوية -- ٤٠٧
المعنى العام للآية الكريمة-- ٤٠٨
ويستفاد من قصة بني إسرائيل اللطائف والعبر الآتية ---------------------------- ٤٠٨

ثانيا: إثبات نبوة الرسول ﷺ لأن الآيات المتقدم ذكرها لا يعلمها إلا نبي مرسل: الآية /٢٥٢/ -- ٤١١
المفردات اللغوية -- ٤١١
المعنى العام للآية -- ٤١١
من هداية الآية الكريمة -- ٤١١

ثالثا: التفاضل بين الرسل وسبب النزاع والاختلاف بين الناس: الآية / ٢٥٣/ من الجزء الثالث ٤١٢
المفردات اللغوية -- ٤١٢
المعنى العام للآية الكريمة-- ٤١٢

من هداية الآية الكريمة ---------- ٤١٣

الجزء الثالث من سورة البقرة ٤١٩

الحزب الأول – الربع الأول ---------- ٤١٩

وجه الربط ---------- ٤١٩

المعنى الأول: الآيات:٢٥٤- ٢٥٧ ---------- ٤٢٠

أولاً: الأمر بالإنفاق في سبيل الخير ---------- ٤٢٠

المفردات اللغوية ---------- ٤٢٠

المعنى الإجمالي ---------- ٤٢٠

مسائل ---------- ٤٢١

لطيفة ---------- ٤٢١

ثانياً :آية الكرسي: الآية/ ٢٥٥ / ---------- ٤٢٢

توطئة ---------- ٤٢٢

المفردات اللغوية ---------- ٤٢٢

لطائف بلاغية في آية الكرسي ---------- ٤٢٥

ثالثاً- منع الإكراه على الدّين ﴿٢٥٦﴾ ، وولاية الله للمؤمنين، ---------- ٤٢٦

المفردات اللغوية ---------- ٤٢٦

المعنى الإجمالي ---------- ٤٢٧

لطائف من الآيات ---------- ٤٢٧

المعنى الثاني: قصص وعبر ---------- ٤٢٩

أ) مناظرة إبراهيم عليه السلام للطاغوت النمرود: آية /٢٥٨/ ---------- ٤٢٩

وجه الربط ---------- ٤٢٩

المفردات اللغوية ---------- ٤٢٩

المعنى الإجمالي ---------- ٤٣٠

من هداية الآيات ---------- ٤٣١

ب) دليلان عظيمان محسوسان في الدنيا قبل الآخرة على البعث والجزاء ---------- ٤٣٢

الدليل الأول: الحياة بعد الموت ---------- ٤٣٢

المفردات اللغوية ---------- ٤٣٢

المعنى العام للآية الكريمة ---------- ٤٣٣

الدليل الثاني: من علم اليقين إلى عين اليقين ---------- ٤٣٥

المفردات اللغوية ---------- ٤٣٥

المعنى العام للآية الكريمة ---------- ٤٣٥

لطائف من الآيات ---------- ٤٣٦

مقدمة بين يدي آيات الإنفاق في سورة البقرة ---------- ٤٣٧

مبادئ أساسية في الاقتصاد الإسلامي والمعاملات المالية ---------- ٤٣٧

الجزء الثالث – الحزب الأول - الربع الثاني- ٤٤١

تضمن هذا الربع المعاني الرئيسة التالية ٤٤١

أولاً: الآيات: ٢٦١ - ٢٦٣ ---------- ٤٤١

ثواب الإنفاق في سبيل الله: ﴿٢٦١﴾، وآدابه: ﴿٢٦٢﴾ ---------- ٤٤١

المفردات اللغوية ---------- ٤٤١

المعنى الإجمالي ---------- ٤٤٢

من هداية الآيات ---------- ٤٤٤

لطائف من الآيات ---------- ٤٤٤

ثانياً: ثلاث أمثلة بديعية محسوسة ---------- ٤٤٦

وجه الربط ---------- ٤٤٦

المفردات اللغوية ---------- ٤٤٦

المعنى الإجمالي ---------- ٤٤٧

من هداية الآيات ---------- ٤٥٠

لطائف من الآيات ---------- ٤٥٢

ثالثاً: الآيات: ٢٦٧ – ٢٦٩ ---------- ٤٥٢
وجه الربط ---------- ٤٥٣
المفردات اللغوية ---------- ٤٥٣
المعنى الإجمالي ---------- ٤٥٤
من هداية الآيات ---------- ٤٥٧
لطائف ---------- ٤٥٩
رابعاً: صدقة السر وصدقة العلن: الآيات: ٢٧٠ – ٢٧١ ---------- ٤٦٠
وجه الربط ---------- ٤٦٠
المفردات اللغوية ---------- ٤٦١
المعنى الإجمالي ---------- ٤٦١
من هداية الآيات ---------- ٤٦٢
خامساً: أفضل مصارف الصدقات الآيات: ٢٧٢ – ٢٧٤ ---------- ٤٦٣
وجه الربط ---------- ٤٦٣
المفردات اللغوية ---------- ٤٦٤
المعنى الإجمالي ---------- ٤٦٤
من هداية الآيات ---------- ٤٦٧
لطائف من الآيات ---------- ٤٦٩
الجزء الثالث – الحزب الأول – الربع الثالث ---------- ٤٧٣
مقدمة وتوطئة بين يدي آيات الربا ---------- ٤٧٣
المعاني الرئيسة ---------- ٤٧٤
المعنى الأول: الربا وأضراره على الفرد والمجتمع ---------- ٤٧٤
الآيات: ٢٧٥ – ٢٨١ ---------- ٤٧٤
المفردات اللغوية ---------- ٤٧٥
المعنى الإجمالي ---------- ٤٧٦
تضمّنت الآيات الكريمات الأحكام الآتية ---------- ٤٨٠

لطائف ---------- ٤٨٤
ثانياً: الآيات: ٢٧٨ – ٢٧٩ ---------- ٤٨٥
المفردات اللغوية ---------- ٤٨٥
المعنى الإجمالي ---------- ٤٨٦
من هداية الآيات ---------- ٤٨٦
لطائف ---------- ٤٨٨
ثالثاً: الأخلاق الإسلامية في المعاملات المالية ---------- ٤٨٩
المفردات اللغوية ---------- ٤٨٩
المعنى الإجمالي ---------- ٤٨٩
تنبيهات ---------- ٤٩٠
من هداية الآية ---------- ٤٩١
رابعاً: التحذير من أهوال يوم القيامة ---------- ٤٩٣
المعنى الإجمالي ---------- ٤٩٣
من هداية الآيات ---------- ٤٩٤
المعنى الثاني: آية الدين: ﴿٢٨٢﴾، وجواز الرهن: ﴿٢٨٣﴾ ---------- *٤٩٤*
وجه الربط: بين آيات الربا وآية الدين ---------- ٤٩٦
مناسبة الآية لما قبلها ---------- ٤٩٦
تضمنت الآيات الأحكام الآتية ---------- ٤٩٧
المفردات اللعوية ---------- ٤٩٧
معنى الآية الكريمة ---------- ٤٩٧
ثانياً: التزام العدل. وبيان أحوال ناقصي الأهلية. وثبوت الولاية عليهم ---------- ٥٠٠
المفردات اللغوية ---------- ٥٠٠
معنى الآية الكريمه ---------- ٥٠١
ثالثاً: الشهادة كوسيلة ثانية لتوثيق الديون والبيوع، ونصاب الشهادة، ---------- ٥٠٤
المفردات اللعوية ---------- ٥٠٤
معنى الآية الكريمة ---------- ٥٠٤
رابعاً: فوائد توثيق الدين بالكتابة، والإشهاد ---------- ٥٠٦

المفردات اللغوية ---------- ٥٠٦
معنى الآية الكريمة ---------- ٥٠٧
خامساً: استثناء البيوع الحاضرة من الكتابة، التي تدار بين بدلين يداً بيد، من غير تأجيل، ٥٠٨
المفردات اللغوية ---------- ٥٠٨
معنى الآية الكريمة ---------- ٥٠٨
سادساً: لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ---------- ٥٠٩
المفردات اللغوية ---------- ٥٠٩
معنى الآية الكريمة ---------- ٥١٠
تنبيه ---------- ٥١١
سابعاً: توثيق الحقوق بالرهن ---------- ٥١٢
المفردات اللغوية ---------- ٥١٢
معنى الآية الكريمه ---------- ٥١٣
ثامناً. جواز التعامل بغير وثيقة ولا شهود.---------- ٥١٦
المفردات اللغوية ---------- ٥١٦
معنى الآية الكريمة ---------- ٥١٦
تاسعاً: تحريم كتمان الشهادة ---------- ٥١٨
المفردات اللغوية ---------- ٥١٨
معنى الآية الكريمة ---------- ٥١٨

وقفة خاتمة في المعاملات المالية ---------- ٥٢٠

الجزء الثالث - الحزب الأول – الربع الرابع ---------- ٥٢٣

خواتيم البقرة ---------- ٥٢٣

الآيات:٢٨٤ . ٢٨٦ ---------- ٥٢٣
وجه الربط---------- ٥٢٣
سبب نزول الآية ---------- ٥٢٤
المعنى الإجمالي ---------- ٥٢٥
مسألة---------- ٥٢٨

لطائف ---------- ٥٢٨

ب) المؤمنون ودعاؤهم ---------- ٥٢٩

الآيات: ٢٨٥ - ٢٨٦ ---------- ٥٢٩

وجه الربط ---------- ٥٢٩

المعنى الإجمالي ---------- ٥٣١

لطائف من الآيات ---------- ٥٣٩

المصادر والمراجع

١- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير).

٢- الجامع لأحكام القرآن (القرطبي).

٣- روح المعاني (**الألوسي**).

٤- فتح القدير (**الشوكاني**).

٥- التحرير والتنوير (**الطاهر ابن عاشور**).

٦- تيسير الكيم الرحمن في تفسير كلام المنان (**ابن سعدي**).

٧- أيسر التفاسير (**أبو بكر الجزائري**).

٨- تفسير سورة البقرة (**ابن عثيمين**).

٩- فتح البيان (**القنوجي**).

١٠- التفسير المنير (**وهبة الزحيلي**).

١١- تفسير الإسلام لله تعالى (عبدالحميد طهماز).

١٢- لطائف من التفسير (**أحمد فرح عقيلان**).

١٣- شرح العقيدة الواسطية (ابن عثيمين).

١٤- مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين.

١٥- دراسات في التفسير الموضوعي (**الألمعي**).

١٦- مشكلات وحلول (الفقر والجوع والحرمان) (**الدكتور السباعي**).

١٧- البحر المحيط (**أبو حيان التوحيدي**).

١٨- أضواء البيان (**الشنقيطي**).